المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية للبنات الأقسام الأدبية
بمكة المكرمة

الإسراف
في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية في التفسير

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية

لنيل درجة (الماجستير) في تخصص التفسير وعلوم القرآن

للطالبة

وفاء بنت يحيى الحسني

المعيدة بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بكلية التربية للمعلمات بجامعة جازان

إشراف فضيلة الدكتور

ورداني عبد الراضي عبد الله حموده

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية التربية لإعداد المعلمات بمكة المكرمة جامعة أم القرى

العام الجامعي

١٤٢٨/١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والشكر لله وحده لا شريك له أولاً وآخراً.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..... فإني أتوجه بالشكر لله ﷻ الذي أعانني على هذه الرحلة الشاقة فهو القائل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1].

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لوالديَّ العزيزين اللذين وفرا لي كل سبل الراحة للقيام بهذا العمل وما زالا كذلك، فأدعو الله –تعالى– أن يشفي والدتي وأن يجنبهما كل شدة أو عنت وأن يبارك لي فيهما ويحفظهما.

كما أشكر كل أفراد أسرتي على ما قدموه لي خلال فترة البحث وأخص منهم عمتيَّ: ليلى الحسني وآمنه الحسني فقد قامتا بدور الأم فأسأل الله أن يحفظهما ويجزيهما خير الجزاء.

ولا أنسى أختي وزميلتي في البحث والدراسة فاطمة دغريري على ما قدمته لي أثناء رحلتي البحثية هي وعائلتها فجزآهم الله خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كلية التربية الأقسام الأدبية بمكة المكرمة وعلى رأسها عميدة الكلية وقسم الدراسات الإسلامية وقسم الدراسات العليا على ما قدموه لي من مساعدة خلال فترة الدراسة بالكلية وأخص بمزيد من الشكر الأستاذة شهيناز ملياري.

كما أخص بالشكر شيخي وأستاذي **الأستاذ الدكتور/ ورداني عبد الراضي عبد الله حمودة** على تقبله الإشراف على هذه الرسالة والاعتناء بها منذ بدايتها إلى نهايتها وأنه لم يبخل عليّ خلال فترة الدراسة بشيء من التوجيه والنصح للعلم فأسأل الله أن ينفعه بعلمه ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[2].

كما أشكر كلاً من: **فضيلة الدكتور/ زاهر بن عواض الألمعي**، أستاذ الدراسات العليا في التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وقد

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٧

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٨، ٨٩

كان فضيلته اسما على مسمى إضاءة ونفعا ونصحا؛ فأسأل الله أن ينفع به وبعلمه وآثاره طلاب العلم وأهله على مر الأجيال.

وفضيلة الدكتور/ حجاج عربي رمضان، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين بالرياض .

فأشكر فضيلتيهما على تقبلهما تقويم ومناقشة رسالتي هذه في بحثها الموضوعي في التفسير، ولا أملك إلا أن أقول جزاهم الله –تعالى – عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كل من قدم لي يد العون والنصح والمساعدة أيا كان نوعها خلال فترة الدراسة يضيق المقام عن تخصيصهم بالذكر وهم كثر.

ولله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير.

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.....

فهذه رسالة بعنوان: " **الإسراف في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية في التفسير**" مقدمة من الطالبة: وفاء يحيى أحمد الحسني لنيل درجة "الماجستير" في الدراسات الإسلامية من كلية التربية للبنات الأقسام "الأدبية" بمكة المكرمة.

وتهدف الرسالة إلى الإسهام في بيان الإسراف وهو خلق سيء تفشى في المجتمع، وكشف آثاره وعلاجه من خلال آيات القرآن الكريم وتفسيرها الموضوعي.

وتحتوي الرسالة على: "مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة" وهي على النحو الآتي:

المقدمة.. وتشتمل على: تساؤلات البحث ومحاوره، أسباب اختيار الموضوع، أهمية الموضوع، أهداف الموضوع، الدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث ثم خطته التفصيلية وهي كما يلي:

الباب الأول: **الإسراف:** ألفاظه المقاربة والمضادة، وأسبابه، وصفات أهله

ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: تعريف الإسراف والآيات الواردة فيه وألفاظه المقاربة والمضادة.

الفصل الثاني: أسباب الإسراف وصفات المسرفين.

الباب الثاني: أنواع الإسراف وأحكامه. ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: الإسراف في فعل المباحات.

الفصل الثاني: الإسراف في أداء بعض العبادات.

الباب الثالث: آثار الإسراف وجزاء المسرفين وعلاجه. ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: آثار الإسراف على الفرد والمجتمع وجزاء المسرفين.

الفصل الثاني: علاج الإسراف على المستوى الفردي والجماعي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات الإجماليه التي خرجت بها واستخلصتها من هذا البحث.

ثم الفهارس الفنية المتنوعة اللازمة للبحث

اسم الطالبة:	**المشرف:**	**عميدة الكلية:**
وفاء يحيى الحسني	أ.د. ورداني عبد الله حمودة	د. أنجب غلام نبي

Summery of the research

Thanks for Allah and Peace be upon the greatest for all messengers and Prophets Mohammed peace be upon him .

This message with the little of **" Exaggeration on the Holy Qurán way "** Introduced from Wafaa Yehia Ahmed AL Hussany to get the High studies degree from Faculty of Education Literaty departments in Makkah Al Mokiramh .

The message aims to share participate in dealing with the phenomena of spread exaggeration in society through Holly Qurán lines.

This message contain introduction, three chapters and the end as follow.

The introduction .

First chapter: Exaggeration its near items and contrast causes the charactist of its people . It contains two classes :

First Class: The definition of exaggeration the Holy Qurán lines defined it and its near items and contrast.

Second Class: Causes of exaggeration and the charactists of exaggerators .

Second Chapter : Kinds of Exaggeration and contains two classes

First Class : Exaggeration in allowing things .

Second Class : Exaggeration and believes

Third Chapter : Effects of exaggeration exaggerators punishment and treatment it contains two classes

First Class : Exaggeration effects on the man and society and exaggerators punishment .

Second Class : Exaggeration treatment .

The end : it contains the important results and recommends that the researcher reached to from the research .

Student name **Supervisor** **Dean**

Wafaa Yehia AL Hussany **Dr. Wardani Abdullah Homid** **Dr. Anjab Golam Nabi**

المقدمة

المقـــدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنـــا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحـــابه ومن تبعهم بإحســـان إلى يوم الديـــن، وسلم تسليماً كثيراً.....

أما بعد.....

فإن أشرف العلوم العلم بكتاب الله ومعانيـــه، ومعرفـــة مـــا فيـــه من عقائـــد، وأحكـــام وتشريعات؛ فهو دستور حياتنا الذي نسير وفق منهجـــه؛ فقد بين الله تعالى لنا فيه كل مـــا نحتاجه لإصلاح حياتنا الدنيا وإصلاح آخرتنا، وأنه الهادي إلى الصراط المستقيم والآخذ بأيدينا إلى دار النعيم.

فكتاب الله ﷻ هو حبله المتين، وصراطه المستقيم، وصفه الله ﷻ بأوصاف عظيمة فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

وقد قال ﷺ:((إن خَيْرَ الحديثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ))[3].

إن قراءة القرآن والعلم به وتدبره من أهم الوسائل التي يلجأ إليها العبدُ في كل تقرب إلى الله وعلى الأخص حال ندمـــه على المعصية إذا وقعت منه ومن ذلك

---

(١) سورة النساء الآية ١٧٤

(٢) سورة يونس الآية ٥٧

(٣) أخرجه الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري في صحيحة: كتاب الجمعة ــ باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح/٨٦٧) (٣٤٧) ط١. ربيع أول ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م. دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض.

جرم الإسراف، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[2].

وقد وقع الإسراف من بعض خلق الله في الأرض إبليس وفرعون وقارون وهامان وقوم لوط وأصحاب القرية.

فمن خلال هذه الآيات الكريمة ونحوها نرى حال المؤمن عندما يزل وتقع منه بعض المعاصي، وتبعا لهـــذا المفهوم يكون الإسراف أحد هذه الزلات التي نهى الله ﷻ عنها حيث قال: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3]

وقال ﷺ:((كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ ولا مَخِيلَةٍ[4]))[5].

فالمسرفون: (هم المتجاوزون في أمورهم الحد)[6].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٧

(٢) وتمام هذه الآيات هو قوله- تعالى -: ﴿ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية ١٣٥، ١٣٦

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١

(٤) مخيلة: ذا تكبر. النهاية في غريب الحديث: ، للإمام مجد الدين المبارك الجزري المعروف بابن الأثير (٨٩/٢). ١٣٩٩ هـــ /١٩٧٩م. دار الفكر للطباعة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس ــ باب قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ سورة الأعراف الآية ٣٢. (١٠٥٣). المكتبـــة العصريـــة للطباعـــة والنشـــر، بيروت ــ صيـــدا. ١٤٢٤هـــ/ ٢٠٠٤م.

(٦) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي . تحقيق الاستاذ محمد علي النجار (٢١٦/٣). ط٣. ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م. القاهرة.

وقال إياس بن معاوية[1]–رحمه الله–: (ما جاوزتَ به أمرَ اللهِ فهو سرف)[2].

والإسراف غالباً ما يطلقه العامة في عرفهم على الإنفاق والتجاوزات المادية والأفعال الحسية ولكن لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان أن الإسراف كما يقع في الفعل والقول يقع أيضاً في الترك.

هو كما يقع في المحرمات يقع أيضاً في المباحات بل وأيضاً في العبادات، عند كل تجاوز للحد أو خروج عن الاعتدال والقصد.

فالإسراف داء عضال قد انتشر في المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات؛ فهو إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي، وإما أن يكون بتجاوز الحلال والحرام.[3]

وقد عالج الإسلام هذا الداء الفتاك فأمر بالتوسط والاعتدال في الأمور كلها سواء المادية منهـــا أو المعنوية، والدنيوية أو الأخروية، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (ما خُيِّرَ النبي ﷺ بين أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ما لم يَأْثَمْ فإذا كان الإِثْمُ كان أَبْعَدَهُمَا منه)[4].

---

(١) هو: إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري قاضي البصرة ، أبو واثلة، كان قاضياً على البصرة، وله أحاديث وكان عاقلاً فطناً. توفي سنة (اثنتين وعشرين ومائة) يُنظر: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (٢٣٤/٧) دار صادر – بيروت، والتاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي (٤٤٢/١) دار الفكر.

(٢) تفسير القرآن العظيم: للإمام عماد الدين أبي الفداء بن كثير القرشي (٢٤٦/٢). ط٧. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. مؤسسة الريان للطباعة بيروت–لبنان.

(٣) يُنظر: فيوض العلام على تفسير آيات الأحكام: للإمـــام محمد بن علي الشوكانـــي. تأليف د. محمد لقمان السلفي. (٦٥١/٢). ط١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. دار الداعي للنشر والتوزيع ــ الرياض، مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية ــ مدينة السلام ــ الهند.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الحدود ــ باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (ح/٦٧٨٦)(١٢٠٧).
تنبيه: يقول ابن حجر – رحمه الله–: "قال بن بطال: هذا التخيير ليس من الله؛ لأن الله لا يخير رسوله بين أمرين أحدهما إثم إلا إن كان في الدين وأحدهما يئول إلى الإثم كالغلو فإنه مذموم كما لو أوجب الإنسان على نفسه شيئا شاقا من العبادة فعجز عنه ومن ثم نهى النبي ﷺ أصحابه عن الترهب. قال بن التين: المراد التخيير في أمر الدنيا وأما أمر الآخرة فكلما صعب كان أعظم ثوابا كذا قال، وما أشار إليه بن بطال أولى وأولى منهما أن ذلك في أمور الدنيا لأن بعض أمورها قد يفضي إلى الإثم كثيرا والأقرب أن فاعل

ومن هنا ظهرت لي أهمية هذا الموضوع وحاجة المجتمع والمكتبة الإسلامية إلى إبرازه وجمعه وترتيبه في صورة بحث موضوعي في التفسير تحت عنوان: **(الإسراف في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية في التفسير)** .

وقد أعددت له خطة أقدم لها بما يأتي:

تساؤلات البحث ومحاوره:

١) ما تعريف الإسراف لغة وشرعاً؟
٢) الإسراف ومايقاربه لفظاً ومعنى.
٣) ما أسباب الإسراف وما صفات أهله؟
٤) ما أنواع الإسراف؟
٥) ما أضرار الإسراف وعواقبه على الفرد والمجتمع؟
٦) ما جزاء المسرفين في الدنيا والآخرة؟
٧) ما التدابير الإسلامية في الحد من الإسراف وعلاجه؟

أسباب اختيار الموضوع:

إن حياة الإنسان لا تخلو من خلل في تصرفاته وعلى الأخص عندما لاتنضبط تلك التصرفات بضابط الشرع ورقابته الدائمة وعندها يكون الخلل واقعاً وقريباً، بل ومتنوعاً ومتكـــرراً حتمـــاً، إلا من رحم الله.

وإن من آحاد هذا الخلل الكائن وأفراده –بل وربما هو أهمها –**الإســـراف** وأذكر – فيما يأتي – **أسباب دراستي لهذا الموضوع:**

١) ذكر الإسراف في مواضع مختلفة ومتنوعة من القرآن الكريم، يؤكد أهمية دراسته وضرورة الوقوف عنده وتدبر أنواعه وأحوال الناس فيه.
٢) إن الإسراف يؤدي إلى وقوع الخلل في حياة الغافل عن منهج الله–تعالى– وفي حياة المعاندين له المكذبين به.

التخيير الآدمي وهو ظاهر." فتح البـــاري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن على بن حجر العسقـــلاني (٨٦/٢). عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن باز– ورقم كتبها وأبوابها محمد فؤاد عبد الباقي. ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٤م. دار الحديث – القاهرة.

٣) عناية الأنبياء–عليهم السلام– بالنهي عن خلق الإسراف والإرشاد إلى علاجه وكيفية تخلص الإنسان منه بتبليغهم رسالة الله إلى أقوامهم.

٤) وقوع كثير من الناس في المعاصي التي قد تظهر لهم أنها من الصغائر لكنها مع الإصرار عليها والإسراف فيها قد تؤدي إلى الكبائر، أو تكون بمثابة كبيرة.

أهمية البحث:

١) حاجة الناس إلى معرفة أضرار الإسراف وتذكيرهم بمخاطره على الفرد والمجتمع. قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

٢) العلاقة القوية والتلازمية بين الإسراف وبين انهيار كثير من الأمم، قال–تعالى– على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

وفي ذلك تنبيه وتحذير للمدعوين إلى الإسلام من الأمة الخاتمة من الإسراف.

أهداف البحث:

١) التنبيه على علاج مرض قد تفشى في الأمة وكان ذا أثر بالغ في تخلفها عن ركب الحضارة، بل وربما يؤدي إلى هلاكها بالكلية كما كان شأن قوم لوط عليه السلام وغيرهم من الأمم قديماً وحديثاً.

٢) محاولة المشاركة في النصح للأمة بالبعد عن العيش السيئ في وحل الإسراف إلى الاستنان بسنة النبي الخاتم ﷺ وملازمة منهج الإسلام في ذلك واتباع آثار سلفنا الصالح رضي الله عنهم من بعده في الاعتدال والتوسط في جميع الأمور.

وقد أمرنا المولى ﷻ فقال: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[4]

---

(١) سورة غافر الآية ٢٨

(٢) سورة غافر الآية ٣٤

(٣) سورة الذاريات الآيات ٣١–٣٤

(٤) سورة الأعراف الآية ٣١

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [1].

٣) الإسهام بشيء من واجب النصح الذي من شأنه بناء الأمة وإصلاحها وإعادة القوة والعزة إليها على نحو ما كانت عليه في نشأتها وأول عهدها.

الدراسات السابقة:

في حدود علمي لم يظهر لي أن هناك دراسات علمية قد سبقت بمثل هذا العنوان، إلا بعض الرسائل الجامعية التي تناولت الإسراف بشكل جزئي وبتوجه اختلف عن توجهي اختلافاً جوهرياً، وهي كالآتي:

١) **رسالة (ماجستير) بعنوان:** (الإسراف في استيفاء العقوبة في الفقه المقارن) للباحث/ سليمان عبد العزيز الفراج. تمت مناقشتها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٢) **رسالة (ماجستير) بعنوان:** (أحكام الإسراف في الفقه المقارن) للباحث/ عبد المحسن عبد الله الراشد. تمت مناقشتها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

حيث كانت الرسالتان تدوران في محور الفقه المقارن، أما رسالتي فمحورها التفسير الموضوعي لآيات الإسراف في القرآن.

٣) **رسالة (ماجستير) بعنوان:** (نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين) للباحثة/ مريم محمود حسن صالح. مسجلة بكلية الدعوة وأصول الدين ــ جامعة أم القرى ــ عام ١٤٠٦/١٤٠٧هـ.

وهناك فروق بين موضوع هذه الرسالة وموضوع رسالتي وتتلخص في الآتي:

أ- أن الإسراف أعم وأشمل من الترف؛ فكل ترف إسراف وليس كل إسراف ترفا؛ فالترف توسعٌ في التنعم تلبية لرغبات النفس وشهواتها وإذا خرج عن ذلك

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧

الحد وصل إلى نطاق الذم فكان إسرافاً[1]، والإسراف يختلف عن ذلك في كل أنواعه.

ب- في بحث الترف نبذة قصيرة جداً عن الإسراف وخاصة في المباحات، أما رسالتي فتتناول فيها جميع أنواع الإسراف وطرق علاجه.

ج- أن رسالة الترف نحت في كثير من مباحثها إلى المنحى الفقهي ولم تتعلق تعلقاً تخصصياً بالتفسير الموضوعي لآيات الإسراف وإن كان عنوانها يشير إلى ذلك، كما أنها بحسب فهرس الرسالة – لم تعن بتفسير آيات الترف إلا في آخر الرسالة، كما أن أغلب مصادرها في ذلك كان تفاسير الأحكام، وأيضاً توسعت في بيان الترف في الأموال. أما رسالتي فمن أولها إلى آخرها ستكون مصطبغة بصبغة التفسير الموضوعي وملازمة له وملتزمة لمنهجه.

هذا وإن كان هناك ما تلتقي فيه هذه الرسالة مع رسالتي فهو في بعض أفراد الأضرار وبعض أفراد العلاج ولكني وجدته في رسالة الترف بشكل موجز، وأما في رسالة الباحثة فستذكره تفصيلاً.

وكذلك لن تكون نقاط الاتفاق متساوية متماثلة في تلك الرسالتين من جميع الوجوه؛ فلكل من الرسالتين منهجها وطريقتها وهذا ما حرصت عليه جد الحرص.

٤) كما أنه وجد كتاب مؤلف في الإسراف تحديداً لكنه يتناوله من حيث الأحكام الفقهية المقارنة وهو بعنوان (الإسراف دراسة فقهية مقارنة بين المذاهب الأربعة) تأليف الدكتور/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطريفي الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وأما رسالة الباحثة فهي في التفسير الموضوعي لآيات الإسراف في القرآن الكريم.

---

(١) لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الإسراء الآية ١٦

٥) كما وجد كتاب للمؤلف نفسه بعنوان (مشكلة السرف في المجتمع الإسلامي) ولكن تركيز المؤلف كان على الناحية المادية فقط.

المنهج المتبع في البحث:

اقتضت طبيعة البحث إتباع المناهج الآتية:

١) إتباع المنهج الاستقرائي التتبعي لآيات القرآن الكريم التي ورد فيها لفظ الإسراف جمعاً لها وترتيباً، سواء جاء فيها لفظ الإسراف مباشراً أو كان بالمعنى والإشارة إليه.
٢) التزام المنهج التحليلي، وذلك بعرض مسائل الموضوع عرضاً وافياً شرحاً وتفصيلاً وتحليلاً.
٣) إتباع المنهج الاستنتاجي الاستنباطي مستعينة في ذلك بما يذكره العلماء، وإني أتبع ذلك المنهج وصولاً لأفضل الفوائد وبغية تقديم الدقائق العلمية النافعة بتوفيق الله ﷻ.
٤) الحرص على استمداد معلومات بحثي هذا من المصادر والمراجع الأصيلة في (التفسير وعلوم القرآن) مع الاستعانة بكتب السنة وشروحها بحسب اقتضاء المقام لشئ من ذلك، وأيضاً الإفادة مما أُلِّف- قديماً أو حديثاً- في الدراسات الإسلامية بعمومها أو خصوصها إذا دعت إلى ذلك بعض المسائل العلمية.
٥) جعل ما أنقله نصاً بين قوسي تنصيص، وما هو من إضافتي بين قوسين معكوفين إذا تخلل النصوص المنقولة، أما إذا كان خارجها أو مقدماً به لإحدى جزيئات البحث أو ما أربط به بين نصين فلا ألتزم وضعه بين هذين القوسين حتى لا أثير قلقاً بكثرة مثل هذه الأقواس.
٦) عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في السور في الحاشية. مع كتابتها بالرسم العثماني.

٧) تخريج الأحاديث النبوية من مظانها في كتب السنـــة، مع الحكم عليهـــا مستفيدة في ذلك من حكم العلماء وذلك إذا كان الحديث في غير الصحيحين.
٨) استيفاء بيانات المراجع كاملة عند ورودها لأول مرة في الرسالة، وعند تكرارها بعد ذلك أكتفي بذكر اسم الكتاب والصفحة والجزء. مع الإحاطـــة أني أحيانا أذكر الاسم الذي اشتهر به المرجع في الحاشية، أما في قائمة المصادر والمراجع فأذكر أصل اسمه.
٩) الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث ما عدا الأنبياء والخلفاء الأربعة.
١٠) التعريف ببعض المصطلحات أو الأماكن الغريبة.
١١) تذييل البحث بالخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
١٢) ألحق البحث بعدد من الفهارس المتنوعة المتبعة.

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على: مقدمة، وثلاثة أبواب تحتها عدد من الفصول والمباحث، ثم خاتمة، ثم كشاف بالفهارس المتنوعة المطلوبة.

المقدمة :- وقد اشتملت على:

تساؤلات البحث ومحاوره.
أسباب اختيار الموضوع.
أهمية الموضوع.
أهداف البحث.
الدراسات السابقة.
منهج البحث.

خطة البحث

الباب الأول: الإسراف، وألفاظه المقاربة والمضادة، وأسبابه، وصفات أهله.
ويتضمن فصلين وعدداً من المباحث:

الفصل الأول: تعريف الإسراف، والآيات الواردة فيه، وألفاظه المقاربة والمضادة. ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الإسراف لغة وشرعاً والآيات الواردة في ذمه.

المطلب الأول: تعريف الإسراف لغة وشرعاً.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية الواردة في الإسراف.

المبحث الثاني: الفاظ الإسراف ومايقاربها لفظا ومعنى وما يضادها.

المطلب الأول: الألفاظ المقاربه للإسراف لفظاً ومعنى.

المطلب الثاني: الألفاظ المضادة للإسراف.

الفصل الثاني: أسباب الإسراف وصفات المسرفين، ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: أسباب الإسراف.

المبحث الثاني: صفات المسرفين.

الباب الثاني: أنــواع الإســراف. ويتضمن فصلين وعدداً من المباحث:

الفصل الأول: الإسراف في المباحات. ويتضمن ستة مباحث:

المبحث الأول: الإسراف في المأكل والمشرب.

المبحث الثاني: الإسراف في الزينة.

المبحث الثالث: الإسراف في البناء والمركب.

المطلب الأول: الإسراف في البناء.

المطلب الثاني: الإسراف في المركب.

المبحث الرابع: الإسراف في استيفاء الحقوق.

المطلب الأول: الإسراف في استيفاء الحدود.

المطلب الثاني: الإسراف في استيفاء الحقوق المالية.

المطلب الثالث: الإسراف في الحقوق الاجتماعية والأدبية.

المبحث الخامس: الإسراف في المناسبات.

المطلب الأول: الإسراف في حفلات الزواج.

المطلب الثاني: الإسراف في الأعياد.

المطلب الثالث: الإسراف في المآتم.

المبحث السادس: الإسراف في اللهو والترفية.

الفصل الثاني: الإســـراف في بعض العبـــادات، ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإسراف في العبادات القولية.

المطلب الأول: الإسراف في الدعاء.

المطلب الثاني: علاقة الإسراف بالذكر.

المبحث الثاني: الإسراف في العبادات البدنية.

المطلب الأول: علاقة الإسراف بالزهد.

المطلب الثاني: علاقة الإسراف بالطهارة.

المطلب الثالث: علاقة الإسراف بعبوديات الجوارح.

المبحث الثالث: الإسراف في العبادات المالية.

المطلب الأول: الصدقات والإسراف فيها.

المطلب الثاني: الإسراف في الوصية.

المبحث الرابع: الإسراف في العبادات القلبية.

الباب الثالث : آثار الإسراف وجزاء المسرفين وعلاجه. ويتضمن فصلين وعدداً من المباحث:

الفصل الأول: آثار الإسراف على الفرد والمجتمع وجزاء المسرفين. ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: آثار الإسراف على الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: آثار الإسراف الدينية.

المطلب الثاني: آثار الإسراف النفسية.

المطلب الثالث: آثار الإسراف الاجتماعية.

المطلب الرابع: آثار الإسراف على الصحة.

المطلب الخامس: آثار الإسراف الاقتصادية.

المبحث الثاني: جزاء المسرفين في الدنيا وعقابهم في الآخرة.

المطلب الأول: جزاء المسرفين في الدنيا وأخذ العبرة من ذلك.

المطلب الثاني: ع المسرفين في الآخرة.

الفصل الثاني: عــلاج الإســراف. ويتضمن ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: التوبة من الإسراف.

المبحث الثاني: الاعتدال والتوسط في المباحات والعبادات.

المطلب الأول: الاعتدال والقصد في المباحات.

المطلب الثاني: الاعتدال والقصد في العبادات.

المبحث الثالث: الامتثال لأوامر الإسلام في حفظ الأموال من الإسراف.

المطلب الأول: الحجر على السفهاء.

المطلب الثاني: حفظ أموال اليتامى.

المطلب الثالث: التحذير من المسرفين.

الخــاتــمـــة

وتشتمل على أهم ما توصلت إليه الباحثة من نتائج وتوصيات.

الفهـــارس

- **فهرس الآيات**
- **فهرس الأحاديث والآثار**
- **فهرس الأعلام**
- **فهرس الفرق**
- **فهرس الأشعار**
- **فهرس المصادر والمراجع**
- **فهرس الموضوعات.**

هــذا والخطة قابلة للإضافة أو الحذف الجزئي غير الجوهري حــسب مقتــضيات البحث والدراسة.

الباب الأول

الإسراف

وألفاظه المقاربة والمضادة،
وأسبابه، وصفات أهله

الفصل الأول

تعريف الإسراف،
والآيات الواردة فيه
وألفاظه المقاربة والمضادة

ويتضمن مبحثين

المبحث الأول
تعريف الإسراف لغة وشرعا والآيات الواردة في ذمه

المبحث الثاني
ألفاظ الإسراف وما يقاربها لفظا ومعنى وما يضادها

المبحث الأول

تعريف الإسراف والآيات الواردة في ذمه

المطلب الأول: تعريف الإسراف لغة وشرعاً

الإسراف في اللغة:

يقول الإمام ابن فارس[١]:" السين والراء والفاء: أصل واحد يدل على تعدي الحد، والإغفال -أيضاً- للشيء."[٢]

والأُسرُف بالضم الآنك ، فارسية معربة.[٣]

"والسرف بفتحتين ضد القصد، أو مجاوزة القصد، وتجاوز ما هو محدود، وأسرف في ماله عجل من غير قصد."[٤]

---

(١) هو الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي. له تصانيف منها: كتاب المجمل، فقه اللغة، كتاب غريب إعراب القرآن، وغيرها. توفي سنة (خمس وتسعين وثلاثمائة). ينظر: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تصنيف: أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (٥٣٣/١-٥٤٥) ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي. رتبه واعتنى به: حسان عبد المنان. (٨٧٨/١) طبع هذا الكتاب عام ٢٠٠٤م في لبنان، بيت الأفكار الدولية، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (٣٥٢/١) المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع صيدا، بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به الدكتور/ محمد عوض مُرعب، والآنسة/ فاطمة محمد أصلان. (٤٩١). ط١. ١١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

(٣) الآنك: هو الخالص من الرصاص. ينظر: مقاييس اللغة (٧٧)، والمصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري (٢١) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الحديث-القاهرة.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق أحمد عبد المنعم البردوني.(٣٩٩/١٢). الدار المصرية للتأليف والترجمة. وتاج العروس:للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي.(١٣٨/٦).

يقول الإمام ابن جرير[1] ــ رحمه الله ــ"أصل الإسراف: تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح، وربما كان في الإفراط، وربما كان في التقصير، غير أنه؛ إذا كان في الإفراط، فاللغة المستعملة فيه أن يقال: أسرف يسرف إسرافاً، وإذا كان كذلك في التقصير، فالكلام منه سرف يسرف سرفاً"[2]

والسرف:"المجاوزة إلى ما لا يحل، وهو اسم ذم."[3]

ويتضح من كلام الإمام ابن جرير:

١) أن الكلمة لها مصدران هما: إسراف وسرف.

٢) أن الإسراف بالهمزة في أوله والألف في وسطه يراد به الإفراط في الفعل. وبدونهما يراد به التقصير في الفعل أي الترك. وعلى هذا الوزن قد يسمى به بعض الأماكن، وبعض أسماء المعاني، وبعض أسماء الأشخاص. كما أنه يطلق على بعض الأفعال.

ويراد بالإسراف بعض أسماء المعاني ومنها: الإغفال والجهل، والخطأ، واعتياد الشيء والولوع به، وعلى ترك النفس وهواها تستكثر من الشيء بغير نظرٍ إلى العواقب، وعلى عدم النفع بالماء وزيادته في الحوض. وفيما يلي أعرض ارتباط الإسراف بهذه الإطلاقات من معاجم اللغة على هذا الترتيب المذكور حيث قيل:

---

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر الإمام صاحب التصانيف المشهورة، كان عالماً زاهداً ورعاً، برع في أنواع من العلوم. من تصانيفه: تاريخ الأمم والملوك، وكتاب التفسير جامع البيان، وتهذيب الآثار، وغيرها. توفي سنة (عشر وثلاثمائة) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، طبعة جديدة بإشراف البحوث والدراسات (١/٩٥، ٩٦) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الفكر بيروت – لبنان، وطبقات الشافعية لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الحفيظ منصور (١/٢١٦-٢٢٠) ط/١. ٢٠٠٤م. دار الكتب الوطنية بنغازي – ليبيا، دار المدار الإسلامي، وطبقات المفسرين تأليف: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين (٣٧٤-٣٧٩) ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. (٣/٢١٤٧)، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري، محمد عادل محمد، محمد عبد اللطيف خلف، محمود مرسي عبد الحميد. ط١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. دار السلام للطباعة والنشر جمهورية مصر العربية-القاهرة

(٣) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: يحيى مراد (١/٣٥٩) ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الحديث القاهرة.

السرف الإغفال والجهل ومنه أغفله وجهله كقول القائل (مررت بكم فسرفتكم) أي أغفلتكم وجهلتكم، ومنه قول جرير[١]:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهمُ منٌ ولا سرفٌ[٢]

ويقال السّرف الجهل، والسّرِف الجاهل، قال طرفة[٣]

إن امرأ سرِف الفؤاد يَـرى عسـلاً بـما سـحابة شتمي[٤]

والسرف الخطأ والغفلة فيقال رجل سرف الفؤاد أي مخطئه وغافله، وسرف العقل أي قليل العقل فاسده.[٥]

وهو من أسرف في المال، وأسرف في الكلام، وأسرف في القتل بمعنى أخطأ وغفل وجهل. والإسراف في الكلام والقتل: الإفراط فيه.[٦]

---

(١) هو: أبو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري، شاعر زمانه. مدح يزيد بن معاوية، وخلفاء بني أمية وشعره مدون. قيل كان عفيفاً منيباً توفي بعد الفرزدق بشهر. يُنظر: الشعر والشعراء (٣٧٤/١) تأليف: أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة. دار الثقافة بيروت– لبنان. وسير أعلام النبلاء (١٢٩٠/١)

(٢) ديوان جرير (٣٠٧)، دار صادر، بيروت. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

(٣) هو: طرفة بن العبد بن سفان. وهو أجودهم طويلة، وكان في حسب قومه، جريئاً في هجائهم وهجاء غيرهم. ويقال اسمه عمرو، وسمي طرفة ببيت قاله. فضله بعض الشعراء على غيره، وزعم لبيد أنه أشعر الناس. يُنظر: الشعر والشعراء (١١٧/١-١٢٦)، وأبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار. (٨٩/٣) ١٩٧٨م. دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) يُنظر: شرح ديوان علقمة، طرفة، عنترة. تحقيق وشرح نخبه من الأدباء. (٥٠). دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م.

(٥) يُنظر: الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا. ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت-لبنان، مقاييس اللغة (٤٩١). الفائق في غريب الحديث: للعلامة جار الله بم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم. (١٧٦/٢) ط٣. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. دار المعرفة – لبنان، لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. (١٤٩/٩) ط١. دار صادر بيروت ، تاج العروس (١٣٧/٦)

(٦) يُنظر: لسان العرب (١٤٩/٩)، المعجم الوسيط (٤٢٧/١)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول ــ تركيا.

" والسَّرَف الضراوة والاعتياد والولوع بالشيء، والسَّرِف اللهج بالشيء، وفي الحديث أن عائشة[١] ــ رضي الله عنها ــ قالت: (إن للحم سرفاً كسرف الخمر)[٢]. يقال هو من الإسراف. أي: ضراوة كضراوة الخمر وشدته كشدتها لأن من اعتاده ضري بأكله فأسرف فيه فعل مدمن الخمر في ضراوته بها وقلة صبره عنها.

قال شِمْر[٣]: لم أسمع احداً ذهب بالسرف إلى الضراوة، وكيف يكون ذلك تفسيراً له وهو ضده، والضراوة للشيء الاعتياد له، والسرف بالشيء الجهل به إلا أن تصير الضراوة نفسها سرفاً أي: اعتياده وكثرة شرائه أو أكله سرف.

فقد شبهت ما يخرج في الإكثار من اللحم بما يخرج في الخمر."[٤]

ويقــول الإمام الزمخشري[٥]: " ويجوز أن يكون من سرفت المرأة صبيها إذا

---

(١) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق تكنى بأم عبد الله، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجــرة بسنتين، وهي بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين، برعت في كافة العلوم كالفقه والطب والشعر، توفيت سنة (سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين) ودفنت بالبقيع. يُنظر: الإســتيعاب فــي معرفــة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي. تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. (٤/٤٣٥-٤٣٩).ط/٢. ١٤٢٢هــ/٢٠٠٢م. دار الكتب العلمية بيروت، وصــفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، ضبطه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن اللادقــي، حيــاة شيحا اللادقي. ط/٣. ١٤٢٠هــ/١٩٩٩م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

(٢) غريب الحديث لأبي لقاسم بن سلام الهروي أبي عبيد (٤/٣١٥) ط/١. بمطبعة مجلس المعارف العثمانيــة بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٨٧هــ/١٩٦٧م. دار النشر الكتاب العربي. والفائق للزمخشري (٢/١٧٦)

(٣) هو: شِمْر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي سمع المغيرة بن سعد وشهر بن رجب، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي والأعمش وغيرهم. يُنظر: التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: الــسيد هاشم الندوي (٤/٢٥٦) دار الفكر، والجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. (٤/٣٧٥).ط/١. بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الهند. ١٣٧٢هــ/١٩٥٢م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

(٤) يُنظر: تهذيب اللغة (١٢/٣٩٩)، لسان العرب (٩/١٤٩)، تاج العروس (٦/١٣٧)

(٥) هو: محمد بن عمر بن محمد بن أحمد العلامة ابو القاسم الزمخــشري الخــوارزمي، النحــوي اللغــوي المعتزلي، المفسر. ولد سنة (سبع وستين وأربعمائة) بزمخشر قرية من قرى خوارزم. كان واسع العلــم، كثير الفضل، غاية في الذكاء. له تصانيف منها: أساس البلاغة، الكشاف، الفائق، وغيرها. توفي سنة (ثمان وثلاثين وخمسمائة) يُنظر: طبقات المفسرين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر. ط/١. ١٣٩٦هــ مكتبة وهبة – القاهرة، وطبقات المفسرين للداوودي (٥١٠، ٥١١)

أفسدته بكثرة اللبن يعني الفساد الحاصل من جهة غلظة القلب وقسوته والجرأة على المعصية والانبعاث للشهوة."[1]

ويقال ذهب ماء الحوض سرفاً إذا فاض من نواحيه، وسرف الماء ما ذهب منه في غير سقي ولا نفع، يقال أروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفاً.[2]

والسُرفة بالضم: دويبة تتخذ لنفسها بيتاً من دقائق العيدان، وهي تأكل الورق والخشب.

وسميت بذلك لتصور معنى الإسراف فيها. أي في عملها وفي طبيعتها. والسرفة دودة القز.

ويقال أخف من سرفة، وأرض سرفة كثيرة السرفة، وواد سرف، كذلك سرف الطعام إذا ائتكل حتى كأن السرفة أصابته، وسرفت الشجرة أصابتها السرفة، وسَرَفتِ السُّرْفةُ الشجرةَ تسرِفُها سَرَفاً إذا أكلت ورقها.

قال ابن السكيت[3]: السَرْف ساكن الراء مصدر سُرِفَت الشجرة تُسْرَف سَرْفاً إذا وقعت فيها السرفة فهي مسروفة، وشاة مسروفة مقطوعة الأذن أصلا.

---

(١) يُنظر:الفائق للزمخشري (١٧٦/٢)، وفي تاج العروس (١٣٧/٦) ما هو في ذلك المعنى غير أنه جعل النتيجة الحاصلة من ترك المرأة صبيها يستزيد من اللبن مع استغنائه عنه بشبعٍ أو انتهاء عمر الرضاع؛ فقال والمراد بالسرف الغفلة أو الفساد الحاصل.....الخ.

(٢) يُنظر:الفائق للزمخشري (١٧٦/٢)، تاج العروس (١٣٧/٦)

(٣) هو: يعقوب بن إسحاق بن السكيت أبو يوسف النحوي اللغوي، كان عالماً بالقرآن، واللغة، والشعر. وله مصنفات منها: كتاب القلب والإبدال، وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب النوادر وغيرها. مات سنة (ثلاث وقيل أربع وقيل ست وأربعين ومائتين) وقد بلغ ثمان وخمسين. يُنظر: تاريخ بغداد: لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية ــ بيروت. وسير أعلام النبلاء (٤٢٤٢/٣) ومعجم الأدباء (٦٤٢/٥-٦٤٤)

وسرف: اسم موضع (مكان). ففي الحديث:[1] أنه ﷺ تزوج ميمونة[2] بسرف: هو بكسر الراء موضع من مكة على بعد عشرة أميال وقيل أقل أو أكثر، وهو قرب التنعيم.[3]

"مُسرِف: [بضم أوله وكسر ثالثه] اسم، وقيل: هو لقب مسلم بن عقبة المري[4] صاحب وقعة الحرة؛ لأنه قد أسرف فيها."[5]

وهذه بعض الكلمات التي قد ترد في اللغة ويراد بها معنى الإسراف:

"أسرف فلان في فعله، وغلا في دينه، وأغرق في أمره، وأسهب في قوله، وأطنب في وصفه، وأكثر، وأفرط..."[6]

---

(١) عن ابن عباس ﷺ قال: (تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف.) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء.(ح/٤٢٥٨)(٧٤٢). وقيل في زواجه ﷺ بها وهو محرم يحمل على أنه من خصائص النبي ﷺ ، وقيل يحمل قوله وهو محرم على أنه داخل الحرم أو في الشهر الحرام. يُنظر: فتح الباي (١٩٠/٩).

(٢) هي: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ ميمونة.وتزوجها ﷺ سنة سبع، توفيت بسرف في الموضع الذي ابتنى بها فيه النبي ﷺ سنة (إحدى وخمسين) على الصحيح. يُنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤٦٧/٤ــ٤٧٠)، والإصابة في تمييز الصحابة: لإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.(٧٥٣). اعتنى به: حسان عبد المنان. (١٧٧٠) طبع هذا الكتاب عام ٢٠٠٤م في لبنان. بيت الأفكار الدولية.

(٣) يُنظر: تهذيب اللغة (٣٩٩/١٢)، والمفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين. (٢٥٩) ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، لسان العرب (٩/ ١٥٠)، تاج العروس (١٣٧/٦).

(٤) هو: مسلم بن عقبة بن رباح بن أسعد بن عوف المري أبو عقبة، الأمير من قبل يزيد بن معاوية على الجيش الذي غزا المدينة يوم الحرة. وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة، وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سموه مسرفاً. مات سنة (ثلاث وستين). يُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٢٤٠).

(٥) لسان العرب (١٥٠/٩).

(٦) جواهر الألفاظ: لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. (٢٧٢). دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

فكل تجاوز للحد الشرعي والعرفي في هذه الإطلاقات يكون إسرافاً مذموماً. فقد تناولت هذه الألفاظ أفعال الإنسان وأوصاف أفعاله وأقواله.

الإسراف في الشرع:

" الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس. وهو تجاوز الحد في النفقة.

وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة".(١)

" والإسراف صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي. وقيل هو تجاوز في الكمية فهو جهل بمقادير الحقوق".(٢)

والإسراف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٣).

وقد قيل: (ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً). وقد يكون في المال وغيره. فتارة يكون اعتباراً بالقدر أي الكمية، وتارة يكون اعتباراً بالكيفية.(٤)

" قال تعالى: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾(٥)، الإسراف أكل ما لا يحل أكله، وقيل هو مجاوزة القصد في الأكل مما أحله الله.

---

(١) يُنظر: كتاب التعريفات: للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني. تحقيق الدكتور/ محمد عبد الرحمن المرعشلي. (٨١) ط/١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار النفائس، بيروت ــ لبنان

(٢) يُنظر: التعريفات للجرجاني (٨١)، والكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. (١١٣). ط/٢. هـ/١٩٩٨م. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٤) يُنظر: المفردات للراغب (٢٥٩).

(٥) سورة الأعراف الآية ٣١

وقيل: (الإسراف كل ما أنفق في غير طاعة الله). وقال إياس بن معاوية: (الإسراف ما قصر به عن حق الله). وأكله سرفا أي عجلة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾[1] أي ومبادرة كِبَرهَمُ، قال بعضهم إسرافا أي: لا تأكلوا منها وكلوا القوت على قدر نفعكم إياهم، وقال بعضهم معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، أي يأكل قرضا ولا يأخذ من مال اليتيم شيئا لأن المعروف أن يأكل الإنسان ماله ولا يأكل مال غيره.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾[3]".[4]

" والسرف الذي نهى الله عنه هو: ما أنفق في غير طاعة الله قليلا كان أو كثيرا.

والإسراف في النفقة التبذير. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾[5] وقيل: ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ أي لم يضعوه في غير موضعه ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ لم يقصروا به عن حقه".[6]

وكفى بالإسراف شراً أن يبلغ درجة الحرام مع كونه استكثاراً من الحلال فوق حد الاعتدال، وأيضاً النزول إلى الغرض الخسيس بدلاً من الغرض المشروع سواءً كان ذلك كثيراً أو قليلاً في المال أو في غيره. ولعل كثرة وروده في القرآن الكريم والسنة النبوية تشير إلى التخويف والتحذير منه، ويدل ذلك على مدى قبحه وقبح صاحبه.

---

(١) سورة النساء الآية ٦
(٢) سورة النساء الآية ٦
(٣) سورة النساء الآية ٦
(٤) يُنظر: لسان العرب (١٤٨/٩، ١٤٩)
(٥) سورة الفرقان الآية ٦٧
(٦) يُنظر: لسان العرب (١٤٨/٩)

ويقول الإمام ابن العربي[١]: " الإسراف مجاوزة الحد المباح إلى المحظور."[٢]

ويقول الإمام القرطبي[٣]: هو " الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه."[٤]

" والإسراف: ما صرفه في المحرمات أو كان صرفه في المباح يضر بعياله، أو كان وحده ولم يتق بإيمانه، أو أسرف في مباح قدراً زائداً على المصلحة".[٥]

يقول الشيخ ابن عثيمين[٦] – رحمه الله– : " الإسراف مجاوزة الحد، ومجاوزة الحد هي إما في غلو وإما في تقصير، أما مجاوزة الحد في الغلو فظاهر، وأما في التقصير فلأن المطلوب من المكلف ألا يتعدى حدود الله تجاوزاً ولا يقربها أيضاً، فإذا كان الإنسان فاعلاً للمحرم فهو مسرف؛ لانه تجاوز حد العبودية إذ مقتضى

---

(١) هو: الإمام العلامة الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الأشبيلي المالكي، صاحب التصانيف ومنها: أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي، والقواصم والعواصم، وغيرها. توفي سنة (ثلاث وأربعين وخمسمائة). يُنظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٣١-٣٥٣٣)، الوافي بالوفيات تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، باعتناء هلموت ويتر (٣/٣٣٠) ط/٢. ١٣٨١هـ/١٩٦١م. دار النشر فرانز شتايز بفبسبادن، وطبقات المفسرين للسيوطي (١٠٥، ١٠٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٤١١-٤١٤) .

(٢) أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي المعروف بابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي. (١/٣٤٤). ط/١. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت – لبنان .

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله القرطبي، من أهل قرطبة، من كبار المفسرين، توفي سنة (إحدى وسبعين وستمائة). يُنظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٢١٧)، وطبقات المفسرين للسيوطيي (١١٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): لأبي عبد الله محمد بن أحمد النصاري القرطبي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (٤/٢٢٦). ط/٥. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥) كشاف القناع: لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي. تحقيق مصيلحي مصطفى هلال. (٣/٤٤٥). دار الفكر، بيروت. ١٤٠٢هـ

(٦) هو: أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد العثيمين الوهيبي التميمي. ولد في مدينة عنيزة بالسعودية سنة(سبع وأربعين وثلاثمائة وألف) فقيه حنبلي مجتهد، وعالم مشارك. من شيوخه: الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز. أول كتاب أصدر له تلخيص الحموية، وله شرح رياض الصالحين، وعدد من الفتاوى والحوارات واللقاءت. توفي سنة (إحدى وعشرين وأربعمائة وألف). يُنظر: معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها وما حقق بعد وفاتهم لمحمد خير رمضان يوسف. (٢/٥٩٢، ٥٩٣) ١٤٢٥هـ. الرياض. ومقدمة كتاب شرح رياض الصالحين للإمام أبي زكريا النووي، شرحه وأملاه: فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين. تحقيق: وائل أحمد عبد الرحمن (١/٧-٩) المكتبة التوفيقية القاهرة- مصر، ومقدمة كتاب مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان (١/٩-١٣) ط/٢. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. دار الثريا للنشر- المملكة العربية السعودية.

العبودية أن يكون مجتنباً لما حرم الله. وإذا فرط في الواجب كان مسرفاً أيضاً فيما تقتضيه العبودية؛ لأن مقتضى العبودية أن يكون قائماً بالواجب، فالإنسان قد يسرف في الواجب وفي المحرم وفي المباح أيضاً، كما لو أسرف في الإنفاق على نفسه وعلى أهله فإنه داخل في الإسراف."[١]

" وقد تكرر ذكر الإسراف في الحديث[٢] والغالب على ذكره الإكثار من الذنوب والخطايا، واحتقاب[٣] الأوزار والآثام."[٤]

" والمسرف هو الآتي بالكبيرة ومن أسرف ولو في الصغائر يصير مجرماً، ومن أجرم فقد أســـرف؛ لأنه أتى بالكبيرة دفعة واحدة ".[٥]

يتبين من استعراض التعريفات اللغوية والشرعية أن الإسراف:

مطلق مجاوزة الحد وهو في الإنفاق أشهر وقد يقع في الأقوال والأفعال وفيما يعود على الإنسان صاحب الفعل في نفسه هو، أو يعود على غيره، سواء كان هذا الغير معاصراً له، أو من جيل سبق جيله أو من أهل الزمان الغابر، وربما عاد ضرر إسرافه على جيل لم يأتِ إلى الحياة بعد ويشهد لذلك قول المشركين: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٦]، وقولهم: ﴿ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[٧]، وقوله تعالى في بيان هذا الحد وذلك التجاوز: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢٦٦/٢) ط/١. رمضان ١٤٢٦هـــ. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمـــين الخيريـــة. المملكة العربية السعودية–عنيزة.

(٢) قول عائشة –رضي الله عنها– قالت:(إن للحم سرفاً كسرف الخمر). سبق تخريجه (ص/١٩)

(٣) احتقاب: من احتقب خيراً أو شراً، واستحقبه ادخره على المثل لأن الإنسان حاملٌ لعملـــه ومـــدخرٌ لـــه، واحتقب فلان الإثم: كأنه جمعه واحتقبه من خلفه. يُنظر: لسان العرب (٣٢٥/١)

(٤) يُنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، (٣٦٢/٢)، ولسان العرب (١٤٩/٩)

(٥) يُنظر: التفسير الكبير: لفخر الدين الرازي (١٨٠/١٠). ط/٣. ١٤٢٠هـــ/١٩٩٩م. دار إحيـــاء التـــراث العربي للطباعة والنشر بيروت–لبنان.

(٦) سورة الزخرف الآية ٢٢

(٧) سورة المائدة الآية ١٠٤

قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]، وهكذا هم طاغون متجاوزون للحد اللائق ببني آدم وقد شهدوا بوحدانية خالقهم في عالم الذر كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

فيتبين من هذه الآيات الكريمة وغيرها أن الإسراف قد أضر بأجيال لم تر النور بعد في أزمان متكررة ورثوا تقليداً ضلال آباءهم وكفرَهم وهكذا يكون انتشار أضرار الإسراف وتكون آثاره متشعبة، وكيف لا وهو لم يترك مجالاً إلا وقد دخله ولا فعلاً إلا وقد أوقع صاحبه في تلك الرذيلة كلما خرج عن الحد اللائق شرعاً.

وقد تناولت هذه التسمية كل فعل وكل فاعل يخرجه فعله عن حد الاعتدال والقصد حتى الدابة الصغيرة أو التي لا تكاد تُرى، ولكن يُرى آثار فعلها. فمدار مسمى الإسراف مجاوزة الحد على العموم في أي شيء.

وبذلك فإن "الإسراف ليس متعلقاً بالمال فقط، بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أن الله – تعالى– وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[3].

ووصف فرعون بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[4] وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[5]"[6]

ويكون القبح أو الحسن في مجاوزة الحد بحسب الآثار المترتبة على ذلك التجاوز مقيدة بضوابط الشرع. والله أعلم،،،

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٢، ٥٣

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢، ١٧٣

(٣) سورة الأعراف الآية ٨١

(٤) سورة الدخان الآية ٣١

(٥) سورة يونس الآية ٨٣

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للشيخ: أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، علق عليه: محمود بيجو (٢٩٨) ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. إقرأ للطباعة والنشر سوريا – دمشق.

المطلب الثاني : الآيات القرآنية الواردة في الإسراف

وردت مادة (سرف) في القرآن الكريم على اشتقاقات مختلفة وفي مواضع متعددة مع تعلق هذا الفعل بأنواع من تصرفات المكلفين متغايرة، وقد ضبطت حصر الآيات في عموم ذكـــر لفظ الإسراف فوجدتها (إحدى وعشرين) آية ذكر فيها لفظ الإسراف (ثلاثة وعشرين) مرة، وإن دل ذلك علـــى شيء فإنه يدل على أهميـــة التنبيه على هذا الفعل وآثـــاره والتخويف والتحذير منه، وقد دلت هذه الآيات في عمومها على ذم هذا الفعل وذم فاعليه بصفة عامـــة وشاملة مع الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة للمصرين على فعله من غير ندم عليه ولا توبة منه.

وســـأعرض هنا – تحت العناوين الآتية– الآيات التي ورد فيها لفظ الإسراف مطلقـــاً، أو مقيداً بعمل أو صفة ، مع بيان موجز للآية إلى أن يحين ذكر التفسير الموضوعي لها مفصلاً في موضعه من الرسالة.

آيات ورد فيها لفظ الإســـراف في القرآن الكريم مراداً به عموم التصرفات التي لا يرضاها الله–تعالى– كبيرها وصغيرها كثيرها وقليلها المادي منها والمعنوي:

الموضع الأول: ما ورد فيه الإسراف مقيداً: قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[1].

نرى في هذه الآية أن التائبين الأوابين جاؤا بلفظ الإسراف معطوفاً على الذنوب والخطايا التي خافوا منها وطلبوا مغفرتها جميعاً.. الصغائر منها والكبائر. يقول الإمام ابن جرير ــ رحمه الله ــ في ذلك: " وأما الإســـراف فإنه الإفراط في الشيء، يقال: منه أسرف فلان في هذا الأمر إذا تجاوز مقداره فأفرط، ومعناه هاهنا: اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها، وما أسرفنا فيه منها، فتخطينا إلى العظام."[2]

---

(١) سورة آل عمرآن الآية ١٤٧

(٢) جامع البيان (٣/٢٠٠٠)

الموضع الثاني: ما يقع من عموم الناس: من الإسراف مطلقاً أي غير المقيد بجهة أو عمل، ومنه جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، حيث لم يتعلق لفظ ﴿ مُّسْرِفُونَ ﴾ بشيء ما وقع عليه أو بقوم ما، ففي هذه الآية توضيح لتمادي هؤلاء العصاة واستمرارهم في الإسراف في جميع المعاصي، حتى بعد ما جاءتهم الرسل- عليهم السلام- بالآيات البينة، والحجج الدامغة.

يقول الإمام ابن جرير ــ رحمه الله ــ : " أنهم في الأرض لعاملون بمعاصي الله، ومخالفون أمره ونهيه، ومحادوا الله ورسلـــه باتباعهم أهواءهم، وخلافهم على أنبيائهم .. وذلك إسرافهم في الأرض."[2]

وكذلك جاء الإسراف بلا تعلق بشيء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3].

فإنه سبحانه "من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين بل أمر به ليهتدي به من قدر هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته."[4]

عقد الإمام البقاعي[5] مناسبة بين ذكر الكتاب في سورة الزخرف وما جاء عنه في سورة الشورى[6] حتى انتهى إلى قوله: " ولما أوضح عظيم حال الكتاب وجليل

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢

(٢) جامع البيان (٢٨٤١/٤)

(٣) سورة الزخرف الآية ٤، ٥

(٤) يُنظر: تفسير القرآن العظيم (١٥٤/٤)

(٥) هو: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي. الشافعي المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ. ولد سنة (تسع وثمانمائة) له تصانيف عديدة منها: المناسبات القرآنية، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران.توفي سنة(خمس وثمانين وثمانمائة) يُنظر: طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي (٣٤٧، ٣٤٨) دار النشر مكتبة العلوم والحكم، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي(٤٨٦/٧) ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان

(٦) قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا

نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه وجميل إحسانه إلى عباده ورحمتهم بكتابه مع إسرافهم وقبيح مرتكبهم فقال:﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾... إلى أن قال: فمعنى الآية: افنضرب صارفين عنكم الذكر صفحاً، أي معرضين إعراضاً شديداً حتى كأنا ضربنا الذكر لينصرف عنكم معرضاً كإعراض من ولى إلى صفحة عنقه، ثم علل إرادتهم هذا الإعراض بما يقتضي الإقبال بعذاب أو متاب فقال: (أَن) أي أنفعل ذلك لأن ﴿ كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ أي لأجل أن كان الإسراف جبلة لكم وخلقاً راسخاً، وكنتم قادرين على القيام به في تكذيب الرسول ﷺ والقدح فيما يأتي به والاستهزاء بأمره بترككم خشية من شدتكم أو رجاء من غير تذكير لتوبتكم وقد جعل حينئذ المقتضى مانعاً، فإن المسرف أجدر بالتذكير وأحوج إلى الوعظ، هذا أن كان مقرباً، وأما البعيد فإنه لا يلتفت إليه من أول الأمر، بل لو أراد القرب طرد، وعلى قراءة نافع[1] وحمزة[2] والكسائي[3] بكسر (إن) على كونها شرطية يكون الكلام مسبوقاً على غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى: أنترككم مهملين فننحي عنكم الذكر والحال أنكم قوم يمكن أن تكونوا متصفين بالإسراف، يعني أن المسرف أهل لأن يوعظ ويكلم بما يرده عن الإسراف،

حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ سورة الشورى الآيات ١٤-١٧

(١) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أحد الأعلام، مولى جعونة بن شعوب الليثي. قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، أصله من أصبهان. قال مالك: نافع إمام الناس في القراءة. مات سنة (تسع وستين ومئة) رحمه الله. يُنظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (١/١٠٧-١١٠) تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس. ط/١. ١٤٠٤هـ. مؤسسة الرسالة-بيروت، والجرح والتعديل (٨/٤٥٦).

(٢) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات أحد القراء السبعة. ولد سنة (ثمانين) كان إماما حجة قيما بكتاب الله تعالى حافظا للحديث بصيرا بالفرائض والعربية توفي سنة(ست وخمسين ومئة) رحمه الله. يُنظر: معرفة القراء الكبار (١/١١١-١١٨) والتاريخ الكبير (٣/٥٢).

(٣) هو: علي بن حمزة الكسائي المقرئ كنيته أبو الحسن، المقريء النحوي أحد الأعلام. ولد في حدود العشرين. له من التصانيف كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب مقطوع القرآن وموصوله وغيرها. قيل أنه مات سنة (تسع وثمانين ومئة) رحمه الله. يُنظر: معرفة القراء الكبار (١/١٢٠-١٢٨) والتاريخ الكبير (٦/٢٦٨).

وأنتم وإن ادعيتم أنكم مصلحون لا تقدرون أن تدفعوا عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إنزال الذكر الواعظ وأنتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين فتحتاجوا إليه- هذا ما لا يفعله حكيم في عباده، بل هو سبحانه للطفه وزيادة بره لا يترك دعاء عباده إلى رحمته وإن كانوا مسرفين قد أمعنوا في الشراد، والجحد والعناد، فيدعوهم بأبلغ الحجة، وهو هذا القرآن الذي هو أشرف الكتاب على لسان هذا النبي الذي هو أعظم الرسل ليهتدي من قدرت هدايته وتقوم الحجة على غيره."[1]

الموضع الثالث: دعى الله- تعالى رحمة منه وفضلاً- إلى التوبة كل من وقع في أنواع من المعاصي مسرفاً على نفسه فيها مبشراً إياهم بمغفرته- تعالى- جميعها حيث قال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

فجاء لفظ الإسراف في هذه الآية عاماً يشمل كل صغير وكبير من الأعمال وقد بشرت التائبين ولو كانوا مسرفين بمغفرتها جميعاً.

فهذه ثلاثة مواضع جاء الإسراف فيها غير متعلق بنوع من الأفعال أو التصرفات.

ثم أُورد بعد ذلك الآيات القرآنية-مع شيء من التعليق الموجز عليها- التي تعلق فيها الإسراف بنوع من الأفعال أو التصرفات، مقدمة ما يتعلق منها بالعقيدة، ثم ما يتعلق بالأخلاق ثم ما يتعلق بالتشريعات والأوامر والنواهي ثم ما وقع فيه الإسراف متعلقاً بالعبادات المالية ثم المباحات، وذلك على النحو الآتي:

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. خرج آياته وأحاديثه عبد الرزاق المهدي. (٧/٥-٧) ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣.

النوع الأول: آيات ورد فيها لفظ الإسراف ويراد به الشرك والكبر وتكذيب الرسل والرسالات:

لقد أسرف قوم في القديم والحديث على أنفسهم متجاوزين حدودهم كعبيد للخالق المنعم–سبحانه– فوقعوا في أغلظ الإسراف وأفحشه وهو: الشرك بالله والكبر وتكذيب الرسل والرسالات.

وكان من أعظم ذلك التجاوز إسراف فرعون[1] في ادعائه الربوبيـــة فقد قال الله تعالى في شأنه هذا لنبيه موسى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[4]، فوصفه هنا بأنه "كان جباراً مستعلياً مستكبراً على ربه من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه، وإنه كان ذا اعتداء في كفره استكباراً على ربه"[5].

---

(١) هو: الوليد بن مصعب بن معاوية العمليقي، وفرعون هو لقبه، وهو ملك مصر الذي أرسل الله إليه موسى عليه السلام، فكفر فرعون فأغرقه الله في بحر القلزم وهو البحر الأحمر حالياً. ينظر: تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٣١/١) ط٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان. ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي (٣٤٩/١) مكتبة الثقافة الرئيسية، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٥٨/١) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات فهارس جامعة. وزارة الثقافة والإرشاد المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

(٢) سورة النازعات الآية ١٧–٢٥

(٣) سورة يونس الآية ٨٣

(٤) سورة الدخان الآية ٣٠، ٣١

(٥) يُنظر: جامع البيان (٧٣٥٣/٩)

ومن كبره الزائد وإسرافه المتنامي المتناهي في تجاوز ما ليس من حقه قوله لنبي الله الذي جاء يهديه إلى الإله والرب الحق: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]

ولقد أشبه فرعونُ في ذلك أخاه النمرود[2] على بعد الزمان بينهما فقد قال الأخير لنبي الله إبراهيم عليه السلام محاجاً إياه في رب العزة جل جلاله حيث يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾[3].

وكان رد نبي الله إبراهيم عليه السلام عليه مفحماً له قاطعاً لشغبه وسفسطته وخلطه الحق بالباطل فذكر سبحانه وتعالى رد نبيه فقال: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾[4]. وعندئذٍ سُقط في يدي عدو الله الذي لبس ثوباً غير ثوبه ودافع بالباطل عن كبره وعناده ولم يجد مهرباً للإفلات من هذه الحجة إلا أن يكون حاله ما ذكر الله في كتابه حيث قال: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[5].

وأخبر سبحانه وتعالى عن مثل هذا العمل من الإسراف في تكذيب الرسل والشك في الرسالات عن أصحاب القرية الذين دأبوا على ذلك كلما جاءهم رسول حتى صاروا مثلاً في العناد والإسراف والتمادي في الغي والضلال حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٩

(٢) هو: نمرود بن كزش بن كنعان بن حام بن نوح، صاحب إبراهيم الخليل عليه السلام. ينظر: تاريخ الطبري (١٢٨/١)، وموجز دائرة المعارف الإسلامية (٣٢/٩٩٧٥-٩٩٧٧) ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٨٨م. طبعت برعاية كريمة الشيخ الدكتور/ سلطان محمد القاسمي. مركز الشارقة للإبداع الفكري.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٨

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٨

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٨

إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[1]، وهكذا جاء وصفهم هنا نصاً بالإسراف في الكفر والفساد.

لقد جعل الله أصحاب هذه القرية مثلاً في الكفر والغلو والإصرار على تكذيب الرسل، والقرية هي أنطاكية، فقد أرسل عيسى عليه السلام إليهم اثنين من الرسل، وعندما دعوا أصحاب القرية إلى الحق كذبوهما في الرسالة فأرسل رسولاً ثالث لتقوية ما يقولون، فأخبر هؤلاء الرسل أنهم جميعاً مرسلون وذلك تأكيداً لكلامهم لسبق الإنكار منهم على الإثنين من الرسل لأن؛ تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم. فما كان رد أهل القرية إلا أن قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه، وما أنزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة إن أنتم إلا تكذبون في دعوى رسالته فاستشهدوا بعلم الله- تعالى- على أنهم مرسلون إليهم. فقالوا: ما علينا من جهة ربنا إلا التبليغ لرسالته تبليغاً ظاهراً بيناً بالآيات الشاهدة بالصحة. فلما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم العلل قالوا: تشاءمنا بكم جرياً على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال، ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين، وهذا هو بعينه الإسراف وما أقبح ذلك وأجدر به في الذم والتغليظ منه. ثم قال أهل القرية للرسل لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم لا يقادر قدره. فأخبرهم الرسل بقولهم: إن طائركم وسبب شؤمكم معكم لا من قِبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم فمهما وعظتم بما فيه سعادتكم فإن طائركم معكم حيث جرى ذكركم. بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان فلذلك أتاكم الشؤم.[2]

---

(١) سورة يس الآية ١٣-١٩

(٢) يُنظر: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. للقاضي أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، وضع حوشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. (٥/٢٩٢-٢٩٤) ط١. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

إن المتأمل في هذه الآية يجد أن وجه تجاوزهم للحد هو:

أولاً: أنهم كذبوا الرسل بلا بينة وبلا دليل؛ لأنهم اعتمدوا على ما ليس بحجة لهم، ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾، وقالوا: ﴿ وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾، وقالوا: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، هذا إسراف جاوز الحد.

ثانياً: أنهم تطيروا بالرسل، وحقيقة الأمر أن الرسل – عليهم السلام– محل تفاؤل؛ لأن في اتباعهم الخير ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[2] وهؤلاء تطيروا بالرسل وليسوا–عليهم السلام– محلاً ليُتطير بهم.

ثالثاً: أنهم توعدوا الرسل بالعدوان عليهم إذا لم ينتهوا عن دعوتهم إلى الله – تعالى– وإبلاغهم رسالته، لقوله: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[3]، فكل هذا من الإسراف.[4]

وقال تعالى في موطنٍ آخر: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[5].

فهذه الآية دلالة على عدم هداية الله للمسرف المتمادي في غيه وضلاله. " أي: إنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله، ولما عاضده بتلك المعجزات، إلى أنه لو كان كذلك لخذله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله.

وفي هذا تعريض بفرعون بأنه مسرف في القتل والفساد، كذاب في ادعاء الربوبية، لا يهديه الله إلى سبيل الرشاد، ولا يلهمه طريق الخير والفلاح."[6]

---

(١) سورة يس الآية ١٥

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٦

(٣) سورة يس الآية ١٨

(٤) يُنظر: تفسير القرآن الكريم (سورة يس) للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٦٨، ٦٩) ط/١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الثريا للنشر والتوزيع.

(٥) سورة غافر الآية ٢٨

(٦) تفسير المراغي تأليف: صاحب الفضيلة الأستاذ: محمد مصطفى المراغي (٦٥/٢٧) دار الفكر للطباعة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

أي: مشرك، شاك في التوحيد وصدق الرسل.[2]

وقد زين الشيطـــان لقوم الكفر وجحود المنعم ونسيان فضله ويأتي ذلك واضحـــاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

" فكما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه فتجاوزوا في القول إلى غير ما أذن الله لهم به، مما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به"[4]. فهم يلجئون إليه فقط في الضائقات وبعد كشفها عنهم تعود إليهم خستهم فينسبون الأفعال إلى غير فاعلها الحقيقي ﷻ، الذي ما برحوا يدعونه لكشف الضر إلا زمناً يسيراً لذلك هم من المسرفين الذين زُين لهم عملهم السيئ على الرغم من وضوح الدلائل على خسارتهم في هذا، وقد فتحت لهم أبواب التوبة ومع هذا لا يشعرون ولا هم يذّكرون.

وفي هذه الآية "صورة مبدعة لنموذج بشري .. فالإنسان ليظل مدفوعاً مع تيار الحياة، يخطئ ويذنب ويطغى ويسرف، والصحة موفورة، والظروف مواتية، وليس- إلا من عصم الله ورحم - من يتذكر في إبان قدرته وقوته أن هناك ضعفاً وأن هناك عجزاً. وساعات الرخاء تنسي، والإحساس بالغنى يُطغي.. ثم يمسه الضر فإذا هو جزوع هلوع، وإذا هو كثير الدعاء، عريض الرجاء، ضيق بالشدة مستعجل

---

(١) سورة غافر الآية ٣٤

(٢) يُنظر: زاد المسير في علم التفسير:للإمام جمال الدين عبد الرحمن الجـوزي، (١٢٤٥). ط١. الجديـدة. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار ابن حزم بيروت ــ لبنان

(٣) سورة يونس الآية ١٢

(٤) ينظر: جامع البيان (٤١٨٦/٥)

للرخاء. فإذا استجيب الدعاء وكشف الضر انطلق لا يعقب ولا يفكر ولا يتدبر. انطلق إلى ما كان فيه من قبل من اندفاع واستهتار. واندفع مع تيار الحياة دون كابح ولا زاجر ولا مبالاة."[1]

النوع الثاني: آيات ورد فيها لفظ الإسراف في القرآن الكريم متعلقاً بأمور أخلاقية:

إن المخالفات الأخلاقية في عمومها خروج عن الحد الأمثل واللائق بالكرامة الإنسانية إلى درجة ما من الإسراف، ويعظم الإسراف بحسب نوع المخالفة أو بحسب آثارها أو بهما معاً.

ولقد كان خروج قوم نبي الله لوط عليه السلام بفعلتهم الشنعاء مضرب المثل في الفساد الخلقي؛ لعظم الفعلة، وعظم آثارها، وتشعب مفاسدها، لقلبهم الحق باطلاً والباطل حقاً، وإن اختصاصهم بنوع من العقاب – وهو قلب قريتهم رأساً على عقب– لم يحدث في أمة قبلهم ولا بعدهم.

ولعل هذا النوع من العقاب قد اختص بهم لكونهم؛ قلبوا حقائق الأشياء، وأرادوا قلب السنة الكونية، كما أنه لدليل على بلوغ فعلتهم مبلغاً لا مثيل له في الشناعة والقبح وسوء الأثر في جميع الاتجاهات؛ حتى اضطروا نبيهم أن يخبرهم بأنهم هم المسرفون وكأنهم وحدهم هم الجديرون بهذا الوصف قائلاً لهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2]. فهم" قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في حال قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد."[3]

---

(١) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب (١٧٦٩/٣) ط/ الشرعية الخامسة عشر. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الشروق بيروت–القاهرة.

(٢) سورة الاعراف الآية ٨١

(٣) يُنظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور: وهبة الزحيلي (١٨٣/٨) ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الفكر بدمشق.

كذلك من المخالفات الأخلاقيـــة الإسراف بالفساد في الأرض أياً كان نوعه

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾[1].

" إن ظاهر هذه الآية يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات الحالية، وهي طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية، وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة، وهذه يجب الاكتفاء منها بقدر الكفاف، ولا يجوز التوسع في طلبها والاستكثار من لذاتها وشهواتها. [وهذا بيان لقبح الإسراف في عمومه من غير أن يرتبط بذنب آخر، وهو مع أنه إسراف في المباحات إلا أنه أدى إلى الذنوب والوقوع في المحظورات، ولم يكن هذا النوع منتهياً عند هذا الحد فقد تقدم بأصحابه إلى أن أضافوا إليه إفساداً في الأرض هو أشد الإفساد حيث لم يخالطه شي من الإصلاح وإن كان قليلاً. ولذلك حذر صالح عليه السلام قومه من طاعة المسرفين لأنهم يفسدون ولا يصلحون فقد بلغوا من الفساد ذروته وقمته بحيث صاروا لا شبه لهم فيه ولا منازع لهم في بابه؛ لأن] فسادهم فساد خالص ليس معه شي من الصلاح، كما هو حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح."[2]

النوع الثالث: آيات ورد فيه لفظ الإسراف في القرآن الكريم متعلقاً بأموال اليتامى:

من الجدير بالذكر أن أبدأ في الأموال بوصية الإسلام وحمايته لأموال اليتامى ومنه نهيه عن الإسراف فيها بنوع ما من وجوه الإنفاق أو الأفعال المؤدية إليه على غير وجه الضرورة رحمة منه بالضعفاء الذين لم يكن ضعفهم باختيارهم لأنهم لو تركوا لرحمة المخلوقين لضـــاعوا غالباً أو لضاعت أكثر حقوقهم.

لذلك بدأت بذكر الآية التي فيها التنويه والتحذير من الإسراف في أموال اليتامى فقال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٥١، ١٥٢

(٢) يُنظر: التفسير الكبير (٥٢٥/٨)

أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ ﴾[1].

يقول القاضي أبو السعود[2]- رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ ﴾ " تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا "[3].

ويقول صاحب التفسير الواضح في ذلك: " ولا تأخذوها وتأكلوها عن طريق الإسراف والتبذير فإن طبيعة النفس التبذير في مال الغير، ولا تأكلوها مسرعين قبل أن يصل اليتيم إلى مرحلة البلوغ والإدراك السليم"[4].

النوع الرابع: آيات ورد فيها لفظ الإسراف في القرآن مراداً به الإسراف في العبادات المالية:

بين ﷻ أن النهي عن الإسراف ليس فقط في الأمور المحرمة وإنما النهي يقع حتى في المباحات كالزكاة، والصدقة فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة النساء الآية ٦

(٢) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود، الإمام العلامة. فقيه أصولي، مفسر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، شاعر. كان ذا مهابة عظيمة، واسع التقرير، يلفظ الدرر من كلمه، وينثر الجواهر من حكمه. له تصانيف منها: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي، وغيرها. توفي سنة (اثنتين وثمانين وثمانمائة) يُنظر: شذرات الذهب (٤٦٧/٨، ٤٦٨)، ومعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحاله (٣٠١/١١) مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (١٠١/٢)

(٤) الدكتور/ محمد محمود حجازي، (٧٣/٤). ط/٦. ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م. دار الجيل بيروت

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤١

يقول الإمام ابن جرير– رحمه الله– : " إن الله تعالى ذكره نهى بقوله ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾عن جميع معاني الإسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى وإذ كان ذلك كذلك وكان الإسرف في كلام العرب الإخطاء بإصابة الحق في العطية إما بتجاوز حده في الزيادة وإما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما أن المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته مسرف بتجاوزه حد الله إلى ما كيفته له وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله بسبب خاص من الأمور والحكم بها على العام بل عامة آي القرآن كذلك فكذلك قوله ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾."[1]

وقد نهى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه [2] عن أن يأخذ الزكاة من أجود أموال الناس فقال له:((فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ))[3].

ومع أن النفقة إحدى الواجبات التي أمر بها الشارع الحكيم إلا أنه وضع لها حداً ونهى عن الإسراف فيها.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾[4].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٣٣٧٥/٤).

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن تميم أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي شهد المشاهد كلها، من اعلم الصحابة بالحلال والحرام. توفي بالطاعون سنة (سبع عشرة) يُنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤٥٩/٣-٤٦٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٢٥٢، ١٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الزكاة– باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (ح/١٤٩٦) (٢٦١)، ومسلم في صحيحه. كتاب الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (ح/١٩)(٣٥) .

(٤) سورة الفرقان الآية ٦٧.

يقول الشيخ الشنقيطي[1]- رحمه الله- : " أن أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة أن اللَّه مدح عباده الصالحين بتوسّطهم في إنفاقهم فلا يجاوزون الحدّ بالإسراف في الإنفاق ولا يقترون أي لا يضيقون فيبخلون بإنفاق القدر اللازم."[2]

النوع الخامس: آيات ورد فيها لفظ الإسراف متعلقاً بالمباحات:

كما نهى ﷻ عن الإسراف في العبادات كذلك نهى عن **الإسراف في المأكل والمشرب والزينة** فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[3].

" أي: خذوا زينتكم عند المساجد وأداء العبادات وكلوا واشربوا من الطيبات، ولا تسرفوا فيها، بل عليكم بالاعتدال في جميع ذلك،؛ لأن الله الخالق لهذه النعم لا يحب المسرفين فيها، بل يعاقبهم على هذا الإسراف بمقدار ما ينشأ عنه من المضار والمفاسد؛ لأنهم قد خالفوا سنن الفطرة وجنوا على أنفسهم في أبدانهم وأموالهم، وجنوا على أسرهم وأوطانهم، إذ هم أعضاء في جسم الأسرة والأمة."[4]

ونهى سبحانه عن الاستقصاء والشدة -التي تصل إلى الإسراف- **في استيفاء الحقوق** ومن ذلك ما يكون من حق لولي الدم على القاتل فقال: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾[5].

---

(١) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. مفسر، ومدرس للعلوم الشرعية، من علماء شنقيط، سكن المدينة. له تصانيف كثيرة منها: أضواء البيان، العذب النمير، منع جواز المجاز وغيرها. توفي سنة (ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف) يُنظر: معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية تأليف: علي جواد الطاهر (١٠٨١/٣-١٠٨٥) أشرف على الطبع حمد الجاسر، ومعجم المؤلفين المعاصرين (٥٤٥/٢، ٥٤٦).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف الشيخ العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. (٣٨٩/٦) ط/١. ١٤٢٦هـ. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع-مكة المكرمة.

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١

(٤) تفسير المراغي (١٣٣/٨)

(٥) سورة الإسراء الآية ٣٣

النوع السادس: آيات ورد فيها لفظ الإسراف في القرآن الكريم مراداً به بيان جزاء المسرفين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[1] والمراد بذلك"عذاب الاستئصال من الدنيا وليس المراد عذاب الآخرة "[2]. وقال ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

وأخبر عن عاقبة المكذبين للرسل في الآخرة بقوله: ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾[4].

وبين أن مصير من أسرف وأصر على الكفر بالله وآياته في الآخرة نكدٌ أليم فهو يتنكب الخطى ولا يهتدي إلى الطريق وعقبات الآخرة مهولة عظيمة فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾[5].

وبعد عرض الآيات الواردة في الإسراف بشيء من البيان الموجز والذي لا يغني عن الحديث التفصيلي في هذه الآيات وغيرها في حينه بإذن الله وموضعه من الرسالة وذلك خشية الإطالة والتكرار. فينقلني البحث إلى الحديث عن الألفاظ المقاربة للإسراف في المبحث التالي...

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩

(٢) يُنظر: التفسير الكبير (١٢٣/٨)

(٣) سورة الذاريات الآية ٣٣، ٣٤

(٤) سورة غافر الآية ٤٢، ٤٣

(٥) سورة طه الآية ١٢٤ــ ١٢٧

المبحث الثاني

ألفاظ الإسراف وما يقاربها لفظاً ومعنى وما يضادها

الإسراف تجاوز الحد في جميع الأمور، وقد جاء في القرآن الكريم ألفاظ ذات صلة وثيقة به، كما جاء في القرآن الكريم بعدد من معان. وسوف أذكرها هنا بصورة سريعة لبيان العلاقة بين هذه الألفاظ وبين الإسراف.

المطلب الأول: الألفاظ المقاربة للإسراف لفظاً ومعنى:

إن الإسراف له ما يقاربه من المسميات، بعضها يقاربه من حيث اللفظ والمعنى وبعضها يقاربه من حيث المعنى فقط وهذه الألفاظ إجمالاً هي: (التبذير، الترف، السفه، الإفراط، الغلو، الاعتداء...))

وفيما يلي أعرض نبذة قصيرة لبيان كل منها:

*** التبذير:**

تعريفه في اللغة: يقول ابن فارس: " الباء والذال والراء أصلٌ واحد، وهو نثر الشيء وتفريقه.[1]

يقول الشيخ الراغب الأصفهاني[2]: " التبذير: التفريق وأصلة إلقاء البذر وطرحه، فاستعير معناه لكل مضيع لماله، فتبذير البذر في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه".[3]

والبذر: مصدر بذرت، يقال بذرت البذر: زرعته. وبَذَرَ الشيء بَذْراً: فرقه. والبَذيرُ من الناس: الذي لا يستطيع أن يمسك سره. ورجل بَيْذَارَةٌ: يُبَذِّرُ ماله.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٠٣).

(٢) هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني. صاحب التصانيف منها: مفردات القرآن، أفانين البلاغة، الذريعة إلى مكارم الشريعة وغيرها. كان من أئمة أهل السنة. توفي سنة (اثنان وخمسمائة). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥١٣/١، ١٥١٤)، وطبقات المفسرين للداوودي (٥١٩، ٥٢٠).

(٣) المفردات للراغب (٥٠).

والمبذر: المسرف في النفقة. وكل ما أفسدته وفرقته، فقد بذرته. وبذور وبذير: يذيع الأسرار ولا يكتم سراً.[١]

ويقال بذر الأرض: إذا زرعها. وبذر الشيء: نثره وفرقه. وبذر ماله: أسرف في إنفاقه. وبذر الحديث: أفشاه ونشره. وبذر المال: فرقه إسرافاً. ويقال بذر فلان: تجاوز الحد في النفقة، وأكثر القول.[٢]

التبذير في الشرع: " إفساد المال وإنفاقه في السرف، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٣].

وقيل: التبذير أن ينفق المال في المعاصي، وقيل: هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته، واعتبار ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[٤]".[٥]

والتبذير " هو تفريق المال على وجه الإسراف".[٦]

وهو: تجاوز في موضع الحق، فهو جهل بمواقعها[٧]. كما أنه عبارة عن صرف النعم إلى غير مصرفها من باب الكفران.[٨]

من خلال التعريف اللغوي والشرعي للتبذير يظهر أنه تجاوز للحد المشروع به، وبذلك يطابق معنى الإسراف.

ولكن هناك خلافاً بسيطاً بينهما: فالإسراف: صرف الشيء فيما لا ينبغي زائداً على ما ينبغي، بخلاف التبذير فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي.

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤/٥٠).
(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٤٥).
(٣) سورة الإسراء الآية ٢٦.
(٤) سورة الإسراء الآية ٢٩ .
(٥) لسان العرب (٤/٥٠) .
(٦) التعريفات للجرجاني (١١٣) .
(٧) ينظر: الكليات (١١٣) .
(٨) ينظر تفسير أبي السعود (٤/١٢٥) .

والإسراف: تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق، والتبذير: تجاوز في موضع الحق، فهو جهل بمواقعها.[1]

والتبذير تفريق وصرف المال في غير موضعه وليس دلالة على الإكثار، أما الإسراف فهو تجاوز الحد في الصرف بالزيادة والإكثار.[2]

وقد جاء في الكتاب العزيز ما يدل على هذه الخصلة الذميمة والتحذير منها فقال: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

وأصل التبذير: التفريق في سرفٍ: [أي: تفريق المال في الكم أو الكيف]، فعن أبي العبيدين[4]، أنه سأل عبد الله بن مسعود[5] عن هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ قال: إنفاق المال في غير حقه.

وعن ابن عباس[6] ﷺ قال: المبذر: المنفق في غير حقه. والمبذرين هم المفرقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته وهم أولياء الشياطين.[7]

---

(١) ينظر: الكليات (١١٣)

(٢) ينظر تفسير أبي السعود (١٢٥/٤)

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٦، ٢٧

(٤) هو معاوية بن سبرة بن الحصين أبو العبيدين الكوفي السوائي المكفوف. قال يحيى بن معين: أنه ثقة. توفي سنة (ثمان وتسعين) ينظر: التاريخ الكبير (٣٢٩/٧)، والجرح والتعديل (٣٧٨/٨). والثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد (٤١٣/٥) ط/١. ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. دار الفكر.

(٥) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن مخزوم أبو عبد الرحمن الهذلي، أسلم بمكة وكان إسلامه قديماً، وهاجر الهجرتين. وشهد المشاهد كلها. وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير وبعد الهجرة بينه وبين سعد بن معاذ. لازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه. توفي سنة (اثنتين وثلاثين) ودفن بالبقيع. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١١٠/٣-١١٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨٣٢، ٨٣٣).

(٦) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي. ابن عم رسول الله ﷺ أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد قبل الهجرة (بثلاث سنين) دعا له النبي ﷺ بقوله: ((اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)) شهد موقعة الجمل وصفين والنهروان. توفي سنة (ثمان وستين). ينظر: الاستعياب في معرفة الأصحاب (٦٦/٣-٧٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧٩٥، ٧٩٦)

(٧) ينظر: جامع البيان (٥١٥٦/٦، ٥١٥٨)

وقد نهى الله عز وجل في هذه الآية عن صرف المال إلى من لا يستحقه لأن التبذير تفريق المال في غير موضعه، وعلل ذلك النهي ببيان أنه يجعل المبذر ملزوزاً في قَرَنَ الشيطان. والمراد بالأخوة هنا المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير، فقد كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين، أو الصداقة والملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذُكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر مالا خير فيه من المباهي والملاهي، أو المقارنة أي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد.(١)

والتبذير تفريق المال في غير الحل والمحل، فعن مجاهد(٢) قال: لو أنفق مداً(٣) في باطل كان تبذيراً.(٤)

*** التـــــرف:**

تعريفه في اللغة: يقول الإمام ابن فارس: "التاء والراء والفاء كلمة واحدة، وهي الترفة: يقال رجل مترف مُنَعَّم، وترفة أهله إذا نعموه بالطعام الطيب والشيء يخص به."(٥)

والترف: التنعم، والترفه النعمة، والتتريف حسن الغذاء. ويقال صبي مترف إذا كان منعم البدن مدللاً. وأترفته النعمة أي: أطغته. والتُرفه بالضم: الطعام الطيب، وكل طُرفه ترفه. وأترف الرجل: أعطاه شهوته.(٦)

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (١٢٥/٤).

(٢) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود مولى عبد الله بن السائب القارئ، كان عالماً بالتفسير . قال يحي بن معين مجاهد ثقة، وسئل عنه أبو زرعة فقال مكـــي ثقة. مات سنـــة (ثلاث ومائة) ينظر: التاريخ الكبير (٤١١/٧)، الجرح والتعديل (٣١٩/٨).

(٣) مداً: المد في الأصل: ربع الصاع، وهو رطل وثلث عند الشافعي وأهل الحجاز، ورطلان عند أبي حنيفـــة وأهل العراق. ويقال إن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً. ينظر: النهاية في عريـــب الحديث (٣٠٨/٤).

(٤) تفسير النسفي للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٣١٢/٢) ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

(٥) مقاييس اللغة (١٥٤)

(٦) يُنظر: لسان العرب (١٧/٩)

الترف في الشرع: " التوسع في النعمة قال تعالى:﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ ﴾[2].

والمترفون هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾[3]".[4]

" والمترف: الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وهو: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها.[5]

ومن ذلك يظهر أن الترف التوسع في النعم ومجاوزة الحد فيها، وقد ذكر الله عز وجل هذا التوسع وهذا الخروج عن الحد المعقول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[6].

وقال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ ﴾، كان ذلك الاتباع بمباشرة الفساد وترك النهي عنه، فأنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها.[7]

وقال:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[8]، " أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون ما جاءتهم به الرسل".[9]

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٣٣
(٢) سورة هود الآية ١١٦
(٣) سورة الفجر الآية ١٥
(٤) يُنظر: المفردات للراغب (٨٤)
(٥) يُنظر: لسان العرب (١٧/٩)
(٦) سورة المؤمنون الآية ٣٣
(٧) يُنظر: تفسير أبي السعود (٣٥٨/٣)
(٨) سورة الواقعة الآية ٤٥
(٩) تفسير ابن كثير (٣٧٦/٤)

كما بين الله عز وجل أنه قد عذب أقواماً بسب تجاوزهم الحد في الترف والتنعم الذي أدى بهم إلى كفر نعم الله عليهم فقال تعالى:﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[1]. وقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]، بين تعالى: أنه أخذ هؤلاء المترفين بالعذاب، وهم أصحاب النعمة والرفاهية في دار الدنيا.[3]

*** السفه:**

تعريفه في اللغة: يقول الإمام ابن فارس: " السين والفاء والهاء أصل واحد، يدل على خفة وسخافة."[4]

وأصله الخفة والحركة، وقيل نقيض الحلم، وقيل الجهل، والسفه في الأصل: الخفة والطيش. ومعنى السفيه خفيف العقل. والسفيه الجاهل.[5]

وهناك فرق بين الطيش والسفه؛ فالسفه نقيض الحكمة، والطيش خفة معها خطأ في الفعل[6]. وكل منهما يوصف به المسرف.

و"السفه: السرف والتبذير."[7]

السفه في الشرع: خفة النفس لنقصان العقل في الأمور الدنيوية والأخروية، ففي السفه الدنيوي قال تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾[8].

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٦. وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في ثنايا البحث.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٦٤-٦٨

(٣) يُنظر: أضواء البيان (٨٧١/٥)

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٦١)

(٥) يُنظر: لسان العرب (٤٩٧/١٣، ٤٩٩)

(٦) يُنظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. تعليق: محمد باسل عيون السود (٢٣٠). ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان.

(٧) الكليات (٥١٠)

(٨) سورة النساء الآية ٥

وفي السفه الأخروي قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾[1]، فهذا من السفه في الدين[2].

والسفه: "عبارة عن خفة تَعْرِضُ للإنسان من الفرح والغضب، فيحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع."[3]

وفي اصطلاح الفقهاء: "عبارة عن التصرف في المال بخلاف مقتضى الشرع والعقل بالتبذير فيه والإسراف"[4].

وهو: " الاضطراب في العقل والفكر والخلق."[5]

والمراد بالسفيه "من لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه ونحوهما، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد."[6]

وعلى هذا فإن السفه تجاوز الحد في ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه. وبذلك يكون السفه سبباً في التبذير والإسراف.

*** الإفراط:**

تعريفه في اللغة: الفاء والراء والطاء أصلٌ صحيح يدل على إزالة شيء عن مكانه وتنحيته. يقال: فرطت عنه ما كرهه أي نحيته، فهذا هو الأصل، ثم يقال أفرط، إذا تجاوز الحد في الأمر: يقولون: إياك والفَرْط، أي: لا تجاوز القدر؛ لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن جهته؛ وكذلك التفريط، وهو التقصير؛ لأنه إذا قصّر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له.[7]

---

(١) سورة الجن الآية ٤

(٢) يُنظر: المفردات للراغب (٢٦٣)

(٣) التعريفات للجرجاني (١٩٢)، والتعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: الدكتور/ محمد رضوان الداية. (٥٧٣). ط/١. ١٤١٠هـ. دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق.

(٤) الكليات (٣٤٩)

(٥) التفسير الواضح (٧٢/٤)

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن معلا اللويحق. (١٦٤) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. مؤسسة الرسالة بيروت–لبنان.

(٧) يُنظر: مقاييس اللغة (٨١٢)

والإفراط: الإعجال والتقدم. وأفرط في الأمر: أسرف وتقدم. والإفراط: إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت. يقال: أفرط فلان في أمره، أي عجل فيه. وفرط الشهوة والحزن: غلبتهما. وأفرط عليه: حمله فوق ما يطيق. وكل شيء جاوز قدره فهو مُفْرِط. والإفراط: الزيادة على ما أمرت به. والفرط: الظلم والاعتداء.(١)

الإفراط في الشرع: " تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال. والتفريط: مجاوزة الحد من جانب النقصان التقصير".(٢)

والإفراط: أن يسرف في التقديم، والتفريط: أن يقصر في الفرط. يقال ما فرطت في كـــذا أي: ما قصرت. قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾(٤)، أي: إسرافاً وتضييعاً.(٥)

والإفراط بهذا المعنى واضح في آيات القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(٦). وقال سبحانـــه: ﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(٧).

يقول الإمام ابن جرير– رحمه الله– : " قد وكس الذين كذبوا بلقـــاء الله، ببيعهم الإيمـــان الذي يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفـــر، الذي يستوجبون به منه سخطه وعقوبتـــه، ولا يشعرون ما عليهم من الخســـران في ذلك حتى تقوم الساعـــة، فإذا جاءتهم الساعة بغتة، فرأوا ما لحقهم من الخســـران في بيعهم، قالوا حينئذ تندماً: ﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾!"(٨)

---

(١) يُنظر: لسان العرب (٣٦٩/٧)
(٢) التعريفات للجرجاني (٨٩)
(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨
(٤) سورة الكهف الآية ٢٨
(٥) يُنظر: المفردات للراغب (٤٢٢)
(٦) سورة الزمر الآية ٥٦
(٧) سورة الأنعام الآية ٣١
(٨) جامع البيان (٣١٦٤/٤)

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[1]، وذلك "من التفريط الذي هو التقصير، وتقديم العجز بترك الإيمان"[2]، وبذلك يكون ضيع أعماله سفهاً وتفريطاً.

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يظهر أن خسران الآخرة يأتي بسبب التفريط والتقصير في الحياة الدنيا حيث أنهم كانوا لا يرون أن هناك حياة بعدها.

*** الجود:**

تعريف الجود في اللغة: يقول الإمام ابن فارس: " الجيم والواو والدال أصل واحد، وهو التسمُح بالشيء وكثرة العطاء. يقال: رجل جواد بيِّن الجـــود، وقوم أجواد، والجود: المطر الغزير؛ والجواد: الفرس الذريع السريع والجمع جياد".[3]

ويماثل الجود السخاء: " فالسين والخاء والحرف المعتل أصلٌ واحد، يدل على اتساع في شيء وانفراج. قال أهل اللغة السخاء: الجود."[4]

ولكي يظهر معنى الجود لابد من ذكر الفرق بينه وبين السخاء:

فالسخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ويسهل أمره للطالب، من قولهم: سخـــوت النار أسخوها سخواً إذا ألينتها، وأرض سخاويـــة: لينة، ولهـــذا لا يقال لله تعالى: سخي. والجود كثرة العطاء من غير سؤال، من قولك: جادت السماء إذا جادت بمطر غزير، والله تعالى جواد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة.[5]

يقول الإمام ابن القيم[6]–رحمه الله– : "حد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وان يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة، وليس كما قال البعض من نقص

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٨

(٢) يُنظر: تفسير أضواء البيان (١١٨/٤)

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢١٣)

(٤) يُنظر المرجع السابق (٤٨٨).

(٥) يُنظر: الفروق اللغوية (١٩٦)

(٦) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي، الفقيه الأصولي، المفسر، النحوي، العـــارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية. لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه، برع في علوم الإســـلام كالتفسير، والفقه، وعلوم الحديث، والنحو، وعلم الكلام وغيرها. توفي سنة (إحدى وخمـــسين وســـبعمائة) يُنظر: معجم المحدثين لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت/٧٤٨)، تحقيق: د/ محمـــد الحبيـــب الهيلـــة (٢٦٩) ط/١. ١٤٠٨هـــ مكتبة الصديق – الطائف، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح (ت/٨٨٤)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمـــين (٣٨٤/٢)، ط/١. ١٤١٠هـــ مكتبة الرشد الرياض – السعودية.

عمله: حد الجود: بذل الموجود. ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما، وجاءت السنة بالنهي عنهما، وإذا كان السخاء محموداً، فمن وقف على حده سمي كريماً، وكان للحمد مستوجباً، ومن قصر عنه كان بخيلاً، وكان للذم مستوجباً."[١]

"وكفى بالجود حمداً أن اسمه مطلقاً لا يقع إلا في حمد."[٢]

ويظهر من ذلك أن الجود والسخاء كلٌ منهما يراد منه البذل والعطاء، ولكنهما لا يدخلان في معنى الإسراف.

وهناك فرق بين الجواد والمسرف:

فالجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف مبذر، وقد يصادف عطاؤه موضعه، وكثيراً لا يصادفه. فالجواد يتوخى بماله أداء الحقوق على وجه الكمال، طيبة بذلك نفسه، راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى، فهو يخرج ذلك بسماحة قلب، وسخاوة نفس، وانشراح صدر، أما المسرف فإنه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافاً لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة وإن اتفقت له، فهو بمنزلة من بذر حبه في سباخ وغراز من الأرض وإن اتفق بذره في محل النبات بذر بذراً متراكماً بعضه على بعض، فذلك المكان البذر فيه ضائع معطل، وهذا البذر متراكماً بعضه على بعض، فلذلك يحتاج أن يقلع بعضه ليصلح الباقي.[٣]

*** الغلو:**

في اللغة: الغلو مصدر غلا في الدين غلواً: جاوز حده. وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[٤] وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً وغلانية وغلانياً إذا جاوزت فيه الحـــد وأفرطت فيه. وغلا بالسهم يغلو غَلْواً وغُلُواً وغالى

---

(١) الوابل الصيب وروائع الكلام الطيب لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية. تحقيق محمد بن عبد الله الطالبي (١٠١) ط/١. ١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م. دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٠٠)

(٣) يُنظر : الروح: لشيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله ابن قيم الجوزية. تحقيق: أبو عبد الرحمن المكـــي، (٢٣٩).ط/١. ١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز ــ المملكة العربية السعودية

(٤) سورة المائدة الآية ٧٧

به غلاء: رفع يده يريد به أقصى الغاية وهو من التجاوز. وأصل الغلا الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء.[1]

" والغلو تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غُلُو، وفي السهم: غَلْوٌ، وأفعالها جميعاً غلا يغلو".[2]

والغلو: " غلا يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط، ومنه: ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ أي: لا تجاوزوا الحد".[3]

" وأصل الغلو: مجاوزة الحد وهو في الدين حرام قال تعالى: ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[4]، أي لا تشددوا في دينكم فتفتروا على الله الكذب".[5]

والغلو في الشرع: " مجاوزة الحد مدحاً أو ذماً".[6]

وقال الشيخ السعدي[7] رحمه الله- : " الغلو في الدين: مجاوزة الحد والقدر المشروع، إلى ما ليس بمشروع."[8]

ويعد الغلو سبباً في هلاك الأمم لأنهم تجاوزوا حدودهم التي حدها الله لهم.

---

(١) يُنظر: لسان العرب (١٣٢/١٥)

(٢) المفردات للراغب (٤٠٨)

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: للشيخ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ضبطه وصححه محمد سالم شاهين (٣٣/١). ط/١. ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان

(٤) سورة النساء الآية ١٧١

(٥) تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٣٥٢) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت لبنان.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٤١٩/١) ط/٢. محرم ١٤٢٤هـ. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية.

(٧) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، ولد بمدينة عنيزة بالقصيم. اشتغل بطلب العلم. لازم المشايخ والعلماء في كافة العلوم كالتفسير، والفقه وأصوله، والنحو، فقد كان فقيهاً، مفسراً، له تصانيف كثيرة منها: الأدلة والقواطع، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، الدرة البهية، القواعد الحسان لتفسير القرآن، الرياض الناضرة، وغيرها. توفي سنة (ست وسبعين وثلاثمائة وألف). ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ (٢٥٦-٢٦١) ط/١. ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. المملكة العربية السعودية، ومعجم المؤلفين المعاصرين (٥٩٢/٢، ٥٩٣)

(٨) تيسير الكريم الرحمن (٢١٦)

فقال النبي ﷺ: ((وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ في الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ الْغُلُوِّ في الدِّينِ)).[1]

وقد ذكر الحافظ ابن حجر[2]– رحمه الله– أن الغلو هو: " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق."[3]

وبذلك نجد أن الغلو والإسراف يلتقيان في المعنى فكل منهما تجاوزٌ للحد، ولا يقتصر الغلو على الدين فقط بل قد يكون في أمور أخرى منها: المباحات، والعبادات سوا كانت مالية أو قلبية أو غير ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده(ح/١٨٥١)(٢١٥/١) مؤسسة قرطبة مصر، وابن ماجه في سننه: تصنيف: الإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير ب(ابن ماجه) كتاب المناسك– باب قدر حصى الرمي.(ح/٣٠٢٩)(٥١٣) حكم على الأحاديث العلامة محمد ناصر الدين الألباني اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان. ط/١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، والنسائي في سننه الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن (ح/٤٠٦٣)(٤٣٥/٢) ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. دار الكتب العلمية بيروت.، والنسائي في سننه (المجتبى)، كتاب مناسك الحج – باب التقاط الحصى (ح/٣٠٥٧)(٤٧١) حكم على الأحاديث العلامة محمد ناصر الدين الألباني اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان. ط/١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، وابن خزيمة في صحيحه لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د/محمد مصطفى الأعظمي (ح/٢٨٦٧)(٢٧٤/٤) ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. المكتب الإسلامي بيروت، وابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط (ح/٣٨٧١)(١٨٣/٩) ط/٢. ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. مؤسسة الرسالة بيروت، وسليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (ح/١٢٧٤٦)(١٥٦/١٢) ط/٢. ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. مكتبة الزهراء الموصل، والحاكم في المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، صنعه: ابي عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش (ح/١٧٥٤)(١٢١/٢) ط/٢. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) هو: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني كان حافظاً للقرآن، حبب إليه طلب الحديث فأقبل عليه. له مصنفات منها: فتح الباري، تهذيب الكمال، الإصابة في تمييز الصحابة وغيرها. توفي سنة (اثنين وخمسين وثمانمائة) يُنظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٣٦/٢–٤٠)، دار مكتبة الحياة بيروت– لبنان، وشذرات الذهب (٤٠٧–٤٠٩)

(٣) فتح الباري (٣١٦/١٣)

*** الاعتداء.**

تعريفه في اللغة: أصله من عدا عليه عَدْواً وعَدَاء وعُدُوّاً وعُدْواناً وعِدْواناً وعُدْوَى وتَعَدَّى واعْتَدَى. ومنه العَداء بالفتح والمد: الظلم وتجاوز الحد. وعدا الأمر يَعْدُوه وتَعَدَّاه، كلاهما: تجاوزه.(١)

في الشرع: هو مجاوزة حد ما، وقيل هو في أصل وضعه تجاوز الحد في كل شيء، وعرفه في الظلم والمعاصي.(٢)

والإسلام دين يدعو إلى العدل وينهى عن تجاوز الحدود في جميع الأمور، فقد نهى عنه في القتال فقال: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾(٣).

كما نهى عن الاعتداء وتجاوز الحدود في الأمور الأخلاقية، فقال: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾(٤).

يقول الإمام ابن جرير–رحمه الله– : " بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم، وأحله لكم من الفروج إلى ما حرم عليكم منها."(٥)

والنهي ليس فقط في هذه الأمور وإنما يشمل كل أمر يُتَعَدى فيه ويتجاوز الحد فيه، وبذلك تظهر العلاقة بين الاعتداء والإسراف؛ فإن كلاً منهما تجاوز الحد في جميع الأمور.

*** الطغيان:**

تعريفه في اللغة: يقول الإمام ابن فارس: " الطاء والغين والحرف المعتل [طغا] أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان يقال هو طاغ، وطَغَى

---

(١) يُنظر: لسان العرب (٣٣/١٥)

(٢) يُنظر: الكليات (١٥٠)

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٠

(٤) سورة الشعراء الآية ١٦٥–١٦٦

(٥) جامع البيان (٦٢٣٤/٨)

السّيلُ، إذا جاء بماء كثير، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾[1]، يريد- والله أعلم- خروجه عن المقدار، وطَغى البحر: هاجت أمواجه، وطغى الدَّمُ: تبيَّغَ.

قال: الخليل[2]: الطغيان والطُغْوان لغة، والفعل منه طَغيت وطغوت"[3]. وإذا عرف الكائن بكثرة طغيانه يقال عنه: طاغية، مبالغة في الفعل.

في الشرع: " الطغيان: مجاوزة الحد في العصيان."[4]

يقول الشيخ الأصفهاني: " والطاغوت عبارة عن كل متعدٍ وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾[5]

وقال: ﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾[6] وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[7] فعبارة عن كل متعد.

ولما تقدم سمي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ووزنه فيما قيل فعلوت نحو جبروت وملكوت وقيل أصله طغووت ولكن قلب لام الفعل."[8]

ويعد الطغيان إسرافاً في حد ذاته فقد أخبر الله ﷻ عنه بذلك حين بين طغيان فرعون وإسرافه في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[9]. أي: أنه قد

---

(١) سورة الحاقة الآية ١١

(٢) هو: الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري اللغوي صاحب العروض والنحو صدوق عالم عابد من السابعة، من تصانيفه: كتاب العين، وكتاب الإيقاع، وكتاب الجُمل، وكتاب العروض، وغيرها. توفي سنة (ستين ومائة). يُنظر: معجم الأدباء (٣/٣٠٠-٣٠٣)، وسير أعلام النبلاء (١٦٣٦)، وتقريب التهذيب لإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢) تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا (٢٢٤) ط/٣. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، وبغية الوعاة (٢/٥٥٧).

(٣) مقاييس اللغة (٥٩٥)

(٤) التعريفات للجرجاني (٢١٦)، ويُنظر: المفردات للراغب (٣٤١)

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٦

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥٧

(٧) سورة النساء الآية ٦٠

(٨) المفردات للراغب (٣٤١)

(٩) سورة طه الآية ٢٤

تجاوز الحد في التكبر والعتو وتمرد على ربه، حتى تجاسر[1] على العظمة التي هي دعوى الربوبية، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[2].[3]

وبين ﷻ أن إيثار الدنيا على الآخرة يعد من الطغيان فقال تعالى:﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[4]

فالطاغي هو المسرف الذي تجاوز الحد في العدوان حتى كفر بربه، وتجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله له، وقدم واختار، بل وانهمك في الحياة الدنيا؛ فصار وقته كله وسعيه جله لها وحدها، مستغرقاً في حظوظها وشهواتها، ولم يجعل شيئاً منها للآخرة ولم يتقرب إلى الله بالعبادة وتهذيب النفس، والتخلي بعض الشيء أو الوقت عنها. فإن هذا له النار الشديدة التوقد العظيمة وليس له مأوى غيرها وإنما هي المقر والمسكن لمن هذه حاله.[5]

فمن كان هذا عمله وطغيانه يعد إذاً أعظم الإسراف وأقبح التجاوز لحدود الله، والتباعد عن سبيل الرشد والتقارب إلى سبيل الغي بل والتلاصق به.

*** الفرح تعريفه وعلاقته بالإسراف:**

تعريفه في اللغة: محركه السرور والبطر. والمِفْراحُ الكثير الفرح. والفُرْحَةَ بالضم المسرة[6].

والفرح[7] ضد الحزن.

---

(١) من تجاسر عليه بمعنى أقدم. وتجاسر بمعنى تطاول. لسان العرب (١٣٦/٤)

(٢) سورة النازعات الآية ٢٤

(٣) يُنظر: تفسير القاسمي المسمى(محاسن التأويل) تاليف: العلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي. اعتنى به وصححه الشيخ: هشام سمير البخاري (٩٩/٥) ط/١. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت–لبنان. وتفسير المراغي (١٠٥/١٦)

(٤) سورة النازعات ٣٧–٣٩

(٥) يُنظر: السراج المنير للإمام الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه أحمد عز وعناية الدمشقي (٢٥٣/٨) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار إحياء التراث العربي بيروت–لبنان، وتفسير السعدي (٩١٠)

(٦) يُنظر: القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب لفيروزآبادي (٤٨٠/١) ط/١. ١٤١٢هـ/١٩٩١م. دار إحياء التراث العربي بيروت–لبنان.

(٧) ويرادف الفرح في بعض معانية المرح يقول السمعاني–رحمه الله–:"المرح هو الفرح بالباطل ويقال: هو

في الشرع: يقول الشيخ الراغب: " الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية"(١).

"وجاء الفـــرح في القرآن الكريم على نوعين: مطلق ومقيد، فالمطلق جاء في الذم كقوله تعالى: ﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾(٢)

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ۝١٠ ﴾(٣).

والمقيد جاء نوعان: إما مقيداً بالدنيا وهذا ينسي صاحبه فضل الله ومنته وهو مذموم كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤ ﴾(٤)، أو يأتي مقيداً بفضل الله ورحمتـــه وهو نوعان: الأول: فضل ورحمته بالسبب كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨ ﴾(٥).

والثاني: فضل بالمسبب كقوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾(٦).

الأشر والبطر، ويقال: هو البأو والعظمة، وقيل الخيلاء." تفسير القرآن للإمام العلامة الشيخ أبي المظفـــر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السلفي. تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم (٢٤٢/٣) ط/١. ١٤١٨هـــ/١٩٩٨م. دار الوطن–الريـــاض. والبـــأو: العظمـــة، والكبر والفخر. لسان العرب (٦٣/١٤)

"وأصل المرح في اللغة: شدة الفرح والنشاط، وإطلاقه على مشي الإنسان متبختراً مشي المتكبـــرين؛ لأن ذلك من لوازم شدة الفرح والنشاط". أضواء البيان (٦٩٩/٣)

(١) المفردات للراغب (٤٢٠)

(٢) سورة القصص الآية ٧٦

(٣) وهذه تمام قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ۝٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ۝١٠ ﴾ سورة هود الآية ٩، ١٠

(٤) سورة الأنعام الآية ٤٤

(٥) سورة يونس الآية ٥٨

(٦) وقد بين الله سبب هذا الفرح في الآية السابقة حيث قـــال: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٧٠ ﴾ سورة آل عمران الآية ١٦٩، ١٧٠

فالفرح بالله، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنة، وبالعلم وبالقرآن من أعلى مقامات العارفين."[1]

وأمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته في قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾، " لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها وشكرها لله تعالى، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود، [ولا مانع من الاستزادة منه إلى أقصى الإمكان فإن زيادته تدرج وترقي فيما يرضي الله- تعالى- عن عبده وهو أمرٌ إيجابي تام الايجابية لأنه لا يؤدي بصاحبه إلا إلى المزيد من الخير له ولمن حوله في الدنيا والآخرة وقد صلحت بذلك حياة صاحبه وحياة غيره ممن تأثروا به في ذلك من أهل زمانه فمن بعدهم بل مما هو على وجه الأرض من خلق الله جميعاً وهو الهدف الأعلى للإسلام الذي يدعو إلى إصلاح الأرض لأهلها وبذلك تصلح الحياة للأحياء فيسعدون بمنهج الله- تعالى- وهذا من أسرار الأمر بالفرح كل الفرح بفضل الله ورحمته دون ما عداه]، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا الفرح مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[2]، [وهذا النوع هو قرين الفساد في المعنى الذي تواطأت الرسالات على النهي عنه والقضاء عليه].

وكما قال عن الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[3]".[4]

---

(١) يُنظر: مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. (٨٣٠) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الكتاب العربي-بيروت.

(٢) سورة القصص الآية ٧٦

(٣) سورة غافر الآية ٨٣

(٤) تفسير السعدي (٣٦٧)

فلننظر كم بلغ بأهله في هذه الآية وإلى أي حد أوصلهم، فهاهم لا يستفيقون من غفلة فرحهم بما عندهم من العلم الذي أضر بهم فجعلهم يتطاولون على أنبياء الله والمصلحين ويعاملونهم مغترين بأنهم على علم وما هو إلا من علم قارون الذي قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[1].

من خلال الآيات السابقة تبين أن الفرح المؤدي إلى كفران المنعم ونسيانه والتلهي بالنعمة فقط عن الشكر لمن أوجدها هو الذي نهى عنه الله في كتابه العزيز.

يقول الإمام ابن عطية[2]: " أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال والفخر، وأما الفرح بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فإنه لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه"[3].

ومما سبق يتبين أن الفرح هو تجاوز الحد والقدر بالخروج في الأمور عن حد المباح والاعتدال وما به قدر الضرورة إلى غير ذلك من الشطط بالفعل أو القول بدءاً بما كرهه الشرع وانتهاء بما حرمه، وهو بهذا المعنى يطابق معنى الإسراف.

*** الشطط تعريفه وعلاقته بالإسراف:**

في اللغة: " مجاوزة القدر [كماً ونوعاً] قال تعالى:﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾[4]، يقال: شطّ، وأشَطّ، وهو الجَور والميل في الحكم"[5]. والشطط بفتحتين مجاوزة القدر في كل شيء.[6]

---

(١) سورة القصص الآية ٧٨

(٢) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، كان عالماً بالتفسير والأحكام، والحديث، والفقه، واللغة، والنحو، والأدب. توفي سنة (إحدى وأربعين وخمسمائة) يُنظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٦٠، ٦١)، وطبقات المفسرين للداوودي (١٨٥)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي. (١٨٢٧) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت-لبنان.

(٤) سورة ص الآية ٢٢

(٥) مقاييس اللغة (٤٩٦)

(٦) مختار الصحاح للشيخ زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة.

في الشرع: الشطط: "مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء"[1]، حسياً كان أو معنوياً، قولاً كان أو فعلاً.

" والشطط: الإفراط في البعد، يقال: شطت الدار وأشط. يقال: في المكان وفي الحكم، وفي السوم... وعبر بالشطط عن الجور. قال تعالى:﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[2]، أي: قولاً بعيداً عن الحق. وشط النهر حيث يبعد عن الماء من حافته."[3]

ويتساوى الإسراف والشطط في المعنى إجمالاً فكلٌ منهما تجاوزٌ عن الحد وميلٌ عن الاعتدال فكما جاء الإسراف بهذا المعنى في القرآن حيث قال-تعالى- : ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾[4] جاء كذلك الشطط فقال تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ ﴾. وذلك عندما هجروا أوطانهم وأهليهم، وقاموا لإظهار شعار الدين الحق [لعبادة الله الواحد – سبحانه- ونبذ سائر المعبودات]، وقالوا: لن نعبد أبداً معبوداً آخر وذلك بعد قولهم:﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، وإذا عبدوا غيره فإنهم إذاً قالوا قولاً ذا شطط أي: تجاوز عن الحد أو قولاً هو عين الشطط؛ لأن العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهية المعبود والتضرع إليه، فقالوا: لو دعونا من دونه إلهاً لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد المعقول مفرطاً في الظلم.[5]

---

(١٧١) ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. دار الكتاب العربي بيروت

(١) لسان العرب (٣٣٤/٧)

(٢) سورة الكهف الآية ١٤

(٣) يُنظر: المفردات للراغب (٢٩٢)

(٤) سورة الإسراء الآية ٣٣

(٥) يُنظر: تفسير أبي السعود (١٧٥/٤، ١٧٦)

يقول الشيخ الشنقيطي- رحمه الله- : " وفي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن من أشرك مع خالق السموات والأرض معبوداً آخر فقد جاء بأمرٍ شطط بعيد عن الحق والصواب في غاية الجورَ والتعدي."[1]

ولتأكيد هذا المعنى يقول ﷻ على لسان لقمان لابنه: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، ويقول ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3].

وجاء لفظ الشطط بمعنى البعد عن الحق والعدل في قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾[4].

ومن تجاوز الحدود مع الله الجور بالقول أن لله صاحبةً وولدا فقد وُصف القائل بهذا بأن قوله شطط، وقائله سفيهٌ لا عقل له وقد تصرف بغير رشد ولا إهتداء. كما جاء في - قوله تعالى- : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾[5].

---

(١) أضواء البيان (٤٠/٤)

(٢) سورة لقمان الآية ١٣

(٣) سورة الأنعام الآية ٨٢

(٤) سورة ص الآية ٢١، ٢٢ وفي هذه الآية دليل على أنه إذا قلنا للقاضي أو الحاكم: اعدل إنما هو من باب التذكير، ولا يعد جفاء ولا تعديا. يقول ابن عاشور:"ومخاطبة الخصم داود بهذا خارجة مخرج الحرص على إظهار الحق في معنى الذكرى بالواجب، فلذلك لا يعد مثلها جفاء للحاكم والقاضي، وهو من قبيل اتق الله في أمري. وصدوره قبل الحكم أقرب إلى معنى التذكير وأبعد عن الجفاء، فإن وقع بعد الحكم كان أقرب إلى الجفاء،[وأبعد من التذكير. ولعل من الأنسب تحكيم العرف العام لكل بلدٍ وقطر في ذلك صوناً لمقام أولي الأمر وحفظاً لهيبتهم التي بها تحفظ.]" تفسير التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور. (٢٣٤/٢٣) دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس.

(٥) سورة الجن الآية ٣، ٤ .

ومن خلال ذلك يظهر مدى العلاقة بين الإسراف والشطط وأن كلاً منهما يأتي بمعنى تجاوز الحد والميل عن الحق والعدل والمعقول وسلك سبيل الضلال وتجاوز سبيل الرشاد.

*** البطر تعريفه وعلاقته بالإسراف:**

تعريفه في اللغة: البطر: النشاط، وقيل: التبختر، وقيل: قلة احتمال النعمة، وقيل: الدهش والحيرة، وأبطره أي: أدهشه، وقيل البطر: الطغيان في النعمة. وقيل: هو كراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهية.(١)

وفي ذلك قد وقع تجاوز الحد اللائق بالنعمة، فبدلاً من مقابلتها بالشكر قابلها بالبطر بأن استخدمها في غير حقها ولغير وجهها، أو أنكر وجحد المنعم بها ﷻ ويزداد البطر قبحاً وإفراطاً إذا استخدمت النعمة في شكر غير خالقها ﷻ وهنا يكون البطر هو الإسراف بعينه لكن بحروف أخرى.

والبطر: الأشر وهو شدة المرح، ويقال: أبطره المال.(٢)

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾(٣)، فهذا نهي لمن أبطرته نعمة القوة والصحة فخرج عن الحد اللائق لشكر هذه النعمة إلى الاختيال والتعالي على عباد الله.

وفي الشرع: يقول الشيخ الراغب: " البطر: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال لنعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها."(٤)

ومما يدل على أن البطر إسراف وتجاوز عن الحدود قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ

---

(١) لسان العرب (٦٨/٤)

(٢) يُنظر: لسان العرب (٤٦٩) ومختار الصحاح (٣٨)

(٣) سورة الإسراء ٣٧

(٤) ويقارب البطر الطرب: وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح وقد يقال: ذلك في الترح. المفردات للراغب (٦١)

ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]، ومعنى ذلك أنها بطرت في معيشتها يعني كفرت برزق ربها. فكانوا يتقلبون في رزق الله تعالى فلم يشكروه على نعمته، وطغوا في نعمة الله فأهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا، كما أنهم قد عاشوا في البطر وكفران النعم[2]. وليس لهم إلا ذلك، وكان الأولى لهم إصلاح الأرض وأهلها بما أوتوا من النعم ونشر الخير والعدل والرحمة ونصرة المظلوم ونشر دين الله ﷻ والوقوف في وجه أهل البطر والظلم والطغيان، فهذا هو شكر النعمة وليس حقها نسيان المنعم ومعصيته بها واستخدامها في غير وجهها.

ومن البطر وتجاوز الحدود الخروج من الديار بغية نشر الفساد في الأرض ويعد ذلك أعظم الإسراف الذي يفعله الإنسان في حق نفسه وفي حق غيره وقد نهى الله ﷻ عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾[3].

يقول الإمام ابن جرير–رحمه الله– : " ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة، وترك إخلاص العمل لله، واحتساب الأجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراءاة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم. ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، يقول: ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله".[4]

---

(١) سورة القصص الآية ٥٨

(٢) يُنظر: تفسير السمرقندي المسمى(بحر العلوم) تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي. تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي (٦٤١/٢) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الفكر بيروت–لبنان.

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٧

(٤) جامع البيان (٣٨٦٨/٥)

هذا وإن كان ما ذكرته من الألفاظ المقاربة لشديدة الصلة والعلاقة بالإسراف لكنها ليست هي كل الألفاظ المقاربة فقد جاء الإسراف بمعان متعددة أخرى وبألفاظ متنوعة تلتقي مع الإسراف من قريب أو بعيد: كالجهل، والضراوة، والإغفال، والخطأ...الخ[1].

كما أن الإسراف يأتي على وجوه وتصرفات متنوعة من فعل أو قول ولتوضيح ذلك أنقل عن الفيروزأبادي وغيره من المفسرين إجمالاً فأقول:

ذكر الفيروزأبادي: أن الإسراف على ستة أوجه[2] وهي:

الأول : بمعنى الحرام : قال تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا ﴾[3].

" ذكر الإمام ابن جرير بسنده عن قتاده[4] والحسن[5]﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا ﴾، يقول لا تسرف فيها. وروى عن السدي[6]:﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا ﴾، قال: يسرف في الأكل."[7]

الثاني: بمعنى مخالفة الموجبات: قال تعالى: ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾[1]، أي فلا يخالف ما يجب.

---

(١) وهذه الألفاظ سبق ذكرها في المعنى اللغوي للإسراف راجع (١٧-١٩)

(٢) يُنظر: بصائر ذوي التمييز (١٠٥/٢)

(٣) سورة النساء الآية ٦

(٤) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، يكنى أبا الخطاب، كان أعمى. وكان عالمً بالتفسير، واختلاف العلماء، وصف بالحفظ والفقه. توفي سنة (سبع عشرة ومائة). يُنظر: الجرح والتعديل (١٣٣/٧، ١٣٤)، والثقات (٣٢١/٥، ٣٢٢)

(٥) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبي الحسن يسار من سبي ميسان مولى زيد بن ثابت. فقيه ثقة فاضل مشهور، وكان على رأس الطبقة الثالثة مات سنة (عشر ومائة) وقد قارب التسعين. يُنظر: الجرح والتعديل (٤٠/٣). تقريب التهذيب (١٦٦).

(٦) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير أبو محمد الكوفي، صاحب التفسير، رأي أبا هريرة، حسن الحديث. توفي سنة (سبع وعشرين ومائة) يُنظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لحمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدشقي، تحقيق: محمد عوامة (٢٤٧/١) ط/١. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. دار القبلة للثقافة – جدة، وطبقات المفسرين للداوودي (٧٩)

(٧) يُنظر: جامع البيان (٢١٤٧/٣)

روى الإمام ابن جرير– رحمه الله – عن سعيد بن جبير[٢] في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾ قال: لا يقتل غير قاتله، ولا يمثل به.[٣]

الثالث: بمعنى الإنفاق فيما لا ينبغي: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾[٤].

روى الإمام ابن جرير–رحمه الله– عن مجاهد، قال: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله ما كان سرفاً، ولو أنفقت صاعاً في معصية الله كان سرفاً.[٥]

إن العبرة ليس بكثرة الإنفاق ولا بقلته وإنما يكون المعيار بجهة الإنفاق ومن هنا قيل في تعريف الكنز أنه: " جمع المال بعضه على بعض وادخاره، وقيل: المال المدفون. وقد صار في الدين: صفة لكل مال لم يخرج منه الواجب وإن لم يكن مدفوناً."[٦]

ويقول الإمام الرازي[٧] –رحمه الله– : " الكنز المذموم قال الأكثرون: هو المال الذي لم تؤد زكاته. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أديت زكاته فليس بكنز.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٣

(٢) سعيد بن جبير بن هشام أبو عبد الله مول بني والبة من بني أسد بن خزيمة. روى عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأبي هريرة وأنس والزبير، وروى عنه عمرو بن دينار وأبو بشر. قال يحيى بن معين أنه ثقة. يُنظر: التاريخ الكبير (٤٦١/٣) والجرح والتعديل (٩/٤).

(٣) يُنظر: جامع البيان (٥١٦٦/٦)

(٤) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٥) يُنظر: جامع البيان (٦١٦٢/٨)

(٦) التعاريف للمناوي (٦١١)

(٧) هو: محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الأصل ثم الرازي فخر الدين العلامة الكبير، ذو الفنون الأصولي المفسر، له تصانيف منها: التفسير الكبير، المنتخب، نهاية العقول، شرح أسماء الله الحسنى وغيرها. توفي سنة (ست وستمائة) يُنظر: سير أعلام النبلاء (٣٦١٠/٣)، وطبقات المفسرين للداوودي (٤٤٤–٤٤٦)

وقال ابن عمر[1] ﷺ: كل ما أديت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض."[2]

الرابع: بمعنى التجاوز عن الحد، وهو معناه الأصلي: قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾[3]، " الإسراف تعدي الحد؛ فنهاهم عن تعدي الحلال إلى الحرام. وقيل: ألا يزيدوا على قدر الحاجة."[4]

الخامس: بمعنى الشرك: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[5]، أي المشركين.

ذكر الإمام ابن جرير- رحمه الله - بسنده عن قتاده: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ قال:أي المشركين."[6]

السادس: بمعنى الإفراط في المعاصي: قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾[7]، أي: أفرطوا عليها بالمعاصي.

وبذلك نلاحظ أن كل تصرف جاء متجاوزاً الحد اللائق به والمقدار المحدد له في أي أمر من الأمور إنما هو إسراف ولو تسمى بغير اسمه.

---

(١) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن. أسلم مع أبيه وهاجر وعرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره، ثم بأحد، ثم بالخندق فأجازه. توفي سنة (ثلاث وسبعين) يُنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٨٠-٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨٠٨-٨١١)

(٢) التفسير الكبير (٦/٣٥)

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١

(٤) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٦٤)

(٥) سورة غافر الآية ٤٣

(٦) يُنظر: جامع البيان (٩/٧١٤٣)

(٧) سورة الزمر الآية ٥٣

المطلب الثاني: الألفاظ المضادة للإسراف

الإسراف عمل قبيح نهى الدين الإسلامي عنه بأدلة الكتاب والسنة، وهناك بعض الكلمات المضادة له، بعضها أخلاق وصفات نهى عنها الإسلام، وبعضها أخلاق دعا إليها الدين الحنيف، وسأورد هنا نبذة عنها لبيان موقف الإسلام منها... وهي: (التقتير، البخل، الشح، القصد، الاعتدال.)

*** التقتير :**

تعريفه في اللغة: يقول الإمام ابن فارس: " القاف والتاء والراء أصل واحد صحيح يدل على تجميع وتضيق. من ذلك القُتْرة : بيت الصائد، وسمى قُترة لضيقه وتجمع الصائد منه، والجمع قُتْر؛ والإقتار: التضييق، يقال: قَتَرَ الرجل على أهله يقتُرُ، وأقتر وقَتّر."[1]

والقتر والتقتير: الرمقـــة من العيش. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾[2]، قال الفراء[3] لم يقتروا عما يجب عليهم من النفقة. وقتر على عياله يَقْتُرُ ويَقْتِرُ قَتْراً وقُتُوراً أي: ضيق عليهم في النفقة. والقَتْر ضيق العيش، وكذلك الإقتار. والقُتار ريح القِدر، وقد يكون من الشواء والعظم المُحْرَقِ وريح المشوي. والقُتار: ريح العود الذي يحرق فيدخن به.[4]

---

(١) مقاييس اللغة (٨٤٣)

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٣) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بني أسد، النحوي المشهور، وقيـــل لـــه الفراء لأنه كان يفري الكلام. كان فقيهاً عالماً بالخلاف وأيام العرب وأخبارها وأشعارها، متكلماً يميل إلى الاعتزال، يستعمل في تصانيفه ألفاظ الاعتزال. صاحب التصانيف ومنها: معاني القرآن، كتـــاب اللغـــات، كتاب الوقف والابتداء، كتاب مشكل اللغة الكبير، وغيرها. مات سنة(سبع ومائتين) في طريق مكـــة، ولـــه ثلاث وستون سنة. يُنظر: معجم الأدباء (٦١٩/٥-٦٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤١٦٤/٣) وتقريب التهذيب (٣٥٥)، وبغية الوعاة (٣٣٣/٢)

(٤) يُنظر: لسان العرب (٧٣/٥)

في الشرع: " القتر: تقليل النفقة، وهو بإزاء الإسراف، وكلاهما مذمومان"[١]، " والإقتار: التضييق على الإنسان في الرزق".[٢]

والتقتير: خلق ذميم نهى عنه الدين الإسلامي كما نهى عن خلق الإسراف، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾[٣] فالإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والمسرف والمقتر سواء، " ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصاً به ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموماً، لان ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم."[٤]

يقول الإمام الزمخشري: " والقتر والإقتار والتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف"[٥]. سواء وقع من الشخص على نفسه أو على غيره، أو وقع من الغير عليه.

إن المتأمل في حال المسرف والمقتر يجد أن هناك علاقة وثيقة بينهما في الفعل والحال والمآل: " فالمسرف يتلف ماله على نفسه وصحبه لقاء متعة زائلة ويحرم المحتاجين من فقراء ومعوزين، كما يحرم نفسه من المساهمة في أعمال الخير والبر، ويترك أهله عالة من بعده. والمقتر يحرم أصحاب الحق في ماله من فقراء ومعوزين، كما يحرم نفسه وأهله من التمتع بنعم الله تعالى التي سخرها لعباده، يجمع لغيره دون أن يعرف مصير المال الذي جمعه كيف سينفق".[٦]

---

(١) المفردات للراغب (٤٣٩) والتعاريف: المناوي. (٥٧٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١٢/٤) ولسان العرب (٧٣/٥)

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٤) جامع البيان (٦١٦٤/٨)

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، رتبه وصححه محمد عبد السلام شاهين. (٢٨٥/٣). ط/١. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان

(٦) يُنظر: أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، إعداد محمد سعيد مبيّض. (٧٦) ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. دار الثقافة ــ الدوحة. مكتبة الغزالي إدلب ــ سوريا.

فالتقتير رذيلة لا تقل عن الإسراف في شيء فكلاهما يجمعهما تجاوز الحد، فالإسراف تجاوز للحد إلى أعلى والتقتير تجاوز للحد إلى أدنى.

*** البخل:**

تعريفه في اللغة: " الباء والخاء واللام كلمة واحدة، وهي البُخل والبَخَل، ورجل بخيل وباخلٌ، فإذا كان ذلك شأنه فهو بخَّال"[١]. أي: من كثرة فعله في هذا الجانب وتعاطيه فهو جدير بأن يوصف بصيغة المبالغة بخّال.

في الشرع: " البخل: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال بخل فهو باخل. وأما البخيل: فالذي يكثر منه البخل كالرحيم والراحم.

والبخل ضربان: بخل بمقتنيات نفسه. وبخل بمقتنيات غيره، وهو أكثرهما ذماً. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾[٢]".[٣]

وذلك لأن البخل المتعدي إلى الغير ضرره مضاعف من حيث قناعة البخيل بهذه الصفة في نفسه على الرغم من اكتوائه بنارها، ثم هو بعد ذلك لا يستحي أن يضر بها غيره فينشر شره وقد أمر بالخلق الحسن والسخاء والكرم مع الآخرين فتخطى كل ذلك إلى رذيلة البخل حتى صار ذا بخل بليغ فيقال عنه: بخيل وبخّال لكثرة فعله.

والبخل: "هو المنع من مال نفسه. وقيل: البخل ترك الإيثار عند الحاجة. قال حكيم: البخل محو صفات الإنسانية وإثبات صفات الحيوانية."[٤]

ومن هذه الصفات: حب الذات والأنانية، وغلبة الشهوة والهوى على العزيمة.

وهو: " شعبة من الجبن، لأن الجبن تألم القلب بتوقع مؤلم عاجلاً على وجه يمنعه من إقامة الواجب عقلاً، وهو البخل في النفس."[٥]

---

(١) مقاييس اللغة (١٠٠)

(٢) سورة الحديد الآية ٢٤

(٣) يُنظر: المفردات للراغب (٤٧)

(٤) يُنظر: التعريفات للجرجاني (١٠٢)

(٥) الكليات (٢٤٢).

وبذلك قد فارق البخيل صفات التكريم التي جعلها الله – تعالى– إطاراً لمعنى الإنسانية وفارق أوامر رب العالمين التي جعلها الله دثاراً وحلة لأهل الصلاح من عبادة.

" والإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير"[1].

"وكفى بالبخل ذماً أن اسمه مطلقاً لا يقع إلا في ذم."[2]

وجاء الدين الإسلامي بذم البخل والبخلاء كما ذم الإسراف فهما عبارة عن الإفراط والتفريط فقال تعالى:﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

يقول الشيخ السعدي– رحمه الله–: " أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذين كل منهما كاف في الشر، البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوا على هذا الخلق الذميم بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها."[4]

"وهؤلاء البخلاء هم الذين يبخلون عادة بأموالهم وإيمانهم وغير ذلك، فلا يؤدون حق الله فيها، ولا يواسون فقيراً، بل إنهم يطلبون من غيرهم إمساك المال ويرغبون الناس في البخل بما يملكون، حتى يجعلوا لهم أشباهاً وأمثالاً، ومن يعرض

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق عاصم بهجة البيطار (٣٤١). ط/٨. ١٤١٤هـ/١٩٤م. دار النفائس بيروت ــ لبنان

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٠٠)

(٣) سورة الحديد الآية ٢٣، ٢٤. وتكرر ذم البخل في موضع آخر من القرآن في قوله تعالي:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ من سورة النساء الآية ٣٦، ٣٧

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٤٢)

عن الإنفاق وعن أمر الله وطاعته، فإن الله غني عنه حميد، محمود الذات في السماء والأرض عند خلقه، لا يضره ذلك، ولا يضر البخيل إلا نفسه".[١]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٢].

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله– : " مثل البخل بأحسن تمثيل لأن البخيل لا يمد يده بالعطية، كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده وإنما قال:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق عن قوله كل الغل لأن غل اليدين إلى العنق هي أقصى الغايات التي جرت العادة بغل اليد إليها".[٣]

ويقول الشيخ الأصفهاني – رحمه الله –: "والبخل على ثلاثة أضرب: بخل الإنسان بماله، وبخله بمال غيره، وبخله على نفسه بمال غيره وهو أقبح الثلاثة، والباخل بما في يده باخل بمال الله على نفسه."[٤]

وقد بين القرآن الكريم أن البخل شر وأنه "لا يصح إطلاق البخل في الدين إلا على جهة أن فاعله قد أتي كبيرة بالمنع، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٥]، فأطلق الوعيد على من بخل بحق الله الذي أوجبه في ماله".[٦]

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط: أ.د. وهبة الزحيلي، (٣/٢٦٠٠، ٢٦٠١). ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار الفكر المعاصر بيروت ــ لبنان. دمشق ــ سورية.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٩

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية. حقق أصوله وضبطه جماعة من العلماء. (١٨٩) ط/٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، وبدائع التفسير لابن القيم. جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد. (٧٨) ط/١. ربيع الثاني ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. دار ابن الجوزي–المملكة العربية السعودية.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٠٠)

(٥) سورة آل عمران الآية ١٨٠

(٦) يُنظر: أحكام القرآن لحجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص. تحقيق: محمد الصادق

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾[1].

قال ﷺ : ((ما من يَوْمٍ يُصبْحُ الْعِبَادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فيقول أَحَدُهُمَا اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللهم أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا))[2].

والبخل: صفة ذميمة تحط من قدر صاحبها وتجعله ممقوتاً من أقرب الناس إليه. ذلك لأن البخيل أناني بطبعه، لا يحب الخير إلا لنفسه، والبخيل إنسان ضعيف الثقة بالله[ضعيف التوكل عليه ﷻ] يخاف الفقر إن أنفق حتى على نفسه- وهل يخاف الفقر إلا ضعيف الإيمان الذي لا يطمئن لوعد الله بتعويض ما أنفق؟!- ويتأثر بوساوس الشيطان، فيحجم عن الإنفاق..... قال تعالى:﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾[3].

والبخلاء صنفان: صنف يبخل على نفسه وأهله ومجتمعه - وللأسف- هو الذي حرم نفسه من نعم الله وظلم أهله ومجتمعه. وصنف يبخل على غيره ويكرم نفسه وهذا هو الأناني البخيل.[4]

"فالبخل مرض يقتل صاحبه، ويدل على غفلة عمياء، أو أنانية سوداء.

لمحاوي (١٦٣/٣) ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(١) سورة النساء الآية ٣٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب:قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾ سورة الليل الآية ٥-١٠ (ح/١٤٤٢)(٢٥١) ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة – باب في المنفق والممسك (ح/١٠١٠)(٤٠٨)

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٨

(٤) يُنظر: أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها (١٣٠)

ومن الناس من يبخل على نفسه فيحرمها أن تأكل أطيب الطعام، وتلبس أجود الثياب؛ استكثاراً لما ينفق عليها من طعام ولباس ومتعة، وما أشبههم بمن يغلق نافذته عن نور الشمس، ويحبس رئتيه عن عليل الهواء"[١].

فما أجود هذا التمثيل لحال البخيل، ألا قاتل الله البخل فقد دك أعناق الرجال. ولو بحثنا عن علاج البخل لوجدنا أن اتصاف المرء بالسخاء خير علاج لداء البخل؛ "فالسخاء: عبارة عن بذل مالا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج، والبذل مع الحاجة أشد. وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة، فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة."[٢]

*** الشح والحرص:**

تعريفه في اللغة: " الشين والحاء الأصل فيه المنع، ثم يكون منعاً مع حرص. من ذلك الشُّحُّ، وهو البخل مع حرص، ويقال تشاح الرجلان على الأمر، إذا أراد كل واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[٣].

ويقولون للمواظب على الشيء: شَحْشَحٌ، ولا يكون مواظبته عليه إلا شُحَّاً به؛ ويقولون للغيور: شَحْشَح، وهو ذاك القياس، لانه إذا غار منع، وكذلك الشجاع، وهو المانع ما وراء ظهره.[٤]

في الشرع: "الشح: بخل مع حرص."[٥]

وقيل هو "شدة الحرص التي توجب البخل والظلم، وهو منع الخير وكراهته"[١]

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية. للدكتور مصطفى السباعي، (٢٦) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الوراق، دار النيربين.

(٢) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي. تحقيق: أبي حفص سيد إبراهيم بن صادق بن عمران. (٣٦٩/٣) ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار الحديث ــ القاهرة

(٣) سورة الحشر الآية ٩

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة (٥٠١)

(٥) المفردات للراغب (٢٨٧)

وبالرغم من ارتباط الشح والبخل معاً في التعريف إلا أن هناك فرقاً بينهما:"

فالشح الحرص على ذلك، والبخل منع الحق، ويقال: زند[٢] شحاح إذا لم يورِ ناراً، وإن أشح عليه بالقدح كأنه حريص على منع ذلك، والبخل منع الحق، فلا يقال لمن يؤدي حقوق الله تعالى بخيل."[٣]

ويقول الإمام الرازي – رحمه الله– : "واعلم أن الفرق بين الشح والبخل هو أن البخـــل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع فلما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، الظافرون بما أرادوا قال ابن زيد من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئاً أمره الله بإعطائه فقد وقى شح نفسه."[٤]

" والشح أشد من البخل؛ لان الشحيح يشح على ما في يديه فيحبسه ويشح على ما في أيدي الناس حتى يأخذه، وإن البخيل إنما يبخل على ما في يديه".[٥]

وكما جاء النهي عن الإسراف جاء أيضاً الأمر بوقاية النفس من الشح قال تعالى:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٦].

فالشح اللؤم، وإضافته إلى النفس؛ لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل، أي: ومن يوق–بتوفيق الله تعالى– شحها حتى يخالفها فيما يغلب

---

(١) مجموعة الفتاوى: لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني. اعتنى بها: عامر الجزار، أنور البـــاز (٢٦٧/١٤) ط/٢. ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م. دار الوفاء.

(٢) الزند: موصل طرف الذراع في الكف وهما زندان الكوع والكرسوع، والزند أيضاً العود الذي تقـــدح بـــه النار. ويقال للبخيل زند متين ومزند أي شديد ضيق. يُنظر: الفائق اللزمخشري (١٢٨/٢)

(٣) الفروق اللغوية (٢٠٠)

(٤) التفسير الكبير (٥٠٨/١٠)

(٥) الدر المنثور للإمام جلال الدين بن الكمال جلال الدين السيوطي (١٠٨/٨) ١٩٩٣م. دار الفكر بيروت.

(٦) سورة الحشر الآية ٩

عليها من حب المال وبغض الإنفاق فأولئك هم الفائزون بكل مطلوب، الناجون عن كل مكروه.[١]

ونهى النبي ﷺ عن الشح وأخبر أنه سبب هلاك الأمم السابقة ودمار مجدهم.

فقال ﷺ: ((اتَّقُوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ على أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))[٢].

*** القصد:**

تعريفه في اللغة: " القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدل أحدها على إتيان الشيء وأمّه، والآخَر على كسر وانكسار، والآخِر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصداً ومقصداً.

والأصل الأخَر: قصدت الشيء: كسرته. والأصل الثالث: القصيد: المكتنزة الممتلئة لحماً.[٣]

والقصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصداً. فهو قاصد. وقوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٤] وطريق قاصد: سهل مستقيم. والقصد: العدل. والقصد إتيان الشيء.[٥]

والقصد: الاعتدال والتوسط، والقصد في الشيء: خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير.[٦]

القصد في الشرع: يقول الإمام ابن عطية: " القصد والاقتصاد: الاعتدال والرفق والتوسط الحسن في الأقوال والأفعال".[٧]

---

(١) يُنظر: تفسير أبي السعود (٦/٢٢٨)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الظلم (ح/٢٥٧٨)،(١١٢٩)

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة (٨٥٩)

(٤) سورة النحل الآية ٩

(٥) يُنظر: لسان العرب (٣/ ٣٥٥) وتاج العروس (٢/ ٤٦٦).

(٦) يُنظر: لسان العرب (٣/٣٥٤)

(٧) المحرر الوجيز (٥٦٢)

ومن ذلك يظهر أن **الاقتصاد** يخالف **الإسراف** مخالفة تامة فهما على طرفي نقيض؛ فالاقتصاد أوسط الأمور: فهو بين الإسراف والتقتير اللذين ذمهما الإسلام ونهى عنهما. وهذه الأمة أمة الوسط لقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1]

وأخبر عن المعتدلين الصالحين من بني إسرائيل بأنهم أمة مقتصدة فقال:﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾[2].

" فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد وهو أوسط مقامات هذه الأمة."[3]

ولو نظرنا إلى الاقتصاد لوجدناه "لوناً من ألوان الاعتدال والتوسط، وهو سلوك الطريق الأفضل، وهو سمة العاقلين الذين يحسبون للمفاجآت حساباً، فلا يضطرون لإراقة ماء الوجه بالاستدانة ولا لبيع الممتلكات"[4].

وخلط بعض الناس بين الاقتصاد والشح ويرون أن ذلك هو المنظور الصحيح.

وقد فرق ابن القيم بينهما فقال: " أن الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به، فيتولد من بينهما الاقتصاد، وهو وسط بين طرفين مذمومين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٢) سورة المائدة الآية ٦٦

(٣) تفسير ابن كثير (١٠٧/٢)

(٤) أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها (٧٥، ٧٦)

(٥) سورة الإسراء الآية ٢٩

(٦) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٧) سورة الأعراف الآية ٣١

وأما الشح فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعاً، والهلع شدة الحرص على الشيء، والشره به، فتولد عنه المنع لبذله، والجزع لفقده، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]".[2]

(١) سورة المعارج الآية ١٩-٢٢

(٢) الروح لابن القيم (٢٤١)

الفصل الثاني

أسباب الإسراف وصفات المسرفين

و يتضمن مبحثين

المبحث الأول

أسباب الإسراف

المبحث الثاني

صفات المسرفين

المبحث الأول
أسبـاب الإسراف

قد يقع الإنسان في بعض الأخطاء أو الأمور الفاسدة التي تؤدي به إلى الوقوع في المعاصي أو الكفر، ولكن من المؤكد أن يكون لوقوعه فيها أسباب أدت به إلى فعل تلك المعاصي، وبعض هذه الأسباب ينشأ عن مدى علاقة العبد بربه وبدينه؛ فهي أسباب نفسية ذاتية تنبع من ذات الشخص باختياره دون تأثير خارجي عليه. وبعضها يكون نشأته من ظروف اجتماعية، خارجه عن اختياره وإن كان مسئول عما يقع منه باعتباره مكلفاً بالفهم والتعلم لمنهج الله وشريعته. والبعض الآخر قد يكون بسبب تحول وتبدل حال الإنسان من حال لآخر.

ولوقوع الإنسان في الإسراف عددٌ من الأسباب لا يستطاع حصرها حصراً دقيقاً مانعاً ولكن أذكر هنا أهمها على سبيل التوضيح والبيان وهي:

أولاً: الأسباب الذاتية:

وهذه أسباب مرتبطة بشخصية الإنسان وعلاقته بالله وبذاته وأساسها:

*** ضعف الإيمان بالله ﷻ والجهل بأمور الدين.**

إن عدم المراقبة لله ﷻ تؤدي بالإنسان إلى الاستخفاف بوعيد الله. ولعل ضعف الإيمان من أهم تلك الأسباب التي تجعله يتجاوز حدود الله وما أمره به قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[1].

ففي هذه الآية ما يدل دلالة واضحة على أن المؤمن الحق لا يأمره إيمانه بالمعاصي، وإنما الإيمان الحقيقي لا يحمل صاحبه إلا على طاعة الله.[2]

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٣

(٢) يُنظر: تفسير القرآن الكريم: (سورة البقرة) للشيخ: محمد بن صالح العثيمين (١/٣٠٥، ٣٠٦) ط/١. صفر ٤٢٣هـ. دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : " فإن الإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها، والآمر بأحسنها، والناهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، وائتمار صاحبه وانتهاؤه"[1].

كذلك جهل[2] الإنسان به سبحانه وتعالى، وعدم معرفته بأحكامه تعد من الأمور الباعثة على عدم فهم الفرد لأوامر ونواهي الله عز وجل مما يؤدي به إلى تجاوز حدود الله والإسراف في جميع الأمور، فالجهل بأمور الشريعة وعدم العلم بها من أبرز أسباب تجاوز الحدود، بل هو أعظم سبب جعل الأمم السابقة تخالف أقوال أنبيائهم –عليهم السلام– قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[5]، فلو كان ذاك الجاهل عالماً لما كان ذلك تفكيره.

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله– : " أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصا من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك، وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من جميع الأنبياء: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ هذا مفرد

---

(١) مدارج السالكين: لابن القيم (٩١١)

(٢) الجهل على ثلاثة أضرب، الأول: وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً. يُنظر: المفردات للراغب (١١٥)

(٣) سورة الأعراف الآية ١٣٨

(٤) سورة هود الآية ٢٩

(٥) سورة الزمر الآية ٦٤-٦٦

مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام – لما عد كثيرا من أنبيائه ورسله قال عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]، ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال.

ثم قال: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾ لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾ أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر".[2]

ثم ذكر ﷻ الفرق بين العالم بأمور دينه والجاهل بها فقال: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٨-٩٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٩)

(٣) سورة الزمر الآية ٩

فأكثر ضلال بني آدم كان بسبب الجهل. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1] – رحمه الله– : " فصلاح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيئان:

أحدهما: الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالا.

والثاني: إتباع الهوى والشهـــوة اللذين فـــي النفس فيكونون غواة مغضوباً عليهم".[2]

وجهل الإنسان بأحكام الله وتجاوزه حدوده تعد من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: ((إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ))[3].

ثانياً: الأسباب الاجتماعية:

وهي الأسباب التي تشمل البيئة المحيطة بالإنسان ومنها:

*** الاتباع والتقليد.**

" قد يكون التقليد[4] في الحق ويعد هنا إتباعا لا تقليداً، لذلك نجد أن من أصول أهل السنة والجماعة قولهم: (نتبع ولا نبتدع)، (ونتبع ما كان عليه السلف الصالح)

---

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين أبو العباس، تميز بسرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف، له تصانيف كثيرة منها: مجموعة الفتاوى، والرسالة التدمرية، والرسالة الصفدية، ورسالة في الدعاء وغيرها. توفي سنة (ثمان وعشرين وسبعمائة). يُنظر: تذكرة الحفاظ للإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (١٤٩٦/٤، ١٤٩٧) ط/١. دار الكتب العلمية بيروت. والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تاليف: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤٤/١-١٦٠)، والمقصد الأرشد (١٣٢/١-١٣٩).

(٢) مجموعة الفتاوى (٢٤٢/١٥)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل (ح/٨٠)(٣٤) ومسلم في صحيحه كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن، في آخر الزمان (ح/٢٦٧١)(١١٦٢).

(٤) "عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه". وذلك من شدة التزامه له وتعلقه به. التعريفات للجرجاني (١٢٩).

فالسلف الصالح إنما كانوا على اتباع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فالمتبع لهم ولمنهجهم يكون متبعاً لهدي الكتاب والسنة.(١)

ويقول الإمام الرازي-رحمه الله-: " واعلم أن الاقتداء إنما يجوز بالعالم المهتدي وإنما يكون عالماً مهتدياً إذا بني قوله على الحجة والدليل فإذا لم يكن كذلك لم يكن عالماً مهتدياً، فوجب أن لا يجوز الاقتداء به".(٢)

ويعد التقليد أحد الأسباب التي توقع الإنسان في الإسراف ومجاوزة الحد في جميع الأمور وبخاصة كما حصل من الأمم السابقة وتجاوزهم للحد مما أدى بهم إلى الكـــفر والشرك بالله وكان اكبر سبب في ذلك تقليدهم لآبائهم كما قال تعالى:﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(٣).

" فما أقبح التقليد إذا كان القول المتقبل بغير برهان صحيح شرعي، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم في الشر حتى أوصلهم إلى أن يقلدوا آباءهم في عبادة التماثيل، وهم معتقدون أنهم على شيء".(٤)

والتقليد والمحاكاة غير الشرعيين كانا أحد المداخل التي دخل منها إبليس على هذه الأمة؛ فقد زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم. وبذلك ضل خلق كثير وبه هلاك عامة الناس. والعلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم؛ لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلاّ يوقع في الضلال، وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال تعالى﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم

---

(١) الغلو في الدين وأثره على الأمة بقلم خالد بن حمد الخريف (٢٩) ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. مكتبة الرشد-المملكة العربية السعودية.

(٢) تفسير الرازي (٤٤٨/٤)

(٣) سورة الأنبياء الآية ٥٣

(٤) يُنظر: تفسير الكشاف (١١٩/٣)

بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، ففي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبير. وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة.[2]

كما جاء الذم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[3].

إنه لو لم يكن للتقليد إلا هذا الأثر السيئ في أهله لكان كافياً في شره البليغ هذا، وأي خيرٍ فيمن فسدت عقيدته فعبد غير الله وكلما نصح بالتوحيد من المعصومين الصادقين –عليهم السلام– لإنقاذه من الهلاك الأبدي ما وجد حجة إلا اتباع الآباء والأجداد فيرد بباطله نور الله ووحيه إنه لا شر فوق هذا الشر ولا أعلى منه.

فهؤلاء "اكتفوا بتقليد الآباء وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالة، وهذه شبهة لرد الحق واهية، وهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم لكان الحق هو القصد ومن جعل الحق قصده ووازن بينه وبين غيره تبين له الحق قطعا واتبعه إن كان منصفا".[4]

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢٢ــ ٢٤

(٢) يُنظر: تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، (٦٦) دار القلم بيروت ــ لبنان

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٠

(٤) تفسير السعدي (٨١)

(٥) سورة النحل الآية ٩

(٦) سورة الأعراف الآية ١٤٦

كما جاء الذم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]، وفي ذلك بيان لقصور عقولهم وعنادهم واستعصائهم وانهماكهم في التقليد وانقيادهم للداعي إلى الضلال.[2]

فإذا كان هذا حال التقليد وتأثيره على أهله وإفساد أخلاقهم وعقولهم فكيف يرى أصحابه تمسكهم به إنه انقياد على عمى ومن دون أدنى أثر لبصيرة أو رشد.. ألا ما أذل الإنسان عندما يلغي عقله ويسير مع هواه.

كذلك الإسراف يكون من بعض أسبابه التقليد والمحاكاة للغير حتى لا يوصف أمام الآخرين من قرناء السوء بالبخل أو أنه لا يحترم المبادئ والقيم فيعير من صحبة الشر بذلك. فيبذر جميع أمواله أو بعضها فيما لا فائدة منه، بل فيما هو الضرر بعينه من ألوان المحرمات والمفاسد من لهو وفجور وكلما تمادى في ذلك وجد العهد مع نفسه أو مع رفقائه بمواصلة مسيرته فيه ازداد غرقاً في الشرور وبعداً عن الحق والرشد ولا يبالي بمن ينصحه ويذكره بأنه على فساد أو شر. فلا يسمع لناصح ولا يتعظ من تلقاء نفسه، بأن يتدبر وينظر إلى العاقبة التي سيقع فيها. إن الداء الذي فتك بهذا المسرف هنا ما كان إلا مرض حب التقليد والمحاكاة لقرناء السوء.

ولذلك فإن الاغترار بكثرة المفرطين يعد مسلكاً خاطئاً واتجاهاً منحرفاً، فالله ﷻ لا يدخل الجنة أو النار بحسب الأغلبية وإنما يدخل بالحق والعدل. قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3]، فكثرة الهالكين لا تبرر اتباعهم.[4]

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٤

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي تأليف: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط (٢٨٨/١) ط/١. ٢٠٠١م. دار صادر بيروت–لبنان، وتفسير أبي السعود (٣٢٨/٢)

(٣) سورة الزلزلة الآية ٧، ٨

(٤) يُنظر: الوقت هو الحياة (دراسة منهجية للإفادة من أوقات العمر) تاليف الدكتور/عبد الستار نوير (٧٠) ط/٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الثقافة.

*** حب الظهور والتباهي:**

قد يقع الإنسان في الإسراف وتجاوز الحدود وذلك بسبب حبه للظهور والتباهي أمام الآخرين، بأنه ذو سرفٍ وبذل ويد سخية، أو ذو قوة وشجاعة وبطولة، أو ذو مهارة وذكاء ولا هم له من وراء ذلك إلا العجب والتبـــاهي والظهور والتعالي على الآخرين، لا لمنفعتهم به وإصلاح ما يحتاجون إلى إصلاحه وتقديم ما يحتاجون إليه منه في ذلك شكراً لله على ما أوتي، إنه عن كل ذلك غافل ولا يهمه إلا أن يقال هو كذا وكذا.

ولنعلم أن التباهي والتفاخر أمام الآخرين خصلة نهى الله عز وجل عنها وأمر بعدم التحلي بها، لأنها دليل على تمسك الإنسان بالدنيا والجري وراء ملذاتها؛ فيجره إلى شرور ومفاسد يصعب حصرها.

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

إن الحياة الدنيا دار غرور، ولعب، وتفاخر، ومكاثرة بالأموال والأولاد، فالإنسان فيها يباهي ويتفاخر بماله، وخدمه، وولده، فيفني عمره في هذه الأشياء، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة.[2]

وقد وجه الله نظر عباده وعلى الأخص من لم يأمن فتنتها وربما وقع في حبائلها بأنه ﷻ يفتح باب مغفرة منه ورضوان كبير إغراء لنا بالحرص على هذه الرحمة والحذر من فوتها حيث لا بديل لها بعد إلا العذاب الشديد والعياذ بالله. ثم عاد منبهاً إلى فتنة الدنيا ومآلها وحقيقتها بقوله:﴿ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ قصراً وحصراً على ذلك وكأنه يقول: قد أعذر من أنذر.

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٠.

(٢) يُنظر: زاد المسير (١٤٠٠)

وأخبر ﷻ في آية أخرى عن هذه الدنيا وكيف يكون لهو الإنسان فيها ومدى إسرافه ومجاوزته للحد فقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية بأن ما كان في هذه الدنيا لغير وجهه فهو لعب ولهو، وأن أمور الدنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فإنما هو لعب ولهو، ولنتأمل ذلك في الملابس والمطاعم والمشارب والأموال وغير ذلك. ولنظر إلى حاجة الغني والفقير في الأمور الضرورية فإنها واحدة، كالتنفس في الهواء، وسد الجوع، وستر العورة، وتوقي الحر والبرد، وهذه كلها عظم أمر العيش.[2]

فهذه الضروريات على الإنسان أن يأخذ منها بقدر حاجته ولا يتجاوز الحدود فيها، فكم من إنسان أطغته الحياة الدنيا وزرعت في نفسه حب الظهور والتباهي على الآخرين –وهذا هو الإسراف بعينه– فهلك كما حدث مع قارون[3] فقال تعالى عنه: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٤

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز (١٤٦٩)

(٣) هو: قارون بن يصهر بن قاهث ابن عم موسى عليه السلام على أكثر قول أهل العلم، وكان يسمى النور، لحسن صوته بالتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله. يُنظر: تاريخ الطبري (٢٦٢/١)، والبداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي. تحقيق: دكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح (٣١٨/١) ط/٦. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار الحديث – القاهرة.

عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1].

فأخبر ﷻ في قصة قارون ومدى طغيانه وتجاوزه للحد حتى أهلكه إسرافه هذا، فكان ذا مال ولكن ماله هذا أخرجه من دينه بسبب تعاليه به على نبي الله عليه السلام مما أدى به إلى الطغيان والكفر، وعندما وعظه صالحوا قومه بعدم البطر وشدة الفرح لدرجة الإسراف وعدم الفساد في الأرض والإساءة إلى الخلق تجاوز حده وتلفظ بما لا يليق قوله؛ فقال: إن الله أعطاه هذا المال لأنه يعلم أنه مستحق له. ومن شدة إسرافه وتباهيه أنه خرج على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فاغتر أمام الناس حتى إن بعضهم – ممن يريد الحياة الدنيا ويميل إليها– كانوا يتمنون مثل ما عنده، ولكن أهل العلم عرفوا أن جزاء الله لعباده المؤمنين في الدار الآخرة خير من ذلك.[2]

وقد نهى النبي ﷺ عن الجري وراء الدنيا، والانهماك فيها، وكان يخاف على أمته منها فقال ﷺ: ((والله ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ))[3].

وبذلك يظهر أن التباهي وحب الظهور أمام الناس في الدنيا من الأخلاق السيئة التي نهى عنها الله ورسوله، ولكن يسعى الإنسان بالعمل الصالح في الدنيا لينال المباهاة الحقيقية في الآخرة وينال مباهاة الله به أمام ملائكته كما جاء في قول

---

(١) سورة القصص الآية ٧٦ــ٨٠

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٢٤، ٥٢٥)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب ١٢، (ح/٤٠١٦)(٧٠١). ومسلم في كتاب الزهد والرقائق – باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (ح/٢٩٦١)(١٢٨٣).

الرسول ﷺ: ((أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هذا رَبُّكُمْ قد فَتَحَ بَاباً من أَبْوَابِ السَّمَاءِ يباهي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ يقول هَؤُلَاءِ عبادي قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى))[1].

ولا شك أن ذلك في معنى الإسراف وإن لم يطلق عليه لفظ الإسراف؛ لأن الدنيا إذا بسطت على عبدٍ ولم يقننها أو يضبطها بضوابط الشرع والعقل والرشد فإنها ستسيطر عليه وهو يستكثر منها حباً لشهواتها وزينتها وليس سداً لحاجته، فيؤدي به ذلك إلى التنافس عليها حتى الهلاك، هكذا هو الإسراف وهكذا هي شروره. والتباهي غالباً إذا صدر من العبد فإنه في معنى الإسراف.

وقوله ﷺ: ((ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ)).[2]

*** النشأة الأولى والتربية:**

إن أول نشأة للإنسان وخير تربية له أن الله أوجده على الفطرة السليمة ورباه عليها فقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[3]. فالإنسان في أول أمره وأيام طفولته ينشأ على فطرة سليمة، ونفس صافية، تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر، وتنطبع فيها الأخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الأخلاق السيئة.[4]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٦٧٥٠، ٦٩٤٥)(١٨٦/٢)، وابن ماجة في سننه كتاب المساجد والجماعة – باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة. (ح/٨٠١)(١٥١)، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده، تحقيق: د/محفوظ الرحمن زين الله (ح/٢٣٦٥)(٣٥٧/٦) ط/١. ١٤١٩هـ مؤسسة علوم القرآن بيروت، المدينة. وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن عبد الله بن عمرو ﷺ ولا نعلم له طريقاً عن عبد الله بن عمرو إلا هذا الطريق، والإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في الترغيب والترهيب، تحقيق: أبو عبد الرحمن المكي.(١٤٨/١) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز. وقال: رواه ابن ماجة عن أيوب عنه، ورواته ثقات، وأبو أيوب: هو المراغي العتكي ثقة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. (ح/١٣٤٨) (٥٦٨).

(٣) سورة الروم الآية ٣٠

(٤) يُنظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ (٤٧٠) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

وفي تلك الأيام هو محتاج إلى من يربيه تربية حسنة لأنه سريع التأثر بمن وجد معه في أسرته، ولذلك نجد أن النشأة الأولى للإنسان وبداية حياته في الأسرة وتربيته من قبل الوالدين إن لم تكن سوية مقومةً بقيم الشرع تكون أحد الأسباب في وقوع صاحبها في خُلق الإسراف ومشابهة المسرفين أيا كان نوع الإسراف سواء في العادات أو العبادات.

" فينبغي على كل مسلم أن ينشئ أولاده وأهله على الاتزان، والاعتدال، وعدم المبالغة، أو التباهي أو التفاخر."(١)

وحين يكون رب الأسرة من المتجاوزين للحدود في الإنفاق مثلاً أو الأم كذلك- وهي أساس التربية والتعليم في المنزل- فمن الطبيعي أن ينشأ الإبن أو البنت على هذا الخلق.

فتربية الأبناء أمانة في أعناق والديهم يقول ابن القيم -رحمه الله- :"من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم."(٢)

وقد أخبر النبي ﷺ بذلك في قوله:((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ))(٣).

وقال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراقِ

ويتبع الإهمال في التربية العادات التي يتعود عليها الأبناء دون أن يقوم الآباء بتقويمها، " إن أكثر الناس إنما أوتوا سوء مذاهبهم من عادات الصبا إذا لم يتقدمهم تأديب وإصلاح أخلاقهم وحسن سياستهم فلذلك [لابد أن يؤدب] الصبيان وهم صغار لأنهم ليست لهم عزيمة تعرفهم بما يؤمرون من المذاهب الجميلة والأفعال الحميدة

---

(١) التربية الإسرمية، للأستاذ الدكتور/ محمد منير مرسي (٢٠٢) ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. عالم الكتب.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية. تحقيق: فواز أحمد زمرلي (١٩٣) ط/٢. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الكتاب العربي-بيروت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (ح/١٣٨٥) (٢٤٠)، ومسلم في صحيحه كتاب القدر -باب معنى كل مولود يولد على الفطرة،.....(ح٢٦٥٨)(١١٥٧)

والطرائق المثلى، ولم تغلب عليهم بعد عادة رديئة تمنعهم من اتباع ما يراد بهم من ذلك، فمن عود ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ونال المحبة والكرامة وبلغ غاية السعادة، ولما كان للعادة هذا التأثير الكبير وجب أن يؤدب الأطفال ويعودوا على الأشياء الجميلة وتربيتهم تربية فاضلة.

وقد قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه"[1]

و" للقدوة دور هام في التربية ولا سيما في مرحلة الطفولة، فالطفل يقتدي بمن يراهم ويقلدهم في أعمالهم وسلوكهم، ولذلك عنيت التربية الإسلامية بالقدوة الحسنة"[2].

وها هو ذا عتبة بن أبي سفيان[3] يقول لمؤدب ولده: (ليكن أول إصلاحك بني إصلاحك نفسك فإن عيوبهم معقودة بعيبك، الحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما استقبحت، علمهم كتاب الله عز وجل ولا تملهم منه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الحديث أشوقه ومن الشعر أعمقه ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعلم موضع الداء، جنبهم النساء واشغلهم بسير الحكماء، فأدبهم دوني ولا تتكل علي فقد اتكلت على كفاية منك واستزدني بزيادتهم أزدك)[4].

*** صحبة المسرفين:**

لعل من أهم الأسباب التي تجعل الإنسان يسرف ويتمادى في الإسراف أياً كان مجاله ملازمته لجماعه من المسرفين، ورضاه بصحبتهم ومولاتهم ونصرتهم. ذلك

---

(١) التربية الإسلامية (٢٠٧)

(٢) التربية الإسلامية (٢١٤)

(٣) هو: عتبه بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، ولد على عهد رسول الله ﷺ يكنى أبا الوليد، ولاه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتها، ثم ولاه معاوية مصر. شهد الجمل، وصفين. كان فصيحاً خطيباً، حج بالناس سنة (إحدى وأربعين) وبعدها. توفي سنة (ثلاث وأربعين) يُنظر: الاستيعاب (١٤٦/٣)، والإصابة (٨٨١)

(٤) العيال لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: د/ نجم عبد الرحمن خلف (٥١٧/١) ط/١. ١٤١٠هـ دار ابن القيم السعودية – الدمام.

أن الإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله. ولكن عليه الحذر من تلك الصحبة. حتى لا يكون من السفهاء فإن خلائق السفهاء تعدي، وقد قيل: عن المرء لا تسأل وسل عن خليله فكل قرين بالمقارن يقتدي.

" قال بعض البلغاء: من خير الاختيار: صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار، مودة الأشرار، وهذا صحيح؛ لأن للمصاحبة تأثيراً في اكتساب الأخلاق، فتصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح، وتفسد بمصاحبة أهل الفساد. ولذلك قال الشاعر:

رأيت صلاح المرء يصلح أهلهُ ويُعْدِيهِمُ داءُ الفساد إذا فسد
يُعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويُحفظ بعد الموت في الأهل والولَدْ

وأنشدني بعض أهل الأدب:

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالحٍ بفساد آخر يَفْسُدُ
عَدْوى البليدِ إلى الجليد سريعةٌ والجمرُ يُوضَعُ في الرماد فيَخْمُدُ"[1]

قال تعالى:﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، والمقصود بذلك خلة وصداقة الدنيا إذا كانت على المعصية والكفر فإنها تصير عداوة يوم القيامة، فإذا حصلت بين هؤلاء الأخلاء محبة ومودة في الدنيا فإن كانت تلك المحبة لأجل طلب الدنيا وطيباتها ولذاتها، فهذه المطالب لا تبقى في القيامة، بل يصير طلب الدنيا سبباً لحصول الآلام والآفات يوم القيامة، فلا جَرم أن تنقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة ونفرة في ذلك اليوم.[3]

---

(١) أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (٨٧، ٨٨). دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان

(٢) سورة الزخرف الآية ٦٧

(٣) يُنظر: التفسير الكبير (٦٤٢/٩)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-: "والناس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أبغض بعضهم بعضاً، وإن كانوا فعلوه بتراضيهم، قال طاوس[1] ما أجتمع رجلان على غير ذات الله إلا تفرقا عن تقال[2]، وقال تعالى على لسان الخليل عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] وهؤلاء لا يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً لمجرد كونه عصى الله؛ بل لما حصل له بمشاركته ومعاونته من الضـــرر [قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾[4]]، وقال تعالى عن أصحاب الجنة التي أصبحت كالصريم[5]، ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[6]، أي: يلوم بعضهم بعضاً".[7]

---

(١) طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن الهمداني اليماني الجندي من أبناء فارس، كان رأساً في العلم والعمل، أحد شيوخ أهل اليمن. مات قبل يوم التروية بيوم سنة (ست ومائة) كان رحمه الله ثقة. يُنظر: التاريخ الكبير (٤/ ٣٦٥)، والثقات (٣٩١/٤) .

(٢) ولعله يريد أن كلا منهما يقل ويصغر في نظر الآخر حيناً بعد حين ويوم بعد يوم بل وساعة بعد ساعة، حتى ينمحي ما بينهما وربما انقلب عدوين في الدنيا قبل الآخرة وهو الحاصل في مثل هذه العلاقات التي لم تؤسس على تقوى.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٥

(٤) سورة الحشر الآية ١٦

(٥) معنى الصريم : قطعة منصرمة عن الرمل، قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة القلم الآية٢٠ قيل أصبحت كالأشجار الصريمة أي المصروم حملها، وقيل كالليل لأن الليل يقال له الصريم أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها. يُنظر: المفردات للراغب (٣١٣)

(٦) سورة القلم الآية ٣٠ ،٣١

(٧) التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بابن تيمية. جمع ودراسة وتحقيق وتخريج: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي (١٦٧/٦) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار الفكر بيروت – لبنان.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾[1].

" والصحبة السيئة تحسن القبيح وتقبح الحسن، وتجر المرء إلى الرذيلة؛ ذلك أن المرء يتأثر بعادات جليسه، فالصاحب ساحب، والطبع استراق".[2]

قال ﷺ: ((الرَّجُلُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ))[3].

ثالثاً: تحول الأحوال وتبدلها بالإنسان:

إن الإنسان – ما لم يكن محيطاً نفسه بمنهج الله وشرعه متأدباً بآداب دينه، مراقباً ربه – يكون عرضة للعقبات تتقاذفه أمواج الشر والفتن من غير مقاومة منه لشيء منها فيميل مع الهوى حيث مال به. بل ربما دافع عن ميله هذا زاعما أنه على الحق متهماً غيره بأنه على الباطل حتى يكبر أمام نفسه فلا يسلم بنصح غيره له و يقبل توجيهه خوفاً من أن يرى نقصاً في ذاته فإذا تمكن ذلك الشعور منه قاتل دونه وإن هلك فإنه يرى أنه على صواب كبير.. وهكذا صم المسرفون آذانهم وأغلقوا أفهامهم عن توجيهات الأنبياء – عليهم السلام – والناصحين المخلصين متعللين بعلل كثيرة ليقاوموا نصح كل ناصح.

وفي ذلك جاء القرآن الكريم لينبه البشرية وعموم المكلفين إلى ذلك الشر، ليحذرهم منه قبل أن يتمكن منهم.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦

(٢) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، تقديم الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد (٧٤) ط/٤. ١٤١٩هـ. دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية–الرياض.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس (ح/٤٨٣٣)،(٧٢٥) حكم على أحاديثه العلامة محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيده مشهور بن حسن آل سليمان. ط/١. مكتبة المعارف الرياض، وأخرجه الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي في سننه كتاب الزهد عن رسول الله: (ح/٢٣٧٨)،(٥٣٥) حكم على أحاديثه العلامة محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيده مشهور بن حسن آل سليمان. ط/١. مكتبة المعارف الرياض. وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

وسنة الله في كونه وخلقه التبديل والتغير لتجود الحياة بأصحابها ويستشعرون قيمتها ويعطون أجرهم بحسب كسبهم قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

ومن أنواع الأحوال وتبدلها بالإنسان أذكر ما يلي:

*** السعة بعد الضيق:**

من أسباب الإسراف عيش الإنسان في ضيق وحرج وحرمان أياً كان نوعه فترة ما من الزمن، ثم يحدث بعد ذلك الضيق – وبخاصة إن طال زمنه– الفرج واليسر فيتبدل حاله وتتقلب أحواله وبدلاً من أن يشكر الله على هذه النعمة يتجاوز حده ليقلبها عليه نقمة فيبدأ بالإسراف فيها وتجاوز حدود الله في أوامره ونواهيه. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

فهذا دليل واضح يبين طبيعة الإنسان، وأنه إذا مسه الضر، من مرض أو مصيبة أو فقر وحاجة اجتهد في الدعاء وسأل الله في جميع أحواله، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره. ولكنه بعد تفريج تلك الكربة وذلك الضيق يستمـــر في غفلته معرضاً عن ربه، وذلك هو أشـــد أنواع التجاوز في حدود الله.[3]

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٤٠-١٤٢

(٢) سورة يونس الآية ١٢

(٣) يُنظر: تفسير السعدي (٣٥٩)

" إن الإنسان الكافر سرعان ما ينسى ربه الذي دعاه ففرج ما به كذلك حال المسرفين في الظلم والشر فإنهم يرون ما هم عليه هو العدل والخير ولذا يستمرون في ظلمهم وشرهم وفسادهم".[1]

لعل المراد بالإنسان في الآية الكريمة الكافر، وعندما يشبه المسرف الكافر يكون حينئذ ذا شبه ومثال سيئ فليس بعد الكفر ذنب فكما زين للكافر كفره وجحوده خالقه الذي أنعم عليه بنعم لا تحصى وهو لا يستعملها إلا في ضد ما هي له، وكذلك المسرف أشبه الكافر عندما يعطي توسعةً بعد الضيق وصحةً بعد المرض ويسراً بعد العسر لا يعود بحفظ هذه النعمة أو نسبتها إلى معطيها إياه ﷻ فلا هو يحفظ نفسه ولا يحفظ حق خالقه مع أنه بالأمس كان شديد التضرع ملحاً فيه، فلما أجيب إلى مطلبه نسي أو تناسى ضره وضيقه وهام على وجهه يتخبط في كل وادٍ، فلا شك أن هذا الإسراف أثر من آثار الكفر، وكذلك كل مسرف﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

وقد بين الله ﷻ ذلك التجاوز وذلك الإسراف في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[4].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تاليف ابي بكر الجزائري (٢/٤٥٤) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة–المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٤

(٣) سورة الروم الآية ٣٣، ٣٤

(٤) سورة الزمر الآية ٨

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1]

يقول الإمام الرازي –رحمه الله – : " أن الإنسان جبل على الضعف والعجز وقلة الصبر، وجبل أيضاً على الغرور والبطر، والنسيان والتمرد والعتو، فإذا نزل به البلاء حمله ضعفه وعجزه على كثرة الدعاء والتضرع، وإظهار الخضوع والانقياد، وإذا زال البلاء ووقع في الراحة استولى عليه النسيان فنسي إحسان الله تعالى إليه ووقع في البغي والطغيان والجحود والكفران".[2]

وبتفريج الكرب قد يفرح الإنسان فرحاً مطغياً يتجاوز به حد الاعتدال مغضباً الله عليه ولذلك نجد أن الله ﷻ ينهى عن الفرح الزائد المؤدي إلى بطر النعمة ونسيان المنعم والغفلة عن مراقبته وعن حقوقه الذي به يقع الإسراف قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

ومعنى ذلك: لا تبطّروا ولا تأشّروا وعلى الإنسان ألا يجاوز ما حده الله تعالى ولا يجزع عند المصيبة جزعاً يخرجه إلى ترك الرضا، ولا يفرح عند النعمة فرحاً يخرجه عن طاعة الله أو يمسكها عن حقوقها.[4]

" والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما إلى ما لا يجوز، وإلا فليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح."[5]

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٧

(٢) التفسير الكبير (٢٢٢/٦)

(٣) سورة الحديد الآية ٢٣

(٤) يُنظر: تفسير السمعاني (٢٧٧/٥)

(٥) فتح القدير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني. حققه الدكتور/عبد الرحمن عميرة (٢٣٤/٥) ط/٢. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. دار الوفاء للطباعة والنشر مصر–المنصورة.

ويقول الإمام الرازي – رحمه الله – : "الواجب على الإنسان العاقل أن يكون صابراً عند نزول البلاء شاكراً عند الفوز بالنعماء، ومن شأنه أن يكون كثير الدعاء في أوقات الراحة حتى يكون مجاب الدعوة في وقت المحنة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((مَنْ سرَّه أن يُستجابَ له عندَ الكرب والشدائد فلْيُكثرِ الدعاءِ عند الرخاءِ))[1]".[2]

وهكذا إن أراد الإنسان أن يتجنب الإسراف في حالتي الفعل والقول، أو الترك ويتجاوز أسبابه، عليه أن يوقن بأن ما أوتيه من شيء أو ما فاته إنما هو بتقدير العزيز العليم وعندئذ يكون معتدلاً مقتصداً في عموم حاله فيرضي الله عنه ويفرج عنه كربه ويصرف عنه همه ويبارك له فيما أعطاه.

وذلك لأن الإسراف يمنع من رضا الله ويغلق أبواب البركة والرحمة والله من وراء القصد.

وليس ما ذكرته من الأسباب حصراً واستقراءً وإنما هو تمثيلٌ وتذكير ببعضها أو أعمها وأغلبها.

---

(١) أخرجه سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم في الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (ح/٤٤)(٣٤) ط/١. ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية بروت، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (ح/٢٠٤١) (٢/٢٣٩) وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد احتج البخاري بأبي صالح وأبو عامر الألهاني أظنه الهوزاني وهو صدوق.

(٢) التفسير الكبير (٦/٢٢٠)

المبحث الثاني
صـــفات المـــسرفين

ورد في القرآن الكريم كثير من صفات المسرفين وهي إما أفعالٌ أو متروكات فيها تجاوزٌ للحد في جميع الأمور والأحوال حيث وصفهم الله بها على ألسنة أنبيائه -عليهم السلام- وذلك في عدد من الآيات التي جاءت تحمل هذه الصفات السيئة.

*** وصف المسرفين بالجهل:**

الجهل صفة مطلقة وصف الله بها جميع المتجـــاوزين حدودهـــم مع الله عز وجل حيث قال: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[1]، فقد "وصفهم بالجهل المطلق وأكده؛ لبعدٍ صدرَ عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل."[2]

يقول الإمام الشوكاني[3] -رحمه الله- : "وصفهم بالجهل لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله ولكن هؤلاء القوم أعني بنى إسرائيل أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلوناً" [4].

ويقول الشيخ السعدي: "وأي جهل أعظم من جهل الإنسان ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً".[5]

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣٨

(٢) تفسير البيضاوي (٣٥٩/١)

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني، نشأ بمدينة صنعاء. قام بالتدريس، والفتوى، وتولية القضاء، له تصانيف منها: فتح القدير، الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح وغيرها. توفي سنة (خمسين ومائتين وألف) ينظر: التفسير والمفسرون تأليف: الدكتور/ محمد حسين الذهبي، قام بضبط نصوصه الشيخ أحمد الزعبي (٢٠٠/٢-٢١٠) شركة الرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر بيروت – لبنان، والمجددون في الإسلام لعبد المعتال الصعيدي (٤٧٢-٤٧٥) دار النشر الآداب ومطبعتها بالجماميز.

(٤) فتح القدير (٢٤٢/٢)

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٣٠٢)

وكذلك جاء الوصف بالجهل لمن لا يتزحزحون عن الشرك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]، فوصفهم بالجهل؛ لأن " من أعرض عن عبادة الإله الموصوف بالصفات [الشريفة المقدسة] واشتغل بعبادة الأجسام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه فلهذا السبب قال: ﴿ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع"[2].

وهذا أعظم تجاوز للحد الذي وضع للعبد حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[3].

وكما كان الجهل سبباً في انحراف العبد في عقيدته ورضاه بالشرك بل وحرصه عليه بدلاً من التوحيد نجده سبباً في كل انحراف خلقي ومنه ما كان من قوم لوط. يقول تعالى على لسان نبيهم عليه السلام: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[4].

فالجهل هنا جاء صفة للمسرفين الذين تجاوزوا حدود العقل الرشيد وفارقوا أوامر الشرع بل وسفهوا الدعاة إلى الإستقامة والبعد عن النقائص، وعليه يمكن أن نقول "إن كل إسراف جهل وكل جهل إسراف"[5].

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ " متجاوزون لحدود الله، متجرئون على محارمه" [6].

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٤

(٢) يُنظر: التفسير الكبير (٩/٤٧١، ٤٧٢)

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٦

(٤) سورة النمل الآية ٥٥

(٥) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر عطا (٨٦) دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٦٠٧)

ووصف الله قوم لوط عليه السلام على لسان نبيهم بأنهم قوم يجهلون، فهم يفعلون فعل الجاهلين بقبحه، أو أنهم يجهلون عاقبة ذلك الفعل، ويحتمل الجهل عدداً من المعاني فقد يكون بمعنى السفاهة والمجون أي: بل أنتم قوم سفهاء ماجنون.[1]

وعلى كلٍ فهذه الأحوال الأربعة – الجهل بقبح الشيء، أو الجهل بعاقبته السيئة في الدنيا والآخرة، أو السفه والمجون، أو عدم المبالاة والحذر من اللؤم والتسفيه– صفات حقيقية للمسرفين نتجت فيهم وترعرعت بسبب الجهل، وبدلاً أن يوصفوا بالفرع – وهو الإسراف– وصفوا أو أُخبر عنهم بالأصل وهو الجهل.

*** وصف المسرفين بالفسق وسوء الفعال وعمل الخبائث:**

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[2]، هذه الآية الكريمة جاءت تحمل صفتين من صفات المسرفين وهي: أنهم قوم سوء، وأنهم فاسقون.

أراد سبحانه بأنهم قوم سوء " أي: أصحاب عمل سيئ، ولهم عند الله جزاء يسوؤهم" [3]. والفسق بمعنى: الترك لأمر الله والخروج عن طريق الحق.[4]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]. فقد وصفهم الله عز وجل في الآية بأنهم قومٌ خارجون عن طاعته وعن طريق الحق، كما وصفهم فيما سبق بأنهم قومٌ مسرفون.

---

(١) يُنظر: تفسير الزمخشري (٣٦٢/٣)، والتفسير الكبير(٥٦٢/٨)، وتفسير أبي السعود (٩٢/٥)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي. تحقيق: محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي (٢٨٢/١٩) ط/١. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. دار إحياء التراث العربي بيروت–لبنان.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٧٤

(٣) أضواء البيان (٧٤٤/٤)

(٤) الكليات (٦٩٣)

(٥) سورة العنكبوت الآية ٣٤

يقول الشيخ المراغي[1] – رحمه الله –:"أنهم خارجون عن طاعة الله وهذا الذي حملهم وجرأهم على ارتكاب معاصيهم وانتهاك حرمات الله"[2] وفي ذلك إسراف وتجاوز للحد في معصية الله عز وجل.

وقال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

يعد ما فعله قوم لوط عليه السلام أعظم الفسوق وأبشع الخبائث على وجه الأرض وفي هذه الآية وبخ لوط عليه السلام قومه توبيخاً شديداً وبين لهم سوء عملهم وقبيح فعلهم الذي لم يسبقهم به أحد فقد " تجاوزوا النساء اللواتي هن محل قضاء الشهوة بحسب الفطرة السليمة، بل إنهم لا يستحوون من فعلهم فهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء.. وهذا دليل على إسرافهم في اللذات، وتجاوزهم حدود الفطرة والعقل، وجهالتهم عواقب الأمور، فهم لا يقدرون ضرر ذلك على الصحة والحياة، فهو مرض مميت، كما دلت إحصاءات موتى الإيدز (فقد المناعة) في الحاضر أكثر من مئة ألف، وفي نهاية القرن العشرين أربعة ملايين، دون اكتشاف علاج له.

[ومن خبائثهم وانطماس بصائرهم قلبهم لحقائق الأشياء وجعلهم ما هو عنوان الخير وسبب المدح والثناء عنواناً للذم وسبباً للمقاطعة والمعاداة بل جعلوه داعية إلى إخراج نبي الله ومن تبعه من قريتهم وفي ذلك قال الله عنهم:﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(١) هو: محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، مفسراً، وفقيهاً، وعالم مشارك في كثير من العلوم. ولي القضاء الشرعي، وقضاء السودان، عين شيخاً للأزهر. من آثاره: بحوث في التشريع الإسلامي، والدروس الدينية. توفي سنة (أربع وستين وثلاثمائة وألف). ينظر: معجم المؤلفين تأليف: عمر رضا كحالة (٣٤/١٢)، والمجددون في الإسلام (٥٤٥-٥٤٩).

(٢) تفسير المراغي (٥٤/٦)

(٣) سورة الأعراف الآية ٨٠-٨٢

قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] فلم يكن جواب القوم على إنكار لوط عليه السلام ونصحه لهم يدل على الندم والرجوع عن الخطأ والضلال وإنكار الفاحشة وتعظيم أمرها، وإنما هموا بإخراج لوط ونفيه ومن معه من المؤمنين تضجراً منهم ومن سماع مواعظهم"[2]

وجاءت الآيات صريحة في وصف هؤلاء المسرفين بما يعملون من الخبائث فقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[3].

يقول الشيخ الشنقيطي-رحمه الله- : "والخبائث التي كانت تعملها جاءت موضحة في آيات من كتاب الله مِنْهَا اللواط وأنهم هم أول من فعله من الناس كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[4]، وقال: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[5]، ومن الخبائث المذكورة إتيانهم المنكر في ناديهم وقطعهم الطريق كما قال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾[6]، ومن أعظم خبائثهم تكذيب نبي الله لوط وتهديدهم له بالإخراج من الوطن كما قال تعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾[7]".[8]

فانظر إلى أي حد عمت بصائرهم فقلبوا الحقائق لتكون أباطيل فهذا ما يتركه الإسراف في أهله والله المستعان.

---

(١) سورة النمل الآية ٥٦

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٦٨٨/١، ٦٨٩)

(٣) سورة الأنبياء الآية ٧٤

(٤) سورة الأعراف الآية ٨٠

(٥) سورة الشعراء الآية ١٦٥، ١٦٦

(٦) سورة العنكبوت الآية ٢٩

(٧) سورة الشعراء الآية ١٦٧

(٨) أضواء البيان (٧٤٣/٤)

*** وصف المسرفين بالعدوان:**

يعد الإسراف جملة وتفصيلاً اعتداءً وقد عبر عنه بصريح لفظ العدوان في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[1].

فقد جاء في هذه الآية قوله تعالى: ﴿ عَادُونَ ﴾ أي: معتدون متجاوزون الحد والطور[2]. وهذه لفظة تحمل كل معاني الاعتداء ووقوعه من أصحابه متكرراً وكأنه شيءٌ ثابت ودائم هذا العدوان من قوم لوط عليه السلام هو بعينه الذي سمي إسرافاً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[3]، وعليه يكون وصف المسرفين بالعدوان هو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن إجتهاداً.

وأكد سبحانه وصفهم بالمعتدين في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[4]، فوصفهم بهذه الصفة السيئة دليل على أنهم " متجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد، وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال"[5].

وهذا هو بعينه الإسراف حيث كُذِب الصادقون على الرغم مما جاؤوا به من البينات الواضحات قاطعين بها معاذير الخصوم.

*** وصف المسرفين بأنهم مترفون:**

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٦٥، ١٦٦
(٢) يُنظر: المفردات للراغب (٣٢٦)
(٣) سورة الأعراف الآية ٨١
(٤) سورة يونس الآية ٧٤
(٥) تفسير أبي السعود (٢٦٥/٣)

قال تعالى :﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]. وصف الله أصحاب الشمال بأنهم المتجاوزون حدودهم المترفون المنغمسون في التنعم. يقول ابن جرير– رحمه الله– : "إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم في الدنيا مترفين، يعني متنعمين"[2] .

وقد ذكر الله عز وجل وصفهم بالمترفين في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[3]، " ونسب القول إلى المترفين مع أن غيرهم أيضاً قالوا:﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ لأن الأغنياء المترفين هم الأصل في ذلك القول."[4]

يقول الإمام الألوسي[5] –رحمه الله– : " وتخصيص المترفين بالتكذيب لأنهم في الأغلب أول المكذبين للرسل عليهم السلام لما شغلوا به من زخرفة الدنيا وما غلب على قلوبهم منها فهم منهمكون في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها بخلاف الفقراء فإن قلوبهم لخلوها من ذلك أقبل للخير ولذلك تراهم أكثر أتباع الأنبياء عليهم السلام"[6].

---

(١) سورة الواقعة الآية ٤١ــ٤٥

(٢) جامع البيان (٧٨٥٥/٩)

(٣) سورة سبأ الآية ٣٤

(٤) التفسير الكبير (٢٠٩/٩)

(٥) هو: شهاب الدين أبو المعالي السيد محمود شكري أفندي الألوسي البغدادي، كان شيخ العلماء في العراق، اشتغل بالتدريس والتأليف، كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل. تقدم في العلوم العقلية والنقلية، حارب البدع والخرافات، ودعا إلى نهج السلف الصالح، وحارب التصوف. له تصانيف كثيرة منها: بلوغ الأرب في أحوال العرب، سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين، تفسير روح المعاني، وغيرها. توفي سنة (سبعين ومائتين وألف) يُنظر: التفسير والمفسرون (٢٣١/١، ٢٣٢)، ومشاهير علماء نجد وغيرهم (٢٨٦، ٢٨٧).

(٦) روح المعاني (٤٣٨/٢٢)، ويُنظر: البحر المحيط، تأليف: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي. حقق أصوله: د. عبد الرزاق المهدي. (٣٧٦/٧) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت–لبنان.

وقال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾[1].

وهذا "دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم لأسلافهم وأن متقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور إليه وتخصيص المترفين بتلك المقالة للإيذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد."[2]

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾[4].

"وتخصيص المترفين بما ذكر لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم."[5]

*** وصف المسرفين بأنهم مبذرون وإخوان الشياطين:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾[6].

في هذه الآية ورد وصف آخر للمسرفين المتجاوزين حدودهم، فقد وصفهم الله بالمبذرين المنفقين أموالهم في غير موضعها. كما ورد في الآية نفسها وصف آخر فقد جعلهم الله إخواناً للشياطين.

يقول الشيخ السعدي ــ رحمه الله ــ:"لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصا دعاه إلى الإسراف والتبذير"[1].

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢٣

(٢) روح المعاني (١٠٤/٢٥)، وتفسير أبو السعود (٣٠/٦)

(٣) سورة المؤمنون الآية ٦٤

(٤) سورة الإسراء الآية ١٦

(٥) روح المعاني (٣٣٩/١٨)

(٦) سورة الإسراء الآية ٢٧

وفي هذه الآية بيان أن" أسلوب القرآن ووصفه للمبذرين بأنهم إخوان الشياطين أسلوباً لاذعاً وتصويراً عالياً أبرز المبذرين في صورة بشعة حيث كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لنعم ربه كفوراً، وهكذا المبذرون كفروا بنعمة ربهم وفرقوا المال في غير موضعه، وأسرفوا فيه إسرافاً مذموماً لمجاوزتهم الحد المستحسن شرعاً، والآية تفيد أن المبذر مماثل للشيطان والشيطان كفورٌ لربه فالمبذر كفور لربه جاحدُ لنعمته"[٢].

*** وصف المسرفين بالاستعجال:**

العجلة طبع من طبائع البشر قال تعالى:﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴾[٣].

أي: " لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان إيذاناً بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه، ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد".[٤]

وبالرغم من أن الإنسان جبل على العجلة إلا أنه ﷻ نهى عنها ولا تعارض في ذلك فقال تعالى:﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ ﴾.

وذلك: " لأن العائق كلما كان أشد، كانت القدرة على مخالفته أكمل، فكأنه- سبحانه- نبه بهذا على أن ترك الاستعجال حالة شريفة عالية مرغوب فيها".[٥]

فالمسرفون في الكفر والعناد كانوا يستعجلون ويطلبون تقديم الشيء قبل وقته ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ ﴾[٦]، وقوله:﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٥٦)
(٢) التفسير الواضح (٢٠/١٥)
(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٧
(٤) تفسير أبي السعود (٣٣٦/٤)
(٥) التفسير الكبير (١٤٤/٨)
(٦) سورة الرعد الآية ٦

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[1]، وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[2].

إن الإنسان: " يتعجل الخير؛ لأنه يحبه، ويتعجل الشر حين الغضب والحماقة والضجر، فلو يعجل أو يسرع الله إجابة دعائهم في حال الشر، كاستعجالهم تحقيق الخير، لأميتوا وأهلكوا".[3]

فكان استعجالهم هذا كفراً وتكذيباً، وتكبراً وعناداً، واستهزاءً برسول الله ﷺ "وذلك دأب الظالمين في كل حين. يرون مصارع الظالمين، ويقرؤون أخبارهم ويعلمون مصائرهم. ثم إذا هم يسلكون طريقهم غير ناظرين إلى الطريق! فإذا ذكروا بما نال أسلافهم استبعدوا أن يصيبهم ما أصابهم... ثم يطغى بهم الغرور والاستهتار إذا أملى لهم الله على سبيل الاختبار. فإذا هم يسخرون ممن يخوفهم ذلك المصير. وإذا هم من-السخرية- يستعجلون ما يوعدون! ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ فهو آت في موعده الذي أراده الله وقدره وفق حكمته. واستعجال الناس به لا يعجله كي لا تبطل الحكمة المقصودة من تأجيله. وتقدير الزمن في حساب الله غيره في حساب البشر: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[4]".[5]

*** وصف المسرفين بالجدال في آيات الله:**

إن من شدة عناد المسرفين أنهم كانوا كثيراً ما يجادلون في آيات الله وقد وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٣، ٥٤
(٢) الحج الآية ٤٧
(٣) التفسير المنير (١٢٦/٦)
(٤) سورة الحج الآية ٤٧
(٥) في ظلال القرآن (٢٤٣٠/٤)

تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله– : " يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن وجلالته وعمومه وأنه صرف فيه من كل مثل أي من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة والسعادة الأبدية وكل طريق يعصم من الشر والهلاك ففيه أمثال الحلال والحرام وجزاء الأعمال والترغيب والترهيب والأخبار الصادقة النافعة للقلوب اعتقادا وطمأنينة ونورا وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة وعدم المنازعة له في أمر من الأمور ومع ذلك كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ أي مجادلة ومنازعة فيه مع أن ذلك غير لائق بهم ولا عدل منهم والذي أوجب له ذلك وعدم الإيمان بالله إنما هو الظلم والعناد لا لقصور في بيانه وحجته وبرهانه".[2]

كما بين ﷻ هذه الصفة في قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : " أنه لا يجوز أن يعارض كتاب الله بغير كتاب الله لا بفعل أحد ولا أمره، لا دولة ولا سياسة، فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، ولكن يجوز أن يكون في آيات الله ناسخ ومنسوخ، فيعارض منسوخه ناسخه".[4]

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٤-٥٦

(٢) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٨٠)

(٣) سورة غافر الآية ٣٤، ٣٥

(٤) التفسير الكامل (٩٣/٦)

وجدالهم هذا بغير علم وإنما مبني على جهل عظيم ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[6].

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾[7].

يقول الإمام الزمخشري –رحمه الله– : " وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعضّ فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ﴿ وَيَتَّبِعُ ﴾ في ذلك خطوات ﴿ كُلَّ شَيْطَٰنٍ ﴾ عاتٍ، علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار "[8].

---

(١) سورة يس الآية ٧٧، ٧٨

(٢) سورة النحل الآية ٤

(٣) سورة الكهف الآية ٥٦

(٤) سورة الشورى الآية ١٦

(٥) سورة الزخرف الآية ٥٨

(٦) سورة الأنعام الآية ٢٥

(٧) سورة الحج الآية ٣

(٨) تفسير الكشاف (١٤٠/٣)

الباب الثاني

أنواع

الإسراف

الباب الثاني

" أنـواع الإســراف "

تـوطئة :

إنه تبعا لطبيعة الإنسان وتقلباته في حياته الدنيا تتنوع أفعاله، والمستقرئ لحال البشر يرى في جلاء ووضوح ذلك الاختلاف والتبـاين في تصرفـات الإنسان، ومناسبة لمفهوم البحث أذكر هنا أنواع الإســراف؛ فأقول وبالله التوفيق:

الإســراف ليس نوعاً واحداً، وإنمــا له أنواع متعــددة:

فالمعاصي والعمل بها تعد إسرافاً لا شك فيه، وأشدها وأعلاها الشرك بالله- تعالى- ومحـــادة المشركين لرسلهم عليهم السلام- ثم بعده أنواع الأفعال المباحة على اختلاف درجاتهـــا البدنيـــة والقلبية والقولية.

ومنها ما يتعلق بحق الإنسان وبحق الغير، وما يتعلق بذلك الكون الفسيح الذي خلقـــه الله تعالى صالحـــاً ولكن المسرفين المفسدين في الأرض يهلكون الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .....

ولا يستغرب أن يكون الإسراف واقعاً في المباحات: وذلك بالتصرف فيها، والتعامل معها تصرفاً منضبطاً بأوامر الشرع الحكيم وتوجيهاته.

ومن باب التذكير أقول: إن الإسراف - أيضاً- يقع في عدد من العبادات بأنواعها. وهذه الأنواع سوف أتناولها بالتفصيل في مظانها خلال الرسالة بإذن الله تعالى وإن ذلك سيكون على طريق التمثيل لا الحصر.

الفصل الأول

الإسراف في المباحات

ويتضمن ستة مباحث

المبحث الأول

الإسراف في المأكل والمشرب

المبحث الثاني

الإسراف في الزينة

المبحث الثالث

الإسراف في البناء والمركب

المبحث الرابع

الإسراف في استيفاء الحقوق

المبحث الخامس

الإسراف في المناسبات

المبحث السادس

الإسراف في اللهو والترفيه

الفصل الأول
الإسراف في المباحات

إنه دين الله –ﷻ – لم يترك لنا شاردة ولا واردة تتم بها سعادتنا في الدنيا والآخرة إلا ذكرنا ونصحنا بالاستمساك بأطرافها، وعدم التهاون فيها إن كان ذلك أمراً أو إن كان نهياً فقد ذكرنا ونصحنا بالبعد عنه ومجافاته وعدم الاقتراب منه، وحذرنا عواقبه ورهبنا منه. ولذلك نرى آية من كتاب الله ﷻ– وهو دستور ديننا وميثاقه الذي واثقنا الله به، قد "جمعت أصول أحكـــام الشريعة كلها من الأمر والنهي والإباحة والخبر فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[1]".[2]

هذه نعم الله ﷻ العظمى يفيضها علينا لنكون بها أعزة كرماء، يعلونا الاعتدال وجماله، وبهاء الإيمان يزين باطننا. وعندما تخلو زينتنـــا الظاهرة والباطنة من خلق الإســـراف الذي يبغضه الإسلام فإن حب الله – تعالى– يحيط بنا، وقد تزينت أرواحنا بنور شرع الله ﷻ.

والإسراف يقع في المباحات كما يقع في غيرها، يقول ابن تيمية –رحمه الله–: " **والإسراف في المباحات** هو مجاوزة الحد، وهو العدوان المحرم، وترك فضولها هو من الزهد المباح. وأما الامتناع من فعل المباحات مطلقاً كالذي يمتنع من أكل اللحم، وأكل الخبز، أو شرب الماء، أو لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب، فهذا جاهل ضال من

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١

(٢) بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية، تحقيق: د/محمد الاسكندراني، عدنان درويش (٥٣٩) ط/١. ١٤٢٢هـــ /٢٠٠١م. دار الكتاب العربي–بيروت، والبرهان في علوم القرآن، للإمـــام بدر الدين الزركشي.(١٣/٢). ١٤٢٢هـــ/٢٠٠١م. دار الكتب العلميـــة بيروت ــ لبنان، و بدائع التفسير: للإمام ابن قيم الجوزية. جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد. (٢٠٧/٢). ط١/ ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م. دار بن الجوزي للنشر والتوزيع.

جنس زهاد النصارى. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]".[2]

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله–: "والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المأكل والمشرب واللباس، وإما بتجاوز الحلال والحرام".[3]

وربما قيل: إن الإسراف في المباحات لا شيء فيه وهذا أعظم الخطأ فقد قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[4]، فالنهي هنا عن الإسراف في أهم وأعظم المباحات وقد تكون أحياناً واجبات وهي الأكل والشرب فمن باب أولى أن يكون النهي عن غيرها وإن كان مباحاً؛ لأنه قد يكون الإسراف في المباحات أمراً قبيحاً ولذلك " قبيح بنا أن ننقاد لهوانا، ونركن إلى الطيش، والغرور فنستدين لنتطاول في البنيان، ونتفاخر بتشييد الدور. وقبيح بنا أن نضيع أموالنا في خانات وبيوت الملاهي والفجور، وحرام علينا والله أن نمد أيدينا إلى المصارف الأجنبية، ونحمل أنفسنا مالا طاقة لها به، ونوقعها في ذل وهم لا خلاص لنا منه، ولا نبالي بحرمة الربا وعواقبه الوخيمة. ونتائجه السيئة. قبيح بنا أن تكون أعمالنا كمعاول الهدم ننقض بها ما بنى الآباء والأجداد من الثروة، وجمعوا لنا من الأموال. لم يكفنا جهلنا بوسائل الثروة، بل أضعنا ما في أيدينا، ومكنا المرابين من أساس حياتنا وموارد أرزاقنا، وجعلنا للأجانب يداً علينا، كل هذا من إسرافنا وسوء

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٧، ٨٨

(٢) مجموعة الفتاوى (٨٣/٢٢)، والآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي. خرج أحاديثه أبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقي (١٣٤/٣) ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٨٧)

(٤) سورة الأعراف الآية ٣١

تصرفنا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] هذه أفراحنا، هل وقفنا فيها عند حدود الشريعة الغراء، وكلها حكمة ورحمة ؟ هل وقفنا فيها عند ما يرضاه العقل السليم والرأي السديد! هل تركنا فيها الإسراف والتبذير رياءً وافتخاراً! هل تركنا نصب السرادقات وتعليق الرايات، والمصابيح وإحضار المغنين والمغنيات والمطربين والمطربات؟ وتلك مآتمنا هل اتبعنا فيها سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وسنة السلف الصالح من بعده؟. هل منعنا منها نوح النائحات وندب النادبات، كلا بل ضللنا سواء السبيل، وتجاوزنا حد الاعتدال في جميع أمورنا، واستحوذ الشيطان من ضعفنا على عقولنا، وكل هذا وبال علينا، وعلة ضعفنا، وسبب تأخرنا ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[2]".[3]

---

(١) سورة يونس الآية ٤٤

(٢) سورة النحل الآية ١١٨

(٣) هداية المرشدين (٥٠٠)

المبحث الأول
الإسراف في المأكل والمشرب

أمر الله – تعالى– عباده بالأكل والشرب لأنه ﷻ يعلم مدى حاجة الإنسان إلى ذلك، وإن حياة الإنسان وطبيعة بناء جسمه لابد له من الطعام والشراب. " ولما كان مقصود ذوي الألباب لقاء الله – تعالى– في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقائه إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات، فمن هذا الوجه قال بعض السلف: إن الأكل من الدين، وعليه نبه قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾[1]".[2]

وهذه حقيقة قد اتفقت عليها الديانات والشرائع جميعها، إلا الديانات الوضعية التي ضيقت على الإنسان في المأكل والمشرب وحرمت بعض ما أحله الله له.

كما فعل الهنود بجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة ووضعها نصب العين لكي يراها البصر وتتحرك النفس البهيمية فتشتاق إليها، فتُمنع النفس عنها حتى يذبل البدن، وتضعف النفس، وتفارق البدن لضعف الرباط الذي كان يربطها[3]. وكما فعل غيرهم من الرهبان والأحبار في التدخل في التحليل والتحريم على أهوائهم.

والإسلام أمر بالأكل والشرب من الطيبات ونهى عن الخبائث، جاء ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[4].

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥١

(٢) موعظة المؤمنين (١٥٠)

(٣) يُنظر: الملل والنحل، تأليف: ابي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. تحقيق: محمد سيد كيلان (٢٦٣/٢) المكتبة الفيصلية– مكة المكرمة.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٧

إلا أنه حذر من أمر عظيم وشرر خطير قد يقع فيه الإنسان، وهو الإسراف في الأكل حتى وإن كان هذا الطعام والشراب حلالاً طيباً. فقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]

ففي هذه الآية دليل على أن الأمر فيهما للإباحة، والإسراف بأن يأكل ما لا يحل أكله، أو يأكل مما يحل أكله فوق الشبع ومقدار الحاجة، وقال الأطباء أن الطب كله مجموع في هذه الآية.[2]

يقول الإمام الشوكاني- رحمه الله-: " **أمر الله – سبحانه- عباده بالأكل والشرب، ونهاهم عن الإسراف فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه، وهو من أهل النار**، كما صح في الأحاديث الصحيحة والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه، ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه، أو على من يعول مخالف لما أمر الله به وأرشد إليه، **والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير مخالف لما شرعه الله لعباده واقع في النهي القرآني، وهكذا من حرم حلالاً أو حلل حراماً فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدين، ومن الإسراف: الأكل لا لحاجة وفي وقت شبع**"[3]. سواءٌ كان ذلك الإسراف بالزيادة أو النقصان عن الحد فإنه على كل حال إسراف وعلاجه في القصد والاعتدال، فالاعتدال حسنة بين سيئتي الإفراط والتفريط.

وظاهر قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ كما يقول الشيخ أبو بكر الجصاص[4] – رحمه الله- : "يوجب الأكل والشرب من غير إسراف وقد أريد به الإباحة في بعض الأحوال والإيجاب في بعضها، فالحال التي يجب فيها

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١

(٢) يُنظر: تفسير السمرقندي (٥١١/١)، والتسهيل للكلبي (٢٩٩/١، ٣٠٠)

(٣) فتح القدير (٢٨٢/٢)

(٤) هو: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الفقيه، الإمام العلامة المفتي، المجتهد، كان مشهوراً بالزهد والورع. له تصانيف منها: أحكام القرآن للجصاص. توفي سنة (سبعين وثلاثمائة). ينظر: تاريخ بغداد (٣١٤/٤)، وسير أعلام النبلاء (٨٥٦)

الأكل والشرب هي الحال التي يخاف أن يلحقه ضرر بكون ترك الأكل والشرب يتلف نفسه أو بعض أعضائه أو يضعفه عن أداء الواجبات فواجب عليه في هذه الحال أن يأكل ما يزول معه خوف الضرر، والحال التي هما مباحان فيها هي الحال التي لا يُخاف ضرراً فيها بتركها، والظاهر يقتضي جواز أكل سائر المأكولات وشرب سائر الأشربة مما لا يحذره دليل بعد أن لا يكون مسرفاً فيما يأتيه من ذلك لأنه أطلق الأكل والشرب على شريطة أن لا يكون مسرفاً فيهما، والإسراف هو مجاوزة حد الاستواء فتارة يكون بمجاوزة الحلال إلى الحرام وتارة يكون بمجاوزة الحد في الإنفاق...إلى أن قال: وقد يكون الإسراف في الأكل أن يأكل فوق الشبع حتى يؤديه إلى الضرر فذلك محرم".[1]

وزاد الإمام القرطبي في تفسيره قائلاً: " أما ما تدعو الحاجة إليه وهو: ما سد الجوعة وسكن الظمأ فمندوب إليه عقلاً وشرعاً؛ لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس؛ ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال في الصوم؛ لأنه يضعف الجسد ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل.

وقد اختلف في الزائد عن قدر الحاجة على قولين فقيل: حرام، وقيل: مكروه، قال ابن العربي: وهو الصحيح؛ فإن قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والأزمان، والأسنان، والطعمان.

ثم قيل: في قلة الأكل منافع كثيرة؛ منها أن يكون الرجل أصح جسماً، وأجود حفظا، وأزكى فهماً، وأقل نوماً، وأخف نفساً. وفي كثرة الأكل: كظ المعدة، ونتن التخمة، ويتولد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه قليل الأكل".[2]

ويؤكد ذلك قوله ﷺ :((ما مَلأَ آدَمِيٌّ وعاء شَرًّا من بَطْنٍ، بحَسَبِ بن آدَمَ لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لا مَحَالَةَ فَثُلُث لطَعَامه، وَثُلُث لشَرَابه، وَثُلُث لِنَفْسِهِ))[3].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٠٧)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٧٠-١٨٠)

(٣) أخرجه ابن ماجة: كتاب الأطعمة-باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع. (ح/٣٣٤٩)(٥٦٣). والترمذي:

قال أهل الطب: لكل إنسان سبعة أمعاء: المعدة، ثم ثلاثة متصلة بها رقاق، ثم ثلاثة غلاظ؛ فالكافر لشرهه وعدم تسميته لا يكفيه إلا ملؤها، والمؤمن لاقتصاده وتسميته يشبعه ملء أحدها. وقيل: المراد سبع صفـــات: الحرص والشره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، والسمن.[١]

"قال العلماء: ومقصود الحديث: التقليل من الدنيا، والحث على الزهد فيها، والقناعة. مع أن قلة الأكل من محاسن أخلاق الرجل، وكثرة الأكل بضده".[٢]

قال الحارث بن كلدة[٣] طبيب العرب: الحمية رأس الدواء، والبطنة رأس الداء. وقال أيضاً: الذي قتل البرية، وأهلك السباع في البرية، إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام.[٤]

والزيادة فوق الحاجة تكون سبباً للأمراض المتنوعة التي يُصاب بها الإنسان، ولذلك عليه أن يعرف مراتب الغذاء وأقسام البطن وعليه عدم ملئه بما لا يطيق.

قال الإمام ابن القيم–رحمه الله–: "مراتب الغذاء ثلاثة: أحدها: مرتبة الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة الفضلة. فأخبر النبي ﷺ: أنه يكفيه لُقيمات يُقمن صلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها، فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلاء من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس،

كتاب الشهادات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. (ح/٢٣٨٠) (٥٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/٦٤٤)(٢٧٢/٢٠)

(١) شرح النووي على صحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، تحقيق: صلاح عويضة (٢٠٥/١٤، ٢٠٧) ط/١. ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م. دار المنار، والآداب الشرعية (١٣٣/٣، ١٣٤)

(٢) شرح النووي (٢٠٧/١٤)

(٣) هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن أبي علاج الثقفي طبيب العرب. قيل: لا يصح إسلامه، ويقال: أن سبب موته أنه نظر إلى حية فقال: إن العالم ربما قام علمه له مقام الدواء وأجزأت حكمته موضع الترياق فقيل: له يا أبا وائل ألا تأخذ هذه بيدك فحملته النخوة أن مد يده إليها فنهشته فوقع سريعاً فما برحوا حتى مات. يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٠٧/٥)، والإصابة (٢٣٠)

(٤) جامع العلوم والحكم. تأليف: الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: وليد بن محمد بن سلامة (٤٤٢)ط/١. ١٤٢٢هـــ/٢٠٠٢م. مكتبة الصفا.

وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشِّبَعُ. فامتلاء البطن مـــن الطعام مضر للقلب والبدن".[١]

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ ولا مَخِيلَةٍ)).[٢]

"**هذا الحديث جامـــع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصـــالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف، ويضر بالنفس إذا كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس**"[٣].

وبذلك يُرى أن الدين ينهى الإنسان أن يأكل فوق الشبع؛ لأن ذلك عين الإسراف وهو من صفات الكفار، لقوله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ في معي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ))[٤].

وفي ذلك ما يحض على التقليل من الدنيا والحث على الزهد فيها والقناعة بما تيسر منها، وقد كان العقلاء في الجاهلية والإسلام يتمدحون بقلة الأكل ويذمون كثرة الأكل. قال حاتم الطائي[٥]:

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا.

وقيل: إن الناس في الأكل على ثلاث طبقات:

طائفة تأكل كل مطعوم من حاجة وغير حاجة وهذا فعل أهل الجهل.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٦٥٧) ط/١. ١٤٢٠هـــ/١٩٩٩م. دار ابن حزم للطباعة بيروت– لبنان.

(٢) سبق تخريجه (ص/٣)

(٣) فتح الباري (٢٨٦/١٠)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة ــ باب المؤمن يأكل في معي واحد. (ح/٥٣٩٣)، (٩٩١).

(٥) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن طئ أبو سفانة الطائي والد عدي بن حاتم الصحابي، كان جواداً، ممدوحاً في الجاهلية، وكذلك كان ابنه في الإسلام. ينظر: البداية والنهاية (٢١٦/٢-٢٢١)، الشعر والشعراء (١٦٤-١٧٠)

وطائفة تأكل عند الجوع بقدر ما يسد الجوع فحسب.

وطائفة يجوعون أنفسهم يقصدون بذلك قمع شهوة النفس وإذا أكلوا أكلوا ما يسد الرمق.[١]

"وقال العلماء: من الإسراف الأكل بعد الشبع.

وقال لقمـــان[٢] لابنه: يا بني لا تأكل شبعاً فوق شبع فإنك إن تنبذه للكلب خيراً من أن تأكله".[٣]

فاكبر ضرر قد يصيب الإنسان من الإفراط في المأكل والمشرب الإصابة بالأمراض.

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله- : " الأمراض المادية تكون عن زيادة مادة أُفرطت في البدن حتى أضرَّت بأفعاله الطبيعية، وهي الأمراض الأكثرية، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك، أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال وسريعه، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير."[٤]

وفي موضع آخر ذكر الإمام ابن القيم: أن اعتدال البدن وصحته إنما هو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة، فالرطوبة مادته، والحرارة تنضجها، وتدفع فضلاتها، وإلا أفسدت البدن، وكذلك الرطوبة هي غذاء الحرارة، فلولا الرطوبة، لأحرقت البدن وأيبسته وأفسدته، فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها، وقوام البدن بهما جميعاً، فالحرارة دائماً تحلل الرطوبة، فيحتاج البدن إلى ما به يُخلف عليه ما حللته

---

(١) يُنظر: فتح الباري (٦١٨/٩)

(٢) هو: لقمان بن عنقاء بن سدون، ويقال: لقمان بن ثاران كان رجلاً صالحاً ذا عبادة وحكمة عظيمة. وكان قاضياً في زمن داود عليه السلام. والله أعلم. يُنظر: البداية والنهاية (١٢٥/٢)

(٣) أيسر التفاسير (١٦٥/٢).

(٤) زاد المعاد لابن القيم (٦٥٧)

وهو الطعام والشراب، ومتى زاد على مقدار التحلل، ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته، فاستحالت مواد رديئة، فعاثت في البدن، وأفسدته، فحصلت الأمراض المتنوعة بحسب تنوع موادها وقبول الأعضاء واستعدادها وهذا كله مستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾[1]، فأرشد عبادة إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوضاً عما يحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً، وكلاهما مانع للصحة جالب للمرض، أي: عدم الأكل والشراب، أو الإسراف فيه.[2]

ولا يكون ضرر الإسراف في المأكل والمشرب مقتصراً على الأمراض وإنما الإفراط فيه يؤدي إلى التكاسل عن العمل وأداء العبادات.

وذكر الإمام الغزالي[3] بعض أقوال السلف في ذلك ومنها:

قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وأشار أبو سليمان الداراني[4] إلى ست آفات من الشبع فقال: من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١

(٢) يُنظر: زاد المعاد لابن القيم (٧٤٠)

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي حجة الإسلام، كان بارعاً في الفقه، والكلام، له تصانيف منها: الإحياء، والقسطاس، اللباب، جواهر القرآن، وغيرها. توفي سنة (خمس وخمسمائة). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٧٨/٣)، والوافي بالوفيات (٢٧٤/١-٢٧٧)، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية تأليف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر (٢٩١/٢-٣٠٧) ط/١. ١٩٩٩م. دار صادر لبروت – لبنان.

(٤) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ابو سليمان العنسي الداراني. كان أحد عباد الله الصالحين ومن الزهاد المتعبدين. له حكايات كثيرة. وكان يقول: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع. مات سنة (خمس عشرة ومائتين). يُنظر: تاريخ بغداد (٢٤٨/١٠)، وسير أعلام النبلاء (١٩١٠/٢)

وقال سهل[1]- رحمه الله-: الأكول مذموم في ثلاثة أحوال؛ إن كان من أهل العبادة فيكسل، وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله – تعالى- من نفسه.[2]

لعل هذا الصنف الثالث يراد به من تكون حوائج الناس إليهم كالولاة ووكلائهم والقضاة.

وقال بعض السلف:كان شباب يتعبدون في بني إسرائيل، فإذا كان عند فطرهم، قام عليهم قائم فقال: لا تأكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فتناموا كثيراً، فتخسروا كثيراً.[3]

ومن الإسراف الإكثار من أصناف الطعام والشراب، فنلاحظ في عصرنا الحاضر أن ربات البيوت يضعن أصناف الطعام على المائدة عند كل وجبة من وجبات الأكل، وهذا يعد من الإسراف المشاهد والواقع عملياً في حياة كثيرٍ من الناس لأنه زائد عن الحاجة، إذ يقوم الطاعمون ولم ينفذ من الطعـــام نصفه أو ثلثه وربما أقل من ذلك. كما أن هذه الكثرة كمـــاً وصنفاً تضعف وازع الشكر على القليل عند النشء من أفراد الأسرة، وقد تقع بعض الأسر في إتلاف ما زاد من هذه الأصناف بعدم جعله مصوناً نظيفاً، وفي النهاية لا مكان له إلا المزابل، وفي المقابل يعيش أناس على الفتات وهم في أشد الحاجة إلى بعض ما يلقى في المزابل من ذلك. وأين هذا من حياة النبي ﷺ الذي هو أشرف الخلق وأحبهم إلى الله تعالى. فعن أم

---

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة. وله تصانيف منها: تفسير القرآن، وكتاب رقائق المحبين، وغير ذلك. توفي سنة (ثلاث وثمانين ومائتين). يُنظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (١٠/١٨٩-١٢٢) ط/٤. ١٤٠٥هـــ دار الكتاب العربي بيروت، وسير أعلام النبلاء (٢/١٩٥٠)

(٢) يُنظر: إحياء علوم الدين (٣/١٢٣، ١٢٩، ١٣٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (٤٤٥)

المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– قالت: (ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، من طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حتى قُبِضَ)[1].

ولا يقتصر الإسراف في المأكل والمشرب على الزيادة أو النقصان، وإنما قد يكون أيضاً **بتجاوز الحد إلى أكل أو شرب ما حرم الله وفي ذلك اعتداء وإسراف عظيم.** كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[3].

ففي هذه الآيات حصر لمحرمات الطعام من الحيوان، فقد حرم أكل لحم الميتة؛ لما في الطباع السليمة من استقذارها، ولما يتوقع من ضررها، وحرم الدم أي: المسفوح كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[4]، فإنه قذر لا طيب، وضار كالميتة، كما حرم لحم الخنزير فإنه قذر؛ لأن أشهى غذاء للخنزير القاذورات والنجاسات، وهو ضار في جميع الأقاليم، ويقال أن له تأثيراً على العفة والغيرة، كذلك من الأطعمة المحرمة ما يذبح ويقدم للأصنام وغيرها مما يعبد.[5]

وكما ورد في القرآن الكريم حصر للأطعمة المحرمة مطلقاً ورد كذلك فيه تحريم أقبح مشروب الذي يعد تناوله أعظم إسراف، ولا يقتصر ضرره على شاربه

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأطعمة–باب ما كان النبيﷺ وصحابه يأكلون (ح/٥٤١٦) (٩٩٤). وسيأتي بيان ذلك في فصل العلاج.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٣

(٣) سورة النحل الآية ١١٥

(٤) سورة الأنعام الآية ١٤٥

(٥) يُنظر: تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار. تأليف: السيد الإمام محمد رشيد رضا، خرج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين (٢/٩٧، ٩٨) ط/٢. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

فقط بل يتعداه إلى غيره وهو الخمر، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2].

فلفظ الخمر منقول من مصدر خمر الشيء بمعنى ستره وغطاه، والوجه في النقل أن هذا الشراب يستر العقل ويغطيه، أو هو من خامره بمعنى خالطه، أو بمعنى التغير يقال خمر الشيء إذا تغير عما كان عليه، أو بمعنى الإدراك، فاختمر أي بلغ وقت إدراكه، وقد سميت الخمر خمراً لأنها تركت حتى اختمرت واختمارها تغير رائحتها، وجميع هذه المعاني ظاهرة في هذه الأشربة المسكرة كلها.[3]

وكما في الأطعمة أضرار كذلك نجد أن الخمر أضرارها عظيمة فينشأ عنها الإفراط فيها، والبغضاء والصد عن سبيل الله، وذهاب العقل، والمال، بالإضافة إلى ما قرره الأطباء من أنها تورث أضراراً على الكبد والرئتين والقلب وضعفاً في النسل وغير ذلك.[4]

وهناك العديد من المأكولات والمشروبات المباحة ولكن عند الإكثار منها والاعتياد عليها قد يؤدي ذلك إلى الإسراف فيها وصعوبة التخلص منها كالمشروبات الغازية مثلاً، والقهوة والشاي وبخاصة عند استعمالهما على صفة معينة أكثر تركيزاً؛ لما لها من خاصية التنبيه للأعصاب فتزيد صاحبها ارتباطاً وتأثراً. كما أن فيها العديد من المضار والتأثيرات على الجسم. وذلك أمر مشهور وواقع ولا يحتاج إلى دليل.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٩

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠.

(٣) يُنظر: تفسير المنار (٣٢٣/٢)

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير (٣٤٤/٢)

ولا يكون الإسراف في المأكل والمشرب قاصراً على ما ذكر وإنما يكون أيضاً بتجاوز الحد في الاستعانة بهذا الأكل والشرب الحلال المباح. وهو نعمة من الله على عباده على فعل المعاصي من هؤلاء الغافلين الذين لا هم لهم إلا إشباع رغباتهم الحيوانية التي تجرهم من حال إلى حال أسوأ منها. وإذا ذكروا بتصحيح النية في الطعام والشراب شكراً للمنعم بهما فلا هم يتذكرون ولا هم يرجعون.

فالطيبات أحلها الله ﷻ لمن يستعين بها على طاعته، لا لمن يستعين بها على معصيتـــه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

وعلى كلٍ فالأعمال بالنيات وهي التي تحول عمل الدنيا ليكون من أعمال الآخرة أو العكس.

وعلى العبد وبخاصة المؤمن أن يراقب الله ﷻ في مطعمه ومشربه كماً ونوعاً وكيفاً، كما عليه أن يراقبه في النية عند الطعام والشراب وغيرهما حتى يكون محسناً يحبه الله تعالى ويرضى عن عمله ولو كان من أعمال الدنيا ومطالب النفس ومشتهياتها قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2].

"ولهذا لا يجوز أن يعان الإنسان بالمباحات على المعاصي، مثل من يعطي الخبز واللحم لمن يشرب عليه الخمر، ويستعين به على الفواحش".[3]

---

(١) سورة الأعراف ٣٢

(٢) سورة المائدة الآية ٩٣

(٣) مجموعة الفتاوى (٢٢/٨٤)

المبحث الثاني
الإسـراف في الزينـة

تعريف الزينة في اللغة: الزاء والياء والنون أصلٌ صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه. فالزّين نقيض الشيْن، يقال: زيَّنت الشيء تزييناً. وأزينت الأرض وازّيّنَتْ وازدانت إذا حسنها عشبها.(١)

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾(٣).

والزينة بالكسر: ما يتزين به. والزّين: ضد الشين.(٤)

وهي: اسم جامع لكل شيء يتزين به.(٥)

وفي الشرع: "الزينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة".(٦)

والزينة: تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة، وقيل الزينة: بهجة العين التي لا تخلص إلى باطن المزين(٧).

أقسام الزينة:

يقول الشيخ الأصفهاني – رحمه الله –:"والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية كالعلم، والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه".(٨)

---

(١) مقاييس اللغة (٤٤٥)
(٢) سورة فصلت الآية ٣٩
(٣) سورة الحج الآية ٥
(٤) يُنظر: القاموس المحيط (٣٣١/٤)
(٥) لسان العرب (٢٠٢/١٢)
(٦) المفردات للراغب (٢٤٤)، والتعاريف للمناوي (٣٩١).
(٧) التعاريف للمناوي (٣٩١)
(٨) المفردات للراغب (٢٤٤)

القسم الأول: الزينة النفسية: وهي التي رغب فيها الإسلام كالإيمان، والاعتقادات الحسنة، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[1].

"أي: قربه وأدخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم".[2]

وفي هذا دليل على أن زينة الإيمان زينة قلبيه نفسية لا تفارقه فهي داخلة في نفس الإنسان، وإن ظهرت علاماتها خارجاً، كالحياء، والصدق ووضاءة الوجه، وحسنه الذي يعرف به المؤمن وغيرها.

القسم الثاني: الزينة البدنية: وهي التي أوجدها الله ﷻ في الإنسان كاعتدال القامة، وملامح الوجه، والقوة، والجمال وغير ذلك. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3].

القسم الثالث: الزينة الخارجية: وهي الزينة الظاهرة على الجسم المزين بها سواء كانت هذه الزينة خاصة بالإنسان كالملبس أو غيره من الكائنات الموجودة.

يقول الشيخ الشنقيطي- رحمه الله- : "إن لفظ الزينة يكثر تكرره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن

---

(١) سورة الحجرات الآية ٧
(٢) التفسير الكبير (١٠/١٠٢)
(٣) سورة التين الآية ٤
(٤) سورة الأعراف الآية ٣١
(٥) سورة الأعراف الآية ٣٢
(٦) سورة الكهف الآية ٧

شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾[6]، وقوله تعالى عن قوم موسى: ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[8]، فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته."[9]

والزينة الخاصة بالإنسان هي التي يكون فيها مجال الإسراف أو لا يكون عند من يوفقه الله للاعتدال والالتزام بأوامر الشرع. قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[10]. فعن ابن عباس ﷺ قال: كانت المرأة[11] تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يُعِيرُني تِطْوَافاً ؟ تجعله على فرجها، وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

---

(١) سورة القصص الآية ٦٠
(٢) سورة الصافات الآية ٦
(٣) سورة النحل الآية ٨
(٤) سورة الكهف الآية ٤٦
(٥) سورة الحديد الآية ٢٠
(٦) سورة طه الآية ٥٩
(٧) سورة طه الآية ٨٧
(٨) سورة النور الآية ٣١
(٩) أضواء البيان (١٩٩/٦)
(١٠) سورة الأعراف الآية ٣١
(١١) وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن قرط قاله القاضي عياض. يُنظر: تفسير القرطبي (١٦٧/٧) وليس مراد حبر الأمة ﷺ تحديد امرأة بعينها بل المراد بيان عمل سيء من أعمال الجاهلية.

فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾[2] .

قال الإمام الشوكاني–رحمه الله–: "الزينة ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها والجواهر ونحوها، وقيل: الملبوس خاصة ولا وجه له، بل هو من جملة ما تشتمله الآية، فلا حرج على من لبس الثياب الجديدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي،ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطاً بيناً."[3]

ويقول الإمام الرازي–رحمه الله–:" في معنى الآية قولان:

الأول: أن المراد من الزينة في هذه الآية اللباس الذي تُستر به العورة، وهو قول ابن عباس ﷺ.

الثاني: أنه يتناول جميع أنواع الزينة، فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التزين، ويدخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه، ويدخل تحتها المركوب، ويدخل تحتها أيضاً أنواع الحلي؛ لأن كل ذلك زينة، ولولا النص الوارد في تحريم الذهب والفضة والأبريسم[4] على الرجال لكان ذلك داخلاً تحت هذا العموم."[5]

---

(١) وسبب النزول أخرجه مسلم: كتاب التفسير. باب قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾. (ح/٣٠٢٨) (١١٣٠).وذُكر في أسباب النزول، تصنيف الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. تحقيق: كمال بسيوني زغلول (٢٢٨، ٢٢٩) ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان. وذكره الإمام جلال الدين السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري (١٢١) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. المكتب الثقافي الأزهر – القاهرة.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٢

(٣) فتح القدير (٢٨٢/٢)

(٤) الإبريسم: بكسر الهمزة والراء وفتح السين يعني الحرير وهو كلمة معربة وفيها ثلاث لغات. يُنظر: لسان العرب (٤٦/١٢)

(٥) التفسير الكبير (٢٣٠/٥)، ويُنظر: السراج المنير (١٩٢/٢)

وهذا القسم من الزينة هو مجال البحث ويأتي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الزينة المباحة: وهي كل زينة أباحها الشرع، مما فيه جمال. ومنها اللباس، وأدوات الزينة بأنواعها. فاللباس يعد من أعظم نعم الله التي أباحها لبني آدم قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا ﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير[2] – رحمه الله– : " يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، فاللباس ستر العورات وهي السوآت، والرياش والريش ما يتجمل به ظاهراً، فالأول من الضروريات والريش من التكملات والزيادات، قال ابن جرير: الرياش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب."[3]

فقد يكون اللباس واجباً كما في ستر العورة أثناء الصلاة لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[4] أي: ما يستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة، كلما صليتم أو طفتم [5]. وواجباً عند ستر المرأة كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾[6].

يقول القاضي أبو السعود –رحمه الله– : "الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها، وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به."[7]

---

(١) سورة الأعراف ٢٦

(٢) هو: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الأصل الدمشقي الشافعي. برع في الفقه، والتفسير، والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل. له تصانيف كثيرة منها: تفسيره المشهور، كتاب البداية والنهاية، وغيرها. توفي سنة (أربع وسبعين وسبعمائة). ينظر: الدرر الكامنة (١/٣٧٣، ٣٧٤)، وطبقات المفسرين للداوودي (٧٩، ٨٠)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٧٩)

(٤) سورة الأعراف الآية ٣١

(٥) السراج المنير (٢/١٩١)

(٦) سورة الأحزاب الآية ٥٩

(٧) تفسير أبي السعود (٤/٣٣٣)

وقد يكون الشيء الملبوس مباحاً للنساء كلبس الحلي من الذهب والفضة ولبس الحرير، ومباحاً للرجال كلبس خاتم الفضة والحرير الصناعي ولكن مع ذلك يقع في هذه المباحات ما يقع من الإسراف.

فعن علي ﷺ قال: (أَهْدَى إلي النبي ﷺ حُلَّةَ سِيَرَاءَ[1] فَلَبِسْتُهَا فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ في وَجْهِهِ فَشَقَقْتُهَا بين نِسَائِي) [2].

وعن الزهري[3]–رحمه الله– قال: أخبرني أنس بن مالك: (أنه رأى على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ برد حَرِير سِيَرَاءَ).[4]

يقول الحافظ ابن حجر– رحمه الله– : "واستدل بذلك على جواز لبس الحرير للنساء سواء كان الثوب حريراً كله أو بعضه."[5]

وعن أبي موسى الأشعري[6] ﷺ: أن النبيﷺ قال: ((أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِإِنَاثِ أُمَّتِي وَحُرِّمَ على ذُكُورِهَا))[7].

وفي ذلك ما يدل على لبس الذهب والحرير للنساء لحاجتهن إلى التزين به.

---

(١) نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٢٣/٢)

(٢) أخرجه البخاري: كتاب اللباس–باب الحرير للنساء (ح/٥٨٤٠)(١٠٦١)، وكتاب الهبة وفضلها–باب هدية ما يكره لبسه.(ح/٢٦١٤)(٤٥٠).

(٣) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري يكنى أبا بكر. من أعلم الحفاظ. كان فقيهاً محدثاً. قيل: أنه أول من دون العلم. توفي سنة (أربع وعشرين ومائة) بالشام. يُنظر: التاريخ الكبير (٢٢٠/١)، وصفة الصفوة (٤٧٦/٢–٤٧٨)، وتذكرة الحفاظ (١٠٨/١–١١٣)

(٤) أخرجه البخاري كتاب اللباس–باب الحرير للنساء (ح/٥٨٤٢)(١٠٦٢)

(٥) فتح الباري (٣٤٠/١٠)

(٦) هو: أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ، أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، ولي البصرة ثم الكوفة ومات فيها سنة اثنتين وأربعين وقيل أربع وأربعين. يُنظر: الاستيعاب (١٠٣/٣، ١٠٤)، وتذكرة الحفاظ (٢٣/١)

(٧) أخرجه الإمام سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي في مسنده (ح/٥٠٦)(٦٩) دار المعرفة بيروت، والنسائي في سننه الكبرى: كتاب الزينة–باب الفطرة (ح/٩٤٥٠)(٤٣٧/٥)، وسنن النسائي الصغرى كتاب الزينة – باب تحريم الذهب على الرجال (ح/٥١٤٨) (٧٧٩)، والإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي في سننه الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (ح/٤٠٢٠) (٤٢٥/٢) و(ح/٥٩٠٧) (٣/ ٢٧٥) ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. مكتبة دار الباز مكة المكرمة.

وقد أبيح للرجل لبس خاتم الفضة فعن ابن عمر–رضي الله عنهما–: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَمًا من ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي باطن كَفِّهُ وَنَقَشَ فيه مُحَمَّدٌ رسول اللَّهِ فَاتَّخَذَ الناس مثله فلما رَآهُمْ قد اتَّخَذُوهَا رَمَى بِهِ وقال: ((لا أَلْبَسُهُ أَبَدًا)) ثُمَّ اتَّخَذَ خَاتَمًا من فِضَّةٍ فَاتَّخَذَ الناس خَوَاتِيمَ الْفِضَّةِ قال ابن عُمَرَ فَلَبِسَ الْخَاتَمَ بَعْدَ النبي ﷺ أبو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ حتى وَقَعَ من عُثْمَانَ في بِئْرِ أَرِيسَ.(١)

ويظهر الإسراف في لبس الرجل للفضة إذا لبس منها مثل ما تلبسه النساء من الحلي كالخلخال والسوار، والقرط والقلادة، ونحو ذلك؛ لأنه تشبه بالنساء، ومن تشبه بهن من الرجال فهو ملعون على لسان الرسول ﷺ(٢) ومن لعنه الرسول فهو ملعون في كتاب الله؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٣)، كذلك ما يجعله الرجل من الفضة في الثوب(٤).

كما أنه من المباحات للرجال لبس الحرير الصناعي، ويظهر الإسراف فيه عند الإكثار من لبسه لأنه لا ينبغي للرجل أن يلبسه؛ لما فيه من الميوعة، وإنزال أحوال الرجال الذي ينبغي أن تكون فيها خشونة [منزلة أحوال النساء بالتنعم والتأنث]، وأيضاً لأن الجاهل إذا رآه لابساً الحرير الصناعي يظنه حريراً طبيعياً، فيظن أن ذلك سائغ للرجال وربما يقتدي به والسلامة أسلم للإنسان.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري كتاب اللباس–باب خاتم الفضة (ح/٥٨٦٦)(١٠٦٥) وبئر أريس: بئر بالمدينة بقبا مقابل مسجدها. نسبت إلى أريس رجل من المدينة من اليهود. وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في السنة السادسة. يُنظر: معجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، تحقيق: مصطفى السقا (١/١٤٣، ١٤٤) ط/٣. ١٤٠٣هـ. عالم الكتب بيروت، ومعجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (١/٢٩٨) دار الفكر بيروت.

(٢) قال ﷺ : ((لَعَنَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمُتَشَبِّهِينَ من الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ من النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)) أخرجه البخاري كتاب اللباس – باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال (ح/٥٨٨٥)(١٠٦٧)

(٣) سورة الحشر الآية ٧

(٤) يُنظر: أضواء البيان (٣/٢٩٤)

(٥) يُنظر: شرح رياض الصالحين (٢/٦٦٩)

وقد يكون اللباس مباحاً لكن يظهر الإسراف فيه من خلال المبالغ الكبيرة التي تبذل في شرائه فتتحول الإباحة إلى تجاوز للحدود التي نهى الله عنها بقوله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[1].

وقوله ﷺ: ((كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ ولا مَخِيلَةٍ))[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (كُلْ ما شِئْتَ، وَالْبَسْ ما شِئْتَ، ما أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أو مَخِيلَةٌ).[3]

كما أنه يباح التزين بجميع وسائل الزينة الحديثة من الأصباغ والمساحيق، وهذا هو الأصل ولكن بشرط أن يكون ذلك بحدٍ معقول ولا يؤدي إلى تغير خلق الله ولا إلى غش وخداع كاذب وتزوير. ولا يكون مبالغاً فيه وإلا دخل في دائرة الإسراف المذموم الذي يقضي على المال والوقت ويلهي عن أداء الفرائض والعبادات والطاعات بالكلية أو في أوقاتها الفاضلة.

النوع الثاني: الزينة المستحبة:

لقد أمر الله ﷻ بالتزين وجعله مستحباً في أمور كثيرة، وحث الدين الإسلامي الإنسان على عمل هذه المستحبات حتى يظهر بمظهر حسن، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[4].

" وكأنه قيل قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر به حسنها وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب،

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١

(٢) سبق تخريجه. (ص/٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس ــ باب قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ سورة الأعراف الآية ٣٢. (١٠٥٣)

(٤) سورة غافر الآية ٦٤

لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس."[١]

وذكر النبي ﷺ خمساً من الفطرة وذكر منها:((وَتَقْلِيمُ الأظافر))[٢].

وقال ﷺ: ((انْهَكُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى))[٣].

وقال ﷺ: ((إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ))[٤].

ويتجلى الإسراف في هذه الأمور بتجاوز الحد فيها، وقد أمر الدين الإسلامي بتقليم الأظافر وعدم إطالتها لما فيها من تجمع الأوساخ والأقذار تحتها، لكن بعض النساء – هداهن الله– يطلن أظافرهن وذلك من باب الزينة في نظرهن، وقد يفعل الشباب شيئاً من ذلك.

أيضاً قد يقوم بعض الشباب أو حتى الكبار بحلق اللحية وذلك من أجل التجمل والتزين وهذا أمر قد نهى عنه الدين. أو صبغ الشعر باللون الأسود الذي نهى عنه النبي ﷺ. فعن جابر بن عبد الله[٥] قال: أتي بأبي قحافة يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة[٦] بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: ((غَيِّرُوا هذا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ))[٧].

---

(١) فتح الباري (٣٨٢/١٠)

(٢) أخرجه البخاري: كتاب اللباس–باب قص الشارب (ح/٥٨٨٩)(١٠٦٨)، ومسلم كتاب الطهارة–باب خصال الفطرة (ح/٢٥٧)(١١٣).

(٣) أخرجه البخاري متاب اللباس–باب إعفاء اللحى (ح/٥٨٩٣)(١٠٦٨)

(٤) أخرجه البخاري كتاب اللباس–باب الخضاب (ح/٥٨٩٩)(١٠٦٩)، ومسلم كتاب اللباس والزينة–باب مخالفة اليهود في الصبغ (ح/٢١٠٣)(٨١٢).

(٥) هو: جابر بن عبد الله بن حرام السلمي الأنصاري شهد تسع عشرة غزوة مع النبيﷺ ولم يشهد بدراً ولا أحد مات وهو ابن أربع وتسعين سنة وقيل هو آخر من مات من الصحابة. يُنظر: التاريخ الكبير (٢٠٨/٢)، والاستيعاب (٢٩٢/١، ٢٩٣)، تقريب التهذيب (١٢٧/١).

(٦) الثغامة: هي شجرة بيضاء الورق، وقيل: هو نَبْت أبيض الثمر والزهر يُشَبَّه بياض الشيب به. يُنظر: الفائق (١٦٦/١)، ولسان العرب (٧٨/١٢).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة– باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد (ح/٢١٠٢)(٨١٢).

وفي ذلك دلالة على " استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الاصح، وقيل: يكره كراهة تنزيه، والمختار التحريم لقوله ﷺ: ((وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ)) [1]"[2].

ومن الإسراف ما نراه في مجتمع المسلمين من تشبه أبنائهم وبناتهم بغيرهم في لبس بعض الملابس التي تكون مباحة من ناحية أنها ساترة ولكن يتجاوزون الحدود فيها مثلاً بوضع صور ذوات الأرواح عليها كصور بعض الشخصيات من الممثلين والمطربين أو حتى الحيوانات والطيور، أو جعل تفصيلها على الجسم بهيئة معينة متعددة ومتغيرة موسماً بعد موسم وعاماً بعد عام.

كما أنه من التشبه لبس البنطلون للمرأة ففي ذلك أيضاً تشبه كبير بالرجال وبالنساء الكافرات؛ لأنه يصف المرأة حتى وإن كانت بين النساء، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك التشبه بقوله: ((مَن تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهم))[3].

النوع الثالث: الزينة المحرمة:

لقد أباح الله للمرأة أنواعاً من الزينة كما ذكرنا، وحرم عليها بعض الأمور فإذا تجاوزتها فقد وقعت في المحظور وعرضت نفسها للعقاب من الله، فعن عبد الله بن مسعود:(لَعَنَ الله الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ[4] وَالْمُتَنَمِّصَاتِ[5] وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ[6]

---

(١) سبق تخريجه (ص/١٣٦)

(٢) شرح النووي (٢٤٩/١٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب اللباس- باب في لبس الشهرة (ح/٤٠٣١)(٦٠٣)، والبزار في مسنده (ح/٢٩٦٦)(٣٦٨/٧)، والإمام سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (ح/٨٣٢٧)(١٧٩/٨) ١٤١٥هـ. دار الفكر بيروت، وعلي بن أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧١/١٠) ١٤٠٧هـ. دار الريان للتراث القاهرة، بيروت وقال: فيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد وضعفه بعضهم وبقية رجاله ثقات، وقال الألباني حديث حسن صحيح. ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ح/١٢٦٩)(١٠٩/٥) ط/٢. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. المكتب الإسلامي بيروت-دمشق.

(٤) الواشمة والمستوشمة: الوشم: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر. والمستوشمة: هي التي يفعل بها ذلك. يُنظر: النهاية في غريب الحديث (١٨٩/٥). والواشمات جمع واشمة وهي التي تشم. يُنظر فتح الباري (٤١٩/١٠).

(٥) المتنمصات: جمع متنمصة وهي التي تنتف الشعر من وجهها. يُنظر: النهاية في غريب الحديث (١١٩/٥)

(٦) المتفلجات: جمع متفلجة وهي التي تطلب الفلج أو تصنعة. والتفليج: أن يفرج بين المتلاصقتين بالمبرد،

الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى ما لي لَا أَلْعَنُ من لَعَنَ النبي ﷺ وهو في كِتَابِ اللَّهِ:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1])[2].

والمبالغة في الزينة حتى تصل إلى حد الزينة المحرم فيه دليل على تغير خلق الله وطاعة الشيطان في قوله:﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[3].

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله- :"هذا يتناول تغير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر[4] والنمص، والتفليج للحسن، ونحو ذلك، مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن.

وذلك يتضمن [أمور محرمة لا يجوز وقوعها من المؤمن ولا يصلح أن يقول أنه لا يقصدها ومن ذلك] التسخط من خلقته، والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره."[5]

ولو كان ذلك بلسان الحال لا بلسان المقال فالفتنة حاصلة والإثم واقع.

ويتبع ذلك من الزينة المنهي عنها وصل الشعر، فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- : أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتمعط[6] شعرها فأرادوا أن يصلوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: ((لَعَنَ الله الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ))[7].

ومما فيه تغير لأصل الخلقة استخدام الرموش الصناعية أو الحاجب ونحوهما، ومن ذلك العدسات اللاصقة الملونة وخاصة شاذة اللون لما فيها من تغير خلق الله-

---

وهو مختص بالثنايا والرباعيات. يُنظر: فتح الباري (٤١٨/١٠).

(١) سورة الحشر الآية ٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب اللباس- باب المتفلجات للحسن (ح/٥٩٣١)(١٠٧٢)، ومسلم كتاب اللباس والزينة- باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة..... (ح/٢١٢٥)(٨٢٠).

(٣) سورة النساء الآية ١١٩.

(٤) الوشر: أن تحد المرأة أسنانها وترققها. والواشرة: المرأة التي تحدد أسنانها وترقق أطرافها، تفعله المرأة الكبيرة تتشبه بالشواب. والموتشرة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. يُنظر: لسان العرب (٢٨٤/٥)

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٤).

(٦) أصل المعط المد كأنه مد إلى أن تقطع، ويطلق ايضاً على من سقط شعره. فتح الباري (٤٢٣/١٠).

(٧) أخرجه البخاري كتاب اللباس-باب وصل الشعر (ح/٥٩٣٤)(١٠٧٣).

تعالى- حيث تكون العين بلون الثوب، ففي ذلك إسراف ببذل المال فيما لا نفع فيه، [وليس له هدف ولا مصلحة وما هو إلا من سفاسف الأمور وسواقطها، وقد يكون فيه] إضرار بالعين، وتشبه بالحيوانات ذوات العين البراقة كالقطط وغيرها.[1]

فأي مسلم فوق أن يكون إنساناً وأي مسلمة يشغلون أنفسهم بهذه الطريقة التي تشير إلى أصحابها بقلة العقل والتدني به إلى أسفل سافلين وهم يرون من حولهم أحوال الإسلام والمسلمين من جوع وضعف وحاجة قاسية وعوزٍ متصل بل إن عددا غير قليل منهم لا يجد ما يكاد يستر به عورته وما يدفع به برد الشتاء ويستره من حر الصيف. وهم يصرفون هذه الأموال وينفقونها فيما لا فائدة فيه دون أن ينظروا في أحوال إخوانهم، فهذا هو عين الإسراف الذي نهي عنه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[2].

ومما سبق يظهر أنه لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها سواء كان ذلك التغيير بزيادة أو نقص راجية بذلك الحُسن للزوج أو لغيره، ويستثنى من ذلك ما يحصل للضرورة كمن لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل فإنه يجوز قلعها أو القطع منها.[3]

ومن الزينة المحرمة تشبه أحد الجنسين بالآخر، فعن ابن عباس ﷺ قال: ((لَعَنَ النبي ﷺ الْمُخَنَّثِينَ من الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ من النِّسَاءِ، وقال: أَخْرِجُوهُمْ من بُيُوتِكُمْ)).[4]

وعن ابن عباس ﷺ قال: ((لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ من الرِّجَالِ، بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ من النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))[5].

---

(١) يُنظر: زينة المرأة المسلمة: تأليف عبد الله صالح الفوزان.(٧٩). ط/٤. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.دار المسلم.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣١ .

(٣) يُنظر: فتح الباري (٤٢٥/١٠) .

(٤) أخرجه البخاري كتاب اللباس-باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت (ح/٥٨٨٦)(١٠٦٨).

(٥) سبق تخريجه (ص/١٣٤).

" ظاهر اللفظ الزجر عن التشبه في كل شيء، لكن عُرِف من الأدلة أن المراد التشبه في الزي وبعض الصفات والحركات ونحوها، لا التشبه في أمور الخير... والحكمة في لعن من تشبه؛ إخراجه الشيء عن الصفة التي وضعها عليه أحكم الحكماء."[١]

ومن تشبه النساء بالرجال ما تفعله بعض النساء من لبس البنطلون فإن لبس البنطلون خاص بالرجال، أما النساء فعليهن أن يلبسن الثياب الساترة، فالبنطلون كما نعلم يكشف عورة المرأة فتتبين مفاتنها.[٢]

كذلك يقول الشيخ السعدي – رحمه الله–: " أن الحكمة في النهي عن التشبه: أن الله –تعالى– جعل للرجال على النساء درجة، وجعلهم قوامين على النساء وميزهم بأمور قدرية، وأمور شرعية. فقيام هذا التمييز، وثبوت فضيلة الرجال على النساء، مقصود شرعاً وعقلاً. [ولا تقوم الحياة بين الجنسين إلا به]

فتشبه الرجال بالنساء يهبط بهم عن هذه الدرجة الرفيعة. وتشبه النساء بالرجال يبطل التمييز.

وأيضاً فتشبه الرجال بالنساء، بالكلام واللباس ونحو ذلك: من أسباب التخنث، وسقوط الأخلاق، ورغبة المتشبه بالنساء في الاختلاط بهن، الذي يخشى منه المحذور."[٣]

ويقول الشيخ الشنقيطي – رحمه الله– : " فمحاولة استواء المرأة مع الرجل في جميع نواحي الحياة لا يمكن أن تتحقق؛ لأن الفوارق بين النوعين كوناً وقدراً أولاً، وشرعاً منزلاً ثانياً تمنع من ذلك منعاً باتاً.

---

(١) فتح الباري (٣٧٦/١٠).

(٢) يُنظر: شرح رياض الصالحين (٢٩٢/٤)

(٣) بهجـــة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: لعبد الرحمن السعدي. (١١٥) ط/١. ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م. عالم الكتب–بيروت.

ولقوة الفوارق الكونية والقدرية والشرعية بين الذكر والأنثى صح عن النبيﷺ أنه لعن المتشبه من النوعين بالآخر.

ولا شك أن سبب هذا اللعن هو محاولة من أراد التشبه منهم بالآخر لتحطيم هذه الفوارق التي لا يمكن أن تتحطم.

فلو كانت الفوارق بين الذكر والأنثى يمكن تحطيمها وإزالتها لم يستوجب من أراد ذلك اللعن من الله ورسوله.

ولأجل تلك الفوارق العظيمة الكونية القدرية بين الذكر والأنثى فرق الله جل وعلا بينهما في الطلاق فجعله بيد الرجل دون المرأة وفي الميراث وفي نسبة الأولاد إليه."[١]

ومن الزينة التي نهى الرسول ﷺ عنها لبس الملابس للشهرة أو جر الثوب للخيلاء وهذا النهي يشمل الرجال والنساء لأن ذلك مجاوزة للحد المشروع. لقوله ﷺ: ((من جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ[٢] لم يَنْظُرْ الله إليه يوم الْقِيَامَةِ))[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يَنْظُرُ الله يوم الْقِيَامَةِ إلى من جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا))[٤].

ومن الإسراف لبس الملابس للتباهي والشهرة لقوله ﷺ: ((من لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ في الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ الله ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يوم الْقِيَامَةِ))[٥].

---

(١) أضواء البيان (٤١٥/٧).

(٢) خيلاء: بضم الخاء وكسرها الكبر. النهاية في غريب الحديث (٨٢/١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب اللباس – باب من جر إزاره من غير خيلاء (ح/٥٧٨٤)(١٠٥٣)، ومسلم كتاب اللباس والزينة– باب تحريم جر الثوب خيلاء (ح/٢٠٨٥)(٨٠٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب اللباس– باب من جر ثوبه من الخيلاء (ح/٥٧٨٨) (١٠٥٣)، ومسلم كتاب اللباس والزينة– باب تحريم جر الثوب خيلاء.....(ح/١٠٨٧)(٨٠٧).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٥٦٦٤)(٩٢/٢)، وابن ماجه في سننه كتاب اللباس–باب من لبس شهرة من الثياب (ح/٣٦٠٧)(٦٠١)، والنسائي في سننه الكبرى كتاب الزينة – ذكر ما يستحب من الثياب وما يكره (ح/٩٥٦٠)(٤٦٠/٥)

وذلك دليل على تحريم لبس ثوب الشهرة، ولا يختص ثوب الشهرة بنفيس الثياب من الملابس الغالية، وإنما يكون لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس، فيتعجبوا من لباسه.[١]

كما أنه نهى الرجال عن لبس الذهب والحرير؛ لأن في ذلك ما يدل على مظهر من مظاهر الإسراف في اللباس والزينة وهو مجاوزة الذكور للحد الشرعي الذي وضع لهم وقيامهم بلبس الذهب والحرير فالنهي قد جاء صريحاً. قال النبي ﷺ: ((من لَبِسَ الْحَرِيرَ في الدُّنْيَا لم يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ))[٢].

فالحرير فيه من السرف والفخر والخيلاء ما يبغضه الله، وينافي التقوى التي هي محبوب الله[٣]. عن عقبة بن عامر[٤] رضي الله عنه أنه قال: أهدى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرُّوجُ حَرِيرٍ[٥] فَلَبِسَهُ ثُمَّ صلى فيه ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَزَعَهُ نَزْعًا شَدِيدًا، كَالْكَارِهِ له ثُمَّ قال:((لا يَنْبَغِي هذا لِلْمُتَّقِينَ))[٦].

وقد نهى النبي عليه السلام عن هذه الأمور وأمور أخرى لا يليق بالمسلم أن يتزين بها؛ لأنها تحط من قيمة المسلم الذي لابد أن يكون خشناً قوياً.

---

(١) يُنظر: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخيار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (٣٢٧) ط/١. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت –لبنان.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب اللباس– باب لبس الحرير.....(ح/٥٨٣٢، ٥٨٣٣، ٥٨٣٤)(١٠٦٠)

(٣) الاستقامة لابن تيمية، تحقيق: الدكتور/ محمد رشاد سالم (٤٤٤/١) ط/٢. ١٤٠٩هـ. مكتبة السنة–القاهرة.

(٤) هو: عقبة بن عامر الجهني أبو عبس ويقال أبو حماد ويقال أبو عمرو ويقال أبو أسيد المصري صاحب النبي ﷺ، كان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وهو من أصحاب الصفة، مات سنة ثمان وخمسين. يُنظر: والتاريخ الكبير (٤٣٠/٦)، والاستيعاب (١٨٣/٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٩٨/٢).

(٥) هو القباء الذي فيه شق من خلفه. يُنظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي (١٥٠/٢) المكتبة العتيقة ودار التراث.

(٦) أخرجه لبخاري: كتاب اللباس– باب القباء وفروج الحرير (ح/٥٨٠١)(١٠٥٦)، ومسلم كتاب اللباس والزينة– باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة.....(ح/٢٠٧٥)(٨٠٣).

فعن البراء بن عازب[1] قال: ((نَهَانَا النبي ﷺ عن سَبْعٍ: نهى عن خَاتَمِ الذَّهَبِ أو قال: حَلْقَةِ الذَّهَبِ، وَعَنْ الْحَرِيرِ، وَالْإِسْتَبْرَقِ[2]، وَالدِّيبَاجِ[3]، وَالْمِيثَرَةِ الْحَمْرَاءِ[4]، وَالْقَسِّيِّ[5]، وَآنِيَةِ الْفِضَّةِ..))[6]

ومن الزينة المحرمة التي جاء النهي عنها صريحاً استخدام آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب لقوله ﷺ: ((لا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ ولا الدِّيبَاجَ، ولا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ولا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لهم في الدُّنْيَا، ولَنَا في الْآخِرَةِ))[7] .

وقال ﷺ: ((الذي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الْفِضَّةِ إنما يُجَرْجِرُ[8] في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ))[9].

---

(١) هو: البراء بن عازب ابو عمارة نزل الكوفة وغزا مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، استصغر يوم بدر، توفي سنة (اثنتين وسبعين). يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٦٤/٤-٣٦٨)، والتاريخ الكبير (١١٧/٢)، ومعجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع أبو الحسين، تحقيق: صلاح بن سالم المصراني (٨٦/١-٨٨) ط/١. ١٤١٨هـ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة.

(٢) الاستبرق: غليظ الديباج. يُنظر: لسان العرب (١٠٧/٦).

(٣) الديباج: ضرب من الثياب المتخذة من الإبريسم فارسي معرب. يُنظر: لسان العرب (٢٦٢/٢)

(٤) الميثرة الحمراء: هي من مراكب العجم، تعمل من حرير أو ديباج، ويدخل فيه مياثر السروج؛ لأن النهي يشمل كل ميثرة حمراء سواء كانت على رحل أو سرج. يُنظر: النهاية في غريب الحديث (١٥٠/٥)

(٥) القسي: هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على شاطئ البحر قريبا من تنيس يقال لها القس بفتح القاف وبعض أهل الحديث يكسرها، وقيل أصل القسي القزي بالزاي منسوب إلى القز وهو ضرب من الإبريسم بأبدل من الزاي سينا وقيل منسوب إلى القس وهو الصقيع لبياضه. النهاية في غريب الحديث (٥٩/٤، ٦٠)

(٦) أخرجه البخاري كتاب اللباس-باب خواتيم الذهب (ح/٥٨٦٣) (١٠٦٤).

(٧) أخرجه البخاري كتاب الأطعمة-باب الأكل في إناء مفضض (ح/٥٤٢٦)(٩٩٥).

(٨) الجرجرة: صوت وقوع الماء في الحلق وأصله من جرجرة البعير وهو صوت يردده في حنجرته، وقيل: هو صوت وقوع الماء في الجوف. ينظر: غريب الحديث لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: الدكتور/ عبد المعطي آمين القلعجي (١٥٠/١) ط/١. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، والنهاية في غريب الحديث (٢٥٥/١) .

(٩) أخرجه البخاري كتاب الأشربه- باب آنية الفضة (ح/٥٦٣٤)(١٠٢٩)، ومسلم كتاب اللباس والزينة – باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره، على الرجال والنساء (ح/٢٠٦)(٩٢٢) .

ففي ذلك دليل على أن جميع الأواني من زجاج وخزف وخشب وأحجار وغير ذلك، الأصل فيها الحل حتى لو كانت من أغلى المعادن، فهي حلال إلا الذهب والفضة؛ لأن النبي ﷺ بين العلة بقوله: ((لهم في الدُّنْيَا، وَلَنَا في الْآخِرَةِ)) [1] وهذا خاص بآنية الذهب والفضة. ولو شرب الإنسان في آنية من معدن أغلى من الذهب والفضة لم يكن هذا حراماً إذا لم يصل إلى حد السرف. ومن الأدلة على أن الأكل في آنية الذهب والفضة من كبـــائر الذنوب قوله ﷺ: ((إنما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) [2]. والمطلي بالذهب والفضة قال العلماء: إنه كالخالص لا يجوز أن يؤكل فيه ولا أن يشرب فيه.[3]

ولا أدري ما العائد من وراء حرص البعض على مخالفة أمر الشرع والوقوع في فعل وعمل أهل الكفر والطغيان والكبر، أفلا تكونُ العظمة المزعومة إلا في مثل هذا؟ إنها بئست العظمة وبئس المعظمون.

---

(١) سبق تخريجه (ص/١٤٣).

(٢) سبق تخريجه (ص/١٤٣).

(٣) يُنظر: شرح رياض الصالحين (٦٣٣/٢).

المبحث الثالث
الإسـراف في البنـاء والمركب

المطلب الأول: الإسراف في البنـاء

خلق الله ﷻ الإنسان وأسكنه الأرض وجعل له حرية الاستمتاع بما فيها وأباح له البناء عليها بقدر حاجته إلى هذا البناء في مسكنه أو غير ذلك من حوائجه سواء كان مقيماً في مكان واحد أو مسافراً من مكان إلى آخر، يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾[1].

أخبر ﷻ أنه جعل لعباده مأوى وسكناً. فهذه البيوت التي يسكن فيها الإنسان تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن وضع السقف للبيوت ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ وهذا النوع من البيوت لا يمكن نقله.

الثاني: القباب والخيام والفساطيط[2] ويدل على هذا القسم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ وهي المتخذة من الأدم. وقد تكون من الوبر، أو الصوف أو الشعر، [وتسمى حينئذ فسطاطاً] وهذه البيوت تكون وقت الترحال أو وقت الحضر والإقامة. ويكون بداخل هذه البيوت العديد من الأمتعة والأثاث.

---

(١) سورة النحل الآية ٨٠، ٨١

(٢) الفساطيط: جمع فسطاط وهي بيت شعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفساط، وهي ضرب من الأبنية. يُنظر الفائق (١١٦/٣)، لسان العرب (٣٧١/٧)

والأثاث يشمل أنواع متاع البيت من الفرش والأكسية، وقيل: ما يكتسي به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء. والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين به. وقيل الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك، فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة، فهذه نعمة من الله ﷻ جعلها لبني آدم وذلك لحاجتهم إليها أثناء البرد أو الحر، فلا بد للإنسان من مسكن يأوي إليه فكان الإنعام بتحصيله عظيماً.(١)

ويعد المسكن أول بناء يضعه الإنسان على وجه الأرض بحيث يحفظ كرامته ويصون عرضه ويأمن فيه على نفسه وأهله وولده، وتتوفر فيه أسباب العيش الكريم، وله أن يؤمنه بكل وسائل الأمان بحسب عصره الذي يعيش فيه، وطبيعة الناس من حوله. وكل ذلك بحسب حاجته المعتادة القويمة المناسبة لكل مستوى اجتماعي خاص؛ فيكون ما يزيد عن ذلك زيادة ظاهرة من الإسراف وكذا إن قصد وظهر من تصرفاته التباهي والخيلاء فيما يتخذه ولو كان مما يناسب حالته الاجتماعية. وقد قيل: الكبر من الأغنياء سيء وهو ممن دونهم أسوأ.

يقول الإمام ابن حزم(٢) – رحمه الله– : " اتفقوا أن بناء ما يستتر به المرء هو وعياله وماله، من العيون والبرد والحر والمطر فرض."(٣)

---

(١) يُنظر: تفسير الرازي (٢٥٣/٧)، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف: العلامة نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري ظبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات (٢٩١/٤، ٢٩٢) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، وتفسير السراج المنير (٣٦٥/٣، ٣٦٦)، والفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف: الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين (٢٥٥/٤، ٢٥٦) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

(٢) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي، كان إماماً حافظاً، شديد الذكاء، متفنناً في علوم جمة. له مصنفات كثيرة منها: المحلى، وكتاب حجة الوداع، والفصل في الملل والنحل، وغيرها. توفي سنة (ست وخمسين وأربعمائة). ينظر: تذكرة الحفاظ (١١٤٦/٣–١١٥٤)، والمقصد الأرشد (٢١٣/٢، ٢١٤).

(٣) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقاد، للإمام الحافظ ابن حزم الظاهري. ويليه نقد مراتب الإجماع للإمام ابن تيمية. بعناية: حسن أحمد إسبر (٢٥٠) ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار ابن حزم بيروت – لبنان. والآداب الشرعية (٢٨٨/٣).

ويقول الإمام ابن مفلح[1] – رحمه الله– : " اعلم أن المسكن لابد للإنسان منه في الجملة فيجب تحصيله لنفسه ولمن تلزمه نفقته ومثل هذا يعاقب على تركه ويثاب على فعله...

وأما الزيادة على ذلك فإن كانت يسيرة لا تعد في العادة والعرف إسرافاً واعتداء ومجاوزة للحد فلا بأس بها ولا تكره."[2]

وللمسكن منافع لا يستطيع الإنسان الحصول عليها إلا إذا وجد ذاك السكن.

يقول ابن تيمية –رحمه الله– : "فالمساكن لها منفعتان إحداهما: السكون فيها لأجل الاستتار فهي كلباس الزينة.

والثاني: وقاية من الأذى والشمس والمطر والريح ونحو ذلك."[3]

فمـــا زاد عن حاجته وحاجة أهله بحيث يخرج عن حد الاعتدال يكون من الإسراف الذي يقع فيه كثير من الناس منذ العصور الماضية، فكان أعظم قوم بنوا أبنية وشيدوها هم قوم ثمود حيث قال الله تعالى عنهم على لسان نبيهم صالح عليه السلام: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[4].

يقول الإمام الرازي –رحمه الله–: " قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة."[5]

ويقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: "إنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوته في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو الشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم."[6]

---

(١) هو: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني الدمشقي الصالحي الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله. درس، وأفتى، وناظر، وحدث. من تصانيفه: الآداب الشرعية والمنح المرعية، كتاب الفروع، شرح كتاب المقنع، وغيرها. توفي سنة (ثلاث وستين وسبعمائة). ينظر: معجم المحدثين (٢٦٥، ٢٦٦)، والدرر الكامنة (٢٦١/٤، ٢٦٢)، والمقصد الأرشد (٥١٧/٢-٥٢٢)

(٢) الآداب الشرعية (٢٨٨/٣)

(٣) مجموعة الفتاوى (١٢٦/١٥)، والتفسير الكامل (١٥٦/٤)

(٤) سورة الشعراء الآية ١٤٩

(٥) التفسير الكبير (١٥٤/١١)

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٤/٣)

كذلك من الأبنية التي اتخذها المسرفون المتجاوزون حدودهم ما فعله قوم هود عليه السلام من بناء الأبنية على اختلافها والمبالغة فيها مما لا حاجة إليهم فيه مبالغين ترفاً وترفعاً فيها؛ فقال تعالى عنهم على لسان نبيهم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

فقد تعددت أشكال هذه الأبنية من وجوه:

أحدها: يوضحه ما روي عن ابن عباس: أنهم كانوا يبنون بكل ريع علماً يعبثون فيه بمن يمر في الطريق إلى هود عليه السلام.

والثاني: أنهم يبنون في الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخراً منهم؛ فنهوا عنه ونسبوا إلى العبث.

والثالث: أنهم كانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طريقهم أعلاماً طوالاً فكان ذلك عبثاً لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم.

الرابع: بنوا بكل ريع بروج الحمام.

وبالإضافة إلى هذه الأبنية فقد كانوا يتخذون المصانع وهي مآخذ الماء [لا لمنفعة من حرث أو سقي ماشية أو هم يرتوون به، وإنما كان ذلك لمجرد المباهج والزينة والتعالي بذلك والاغترار بقدرتهم عليه. وانصراف كل همهم فيه حتى قالوا لنبيهم عليه السلام وهو الذي يدعوهم إلى سعادة الدارين: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2]، والحق أنهم هم الذين كانوا في سفاهة].

وقيل: القصور المشيدة [لغير حاجة إلا للتعالي والخيلاء والغرور شأنهم شأن من يفعل الشيء لا لشيء إلا ليقال عنه فلان فعل كذا وكذا، يرى أن ذلك يُعليه ويجلب له الثناء عند الغير وهو يتخذ ذلك مصاعد لإرضاء غروره وإشباع خيلائه.]

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٢٨، ١٢٩

(٢) سورة الأعراف الآية ٦٦

وهذا كله دليل على مدى إسرافهم وخيلائهم،كما أنه دليل على الأمل الطويل والغفلة عن الآخرة والتمادي في الدنيا.[1]

ويباح للإنسان أن يتوسع في بناء المسكن ويعد هذا مما يجلب له الراحة النفسية ويدخل السعادة في نفوس ساكنيه، ويدل على ذلك قوله ﷺ: ((من سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الهنيئ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ))[2].

وكان مسكن النبي ﷺ من أفضل المساكن. يقول ابن القيم–رحمه الله–: "لم يكن هديه وهدي أصحابه، ومن تبعه الاعتناء بالمساكن وتشييدها، وتعليتها وزخرفتها وتوسيعها، بل كانت من أحسن منازل المسافر تقي الحر والبرد وتستر عن العيون، وتمنع من ولوج الدواب، ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولا تعتورُ عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها، وليست تحت الأرض فتؤذي ساكنيها، ولا في غاية الارتفاع عليها، بل وسط، وتلك أعدل المساكن وأنفعها، وأقلها حراً وبرداً، ولا تضيق عن ساكنها فينحصر، ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة، فتأوي الهوام في خلوها، ولم يكن فيها كنف[3] تؤذي ساكنها برائحتها، بل رائحتها من أطيب الروائح لأنه كان يحب الطيب، ولا يزال عنده، وريحه ﷺ هو من أطيب الرائحة، وعرقه من أطيب الطيب، ولم يكن في الدار كنيف تظهر رائحته، ولا ريب أن هذه من أعدل المساكن وأنفعها وأوفقها للبدن، وحفظ صحته."[4]

---

(١) يُنظر: تفسير الرازي (٨/٥٢٢، ٥٢٣)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (ح/١٥٤٠٩)(٣/٤٠٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦٣) وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الكنيف: الساتر مطلقاً، وكل شيء سترك فهو كنيف. وقيل: للمرحاض كنيف لأنه يستر قاضي الحاجة والجمع كُنُف. وسمي به موضع الغائط لأنهم يستترون به. ينظر: غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري ابو محمد، تحقيق: د/عبد الله الجبوري (١/٥٧٢) ط/١. ١٣٩٧هـ، مطبعة العاني بغداد، والمصباح المنير (٣٢٢)، وعمدة القاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (١٣/٢٣١) دار إحياء الراث بيروت.

(٤) زاد المعاد (٧٥١)

ولم يكن فيها مقصد الخلود أو الغرور في شيء، فالاعتدال وأخذ الأفضل لا يعني دائماً الرفاهية المحرمة أو الغرور، أو الخيلاء الذي يخرج المباح الحلال عن حده إلى الإسراف الحرام.

وروى الإمام ابن جرير بسنده: "عن وهيب بن الورد بن أبي الورد[١] مولى بني مخزوم قال: لقي عالم عالماً هو فوقه في العلم فقال: يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لا إسراف فيه ما هو قال: هو ما سترك من الشمس وأكنك من المطر."[٢]

*** ومن هنا يعد من الإسراف ما يفعله البعض من بناء المساكن الزائدة عن الحاجة،** أو وضع ما لا يستدعي وضعه فيها من الأثاث والتكلف في ذلك فوق الطاقة.

ويا للأسف هو أكثر ما يقع فيه كثير من الناس في هذا العصر مما أضر بكثير منهم أو أخر أو أفسد عليهم من شئون متعددة في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والأسرية. فوق الدينية التي هي قبل ذلك وبعده. كل هذا الذي يفعله الناس ليس غرضاً سديداً معقولاً إلا أنه في سبيل التفاخر والتباهي أمام الآخرين وخوفاً من أن يكون أقل منهم في شيء من ذلك.

قال ﷺ: ((أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا)) يعني ما لا بد منه.[٣]

وقال ﷺ قال: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْجَرُ في نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلا في التُّرَابِ)) أو قال: ((في الْبِنَاءِ))[٤].

---

(١) هو: وهيب بن الورد بن أبي الورد يقال له عبد الوهاب المكي، كنيته أبو عثمان. ثقه عابد من كبار السابعة. توفي سنة (ثلاث وخمسين ومائة). يُنظر: التاريخ الكبير (١٧٧/٨)، والثقات (٥٥٩/٧)

(٢) جامع البيان (٦١٦٣/٨)

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب–باب ما جاء في البناء (ح/٥٢٣٧)(٧٨٣)

(٤) أخرجه ابن ماجة كتاب الزهد –باب في البناء والخراب (ح/٤١٦٣)، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ – ٤٠ باب (ح/٢٤٨٣)(٥٥٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ففي ذلك دليل على أن الزيادة عن الحاجة في البناء مما نهى عنه الشرع وكرهه النبي ﷺ. وهذا يعد من الإسراف والاعتداء في البناء. وقد نهى الإسلام عن تجاوز الاعتدال وتعدي حدود الله التي شرعها وبينها لعباده، فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾[1] وقال: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[2].

وقال: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[4] فالإسراف في تعريفه المختصر: تجاوز الحد.

* **كما يدخل في ذلك الإسراف في الأثاث والتفاخر فيه** فعن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال له:((فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ))[5].

يقول الإمام النووي[6] –رحمه الله–: "قال العلماء معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف إلى الشيطان لأنه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه ويساعد عليه."[7]

وكيف لا؛ وهو الذي قد قطع العهد على نفسه أن يتربص بالصالحين الصراط المستقيم فيقطعهم عنه، ويقطعه عنهم.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩.
(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٩.
(٤) سورة الطلاق الآية ١.
(٥) أخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة–بَاب كَرَاهَةِ ما زَادَ على الْحَاجَةِ من الْفِرَاشِ وَاللِّبَاسِ (ح/٢٠٨٤) (٨٠٦)
(٦) هو: يحي بن شرف بن مري بن حسن النووي الدمشقي الشافعي محي الدين أبو زكريا. فقيه، محدث، حافظ، لغوي، مشارك في بعض العلوم. له تصانيف منها: تهذيب الأسماء واللغات، البيان في آداب حملة القرآن،وغيرها. توفي سنة (ست وسبعين وستمائة). ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/١٤٧٠–١٤٧٤)، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي (٨/٣٩٥–٤٠٠) ط/١. عيسى البابي الحلبي وشركاه.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٥٩).

*** ومن الإسراف في البناء رفع المساكن من غير حاجة ضرورية إليها** لنفسه أو لولده، أو لعائد يستثمره لعزته في نفسه أو دينه، أو ولده والتعفف بذلك عما في أيدي الناس، وليس تكثراً من الدنيا، ولا حباً لشهواتها وملذاتها. والتطاول في بنائها وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك من علامات الساعة فقال ﷺ: ((وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ))[1].

وفي ذلك "دليل على ذم التباهي والتفاخر خصوصاً بالتطاول في البنيان ولم يكن إطالة البناء معروفاً في زمن النبي ﷺ وأصحابه بل كان بنيانهم قصيراً بقدر الحاجة."[2]

أي: توسعهم كان أفقياً وليس رأسياً. وقد كشفت التربية الحديثة أن ذلك التوسع الأفقي أحسن صحة، وجودة للعقول، ونقاء للفكر من ذلك التوسع الرأسي الذي جعل الناس يحشرون كالمتاع في المعلبات أو الصناديق لا يرون فضاءً ولا يستمتعون بنقاء الهواء وفي رؤية الفضاء صفاء للنفس والفكر ونقاء للعقل والذهن، والواقع المشاهد يبرهن على ذلك بين أجيال الحضر وأجيال القرى في الإدراك والجلد والقوة والصلاحية لألوان وشدائد الحياة ومقابلتها بعزيمة لا تلين فهم أصلح للبناء والتعمير وقوة الأمة من أولئك الذين أضعفتهم حواجز مساكنهم.

يقول الحافظ ابن حجر–رحمه الله– : "ومعنى التطاول في البنيان أن كلاً ممن كان يبني بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المباهاة به في الزينة والزخرفة أو أعم من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد[3].

فالتطاول في البنيان: يكون مذموماً إذا صاحَبَهُ التباهي والتفاخر وانهماك على وجه إسراف فيه يلهيه عن حقــوق الله وحقــوق العباد عليه. ولفظ تطاول دال على المشاركة من الجانبين، دالٌ على أن صنفــاً من الناس جهل دين الله وشرعه وجعل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان–باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (ح/٨) (٢٩)

(٢) جامع العلوم والحكم (٥١)

(٣) فتح الباري (١٠٣/١٣)

كل همه العناية بالدنيا تفاخراً ليس إلا. ولا قصد لهم إلا التفاخر وتطاول بعضهم على بعض في هذا المجال وليتهم صرفوه في نفع الأمة بشيء من هذا البناء أو وقفه على منفعة المسلمين في دينهم ثم دنياهم، وفي غير ذلك يكون صرف القلوب إلى أعمال الدنيا وترك الآخرة، أما إذا دعت المصلحة أو الحاجة إليه فلا حرج في ذلك.

* **ومن الإسراف في البناء ما كان مضراً بالجار** بحيث يحجب الريح عنه أو يكشف على أهله، دون أن يبالي صاحب البناء بضرر غيره ولا بإذنه في ذلك أو في شيء منه.

وأيضاً من الإسراف في بناء المساكن ما كان فيه إلحاق الأذى بالمجتمع المسلم أو بعض أفراده كالمساكن التي تكون فاتحة لأبواب الشر واللهو، أو مرتعاً للفجور، وأماكن بيع الخمر وشـــرب المسكرات، ولعب الميسر، واللهـــو الفاسد والمجون، وبقيـــة المحرمات، ويلحق بذلك بناء المساكن التي يسكنها من يسعى بالمحاربة لله ورسوله، وتكون إرصاداً لأعداء الله.(١)

وبذلك يظهر أنه "ليس المذموم كل بناء، وإنما منه ما بني في ظلم واعتداء"(٢).

وكما أباح الله ﷻ بناء المساكن التي يأوي إليها عباده على حسب الحاجة كالروابط التي توقف لأبناء السبيل في بلاد غير بلادهم أو للطلاب المغتربين الذين يتلقون العلم، ولا مانع في ذلك أن تكون متفاوتة تفاوتاً معقولاً مراعاة لحالة كل فئة وما يناسبها من الإقامة والإيواء لهذه المساكن ولكن يشترط أن يكون ذلك بدون إسراف وإفراط فيها.

---

(١) يُنظر: المسكن آدابه وأحكامه في الإسلام. (٥٥) رسالة ماجستير للطالب: يحي محمد حسن الشهري بجامعة أم القرى.

(٢) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار لخصه القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي من مختصر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي من كتاب مشكل الآثار للطحاوي. (٢٧٧/٢) ط/٢. بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية حيدر آباد. ١٣٦٢هـــ.

وجعل سبحانه من البناء المباح بل والواجب بناء المساجد التي تُقام فيها الصلاة المفروضة فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

"أي: أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق بها. عن ابن عباس في بيان هذه الآية الكريمة ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ قال: نهى الله ﷻ عن اللغو فيها.... وقال قتاده: هي هذه المساجد: أمر الله ﷻ ببنائها ورفعها وأمر بعمارتها وتطهيرها".[2]

وقال ﷺ: ((من بَنَى مَسْجِدًا (قال بُكَيْرٌ:[3] حَسِبْتُ أَنَّهُ قال يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ) بَنَى الله له مثله في الْجَنَّةِ))[4].

وهذا دليل على الأمر ببناء المساجد. أما التي دخل فيها الإسراف كما دخل في بناء المساكن فقد نهى النبي ﷺ أصحابه من تشييد المساجد وزخرفتها فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ)) قال بن عَبَّاسٍ ﷺ: لَتُزَخْرِفُنَّهَا كما زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.[5]

---

(١) سورة النور الآية ٣٦.

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٨٧، ٣٨٨).

(٣) هو: بكير بن عبد الله بن الأشج مولى أشجع. وكان من صلحاء الناس، من أهل المدينة، ثقه. مات بالمدينة سنة (اثنتين وعشرين ومائة) في ولاية هشام بن عبد الملك. يُنظر: التاريخ الكبير (٢/١١٣)، ومعرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي (١/٢٥٤) ط/١. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مكتبة الدار المدينة المنورة، الثقات (٦ / ١٠٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الصلاة- باب من بنى مسجداً (ح/٤٥٠) (٩٤)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب فضل بناء المساجد والحث عليها (ح/٥٣٣) (١٩٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة -باب في بناء المساجد (ح/٤٤٨) (٧٦)، وابن حبان في صحيحه (ح/١٦١٥)(٤/٤٩٣) وقال: أبو فرزة راشد بن كيسان من ثقات الكوفيين وأثباتهم.

وأخبر ﷺ بوقوع الإسراف في بناء المساجد من بعده حيث قال: ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناس في الْمَسَاجِدِ))[1].

وذلك بأن يتفاخروا في إنشائها وعمارتها، فيقول أحدهم للآخر مسجدي ارفع وأزين وأحسن وأوسع، مباهاة ورياء وسمعة واجتلاباً للمدح.[2]

* **ومن الإسراف في بناء المساجد زخرفتها بالذهب والفضة** أو نقش أو صبغ أو كتابة ما يلهي المصلي عن صلاته غالباً.[3]

وقال أبو سعيد[4] ﷺ: (كان سَقْفُ الْمَسْجِدِ من جَرِيدِ النَّخْلِ وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وقال: أَكِنَّ الناس من الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أو تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ الناس.

وقال أَنَسٌ:[5] يَتَبَاهَوْنَ بها ثُمَّ لا يَعْمُرُونَهَا إلا قَلِيلاً.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح/١٢٤٠٢)(١٣٤/٣)، وابن ماجه في سننه كتاب المساجد والجماعة-باب تشييد المساجد (ح/٧٣٩) (١٤١)، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة-باب في بناء المساجد (ح/٤٤٩) (٧٦)، والدارمي في سننه لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، خالد السبع العلمي (ح/١٤٠٨)(٣٨٣/١) ط/١. ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي بيروت، وابن خزيمة في صحيحه (ح/١٣٢٣)(٢٨٢/٢)، وابن حبان في صحيحه (ح/١٦١٤)(٤٩٣/٤).

(٢) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبد الرؤوف المناوي (٣٤٠/٦) ط/١. ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م. مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان بن محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني (٣٩٥/٢) ط/١. ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، وعون المعبود شرح سنن أبي داوود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية (٨٤/٢) ط/١. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

(٣) يُنظر: الآداب الشرعية (٢٦١/٣).

(٤) هو: سعد بن مالك بن سنان بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، كنيته أبو سعيد الخدري. استصغر في أحد وغزا ما بعدها. كان من أفاضل الصحابة وعلمائهم وتوفي سنة (أربع وستين). يُنظر: التاريخ الكبير (٤٤/٤)، والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي أبو نصرة (رجال صحيح البخاري) تحقيق: عبد الله الليثي (٣٠٢/١، ٣٠٣) ط/١. ١٤٠٧هـ، دار المعرفة، والإصابة (٤٩١، ٤٩٢).

(٥) هو: أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري الخزرجي. خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه. دعا له النبي ﷺ. بقي بعد وفاة الرسول ﷺ في المدينة ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة ومات بها سنة (إحدى وسبعين). يُنظر: التاريخ الكبير (٢٧/٢)، الإصابة (٨٣، ٨٤).

وقال بن عَبَّاسٍ: لَتُزَخْرِفُنَّهَا كما زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى).[1]

يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله– : " قوله لا يعمرونها المراد به عمارتها بالصلاة وذكر الله وليس المراد بنيانها."[2]

ولا يخفى أن المغالاة في فراشها فوق اللائق داخل في النهي عن ذلك لأنه ضمن بنائها واللائق بالمسلمين أن يأخذوا عبرتهم للآخرة ولما يرضي الله ﷻ من داخل المسجد.

*** ويظهر الإسراف في بناء المساجد من خلال تعدد المساجد في المكان الواحد** لما فيه من تفرقة المسلمين والإضرار بجماعتهم، فوق كون المسلمين في عموم هذه الأحياء في حاجة إلى مشروعات خيرية أخرى تربوية أو تعليمية أو اجتماعية أو اقتصادية.

يقول الإمام القرطبي –رحمه الله–: "ولا يمنع بناء المساجد إلا أن يقصدوا الشقاق والخلاف، بأن يبنوا مسجداً إلى جنب مسجد أو قُربه؛ ويريدون بذلك تفريق أهل المسجد الواحد وخرابه واختلاف الكلمة، فإن المسجد الثاني ينقض ويمنع من بنيانه."[3]

*** ومن أشد وأعظم أنواع الإسراف في بناء المساجد أن يقصد به الإضرار بجماعة المسلمين** لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[4].

فهذا النوع من المساجد لا بد من هدمه كما فعل النبي ﷺ ولم ينخدع بكونه سمي مسجداً، فالأمور بمقاصدها وليس بمسمياتها وهذا من عمل المنافقين الذي مما يقال فيه: حق أريد به باطل.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة – باب بنيان المسجد (ح/٦٢)(٩٣، ٩٤).

(٢) فتح الباري (٥٣٩/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٦/٢)

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٧

ومن الإسراف في بناء المساجد وضعها على القبور وهذا مما نهى عنه النبي ﷺ وشدد على تحريمه فهو يعد من أعظم الفساد في الأرض لتأثيره على العقيدة وصفائها ونقائها، وكيف لا وهي التي عليها مدار صحة أعمال العبد وقبولها أو ردها. ولا يخفى أن أول شرك بالله ﷻ وقعت فيه البشرية؛ عندما بنى قوم نوح عليه السلام على قبور صالحيهم ثم عبدوا أصحاب هذه القبور بتراخي الزمن وكما فعل اليهود والنصارى من بناء المساجد على قبور أنبيائهم فلعنوا بذلك.

فقد قال ﷺ: ((لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْاجِدًا))[1].

ولا يقتصر الإسراف على بناء القبور فقط بل يتعداه إلى بناء القبور نفسها وتعليتها وتشريفها، لغير غرض يحفظ جسد الميت وما هو إلا التباهي بذلك والتقليد الأعمى خوفاً من أن يقال: كذا وكذا. ومن العجيب أن الناس يقعون في كل ذلك دون أن يسأل أحدهم – إلا من رحم الله– العلماء والدعاة والناصحين عن رأي الشرع في ذلك؛ وقد جاء النهي عن تجصيص القبور والبناء عليها فعن جابر قال: ((نهى رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عليه وَأَنْ يُبْنَى عليه))[2].

ويتبين من ذلك أنه من الأولى هدم وطمس معالم تلك القبور. يقول ابن القيم– رحمه الله– في حكم المساجد والقباب المبنية على القبور: " إن حكم الإسلام فيها: أن تهدم كلها حتى تسوى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار.

وكذلك القباب التي على القبور، يجب هدمها كلها، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ، لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم. فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء غير محترم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً "[3].

لأن هذا يغتصب الدين ويشوه معالمه، وذاك يغتصب الماديات ولا يستوي ما هو إفتراء على الله بالكذب مع ما يكون من إضرار بالدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز – باب ما جاء في قبر النبي ﷺ (ح/١٣٩٠)(٢٤١)، ومسلم في صيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة –باب النهي عن بناء المساجد على القبور (ح/٥٢٩) (١٩٢)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنائز–باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (ح/٩٧٠) (٣٤٠)

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي (٢١٤) دار الكتاب العربي بيروت– لبنان. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

المطلب الثاني: الإسراف في المركب

أباح الله ﷻ للإنسان الاستفادة بما سخره له من مخلوقات في هذه الدنيا فقال تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾[1].

يقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله– : "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأبهم ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول ولم يصرح هنا بشيء منه، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتنان بالمركوبات تدل على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات والقطارات والسيارات."[2]

فهذه التقنيات سخرها الله ﷻ للاستفادة منها في السفر والحضر.

وبالتأمل والنظر في حال مجتمعاتنا اليوم نجد أنهم لم يستعملوا هذه الوسائل للنقل فقط وإنما **جعلوها للتفاخر والتباهي** وهذا من الإسراف الذي نهى عنه الله ﷻ في عموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[3].

وللإسراف في المركب صور عديدة نذكر منها:[4]

*** اتخاذ هذه الوسائل للزينة فقط دون استخدامها الحقيقي فيما تدعو إليه الحاجة** وهذا ليس الغرض الحقيقي والأساسي منها والذي جاء به قوله تعالى: ﴿ لِتَرۡكَبُوهَا ﴾.

---

(١) سورة النحل الآية ٨.

(٢) أضواء البيان (٢٦٦/٣)، ويُنظر: تفسير السعدي (٤٣٦)، وتفسير المراغي (٥٧/١٤)، وأيسر التفاسير (١٠٢/٣).

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١ .

(٤) يُنظر: مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام تأليف: د/عبد الله بن إبراهيم الطريقي (٧٠، ٧١) ط/١. ١٤٢١هـ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

يقول الإمام الشوكاني –رحمه الله– : " أن الركوب هو المعتبر في المقصود بخلاف الزينة فإنه لا يلتفت إليها أهل الهمم العالية لأنه يورث العجب فكأنه سبحانه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الإعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل في نفس الأمر ولكنه غير مقصود بالذات."[1]

* **الاستكثار من هذه الوسائل دون الحاجة إليها** والإنفاق عليها من الأموال الطائلة ما لا يستدعي كل هذه النفقة وهذا مما جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[2].

ويدخل في ذلك التكلف في مظهر هذه الوسائل وإضاعة الأموال على إبراز مظهرها الخارجي والاهتمام بزينتها، وللأسف نسي ذلك المُزين أن هذه الوسائل ما هي إلا وسيلة للركوب وليست وسيلة للزينة كما يفعل البعض.

* **التقصير في حق هذه الوسيلة وعدم الاهتمام بها وصيانة عدتها الأساسية** وإهمالها مع أنه في هذا الإهمال ربما تذهب روح الراكب ومن معه، فلو هو اهتم بإصلاحها والعناية بصيانتها لكان خيراً من الاهتمام بزينتها لأن هذه الوسيلة سلاح ذو حدين.

* **استخدام هذه الوسيلة للعب والتسابق مع الأصحاب** دون أن يعي هذا الراكب أنه بفعله هذا قد يكون جلب لنفسه ولمن معه الموت بأسرع وقت من غير إحساس بخطورة هذا العمل. فالقيام بالتفحيط والتسابق بهذه الوسيلة دليل على كونها آلة خطرة على الفرد والمجتمع وبهذا يلقي هذا الإنسان بنفسه وبغيره إلى التهلكة وهذا مما جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[3].

وما هذه الصور وأمثالها إلا من أفعال المسرفين الذين تجاوزوا حدودهم وأنفقوا أموالهم في غير موضعها.

---

(١) فتح القدير (١٤٩/٣)

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٣) سورة النساء الآية ٢٩

المبحث الرابع
الإسراف في استيفاء الحقوق

المطلب الأول: الإسراف في استيفاء الحدود

أباح الله ﷻ لعبـــاده استيفاء حقوقهم دون إفـــراط أو تفريط في جميع الأمور، فقد أمر ﷻ بالعفو والإصلاح في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

وبين ﷻ لمن أراد استيفاء حقه أن عليه العدل في ذلك وإنه إذا صبر كان خيراً له فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[2].

وأخبـــر ﷻ أن من لا يقبل إلا استيفـــاء الحق فعليه أن لا يأخذ أكثر من حقـــه وألا يزيد في صفة المطالبة والاستيفاء بالقول أو الفعل عن الحد اللائق المعتدل في مثل ذلك الشأن فقد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: ((أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ وتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ))[3].

وقال: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٦.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (ح/٢٨٨)(٥٢٣/١)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/٥١٤٧)(٢٢٣/٥)، والحاكم في المستدرك (ح/٦٦٠٦)(٧٩٣/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومحمد بن أبي السري العسقلاني ثقة، والبيهقي في سننه (ح/١١٠٦٦)(٥٢/٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٠/٨) وقال: رجاله ثقات.

(٤) سورة الإسراء الآية ٣٣ .

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله– : " وفي هذه الآية دليل على أن الحق في القتل للولي فلا يقتص إلا بإذنه وإن عفا سقط القصاص"[١].

وقد اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾ فقرأ حمزه والكسائي (فلا تسرف) بالتاء على أن الخطاب للنبي ﷺ به والأئمة من بعده، يقول لا تقتل بالمقتول ظلماً غير قاتله. وقرأ الباقون﴿ فَلَا يُسۡرِف ﴾بالياء وهذا الكلام جاء بعد خبر عن غائب وهو قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾[٢]. فكأنه قال فلا يسرف الولي في القتل.[٣]

وذكر الإمام ابن جرير–رحمه الله– أن القراءتين متقاربتان فقال: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأمر أو نهى في أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عباده، وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهى جميعهم إلا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض.. فمعلوم أن خطابه – تعالى– بقوله: ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾ نبيه ﷺ وإن كان موجها إليه إلا أنه معني به جميع عباده فكذلك نهيه ولي المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدي فيه نهى لجميعهم فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك" [٤].

وذُكر أن المقصود بالقراءتين الولي والقاتل الأول.

يقول الإمام الشوكاني – رحمه الله–: " قرأ الجمهور ﴿ فَلَا يُسۡرِف ﴾ بالياء التحتية أى الولي. وقرأ حمزة والكسائي: ((تسرف)) بالتاء الفوقية. وهو خطاب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٥٧) .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٣ .

(٣) يُنظر: حجة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني (٤٠٢) ط/٢. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. مؤسسة الرسالة بيروت.

(٤) جامع البيان (٥١٦٦/٦)

للقاتل الأول. ونهى له عن القتل، أى فلا تسرف أيها القاتل بالقتل، فإن عليك القصاص مع ما عليك من عقوبة الله وسخطه ولعنته."[1]

واختُلف في الإسراف في القتل ما هو... يقول ابن العربي–رحمه الله–: " فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قال الحسن: لا يقتل غير قاتله.

الثاني: قال مجاهد: لا يقتل بدل وليه اثنين كما كانت العرب تفعله.

الثالث: لا يمثل بالقاتل قاله طلق بن حبيب[2]، وكله مراد؛ لأنه إسراف كله منهي عنه"[3].

ويظهر بذلك أن الله كما أعطى للولي الحق في استيفاء حقه نهاه عن الاعتداء وأخذ ما زاد عن ذلك الحق كذلك جاء النهي في جميع الحقوق.

عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: (وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ كتابان: إن أشد الناس عتواً رجل ضرب غير ضاربه، ورجل قتل غير قاتله، ورجل تولى غير أهل نعمته. فمن فعل ذلك فقد كفر بالله ورسوله ولا يقبل منه صرف ولا عدل)[4].

---

(١) فتح القدير (٣/٣١٠)

(٢) هو طلق بن حبيب العنزي الزاهد العابد البصري. كان صدوق في الحديث ثقة، ولكنه يرى رأي الإرجاء. يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٢٢٧)، والتاريخ الكبير (٤/٣٥٩)، والكاشف (١/٥١٥).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٩٧)، ويُنظر: تفسير الرازي (٧/٣٣٦)

(٤) أخرجه علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي في سننه، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني (ح/١٥٥)(٣/١٣١) ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م. دار المعرفة – بيروت، والحاكم في المستدرك (ح/٨٠٨٩) (٥/٤٩٩) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه (ح/١٥٦٧٤)(٨/٢٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٩٢، ٢٩٣) وقال: رجاله رجال الصحيح غير مالك بن أبي الرجال وقد وثقه ابن حبان ولم يضعفه أحد.

المطلب الثاني: الإسراف في استيفاء الحقوق المالية

أباح الله لعباده استيفاء حقوقهم المالية الكائنة بينهم وأهمها البيوع وسأبين منها ما تيسر على سبيل المثال لا الحصر.

فمن هذه الحقوق التي أعطى الله الحق في استيفائها دون إفراط أو تفريط حق الدين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾[1].

وهو عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً والآخر في الذمة نسيئة، فإن العين عند العرب ما كان حاضراً، والدين ما كان غائباً. والمداينة مفاعلة منه؛ لأن أحدهما يرضاه والآخر يلتزمه، وقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾.[2]

وبذلك يظهر أن من تجاوز حده في استيفاء الدين كان مسرفاً في ذلك ويتضح إسرافه في بيع دين بدين آخر.

يقول الإمام الرازي –رحمه الله– : " أن المداينة مفاعلة وذلك إنما يتناول بيع الدين بالدين وهو باطل فلو قال إذا تداينتم لبقي النص مقصوراً على بيع الدين بالدين وهو باطل، أما لما قال: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ ﴾ كان المعنى: إذا تداينتم تداينا يحصل فيه دين واحد وحينئذ يخرج عن النص بيع الدين بالدين ويبقى بيع العين بالدين أو بيع الدين بالعين فإن الحاصل في كل واحد منهما دين واحد لا غير."[3]

وكما جاء النهي عن بيع الدين بالدين، فإن من الإسراف في استيفاء الدين عدم تحديد الأجل لقوله تعالى: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾.

" وفائدة قوله ﴿ مُّسَمّٗى ﴾ أن يعلم أن من حق الأجل أن يكون مسمى معلوماً كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام. وأنه لو قال إلى الحصاد أو إلى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية."[4]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢

(٢) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢٦٧/١)

(٣) التفسير الكبير (٩١/٧)

(٤) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (٧٤/٢)، والسراج المنير (٢٨٩/١)

ومن الإسراف في ذلك طلب الزيادة عند السداد فيتحول الأمر بذلك إلى الربا الذي حرمه الله حين قال: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1] .

و " الربا في اللغة: الزيادة.

وفي الشرع: عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما."[2]

وقد جاء النهي عنه صريحاً في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾[3] لما فيه من تجاوز الحدود "ولما فيه من الظلم وسوء العاقبة."[4]

وفي ذلك ما يدل على أن الإيمان لا يكتمل إذا أصر الإنسان على فعل الكبائر، فمتى تجنبها صار مؤمناً.[5]

وكما يقع الإسراف بالزيادة على الناس في استيفاء حقوقهم يقع أيضاً في الإنقاص من حقوق الناس لقوله تعالى: ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[6].

وقوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥.
(٢) السراج المنير (٢٨٩/١).
(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٨.
(٤) تفسير السعدي (١١٧) .
(٥) يُنظر: تفسير غرائب القرآن (٦٦/٢) .
(٦) سورة الأعراف الآية ٨٥.
(٧) سورة هود الآية ٨٤، ٨٥.

وقوله تعالى: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) ﴾[١].

والكيل والوزن من أساسيات المعاملات بين الناس في البيع والشراء؛ ولذلك نهى الله ﷻ عن التلاعب فيها لما فيه من ضياع ونقصان حقوق الناس.

" والنقص على وجهين أحدهما: أن يكون الإيفاء من قبلهم فينقصون من قدره والآخر أن يكون لهم الاستيفاء فيأخذون أزيد من الواجب وذلك يوجب نقصان حق الغير وفي القسمين حصل النقصان في حق الغير."[٢]

وكما نهى عن النقص في المكيال والميزان نهى -سبحانه- عن البخس في جميع الأشياء لأن هذا من فعل المطففين الذين قال تعالى عنهم: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) ﴾[٣].

ولا شك أنه يدخل في ذلك الغش بجميع أحواله وعموم صوره وكذلك الرشوة.

وفي ذلك الوعيد الإلهي الشديد زجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية؛ وذلك لأن الكثير يظهر فيمنع منه. وكذلك أن القليل إن ظهر أيضاً منع منه. فعلمنا بذلك أن التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية.[٤]

وهذا بلا شك يؤكد أن الغش في المعاملات المالية يعد من الإسراف وإضاعة الحقوق لما فيه من التعدي على حدود الله والصدق والأمانة التي جعلها أساساً بين الناس في معاملاتهم.

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٨١- ١٨٣

(٢) التفسير الكبير (٣٨٤/٦)

(٣) سورة المطففين الآية ١-٣

(٤) يُنظر: التفسير الكبير (٨٢/١١)

المطلب الثالث: الإسراف في الحقوق الاجتماعية والأدبية

تعد الحقوق الاجتماعية أساس حقوق الإنسان في المجتمع، وتمام حقوق الناس بعضهم مع بعض.

*** وتبدأ هذه الحقوق منذ البداية الأولى في المجتمع، فلا تقوم المجتمعات إلا على أساس الأسرة** التي هي بناء المجتمع وما فيها من الألفة والمحبة بين الزوجين قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] .

فجعل بينهم المودة والرحمة وفرض عليهم حقوقاً وواجبات يجب القيام بها ومن تجاوز ذلك بضياع ما أمر به يعد من المسرفين.

فالرجل راع في بيته وعليه واجبات يجب القيام بها كما عليه احترام هذه المرأة التي تشاركه هذه الحياة وأن يجعل تعامله معها قائما على أساس العدل والاتزان.

فلا ينبغي أن يكون صلباً شديداً لا يضع عصاه [بأن تكون صلابته في غير حق أو مستكثراً من ذلك كثرة ملحوظة]، ولا يكون عكس ذلك [غير مبال بعنصر الجزاء متهاوناً في كل ما يراه مخالفاً فلا يتحرك له شعورٌ مهما وجدت مخالفات أو يتخلى عن مسئولياته ووجباته تخلياً تاماً]؛ فيسلم قيادة الأمر كله للزوجة.[2]

وهذه الزوجة لها من المشاغل وعليها من الأعباء التي لا يصلح لها إلا هي؛ لأن الله – تعالى– جعل لكل من الزوجين خصائصه وطاقاته وهذه سنة الله في خلقه ولا يصلح إفسادها بفعل المخلوقين الذي يكون غالباً من غير برهان من شرع ودين أو عقل سليم.

ومن الإسراف في حقوق الزوجة عدم العدل بينها وبين الزوجة الثانية إن وجدت، والذي يترتب عليه ضياع حقها.

---

(١) سورة الروم الآية ٢١

(٢) يُنظر: المنهاج الإسلامي، تأليف: هاشم محمد علي (٤٤٧/٢) ١٩٩٦م. دار الثقافة الدوحة.

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– : "ومن حقوق الزوجة على زوجها:أن يعدل بينها وبين جارتها –الزوجة الثانية– إن كان له زوجة ثانية، يعدل بينهما في الإنفاق والسكنى والمبيت، وكل ما يمكنه العدل فيه، فإن الميل إلى إحداهما كبيرة من الكبائر، قال النبي ﷺ: ((من كانت له امْرَأَتَانِ فَمَالَ إلى إِحْدَاهُمَا جاء يوم الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ))[1] وأما ما لا يملكه أن يعدل فيه كالمحبة وراحة النفس فإنه لا إثم عليه فيه؛ لأن هـذا بغير استطاعته. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[2]"[3].

كما أن من الإجحاف بحقها وضياع ما لها تركها كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾.

يقول الإمام الشوكاني – رحمه الله– : " أخبر سبحانه بنفي استطاعتهم للعدل بين النساء على **الوجه الذي لا ميل فيه البتة**، لما جبلت عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه، وزيادة هذه في المحبة، ونقصان هذه وذلك بحكم الخلقة، بحيث لا يملكون قلوبهم ولا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية... ولما كانوا لا يستطيعـون ذلك ولو حرصوا عليه وبالغوا فيه نهاهم ﷻ عن أن يميلوا كل الميل لأن ترك ذلك، وتجنب الجور كل الجور في وسعهـم وداخل تحت طاقتهم، فلا يجوز لهم أن يميلوا عن إحداهن إلى الأخرى كل الميل حتى يذروا الأخرى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح–باب في القسم بين النساء (ح/٢١٣٣)(٣٢٣)، والنسائي في سننه (المجتبى) كتاب عشرة النساء–باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض (٣٩٤٢)(٦٠٩) واللفظ لأبي داود. وصححه الألباني في الإرواء (ح/٢٠١٧)(٧/٨٠).

(٢) سورة النساء الآية ١٢٩

(٣) حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. (٢٤، ٢٥) طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد–المملكة العربية السعودية. ١٤١٩هـ.

كالمعلقة التي ليست ذات زوج ولا مطلقة تشبيها بالشيء الذي هو معلق [في الهواء والفضاء الخارجي] غير مستقر على شيء."[1]

*** وربما تجاوز الرجل حدوده مع الزوجة فيكون إبقاؤه لها في عصمته أو مراجعته لها بعد الطلاق لمجرد الإضرار بها** وقد نهى الله ﷻ عن ذلك فقال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[2].

وقد فسر الضرار: "بتطويل العدّة، وسوء العشرة، وبتضييق النفقة.

وهو [الضرار] أعم من هذا كله؛ فكل إمساك لأجل الضرر والعدوان فهو منهي عنه."[3]

ويقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله– : "صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بالنهي عن إمساك المرأة مضارة لها؛ لأجل الإعتداء عليها بأخذه ما أعطاها؛ لأنها إذا طال عليها الإضرار افتدت منه ابتغاء السلامة من ضرره."[4]

وقد يشترك الرجل والمرأة في إضرار كل منهما بالآخر وذلك لقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[5]

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: " وقوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ أي: بأن تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته ولكن ليس لها دفعه إذا ولدته حتى تسقيه اللبأ الذي لا يعيش بدون تناوله غالبا ثم بعد هذا لها دفعه عنها إذا شاءت ولكن إن كانت

---

(١) فتح القدير (٨٢٥/١)، ويُنظر: تفسير الكشاف (٥٦٠/١)، وتفسير الرازي (٢٣٧/١١)، وتفسير القرطبي (٣٨٧/٥)، وتفسير أبو السعود (٢٠٥/٢)، وتفسير السعدي (٢٠٧).

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣١

(٣) البحر المحيط (٣٣١/٢)

(٤) أضواء البيان (٢٥٥/١)

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٣

مضارة لأبيه فلا يحل لها ذلك كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ أي: بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضرارا بها."[1]

ومن ضياع حقوق الزوجة إهمالها وذلك بتسليمها قيادة أمر الأسرة وعدم مساعدتها في ذلك، مما يؤدي إلى تحميلها بأمور فوق طاقتها سواء كان ذلك بتربية الأبناء أو الإنفاق على البيت.

وقد يكون ضياع الحقوق بالعكس فيقوم الرجل بحق المرأة ولكنها هي التي تتجاوز حدودها بالتقصير في واجباتها، وذلك بالتقصير في حقه من جميع النواحي، أو الإهمال في تربية الأبناء.

وربما زاد إسراف المرأة في ذلك فتكون عقبة في طاعة الزوج لوالديه وهنا توصله إلى مرحلة العقوق "فلا ينبغي أن تكون المرأة حاجبة للرجل أبداً عن طاعة الله ﷻ أو تصدق، أو بذل أو صلة رحم، أو علاقة بوالديه."[2]

فلابد أن تقوم العلاقة بينهما مبنية على العدل واحترام كل واحد منهما للآخر.

* **كما يقوم المجتمع على أهم أساس فيه وهم الوالدين** فقد قرن الله ﷻ حقهما بطاعته فقال: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[3]. وقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

فقد جاء هنا "الأمر بالإحسان إليهما عاماً في جميع الأحوال. وخصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر، لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما. فهما في هذه الحالة قد عادا في نهايتهما إلى ما كان ولدهما عليه في بدايته. وليس عنده من فطرة

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٠/١)

(٢) المنهاج الإسلامي (٤٤٨/٢)

(٣) سورة النساء الآية ٣٦

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٣

المحبة مثل ما عندهما. فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما، ومزيد الرعاية لهما، وشدة التوقي والتحفظ من كل ما يمس بسوء جانبهما في هـــاته الحـــال على الخصوص. وإن كان ذلك واجباً عليه في كـــل حال على العموم. "[1]

ولكن قد يتجاوز الإنسان حده ويسرف في عقوق والديه ويؤدي ذلك إلى عدم القيام بمقتضى هذه الآية والدعوة إلى بر الوالدين. فعقوقهما في حد ذاته إسراف وتجاوز ولذلك مظاهر، كالتطاول عليهما بالقول والعمل الذي نهى عنه الله ﷻ بقوله: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ وفي ذلك ما يدل على أن من عقوق الوالدين إحتقارهما والاستقلال بحقهما، حتى وإن كان ذلك أدنى وأقل شيء.

" فأخذ الله تعالى على الولد ألا يؤذيهما بأقل القليل، وكان ما فوقه من الأذى أدخل في التحريم، فإن أبكيتهما أو أغضبتهما أو أحزنتهما أو منعتهما الاستمتاع بالنظر إليك فقد آذيتهما."[2]

يقول الشيخ ابن عاشور[3]: " وليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما (أف) خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذي الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة، وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم."[4]

ومن الإسراف في عقوقهما رفع الصوت عليهما قال تعالى:﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾.

---

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، للإمام عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي. جمع وترتيب د/توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان. علق عليه: أحمد شمس الدين. (٦٩) ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ويُنظر: تفسير القرطبي (٢٤١/١٠)

(٢) بر الوالدين للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الطرطوش. تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي (١٢١) ط/٣. ١٤١١هـ/١٩٩١م. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت-لبنان.

(٣) هو: محمد طاهر بن محمد بن محمد بن عاشور العالم الضليع، شيخ الإسلام المالكي، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، له تصانيف منها: أصول النظام الاجتماعي، مقاصد الشريعة، تفسير التحرير والتنوير، وغيرها. توفي سنة (أربع وتسعين وثلاثمائة وألف) ينظر: معجم المؤلفين المعاصرين (٦٢٨/٢، ٦٢٩).

(٤) التحرير والتنوير (٧٠/١٥).

يقول الشيخ ابن باديس[1] – رحمه الله –: "ومن ضرورة مباينتهما لولدهما في السن وفي النشأة أنهما كثيراً ما يخالفانه في آرائه وأفكاره، وقد يناولان ما لا يحب أن تصل يدهما إليه، وقد يسألانه للمعرفة أو للحاجة، وكل هذا قد يؤديه إلى نهرهما، أي زجرهما بصياح وإغلاظ، أو إظهار للغضب في الصوت واللفظ، فنهى عن هذا بقوله تعالى:﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾"[2].

ومن الإسراف في ذلك العقوق لعن الوالدين أو تعريضهما للعن ويعد ذلك من الكبائر لقوله ﷺ : ((إِنَّ من أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ)) قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قال:((يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أمه فيسب أُمَّهُ))[3].

ويعد التنكر للوالدين من أعظم الإسراف في عقوقهما لقوله ﷺ: ((ليس من رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أبيه وهو يَعْلَمُهُ إلا كَفَرَ))[4].

وذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– بعض الأمور التي يظهر فيها عقوق الوالدين فقال: " فليس من بر الوالدين أن يدع الرجل أباه يكنس الكُنُف، ويكاري على الحُمر، ويوقد في أتون الحمام، ويحمل للناس على رأسه ما يتقوت بأجرته، وهو في غاية الغنى واليسار، وسعة ذات اليد، وليس من بر أمه أن يدعها تخدم الناس، وتغسل ثيابهم، وتسقي لهم الماء ونحو ذلك، ولا يصونها بما ينفقه عليها."[5]

---

(١) هو: عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن باديس. رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، اشتغل بالتدريس، وقام بالتفسير وشرح الحديث جمع ذلك تحت عناوين مختلفة منها: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومجالس التذكير من كلام البشير النذير، والعقائد اللإسلامية من الآيات القرانية والأحاديث النبوية. ومن تصانيفه: مبادئ الأصول، والدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، وغيرها. توفي سنة (تسع وخمسين وثلاثمائة وألف) ينظر: رجال صاغوا القرن العشرين لفؤاد شاكر (١/٢٢٤-٢٣٠) الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، ومعجم الأعلام لبسام عبد الوهاب الجابي (٣٩١) ط/١. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. الجفان والجابي للطباعة والنشر، ومعجم المؤلفين المعاصرين (١/٣١٨، ٣١٩)

(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (٦٩، ٧٠)

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب- باب لا يسب الرجل والديه (ح/٥٩٧٣)(١٠٧٨)

(٤) أخرجه البخاري كتاب المناقب–باب نسبة اليمن إلى إسماعيل (ح/٣٥٠٨)(٦٢٠)، ومسلم كتاب الإيمان–باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (ح/٦١)(٤٧)

(٥) زاد المعاد (١٠٦٢)

وقد يمتد الإسراف في عقوق الوالدين حتى بعد وفاتهما وذلك بقطع أقاربهم وعدم وصلهم، أيضاً بعدم الدعاء لهم بالرحمة، أو أذية الآخرين فيمتد أذاهم للوالدين حتى بعد الموت.

وبين الإسلام أنه يجب أن تكون معاملة الأبناء للوالدين معاملة حسنة فقال تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

فلنتدبر معاني القرآن فإنه لم "يترك الابن يتصرف وهو في حالة هياج نفسي شأنها أن تغضب الأبوين وتؤثر عليهما بل يقول له: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ فيه اعتذار وتلطف ولين كي يذهب كل ما في نفوسهما من شعور بالألم والحزن."[2]

ويقول القاضي أبي السعود –رحمه الله– في القول الكريم من الأبناء للوالدين أنه: " ذا كرم أو هو وصف له بوصف صاحبه أي: قولاً صادرا عن كرم ولطف، وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن يقول: يا أباه ويا أماه، كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه: يا أبت مع ما به من الكفر، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدُعَار.

وسئل الإمام الفضيل بن عياض[3] عن بر الوالدين فقال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل.

وقيل: أن لا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما شَزَرَاً، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٣، ٢٤

(٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب (٢٥١) دار المهاجرين للطباعة والنشر.

(٣) هو:الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي، شيخ الحرم.كان ثقة مأمون، ثبتاً، فاضلاً عابداً، ورعاً كثير الحديث. توفي سنة (سبع وثمانين ومائة) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٥٠٠)، وصفة الصفوة (٢/٥٤٣-٥٤٩)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٤٥، ٢٤٦)

بخدمة أودائِهما من بعدهما فعن النبي ﷺ:((إِنَّ من أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أبيه))[1]."[2]

* وكما بين الإسلام حقوق الوالدين **وضح حقوق الأبناء على الأباء** فمن حقهم أن يختار لهم الأم الصالحة القادرة على تربيتهم تربية حسنة لقوله ﷺ: ((الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))[3].

ومن حقوقهم النفقة عليهم لقوله ﷺ: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ على عِيَالِهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ على دَابَّتِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ على أَصْحَابِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ)) قال أبو قِلَابَةَ وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ ثُمَّ قال أبو قِلَابَةَ وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا من رَجُلٍ يُنْفِقُ على عِيَالٍ صِغَارٍ يُعِفُّهُمْ أو يَنْفَعُهُمْ الله بِهِ وَيُغْنِيهِمْ.[4]

ومن حقوقهم تربيتهم وتعليمهم لأمور دينهم ودنياهم قال ﷺ: ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عليها وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في الْمَضَاجِعِ))[5].

وأعظـــم الحقوق العدل بين الأبناء، عن النعمان بن بشير[6] أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نَحَلْتُ ابْنِي هذا غُلَامًا. فقال: ((أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مثله)) قال: لا. قال: ((فَارْجِعْهُ))[7].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البروالصلة– باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما (ح/٢٥٥٢) (١١٢٠).

(٢) تفسير أبي السعود (١٢٣/٤).

(٣) اخرجه مسلم كتاب الرضاع–باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة (ح/١٤٦٩)(٦٢٧).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الزكاة –باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقته عنهم (ح/٩٩٤) (٤٠٣).

(٥) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة –باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (ح/٤٩٥)(٨٢) واللفظ له، والدار قطني في سننه (٢٣٠/١)، والحاكم في المستدرك (ح/٧٣٤) (٤٤٢/١)، والبيهقي في سننه الكبرى (ح/٣٠٥٠) (٢٢٨/٢).

(٦) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عبد الله مشهور له ولأبويه صحبة، كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، قتل في حمص سنة (أربع وستين). يُنظر: الثقات (٤٠٩/٣)، الاستيعاب (٦٠/٤)، الكاشف (٣٢٢/٢).

(٧) أخرجه البخاري كتاب الهبة وفضلها –باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يجز... (ح/٢٥٨٦)(٤٤٦)، ومسلم كتاب الهبات–باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة (ح/١٦٢٣)(٦١٣).

ولكن قد يغفل الكثير عن مثل هذه الحقوق فيسرفون في ضياعها ولذلك تعود العاقبة عليهم بضياع الأبناء وعقوق الوالدين.

فنرى بعضهم يفضل بعض الأبناء على بعض مع أنه أمر بالتسوية بينهم لظاهر الحدث السابق ولقوله ﷺ: ((اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا في أَوْلَادِكُمْ))[1].

وفي ذلك ما يدل على: "أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل، ويسوي بين الذكر والأنثى."[2]

فالتفرقة بين الأبناء تعد جوراً وظلماً وهي عين الإسراف الذي يشمله النهي العام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[3].

وتعد مخالفة لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[4].

" ولم يقل بأولادكم لأنه أراد العدل فيهم والتحذير من الجور عليهم، وجاء باللفظ عاماً غير مقصور على الميراث أو غيره ولذلك قال النبي ﷺ: ((إِنِّي لا أَشْهَدُ على جَوْرٍ))[5] وذلك أيضاً قاله في هبة فضل بها بشير بن سعد[6] بعض ولده على بعض لأنه رأى الله تعالى قد أمر بالعدل فيهم أمراً غير مقصور على باب دون باب

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الهبات – باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة (ح/١٦٢٣)(٧٠٩).

(٢) شرح النووي (٦٥/١١)

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١

(٤) سورة النساء الآية ١١

(٥) أخرجه مسلم كتاب الهبات–باب كراهية تفضيل الأولاد في الهبة (ح/١٦٢٣)(٦١٤)

(٦) هو: بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الخزرجي ، والد النعمان بن بشير، شهد العقبة ثم شهد بدراً وأحد والمشاهد بعدها، قتل بعين التمر في آخر خلافة أبي بكر الصديق سنة (ثلاث عشرة) ينظر: التاريخ الكبير (٩٨/٢)، ومشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان بن أحمد أبو تمام البستي، تحقيق: فلايشهمر (١٤) ١٩٥٩م. دار الكتب العلمية بيروت، والاستيعاب (٢٥٢/١، ٢٥٣)

ولذلك رأى كثير من العلماء أن لا يفضل في الهبة والصدقة ابن على بنت إلا بما فضله الله به ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وهو قول أحمد بن حنبل[1]."[2]

كما أن إهمال تربية الأبناء والتقصير فيها يعد إسرافاً كبيراً في ضياع الأبناء.

" فلا إفراط ولا تفريط. فلا إفراط بأن تبذل المال أمامه، وتلبي له كل طلبه، بأن لا يؤدب ولا ينبه ولا يقول له أن ما فعله هو الخطأ فينشأ بعد ذلك لنا جيل لا يحترم كبيراً ولا عالماً ولا معلماً، وهذا هو الواقع الذي تعيشه الأمة. ولا تفريط.. بالإهمال الكامل..."[3]

ذلك الإهمال الذي حذر منه الرسول ﷺ بقوله: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ من يَقُوتُ))[4].

ومن الإهمال في التربية استخدام أساليب غير مناسبة في التأديب.

" كما أننا أحياناً نشهر بالولد حين ينحرف أول مرة عن سنن الأخلاق الكريمة فمناداته بالكذاب، أو السارق، أو الكسول وغير ذلك. مع أن هذا يعد أقبح أساليب التأديب والتربية.

وفي الوقت الذي نود فيه استقامة أخلاق أبنائنا وبناتنا، نحيطهم بكل ما يؤدي بهم إلى الانحراف، فنسمح لهم برفقاء السوء، وندفع بهم إلى بعض المدارس الأجنبية

---

(١) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الإمام المشهور في الفقه والحديث، نصر الإسلام، وقمع البدعة، وأعز الله به السنة. توفي سنة (إحدى وأربعين ومائتين) ينظر: التاريخ الكبير (٥/٢)، ومعرفة الثقات (١٩٤/١-١٩٦)، والثقات (١٨/٨، ١٩)

(٢) الفرائض وشرح آيات الوصية لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي أبو القاسم. (٢٨، ٢٩) دار النشر المكتبة الفيصلية.

(٣) المنهاج الإسلامي (٤٤٩/٢)

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده (ح/٢٢٨١)، وأحمد في مسنده (ح/٦٤٩٥)(١٦٠/٢)، وأبي داود في سننه كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم (ح/١٦٩٢)(٢٦١)، البزار في مسنده (ح/٢٤١٥) (٣٩٣/٦)، والنسائي في سننه الكبرى (ح/٩١٧٧)(٣٧٤/٥)، وابن حبان في صحيحه (ح/٤٢٤٠) (٥١/١٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (ح/٥١٥٥) (٢٢٦/٥)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/١٣٤١٤) (٣٨٢/١٢)، والحاكم في المستدرك (ح/١٥٥٥) (٤٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووهب بن جابر من كبار تابعي الكوفة، والبيهقي في سننه (ح/١٥٤٧٢)(٤٦٧/٧).

التي لا تقيم للقيم الأخلاقيه المعهودة في شريعتنا وعاداتنا وزناً، ونضع بين أيديهم المجلات الماجنه [وما ماثل ذلك من الفضائيات الآثمة التي ترى بلا مبالاة ولا انضباط، ولا يغلب عليها جانب الخوف من الله فهذا الذي سبق وما ماثله] يفسد عقول الكبار فكيف بالصغار."[1]

*** ويتبع ما للأولاد والوالدين الإسراف في ضياع حقوق الأقارب والأرحام** التي أوصى بها عز وجل في قوله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[3].

يقول الإمام الرازي –رحمه الله– : "والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان ذلك أشق على القلب وأبلغ في الإيلام والإيحاش والضرورة وكلما كان أقوى كان دفعه أوجب فلهذا وجبت رعاية حقوق الأقارب"[4].

فمن تجاوز الحدود مع الأرحام قطيعتهم التي لا ينتج عنها إلا الفساد في الأرض.

ولذلك نهى الرسول ﷺ عن قطيعة الرحم حتى وإن كانت هي القاطعة. فقد سأل رجل فقال: يا رسول الله، إن لي قرابه أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال النبي ﷺ: ((لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ولا يَزَالُ مَعَكَ من اللَّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك))[5].

وأمر الإسلام بالعدل بين الأبناء حتى لا يؤدي ذلك إلى قطيعة الرحم بينهم"لذلك لا يشك إنسان في أن تفضيل أحد الأولاد إذا كان سيؤدي إلى القطيعة والعقوق، أو

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية (٢٣٦-٢٣٩)

(٢) سورة محمد الآية ٢٢، ٢٣

(٣) سورة النساء الآية ١

(٤) التفسير الكبير (٥٨٧/١)

(٥) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة–باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (ح/٢٥٥٨)(١١٢٢).

إليهما حرام وظلم وخروج عن أصول الواجب نحو الأسرة الواحدة. وكثيراً ما حدث التمزق في الأسرة والتناحر والتقاتل أحياناً بسبب وقوع الأبوين أو أو أحدهما في غلطة التفضيل، سواء التفضيل في العطف، أو التفضيل في العطاء المادي."[1]

*** ويسرف الإنسان ويضيع حقوق جاره الذي أوصى الله بالإحسان إليه** في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾[2].

" قال ابن عباس: الجار ذي القربى هو القريب النسب، والجار الجنب هو الأجنبي. وقيل: ذي القربى القريب المسكن منك، والجنب البعيد المسكن عنك. وحد الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية."[3]

وقوله ﷺ: ((ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))[4].

فلننظر إلى هذه الوصية من الله ورسوله بالجار لعظيم حقه، ولننظر إلى المسرفين المتجاوزين حدودهم مع جيرانهم كيف صنعوا؟؟

فقد يقوم الجار بإطالة بنائه مما يؤدي إلى منع الشمس والهواء عنه، وقد يقوم بحفر بئر بالقرب من بئره مما يؤدي إلى ذهاب ماء جاره، أو يضر به في ملكه سواء كان الضرر في جداره أو في أرضه.[5]

والإضرار بالجار قد يكون بالفعل أو القول وكل ذلك نهى عنه الرسول ﷺ في قوله: ((والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ)) قِيلَ: وَمَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ.

---

(١) السلوك الاجتماعي (٢٤٤)

(٢) سورة النساء الآية ٣٦

(٣) التسهيل للكلبي (١٨٩/١)

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأدب – باب الوصاة بالجار (ح/٦٠١٥)(١٠٨٤)، ومسلم كتاب البر الصلة–باب الوصية بالجار والإحسان إليه (ح/٢٦٢٥)(١١٤٥)

(٥) يُنظر: جامع العلوم والحكم (٣٢٤)

قال:((الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه))[1]. وقال ﷺ: ((من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ))[2].

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– : "وفي هذا: دليل على تحريم العدوان على الجار. سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل. أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه. كالذين يفتحون المذياع أو التلفاز أو غيرهما مما يسمع فيزعج الجيران. فإن هذا لا يحل له. حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتدٍ عليهم ولا يحل له أن يفعل ذلك.

وأما بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه. والتضيق عليه عند مداخل بابه أو بالدق أو ما أشبه ذلك مما يضره. ومن هذا أيضاً إذا كان له نخلة أو شجرة حول جدار جاره فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقي. فإن ذلك من بوائق الجار فلا يحل له. إذن يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيء. فإذا فعل فإنه ليس بمؤمن والمعنى أنه ليس متصفاً بصفات المؤمنين في هذه المسالة التي خالف بها الحق."[3]

* **ويدخل الإسراف في الإفراط والتفريط في الحقوق العامة للمسلمين** كمن له سلطة أو إدارة فإن عليه المحافظة عليها وعلى من يعملون تحت يديه فليتق الله ولا يظلمهم ولا يهمل حقوقهم. فقد أخبر الرسول ﷺ بمسئولية الجميع فقال: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ))[4].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب–باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (ح/٦٠١٦)(١٠٨٤)

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب – باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح/٦٠١٨) (١٠٨٥)، ومسلم كتاب الإيمان–باب الحث على إكرام الجار....(ح/٤٧)(٤١)

(٣) شرح كتاب الكبائر، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ومتضمنه الحكم على الأحاديث من كتب العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني، جمع وتحقيق: صلاح الدين محمود السعيد (٣٣٢) ط/١. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. دار الغد الجديد المنصورة–مصر.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأحكام – باب قول الله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ سورة النساء الآية ٥٩ (ح/٧١٣٨)(١٢٦٨)، ومسلم كتاب الإمارة–باب فضيلة الإمام العادل (ح/١٨٢٩)(٨٢٠)

قال الإمام النووي –رحمه الله– : " قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره. ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته."[١]

وقال ﷺ: ((اللهم من وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه وَمَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ))[٢].

فالإسراف في ضياع حقوق المسلمين يكون عن طريق الإفراط والتفريط في حقوقهم فإهمال حقوقهم وتركهم يفعلون ما يشتهون ليس هو الرفق.

" قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون وليس الأمر كذلك. بل الرفق أن تسير بالناس حسب أوامر الله ورسوله."[٣]

وبذلك يظهر أن الإسراف في الحقوق العامة يكون عن طريق: " التقصير الذي هو التفريط وما يترتب عليه من تضييع الحقوق، والتكاسل عن أداء الواجبات.

أو الإفراط وهو على العكس من ذلك، يؤدي إلى الغلو والإسراف والتطرف في الأمور كلها، وقد يحسب هؤلاء المفرطون أنهم يحسنون صنعاً، إذ يشددون على أنفسهم وعلى غيرهم."[٤]

---

(١) شرح النووي (٥٢٣/١٢)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل (ح/١٨٢٨)(٨١٩)

(٣) شرح كتاب الكبائر (١١٠)

(٤) موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح (٤٢٣٠/٩) دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة – المملكة العربية السعودية.

المبحث الخامس
الإسراف في المناسبات

تتعدد المناسبات التي يمر الإنسان بها منها الفردية ومنها الجماعية، كحفلات الزواج والأعياد، والمآتم والأحزان.

وسأذكر هنا بعض مظاهر إسراف الإنسان في هذه المناسبات حتى يظهر مدى تجاوزه فيما أباحه الله له.

المطلب الأول: الإسراف في حفلات الزواج

أمر الله ﷻ ورغب في الزواج لأنه يتميز ويختلف عن السفاح المذموم. فقال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾[1].

وهذا لا يتم إلا بدفع الصداق لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[2].

وكما شرع الصداق شرعت الوليمة لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف[3]: ((أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ))[4] وأمر ﷺ بحضور الدعوة على الوليمة فقال: ((مَنْ لم يُجِبْ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ))[5].

وأباح الشرع إعلان النكاح بالدف لقوله ﷺ: ((فَصْلُ بين الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ في النِّكَاحِ))[6].

---

(١) سورة النور الآية ٣٢

(٢) سورة النساء الآية ٤

(٣) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري أبو محمد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، واحد الستة أصحاب الشورى. ولد بعد عام الفيل بعشر سنين أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وسائر المشاهد. مات سنة اثنين وثلاثين. يُنظر: التاريخ الكبير (٢٣٩/٥)، ومشاهير علماء الأمصار (٨)، والاستيعاب (٣٨٦/٢-٣٩٠)

(٤) أخرجه البخاري كتاب النكاح –باب الوليمة ولو بشاة (٥١٦٧)(٩٥٠)، ومسلم كتاب النكاح –باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن....(ح/١٤٢٧)(٥٩٩)

(٥) أخرجه مسلم كتاب النكاح–باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (ح/١٤٣٢)(٦٠٦)

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (ح/١٥٤٨٩)(٤١٨/٣)، وابن ماجة في سننه كتاب النكاح – باب إعلان النكاح (ح/١٨٩٦) (٣٣٠)، والنسائي في سننه الكبرى كتاب النكاح – باب إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف (ح/٥٥٦٢) (٣٣١/٣)، والنسائي في سننه (المجتبى) كتاب النكاح – باب إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف (ح/٣٣٦٩)(٥٢١).

وبذلك " يجوز السماح للنساء في العرس بإعلان النكاح بالضرب على الدف فقط، وبالغناء المباح الذي ليس فيه وصف الجمال وذكر الفجور."[1]

فجميع هذه الأمور مباحة ومطلوبة عند هذه المناسبات ولكنها لابد أن تكون بعيدة عن الإسراف والتبذير وتجاوز الحدود لنهي الشرع عن ذلك؛ فالاعتدال مطلوب والتيسير أمر يندب إليه الشرع، ولكن نرى البعض –هداهم الله– يبالغون في هذه التكاليف ويطلبون مهوراً لا تطاق وكأنهم يتاجرون في بيع سلعة وليس زواج سوف تقوم عليه روابط أسرية.

أما إذا جاءت المناسبة وحلت بهم ساعتها الأولى فإننا نرى الإسراف واضحاً في شراء الملابس والتفاخر في أشكالها وشراء ما يلزم العروس وكأنها لن تشتري بعد هذا شيء أبداً. ثم التكاليف الباهضة في قصور الأفراح التي لم يأمر بها الشرع وإنما جعلها الناس فيما بينهم وحكموا بها على أنفسهم ولو أن سائلا وقف عند الباب وهو في أشد الحاجة إلى المال لما أعطي له ولو جزء بسيط مما يحتاجه. فلماذا هذا التباهي والتفاخر ونحن نعلم أن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

*** ويظهر الإسراف في هذه المناسبة من بداية الخطبة إلى نهاية العرس وسنذكر بعض هذه المظاهر على سبيل المثال لا الحصر.**

فمن ذلك تجاوز الحد في جعل ما هو عبادة أمر الله به يدخل في بدعهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

*** فنراهم عند الخِطْبة يقومون بقراءة الفاتحة**[2] وهذا ليس من عمل الرسول أو الصحابة. قال ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[3].

---

(١) آداب الزفاف في السنة المطهرة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (١٨٠) الطبعة الشرعية الوحيدة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار السلام للطباعة والنشر.

(٢) يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– : "وقد ابتدع بعض الناس اليوم في هذه السورة بدعة، يختمون بها الدعاء، ويبتدئون بها الخُطب ويقرؤونها عند بعض المناسبات، وهذا غلط: تجده مثلاً إذا دعا قال لمن حوله:(الفاتحة)، يعني اقرؤوا الفاتحة، وبعض الناس يبتدئ بها في خُطبه، أو في أحواله– وهذا أيضاً غلط؛ لأن العبادات مبناها على التوقيف والاتباع." تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة)(٤/١)

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع–٦٠ باب النجش، ومن قال: لا يجوز ذلك البيع (٣٦٥).

ومن ذلك لبس ما يسمى (دبلة الخطوبة) بقصد الاعتقاد الفاسد بأنها تسبب المحبة بين الزوجين وهي تعني بذلك (التولة)[1].

والدبلة: "خاتم يُشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج [وتختار له عندهم اليد اليسرى بدلاً من اليمنى]، وإذا ألقاه الزوج [أو حوله من اليسرى إلى اليمنى] قالت المرأة: إنه لا يحبها [بل تحول حبه إلى امرأة أخرى]، فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون: إنه مـــا دام في يد الزوج فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه الشرك الأصغر[2] وإن لم توجد هذه النية – وهي بعيدة ألا تصحبها– ، ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث، وهو لبس الذهب، فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك؛ فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم."[3]

وعادة لبس دبلة الخطوبة عادة نصرانية. يقول الألباني[4] –رحمه الله–: "ويرجع ذلك إلى عادة قديمة لهم، عندما كان العريس يضع الخاتم على إبهام العروس اليسرى، ويقول: باسم الأب. ثم ينقله واضعاً له على رأس السبابة، ويقول: وباسم الابن. ثم يضعه على رأس الوسطى، ويقول: وباسم الروح القدس، وعندما يقول آمين يضعه أخيراً في البنصر حيث يستقر"[5]. وهذا من تثليث النصارى المتناقض وشركهم الصريح.

---

(١) وهي "شيء يعلقونه على الزوج، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس شرعياً ولا قدرياً للمحبة. ومثل ذلك الدبلة." وتعد شركاً أصغر إذا اعتقد أنها سبب في المحبة "لأنه اعتقد ما ليس يسبب سبباً، فقد شارك الله –تعالى– في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب، والله –تعالى– لم يجعله سبباً." القول المفيد لابن عثيمين (١/١٦٥، ١٨١).

(٢) وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة. مثل الحلف بغير الله والرياء. شرح الأصول الستة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان (١٤٧، ١٤٨) ط/٣. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. دار الثريا للنشر ١٤١٧هـ. المملكة العربية السعودية–الرياض.

(٣) القول المفيد (١/١٨١، ١٨٢)

(٤) هو: محمد بن ناصر الدين الألباني، محدث العصر، له تصانيف كثيرة منها: تخريج أحاديث البيوع وآثاره، الدعوة السلفية:أهدافها وموقفها من المخالفين لها، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، وغيرها. توفي سنة (عشرين وأربعمائة وألف) ينظر: معجم المؤلفين المعاصرين (٢/٧٣٠-٧٣٧)

(٥) آداب الزفاف (٢١٢)

* **ومن الإسراف في ذلك ما تفعله العروس في تلك الليلة** من نتف الحاجب ووصل الشعر لإطالته كذباً وتدليساً وهي تعلم أن هذا محرم وفيه تغير لخلق الله لقوله ﷻ : ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ﴾[1]، وجاء في صحيح البخاري (لَعَنَ عبد اللَّهِ[2] الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ[3] وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ) [4].

وهذه من الأفعال المحرمة التي يصعب حصرها، والتي لا تجد الفتاة عذراً لهذه الأفعال سوى قولها بأن هذه هي ليلة العمر، فإذا انقضت تبت من ذلك.

* **ويظهر الإسراف في تجاوز بعضهم الحدود والقيام بزفة للعريس أمام النساء** ويعد ذلك من المخالفات المنهي عنها لما في هذا من الكشف على النساء الحاضرات.

كما يظهر الإسراف في خروج النساء متعطرات كاسيات عاريات مما يؤدي إلى حصول الفتنة حتى بين النساء.

لقوله ﷺ: ((نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رؤوسهن كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ من مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا))[5].

وقوله ﷺ: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ على قَوْمٍ لِيَجِدُوا من رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ))[6].

---

(١) سورة النساء الآية ١١٩

(٢) هو: عبد الله بن مسعود سبقت ترجمته (ص/٤٤)

(٣) قال الفراء: النامصة التي تنتف الشعر من الوجه ومنه قيل للمنقاش المنماص لأنه ينتف به. غريب الحديث لابن سلام (١٦٦/١)

(٤) كتاب اللباس – باب المتنمصات (ح/٥٩٣٩)(١٠٧٣)

(٥) أخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة–باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (ح/٢١٢٨) (٩٥١).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (ح/١٩٧٢٦)(٤١٣/٤)، والنسائي في سننه الكبرى كتاب الزينة – باب ما يكره للنساء من الطيب (ح/٩٤٢٢)(٤٣٠/٥)، والنسائي في سننه(المجتبى) كتاب الزينة – باب ما يكره للنساء من الطيب (ح/٥١٢٦)(٧٧٦)، والحاكم في المستدرك (ح/٣٥٤٩)(١٥٩/٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

*** وقد نهى الدين عن الإسراف وإن كان في الشيء المباح، فنرى أنه أمر بوليمة العرس ولكنه لم يأمر بالإسراف فيها؛** " فولائم الأعراس هي في العادة أحق الولائم بالبذل والترخيص.

ومع جمال المناسبة التي تقام فيها، فإن الإسلام لا يرى إباحة السرف في طعامها"[1]. لأن الإسراف فيها دليل على التبذير لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[2].

فإننا نرى الأكل مرمياً به هنا وهناك دون أن يأكل منه نصفه أو حتى ربعه وما بقي ينقل إلى المزابل.

وأصحاب المناسبة لا يدعون إلا من هم أصحاب المقامات العالية ونسوا أن هؤلاء في غنى عن أكل تلك الولائم وأن من يستحق أن يكون أول المدعوين هم الفقراء.

" فلا يجوز أن يخص بالدعوة الأغنياء دون الفقراء؛ وذلك هو السبب الرئيسي في كون الوليمة هي شر الطعام."[3]

وعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: ((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لها الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ تعالى وَرَسُولَهُ ﷺ))[4].

" فانظر ماذا يصنع المسلمون في أعراسهم، وكم تبهضهم النفقات المفروضة في إعداد ولائم حافلة حاشدة لا يطعم منها جائع ولا محروم."[5]

فإذا كان الإسراف في المباح منهياً عنه فمن باب أولى أن يكون عن المحرم أشد، فقد تجاوز أصحاب مناسبات الأفراح حدودهم في فعل ما نهى الله عنه كإحضار المغنين والمغنيات ومعهم الآلات وإنفاق الأموال الطائلة عليهم مع علمهم

---

(١) ليس من الإسلام لمحمد الغزالي (٢٨٢) ط/٣. ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. دار الكتب الحديثة لصاحبها: توفيق عفيفي ١٤ شارع الجمهورية – القاهرة.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٦، ٢٧

(٣) آداب الزفاف (١٥٣)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح – باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله (ح/٥١٧٧) (٩٥١)

(٥) ليس من الإسلام (٢٨٣)

أن الله قد نهى عن الغناء حيث قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾[1].

يقول الإمام ابن جرير– رحمه الله– : "عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عم بقوله:﴿ لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ ولم يخصص بعضا دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه والغناء والشرك من ذلك."[2]

ويصاحب ذلك رفع الصوت عن طريق المكبرات مما يؤدي إلى إيذاء الجيران وهذا مما نهى عنه الدين لقوله تعالى: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾[3].

" فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختص بذلك الحمار الذي قد عُلِمت خسته وبلادته."[4]

فالإسلام نهى عن رفع الصوت في الشيء المباح والواجب كالذكر وقراءة القرآن فمن باب أولى أن يكون ذلك النهي في الشيء المحرم.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: ((ألا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فلا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا))[5].

فالغناء في الأفراح ليس بمنكر وإنما المنكر رفع الصوت به وأن يكون كلاماً هابطاً..

---

(١) سورة لقمان الآية ٦

(٢) جامع البيان (٦٥٤٩/٨)

(٣) سورة لقمان الآية ١٩

(٤) تفسير السعدي (٦٤٩)

(٥) أخرجه أبو داود في سننه أول كتاب الصلاة– باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (ح/١٣٣٢) (٢٠٧)

يقول الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–: "والغناء ليلة الزفاف ليس بمنكر، وإنما المنكر الغناء الهابط المثير للشهوة، الموجب للفتنة، وقد كان بعض المغنيات يأخذن الأغاني المعروفة التي فيها إثارة للشهوات، وفيها إلهاب للغرام والمحبة والعشق. ثم أن هناك محذوراً آخر يصحب هذا الغناء، وهو ظهور أصوات النساء عالية في المكبر، فيسمع الرجال أصواتهن ونغماتهن، فتحصل بذلك الفتنة لا سيما في هذه المناسبة [التي يحاول جمع من الناس إرضاء الشيطان وإلغاء العقل بل وينتقصون ممن ينصحهم في ذلك، ويحتجون أيضاً بأنها ليلة العمر وما أذكره من ذلك قليل من كثير اقتحمت به عاداتنا الإسلامية]، وربما حصل في ذلك إزعاج للجيران لا سيما [إذا كانت الأماكن مكشوفة] إن استمر ذلك إلى ساعة متأخرة من الليل."[1]

*** ومن مظاهر الإسراف في الأفراح ذاك الأمر العظيم والخطر الجسيم الذي قامت به الفتنة وخربت به العديد من البيوت وهي اصطحاب آلات التصوير** إلى قصور الأفراح وبخاصة ما كان بقصد تصوير النساء سواء كان ذلك التصوير بالفيديو أو غيرة كالجولات الحديثة. فلربما نشرت هذه الصور فتقع في أيدي من لا يخاف الله!!

ويصاحب ذلك هذا النوع من الإسراف السهر إلى وقت متأخر من الليل مما يؤدي ذلك إلى ضياع صلاة الليل، وصلاة الصبح وغياب المرأة عن بيتها وأولادها وهذا أمر لا يرضاه الشرع.

فعن أبي برزة ﷺ[2]: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يَكْرَهُ النَّوْمَ قبل الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا)[3].

---

(١) من منكرات الأفراح بقلم الشيخ: محمد بن صالح العثيمين (٥) ط/١. جماد الثانية ١٤١٢هـ. دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض.

(٢) هو: نضلة بن عبيد الأسلمي أبو برزة مشهور بكنيته، أسلم قديماً شهد فتح خيبر وفتح مكة وحنيناً، له صحبه مع النبي ﷺ وغزا معه سبع غزوات. ينظر: التاريخ الكبير (١١٨/٨)، والثقات (٤١٩/٣)، ورجال صحيح مسلم لأحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، تحقيق: عبد الله الليثي (٢٩٥/٢) ط/١. ١٤٠٧هـ. دار المعرفة بيروت.

(٣) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة – باب ما يكره من النوم قبل العشاء (ح/٥٦٨)(١١١).

فلنتساءل أين ولاة الأمر – المباشرون ومن بعدهم وكل من له ولاية خاصة أو عامة– من هذا ؟ لماذا لا يأمرون بمنع هذا الخطر؟ فو الله إنه لداء عضال دب في مجتمع المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله.

المطلب الثاني: الإسراف في الأعياد

العيد: كل يوم مَجْمَع. وهو مشتق من عاد يعود؛ لأنه يعود كل عام، وسمي عيداً لأنهم اعتادوه. والجمع منه أعياد.[١]

وأيضاً "سمي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد"[٢]

" والعيد ما يعاود مرة بعد أخرى وخص في الشريعة بيوم الفطر ويوم النحر... وصار يستعمل العيد كل يوم فيه مسرة."[٣]

" وعند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن."[٤]

وقد جعل الله ﷻ للمسلمين عيدين في السنة وهما عيد الفطر وعيد الأضحى لقوله ﷺ: ((يا أَيُّهَا الناس إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد نَهَاكُمْ عن صِيَامِ هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَوْمُ فِطْرِكُمْ من صِيَامِكُمْ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَوْمٌ تَأْكُلُونَ))[٥]

كما يعد يوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين لاجتماع الناس فيه كل أسبوع.

لقوله ﷺ: ((إِنَّ هذا يَوْمُ عِيدٍ جَعَلَهُ الله لِلْمُسْلِمِينَ فَمَنْ جاء إلى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ وَإِنْ كان طِيبٌ فَلْيَمَسَّ منه وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))[٦]

وبذلك لا يشرع لأحد أن يضع أعياداً أخرى، فهي من المناهج والمناسك التي حددها الله في قوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾.[٧]

---

(١) يُنظر: مقاييس اللغة (٦٩٣)، والمصباح المنير (٢٥٩)

(٢) لسان العرب (٣١٩/٣)

(٣) المفردات للراغب (٣٩٣).

(٤) التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي (١٨٨/١) ط/١. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. دار الصحابة للتراث مصر.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الأضاحي-باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي (ح/٥٥٧١)(١٠٢٠)

(٦) أخرجه ابن ماجة كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها -باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة (ح/١٠٩٨)(١٩٧) واللفظ له، والطبراني في المعجم الأوسط (ح/٧٣٥٥)(٢٣٠/٧)

(٧) سورة الحج الآية ٦٧

وفي مثل هذه الأيام من الأعياد يفرح الإنسان فيها ولكن عليه ألا يتجاوز حده في الفرح فيخرج من المباح إلى المحظور أو المحرم وبذلك نرى أنه "لم يفت الإسلام وقد بنا عيدي المسلمين على معاني المجد والقوة، والسمو والسلطان، أن ينظر إلى الجانب المادي في الإنسان فيعطيه في يوم عيده الحق في التمتع بالملابس الجديدة والمآكل الطيبة، واللهو البريء الذي لا يخدش عرضاً، ولا يقتحم كرامة، ولا يمس حرمة، قضاء لحق الطبيعة البشرية في ترويض البدن والترويح عن النفس"(١).

ونرى اليوم البعض قد جعلوا أعياداً ما أنزل الله بها من سلطان ولا نعلم لها أصلاً ولا من أين لهم هذه المسميات التي لم يذكرها القرآن الكريم ولا السنة النبوية ولا السلف بشيء، لكن جهلهم بدينهم وتقليدهم لمن هم أعداء لهم أعمى بصائرهم وجعلهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

فقد ظهر ما يسمى بعيد الأم، وعيد الحب، وعيد رأس السنة، وعيد الميلاد، وغيرها من التسميات لهذه الأعياد المبتدعة.

" والأصل في العبادات التوقف، فلا يجوز لأحد أن يتعبد بما لم يشرعه الله ﷻ، لقوله ﷺ: ((من أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليس فيه فَهُوَ رَدٌّ))(٢) وقوله ﷺ: ((وَمَنْ عَمِلَ عَمَلا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))(٣) وأعياد الموالد نوع من العبادات المحدثة في دين الله فلا يجوز عملها لأي أحد من الناس مهما كان مقامه أو دوره في الحياة، فأكرم الخلق وأفضل الرسل –عليهم السلام– محمد بن عبد الله ﷺ لم يحفظ عنه أنه أقام لمولده عيداً ولا أرشد إليه أمته، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها خلفاؤها وأصحابه لم يحفظ عنهم أنهم أقاموا عيداً لمولده أو لمولد أحد منهم –رضوان الله عليهم–

---

(١) من توجيهات الإسلام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت (٤٤٨) جماد الآخرة سنة ١٣٧٩هـ/ديسمبر سنة ١٩٥٩م. مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلح–باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود (ح/٢٦٩٧) (٤٦٩)، ومسلم كتاب الأقضية –باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (ح/١٧١٨)(٧٦٢)

(٣) سبق تخريجه (ص/١٨١)

والخير في اتباع هديهم وما استقوه من مدرسة نبيهم ﷺ، يضاف إلى ذلك ما في هذه البدعة من التشبه باليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة فيما أحدثوه من الأعياد – والله المستعان"[1].

*** ومن الإسراف في هذه الأعياد مشاركة من يقوم بها** حتى وإن كانت هذه المشاركة مجرد مجاملة كوجود الشخص مثلاً في بلد تقام فيه مثل هذه الأعياد.

" إن تهنئتهم بعيدهم يعتبر تأييداً لهم على كفرهم وافترائهم على رب العالمين، والمجاملة في الدين نوع من النفاق والعياذ بالله، فلا يجوز مشاركة الكفار في أعيادهم بحضورها، أو بعث الهدايا لهم بمناسبتها، أو تهنئتهم بها، لأن ذلك إقرار لهم بما هم عليه من الكفر والظلم والفسوق والضلال، فمن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"[2].

وإذا أقام المسلمون مثل هذه الأعياد فهم بذلك قد تشبهوا بقوم نهى الرسول ﷺ عن التشبه بهم لقوله: ((مَن تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهم))[3].

*** ومن الإسراف مشاركتهم في أعيادهم ببيعهم ما يستعينون به على عيدهم.**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : " فأما بيع المسلم لهم في أعيادهم ما يستعينون به على عيدهم، من الطعام واللباس والريحان ونحو ذلك، أو إهداء ذلك لهم، فهذا نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم، وهو مبني على أصل وهو: أنه لا يجوز أن يبيع الكفار عنباً أو عصيراً يتخذونه خمراً، وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحاً يقاتلون به مسلماً."[4]

---

(١) وما قيل في عيد الميلاد قيل في غيره من الأعياد كعيد الأم وغيره. وللمزيد يُنظر:فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (٥٦/٣، ٥٧) ط/١. ١٤١١هـ. دار أولي النهى.

(٢) مجموع فتاوى وبحوث إعداد وتأليف الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع (٢٠١/١) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار العاصمة –المملكة العربية السعودية –الرياض.

(٣) سبق تخريجه (ص/١٣٧)

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية تحقيق أحمد بن علي القفيلي (٢٣٩) ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة

* **وظهرت العديد من الاحتفالات المبتدعة كالاحتفال بالمولد النبوي.** وليلة الإسراء والمعراج وما يقام فيها من قراءة كتاب يسمى (مولد النبي) وضرب الدفوف وغيرها من المنكرات.[١]

* **كذلك ما يقام من الاحتفال بليلة النصف من شعبان** وتخصيصها بذلك فهذا إسراف مع ما يقع فيها من إسراف آخر وهو تخصيصها بنوع آخر من البدع الدينية كتخصيص الصدقة في تلك الليلة والصلاة وقراءة القرآن وهذه من البدع الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان.[٢]

* **أيضاً من الإسراف ما يقام في اليوم العاشر من شهر المحرم** ذلك اليوم الذي أنقذ الله فيه نبيه موسى عليه السلام. فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قَدِمَ النبي ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يوم عَاشُورَاءَ، فقال:((ما هذا؟)) قالوا: هذا يَوْمٌ صَالِحٌ هذا يَوْمٌ نَجَّى الله بَنِي إِسْرَائِيلَ من عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى. قال:((فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ)).[٣]

وهذا اليوم "المسلمون فيه قسمان:

الشيعة، وشغلهم يومئذ أن يضربوا أنفسهم بما يصل إلى أيديهم، حزنا على مقتل الحسين!

وبعض أهل السنة، والأمر بينهم بالعكس، فهم يصنعون الولائم ويكثرون الأطعمة والحلوى.

وصنيع هؤلاء وأولئك -على ما ينطق به من فرقة وهوس- لا أصل له في الإسلام."[٤]

نزار مصطفى الباز-مكة المكرمة.وللمزيد عن معرفة هذه الأعياد وأحكامها راجع نفس المرجع(١٩٣-٣٩٠)

(١) لمعرفة المزيد من ذلك راجع فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٢-٣٧)

(٢) يُنظر: ما ورد في ذلك من الفتاوى والردود على الأسئلة عن أحكام هذه الأمور. فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٤٢-٥٣)

(٣) أخرجه البخاري كتاب الصوم -باب صيام يوم عاشوراء (ح/٢٠٠٤)(٣٤٢).

(٤) ليس من الإسلام لمحمد الغزالي (٢٩٩)

وليس هناك من احتفال أعظم من أن يطيع المسلم ربه ورسوله الذي أمر بصيامه. وليس فوق ذلك شيء.

ومن صور الإسراف في هذا اليوم: اعتقاد البعض مشروعية التوسعة على الأهل والعيال فيه وهذا الاعتقاد بدعة باطلة. "والمشروع صيام اليوم العاشر من شهر المحرم مع اليوم التاسع أو الحادي عشر، وإذا حث الخطيب أو المدرس الناس على ذلك وبين فضله فهو خير، أما التوسعة على الأهل في الطعام في ذلك اليوم بقصد أن ذلك مما شرع تفضيلاً له فهو بدعة، وما ورد في فضل التوسعة فيه على الأهل من الأحاديث لم يصح."[1]

إذا كان ذلك بنية العبادة والطاعة لله فلم يرد أمر، أما إن قصد إدخال السرور على أولاده بطعام غير مرتبط بكونه عبادة أو أمر ديني كان ذلك من توسعته في النفقة كغيره من الأيام.

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– : " وأما يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ سئل عن صومه فقال: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ))[2] يعني التي قبله وليس في هذا اليوم شيء من شعائر الأعياد، وكما أنه ليس فيه شيء من شعائر الأعياد فليس فيه شيء من شعائر الأحزان أيضاً فإظهار الحزن أو الفرح في هذا اليوم كلاهما خلاف السنة ولم يرد عن النبيﷺ في هذا اليوم إلا صيامه، مع أنه عليه السلام أمر أن نصوم يوماً قبله أو يوماً بعده حتى نخالف اليهود الذين كانوا يصومونه وحده."[3]

وغيرها من المواسم التي اتخذها الناس أعياداً وذلك دليل على جهل هؤلاء بأحكام الدين.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٥٣/٣)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الصيام – باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس (ح/١١٦٢)(٤٧٧)

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان (٢٩٧/٢) ط/٣. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. دار الثريا للنشر –مؤسسة الجريسي للتوزيع –المملكة العربية السعودية.

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–: "أن هؤلاء الذين يعظمون هذه المناسبات، ويدعون أنهم يحبون الرسول ﷺ ويعظمونه بإحداثهم لهذه البدع وأمثالها، هم في الحقيقة معارضون للرسول ﷺ تجدهم متهمين له إما بالجهل، وإما بالكتمان والتكاسل عن العمل، لأننا نقول إن هذا الذي تتقربون به إلى الله إما أن يكون قربة جهلها الرسول ﷺ فلم يعلمها، وإما أن يكون علمها فكتمها ولم يُعلمها، وكلا الأمرين قدح في الرسول ﷺ لا شك، ثم لو تجاوزنا أكثر لقلنا: ومضمونه تكذيب لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

فإنه إذا كانت هذه البدع من الدين ولم توجد في شريعة الله لم يصدق أن الله أكمل دينه وأتم نعمته، فمستلزمات ومقتضيات البدع خطيرة جداً جداً لو تأملها أصحابها ما أقاموا على البدع طرفة عين.

لكنهم تعميهم العاطفة أو التقليد الأعمى؛ العاطفة لما في قلوبهم من محبة الرسول ﷺ [وهذا أدى بهم إلى إطراء الرسول ﷺ والغلو في محبته التي نهى عنهـــا بقوله: ((لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النَّصَارَى بن مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ فَقُولُوا عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ))[2]] أو التقليد الأعمى في مضاهاة اليهود والنصارى فيتخذون مثل هذه البدع."[3]

---

(١) سورة المائدة الآية ٣

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء–باب قول الله–تعالى–: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ سورة مريم الآية ١٦ (ح/٣٤٤٥)(٦١٠)

(٣) شرح اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، شرحه الشيخ: محمد بن صالح العثيمين اعتنى به: فتحي صالح توفيق (٣٥١) ط/١. ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٣م. دار ابن الهيثم مصر–القاهرة.

المطلب الثالث: الإسراف في المآتم

المأتم عند العرب: نساء يجتمعن في الخير والشر. والجمع (المآتم). وعند المصيبة يقولون كنا في مأتم فلان والصواب كنا في مناحة فلان.[١]

والمأتم: كل مجتمع في حزن أو فرح أو خاص بالنساء أو الشواب.[٢]

ويطلق المأتم: على الأحزان أكثر منه على الأفراح فقد جبل الإنسان على أن يفرح لكل أمر فيه سرور، وأن يحزن لكل ما هو سيء.

وقد نهى الدين الإسلامي عن **الحزن المتواصل** " الذي هو الألم على فوت مطلوب أو حصول مكروه."[٣]

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[٤].

" أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم ولا تحزنوا في قلوبكم عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى فإن الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليكم وأعون لعدوكم عليكم بل شجعوا قلوبكم وصبروها وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم وذكر تعالى أنه لا يليق بهم الوهن والحزن وهم الأعلون في الإيمان ورجاء نصر الله وثوابه فالمؤمن المبتغي ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي له ذلك."[٥]

والحزن والبكاء على فراق الأحبة والأقارب لا مانع فيه ولكن بشرط ألا يتجاوز حد المعقول فيدخل في الإسراف فقد بكى يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾[٦].

---

(١) مختار الصحاح (١٤)، ويُنظر: لسان العرب (٣/١٢، ٤)

(٢) القاموس المحيط (١٣٨٨/١)

(٣) مجموعة الفتاوى (١٣١/١٦)

(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٩

(٥) تفسير السعدي (١٥٠)

(٦) سورة يوسف الآية ٨٤

وقال ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم: ((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ولا نَقُولُ إلا ما يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))[1].

أما إذا تجاوز الحزن الحد فإن ذلك عين الإسراف بمخالفة الرسول ﷺ التي نهى عنها ﷻ بقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2].

* **ويظهر الإسراف في المآتم والأحزان في النياحة** وهي " رفع الصوت بالندب: تعديد النائحة بصوتها على محاسن الميت."[3] والنياحة تشمل رفع الصوت وشق الجيب ولطم الخد وهي جميعاً من عادات الجاهلية التي نهى عنها ﷻ بقوله: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾[4].

" أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي ومن ذلك النهي عن النياحة وشق الجيوب ووصل الشعر [وبعضهن تحلقه إطالة لزمن الحزن وإمعاناً فيه] وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه."[5]

وقال عليه السلام: ((ليس مِنَّا من لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))[6]

وفي ذلك دلالة " على تحريم ما ذكر من شق الجيب وغيره وكأن السبب في ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء."[7]

والرضا بالقضاء يعد الأصل في مواجهة كل حزن وابتلاء وبه الله تعالى يخفف البلاء ويخلف صاحبه فيه خيراً دنيوياً وأخروياً. وما يفعله الناس مما هو

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز –باب قول النبي ﷺ:((إنا بك لمحزونون)) (ح/١٣٠٣)(٢٢٧)

(٢) سورة الحشر الآية ٧

(٣) الكبائر للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: أبو نزار المكي (١٥٦)ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة –المملكة العربية السعودية.

ويقول ابن عثيمين هي: "البكاء على الميت برنة. تنوح فيها كما تنوح الحمام." شرح الكبائر (٢٩٨)

(٤) سورة الممتحنة الآية ١٢

(٥) التسهيل للكلبي (٤٣٩/٢)، ويُنظر: تفسير السمعاني (٤٢١/٥)، وتفسير السعدي (٨٥٨)

(٦) أخرجه البخاري كتاب الجنائز –باب ليس منا من شق الجيوب (ح/١٢٩٤)(٢٢٥) واللفظ له، ومسلم كتاب الإيمان–باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية (ح/١٠٣)(٥٨)

(٧) فتح الباري (١٨٨/٣)

خلاف ذلك إنما هو من وساوس الشيطان ليبعدهم عن رضا الرحمن، ويفقدهم الأجور، ويسخطهم على القضاء وكل ذلك نقص في الإيمان.

وإن من هديه ﷺ: "السكون والرضا بقضاء الله، والحمد لله، والاسترجاع، ويبرأ ممن خرَّق من أجل المصيبة ثيابه، أو رفع صوته بالندب والنياحة، أو حلق لها شعره."[١]

من خلال ذلك يظهر:"إجماع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء، ورخص الجمهور في بكاء العين في كل وقت"[٢]. بشرط ألا يسترسل مع هوى نفسه، وأن يحفظ لسانه وخواطره عن الاعتراض أو معانيه، فإن الشيطان من هذه الأبواب يأتيه.

يقول الإمام الذهبي[٣] –رحمه الله–: " قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام. [وذكر قوله ﷺ]: ((ألا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، ولا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بهذا– وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ– أو يَرْحَمُ)) [٤]"[٥].

*** من الإسراف في المآتم الجلوس للتعزية والاجتماع لها** لأن ذلك ليس من هدي الرسول ﷺ.

---

(١) زاد المعاد (١٩١)

(٢) الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض (٦٨/٣) ط/١. ٢٠٠٠م. دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) هو: الإمام الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، كان محدثاً، عارفاً بالأسماء، له تصانيف كثيرة منها: تاريخ الإسلام الكبير، طبقات الحفاظ، الكبائر، العرش، أحاديث الصفات. توفي سنة (ثمان وأربعين وسبعمائة) ينظر: الدرر الكامنة (٣٣٦/٣–٣٣٨)، وشذرات الذهب (٣٣٥/٦–٣٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز – باب البكاء عند المريض (ح/١٣٠٤)(٢٢٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الجنائز – باب البكاء على الميت (ح/٩٢٤)(٣٧١)

(٥) الكبائر للذهبي (١٥٦)

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "وكان من هديه تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء، ويقرأ له القرآن، لا عند قبره ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهه."[١]

ويقول الإمام الشافعي[٢] –رحمه الله–: " وأكره النياحة على الميت بعد موته وأن تندبه النائحة، لكن يعزى بما أمر الله ﷻ من الصبر والاسترجاع.

وأكره المآتم، وهي الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المؤنة "[٣].

لما في ذلك الاجتماع من التكليف على أهل الميت وجعلهم ينفقون النفقات الطائلة على صنع الطعام لهؤلاء المجتمعين وفيه مخالفة لما أمر به الرسول ﷺ لما نعى جعفر فقال: ((اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فإنه قد أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ))[٤].

ويستدل بذلك على أنه "يستحب لجيران أهل الميت والأقرباء والأباعد تهيئة طعام لهم يشبعهم يومهم وليلتهم... ويكره اتخاذ الضيافة من أهل الميت لأنه شُرع في السرور لا في الشرور وهي بدعة مستقبحة."[٥]

---

(١) زاد المعاد (١٩١)

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي. ابن عم الرسول ﷺ. طلب الرماية والعلم. أقبل على الفقه والحديث، وبرع في الشعر واللغة.. توفي سنة (أربع ومائتين) ينظر: الثقات (٣٠/٩، ٣١)، وتذكرة الحفاظ (٣٦١/١-٣٦٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٩٢/١).

(٣) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق الدكتور/ رفعت محمد عبد المطلب. (٦٣٨/٢)، ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار الوفاء للطباعة والنشر- ح.م.ع المنصورة.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (ح/١٧٥١)(٢٠٥/١)، وابن ماجة كتاب الجنائز-باب ما جاء في الطعام يبعث لأهل الميت (ح/١٦١٠، ١٦١١) (٢٨٢)، وأبي داود كتاب الجنائز - باب صنعة الطعام لأهل الميت (ح/٣١٣٢)(٤٨٠)، والترمذي في سننه كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت (ح/٩٩٨) (٢٣٧) وقال: هذا حديث حسن. وجعفر بن سارة، وهو ثقة، روى عنه ابن جريج، والدار قطني في سننه (٨٧/٢)، والحاكم في المستدرك (ح/١٤١٧) (٧٠٤/١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وجعفر بن خالد بن سارة من أكابر مشايخ قريش.

(٥) شرح سنن ابن ماجة لجلال الدين السيوطي (١١٦/١)، وعون المعبود (٢٨٢/٨)

" واصطناع أهل الميت له [للطعام] لأجل اجتماع الناس عليه بدعة مكروهة بل صح عن جرير ﷺ[1]: (كنا نعده من النياحة)[2] وهو ظاهر في التحريم."[3]

لأن ذلك دليل على الإسراف الذي نهى عنه ﷻ في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[4].

ولأنه ﷺ " كان من هديه أن أهل الميت لا يتكلفون الطعام للناس، بل أمر بصنع الناس لهم طعاماً يرسلونه إليهم وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم والحمل على أهل الميت، فإنهم في شغل بمصابهم عن إطعام الناس."[5]

*** ومن الإسراف في المآتم إبقاء الناس مدة الحداد بما يزيد عن ثلاثة أيام** وهي التي حددها الرسول ﷺ حيث قال: ((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ على مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ إلا على زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا))[6].

والإحداد: "ترك المرأة الزينة كلها من اللباس والطيب، والحلي والكحل والخضاب بالحناء"[7]

فنرى البعض مثلاً تبقى في حدادها أسبوعاً وبعضهن شهراً وأخرى أربعين يوماً وبعضهن يبقين عاماً كاملاً بدون دليل يستدللن به سوى مخالفتهن لأمر الرسول ﷺ.

---

(١) هو: جرير بن عبد الله بن جابر البجلي الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو وقيل أبا عبد الله، وفد على النبي ﷺ سنة عشر في رمضان. سكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج منها هو وعدي بن حاتم وحنظلة الكاتب. مات –رحمه الله– سنة (إحدى وخمسين). يُنظر: الثقات (٣/ ٥٥)، والإصابة (١٨٥، ١٨٦).

(٢) وأصل الحديث: ((كنا نَرَى الِاجْتِمَاعَ إلى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ من النِّيَاحَةِ)) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٦٩٠٥)، وابن ماجه في سننه (ح/١٦١٢)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/٢٢٩٧)

(٣) مرقاة المفاتيح للقاري (١٩٤/٤)

(٤) سورة الأعراف الآية ٣١

(٥) زاد المعاد (١٩١)

(٦) أخرجه البخاري كتاب الجنائز –باب حد المرأة على غير زوجها (ح/١٢٨١)(٢٢٣)، ومسلم كتاب الطلاق –باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك، إلا ثلاثة ايام (ح/١٤٨٦)(٦٤٦).

(٧) تفسير القرطبي (١٧٠/٣).

*** وأيضاً من الإسراف في المآتم استئجار من يقوم بقراءة القرآن على روح الميت.**

" وهذا من البدع وليس فيه أجر للقراء ولا للميت، [ولا لأهله] ذلك لأن القارئ إنما قرأ للدنيا والمال فقط وكل عمل صالح يقصد به الدنيا فإنه لا يقرب إلى الله ولا يكون فيه ثواب عند الله، وعلى هذا فيكون هذا العمل – يعني استئجار شخص ليقرأ القرآن الكريم على روح الميت –يكون هذا العمل ضائعاً ليس فيه سوى إتلاف المال على الورثة فليحذر منه فإنه بدعة ومنكر"[1]. وأشد منه حرمة وإنكاراً استئجار نائحة تذكر القصائد التي لا تملك القلوب إلا التقطع لسماعها.

بالإضافة إلى ذلك ما يكون في هذا المجلس من الضوضاء التي لا يكون معها استماع وإنصات للقرآن. وما في ذلك أيضاً من إحداث بعض المنكرات كشرب الدخان المحرم، وحديث النساء وتناقلهم الكلام الذي لا فائدة فيه بل هو من المحرمات.

وبذلك يظهر أن "المآتم كلها [مع هذه الصور] بدعة سواء كانت ثلاثة أيام، أو أسبوع، أو أربعين يوماً، لأنها لم ترد في فعل السلف الصالح –رضي الله عنهم– ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولأنها إضاعة مال، وإتلاف وقت وربما يحصل فيها شيء من المنكرات من الندب والنياحة."[2]

" وحتى يستطيع المسلمون الخروج من ذلك لابد من إقامة السنة الصحيحة، أي بمحو هذه التقاليد جميعاً. وأن يستقبل المرء قضاء الله وهو متجلد. فلا يأذن للجزع أن يسكن فؤاده، ولا يدع الحزن يمر بساحته إلا عابراً."[3]

---

(١) فتاوى ابن عثيمين (٣٠٤/٢)

(٢) فتاوى ابن عثيمين (٣٠٥/٢)

(٣) ليس من الإسلام لمحمد الغزالي (٢٧٥)

المبحث السادس
الإسراف في اللهو والترفيه

لقد عامل الإسلام الإنسان معاملة تناسب فطرته التي فطره الله عليها وغرائزه التي أوجدها الله فيه "لذلك لم يفرض على الناس أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل صمتهم فكراً، وكل سماعهم قرآناً، وكل فراغهم في المسجد. وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم ﷻ يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون."(١)

وحكمة عدم جعل ذلك فرضاً لازماً والاكتفاء بكونه وصية مرغوباً إليها أن الإسلام ينمي فينا مبدأ الاعتدال ويؤسس عباده على الكرامة والحرية المنضبطة؛ فلا إفراط ولا تفريط وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيرا.

ولذلك أباح الله ﷻ لعباده اللهو والترفيه بما يناسب الحاجة إليه.

فاللهو: هو "الشيء الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي."(٢)

واللهو: "هو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة."(٣)

والترفيه: من الرفاهية وهي "سعة الرزق ونعومة العيش."(٤)

والإسلام يبيح ألواناً من اللهو واللعب للترفيه عن النفس وإراحة الجسم بعد التعب.

فها هو النبي ﷺ أقر أصحابه على السباق وفعله ﷺ مع أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– فقالت: (سَابَقَنِي النبي ﷺ فَسَبَقْتُهُ)(٥).

---

(١) الحلال والحرام تاليف: الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي (٢٦٤) ط/١٥. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. المكتب الإسلامي بيروت–دمشق–عمان.

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٧٣)، والتعاريف للمناوي (٦٢٩)

(٣) التعاريف للمناوي (٦٢٩)

(٤) التعاريف للمناوي (٣٦٩)، ويُنظر: الصحاح (٤٢٠)، ولسان العرب (٤٩٢/١٣)

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٢٤١٥٦)(٣٩/٦)، وابن ماجة كتاب النكاح – باب حسن معاشرة النساء (ح/١٩٧٩)(٣٤٢)، وابن حبان في صحيحه (ح/٤٦٩١)(٥٤٥/١٠)، وصححه الألباني في الإرواء (ح/١٥٠٢)(٣٢٧/٥)

ومن صنوف الألعاب واللهــو المشروعة اللهب بالسهام والحراب والرمي بها لقــوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]، وقال ﷺ: ((ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[2].

وقال ﷺ: ((ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ))[3].

وأباح الإسلام ركوب الخيل والسباق بها لما فيه من الترفيه عن النفس والاستعداد للجهاد فقال تعالى:﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[4].

وقال ﷺ: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ الله فلا يَعْجِزُ أحدكم أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))[5].

فكل هذه المباحات اشترط فيها عدم الإسراف لعموم قوله تعالى:﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[6].

ولكن تجاوز المسرفون حدهم فيما أباحه الله لهم فأوقعهم ذلك فيما لا يحق لهم من ألوان اللهو والترفيه، ولننظر إلى صور من هذه الألوان على سبيل المثال لا الحصر:

*** فمن إسراف هؤلاء القيام ببعض الألعاب بغرض الشهرة وعرض الأجسام** مما يسمونه بالمصارعة كالتي تعرض على شاشات التلفاز.

ونحن نعلم أن الإسلام حذر من النظر إلى أجسام المنافقين بقصد الإعجاب بها حين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة – باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه (ح/١٩١٧)(٨٥٧)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد – باب التحريض على الرمي (ح/٢٨٩٩)(٥١٠)

(٤) سورة النحل الآية ٨

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإمارة–باب فضل الرمي والحث عليه (ح/١٩١٨)(٨٥٧)

(٦) سورة الأعراف الآية ٣١

(٧) سورة المنافقون الآية ٤

والأدهى من ذلك ما يقوم به بعض النساء من المصارعة وهن عاريات أمام الناس فلا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول ابن تيمية –رحمه الله– : "فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب الناظر أجسامهم، لما فيهم من البهاء والــرواء والزينة الظاهرة، وليسوا ممن ينظر إليه لشهــوة، قد ذكر الله عنهم ما ذكر، فكيف بمن ينظر إليه لشهوة؟."[1]

*** ومن الإسراف في اللهو والترفيه تجاوز الحد في اللهو بالسهام والرمي بها وذلك بتسليطها على الحيوانات** لقوله ﷺ: ((لا تَتَّخِذُوا شيئا فيه الرُّوحُ غَرَضًا))[2].

وعن ابن عمر ﷺ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ من اتَّخَذَ شيئا فيه الرُّوحُ غَرَضًا)[3]

وعن هشام بن زيد[4] قال: دخلت مع أنس على الحكم بن أيوب[5] فرأى غلماناً أو فتياناً نصبوا دجاجة يرمونها فقال أنس: (نهى رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ)[6].

---

(١) التفسير الكامل (٢٠٧/٧)، مجموعة الفتاوى (٢٤٢/١٥)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح–باب النهي عن صبر البهائم (ح/١٩٥٧)(٨٧٣)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح – باب النهي عن صبر البهائم (ح/١٩٥٨)(٨٧٣)

(٤) هو: هشام بن زيد بن أنس بن مالك الأنصاري البصري، ثقه صالح الحديث. سمع جده انساً. يُنظر: الثقات (٥٠٢/٥)، والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (٧٦٩/٢).

(٥) هو: الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي، ابن عم الحجاج وعامله على البصرة. كان مجهول العدالة. قتل بعد موت الحجاج. يُنظر: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري (٣/١٥–٨) ١٩٩٥م. دار الفكر بيروت، ولسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية – الهند (٣٣١/٢) ط/٣. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الذبائح والصيد – باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (ح/٥٥١٣)(١٠١١)، ومسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح – باب النهي عن صبر البهائم (ح/١٩٥٦)(٨٧٣).

يقول الشوكاني–رحمه الله–: "قال العلماء: صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى : لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً، أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضاً ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها. وهذا النهي للتحريم، ويدل على ذلك ما ورد من لعن من فعل ذلك كما في حديث ابن عمر، ولأن الأصل في تعذيب الحيوان وإتلاف نفسه وإضاعة المال التحريم."(١)

وأيضاً ما يحدث من التحريش بين الحيوانات فإنه يعد من أعظم الإسراف في تعذيب الحيوانات لما فيه من "إيلام الحيوانات وإتعاب لها بدون فائدة بل لمجرد العبث."(٢)

*** ومن الإسراف في ذلك ما يقوم به البعض من تضييع أوقاتهم في اللهو والمقامرة** المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(٣).

يقول الذهبي –رحمه الله–: "والميسر هو القمار بأي نوع كان: نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى عنه الله بقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾(٤)"(٥).

وهذا اللهو واللعب المحرم دخل في قوله ﷺ: ((إِنَّ رِجَالا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يوم الْقِيَامَةِ))(٦).

---

(١) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخيار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٦٦١) ط/١. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت– لبنان

(٢) نيل الأوطار (١٦٦١)، ويُنظر: الحلال والحرام (٢٦٩)

(٣) سورة المائدة الآية ٩٠، ٩١

(٤) سورة البقرة الآية ١٨٨

(٥) الكبائر للذهبي (٧١)

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس – باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سورة الأنفال الاية ٤١ (ح/٣١١٨)(٥٤٧)

" وعلى هذا فهذه المقامرة حرام وتسمية بعض الناس لها حقاً لا يزيدها إلا قبحاً لأنه جعل الباطل حقاً وسماه بغير اسمه وأصبغ عليه صبغة الحل فيكون كاذباً فيما ادعاه مخادعاً فيما أظهره. نسأل الله السلامة والعافية."[1]

وقال ﷺ:((مَنْ قال لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ))[2].

يقول الذهبي –رحمه الله– : "فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل."[3]

ولذلك فقد حرم الإسلام القمار نظراً لما له من الآثام والمخاطر العظيمة فهو يفضي إلى العداوة، ولما يجري بين المتقامرين من الشتم والمنازعة، وفيه أكل أموال الناس بالباطل، وضياع لوقت الصلاة والانشغال عنها، كما فيه الإجحاف بأرباب الأموال لأن من صار مغلوباً في القمار دعاه ذلك إلى اللجاج فيه عن رجاء أنه ربما صار غالباً، وقد يتفق أنه لا يحصل له شيء من المال وإلى أن يقامر على لحيته وأهله وولده ولا شك أن يسرف في ذلك باعتياده لهذا الأمر فيصبح فقيراً مسكيناً ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا غالبين له، كما أن فيه صداً عن ذكر الله فالمقامر إذا كان غالباً صار استغراقه في لذة الغلبة مانعاً له من أن يخطر بباله شيء سواه.[4]

ويقول ابن كثير –رحمه الله– : "وكل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز.

---

(١) شرح كتاب الكبائر (١٣٧)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان – باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله (ح/ ٦٣٠١) (١١٢٨)، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان – باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله (ح/ ١٦٤٧) (٧٢٣)

(٣) الكبائر (٧١)

(٤) يُنظر: جامع البيان (٣٠٠٥/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤١٨/٢)، والمحرر الوجيز (٥٧٥)، والتفسير الكبير (٤٢٤/٤، ٤٢٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٢٤٣)

وعن ابن عباس ﷺ قال: الميسر هو القمار. كانوا يتقامرون في الجاهلية حتى مجيء الإسلام فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة."[١]

ويقول السعدي –رحمه الله–: "وأما الميسر فهو: كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين من النرد والشطرنج وكل مغالبة قولية أو فعليه بعوض سوى مسابقة الخيل والإبل والسهام فإنها مباحة لكونها معينة على الجهاد فهذا رخص فيها الشارع."[٢]

قال ﷺ: ((من لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صبَغَ يَدَهُ في لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ))[٣].

يقول النووي –رحمه الله– : " قال العلماء: النردشير هو النرد، فالنرد عجمي معرب، وشير معناه حلو. وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد."[٤]

وفي ذلك تشبيه لتحريم هذا اللعب بالأكل من لحم الخنزير.[٥]

وغير ذلك من أنواع اللهو والترفيه التي لا يجني من ورائها المرء إلا خسارة الأموال وتضييع الأوقات والإسراف فيما لم ينزل الله به من سلطان ولا يعود عليه بالنفع والخير لا في دنياه ولا في آخرته.

---

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير (١٢٧/٢)

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٨)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الشعر – باب تحريم اللعب بالنردشير (ح/٢٢٦٠)(١٠٠١)

(٤) شرح النووي (٣٩٥/١٥)

(٥) يُنظر: شرح النووي (٣٩٥/١٥)

الفصل الثاني

الإسراف في بعض العبادات

ويتضمن أربعة مباحث

المبحث الأول

الإسراف في العبادات القولية

المبحث الثاني

الإسراف في العبادات البدنية

المبحث الثالث

الإسراف في العبادات المالية

المبحث الرابع

الإسراف في العبادات القلبية

المبحث الأول
الإسراف في العبادات القولية

المطلب الأول: الإسراف في الدعاء

الدعاء "**يستدعي عبادة اللسان** من اللهج بالتمجيد، والتحميد، والتقديس، والطلب والمسألة، والابتهال، والتضرع.

ويستدعي عبادة البدن بالإنكسار، والاستكانة بين يدي الله تعالى والتذلل له، والتبري من الحول والقوة إلا به، مستغيثاً به سبحانه دون سواه إلى آخر ما هنالك من أنواع العبادة التي يشتمل عليها الدعاء.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾[1].

أي: لولا عبادتكم الشاملة لنوعيها، دعاء العبادة ودعاء المسألة والطلب"[2].

الدعاء في اللغة: واحد الأدعية وأصله دعاو؛ لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت.

والدعاء كالنداء يقال: دعا الرجل دعواً ودعاءً ناداه.

والاسم الدعوة. ودعوت فلاناً أي: صحت به واستدعيته.[3]

" أصل هذه الكلمة مصدر من قولك: دعوت الشيء، أدعوه دعاءً"[4]

الدعاء: من"دعوت الله أدعوه ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير."[5]

---

(١) سورة الفرقان الآية ٧٧

(٢) تصحيح الدعاء لبكر أبو زيد (١٧) ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. دار العاصمة. المملكة العربية السعودية- الرياض.

(٣) يُنظر: لسان العرب (٢٥٨/١٤)

(٤) شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، تحقيق يوسف الدقاق. (٣) ط/١. ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م. دار المأمون للتراث دمشق-بيروت.

(٥) المصباح المنير (١١٨)

وفي الشرع الدعاء: "هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له"[1].

ويقول الإمام الخطابي[2] -رحمه الله-: "**ومعنى الدعاء:** استدعاء العبد ربه ﷻ العناية، واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود، والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((الدُّعَاءُ هو الْعِبَادَةُ))[3]"[4] وهذا دليل على مكانة الدعاء.

وجوه الدعـــــاء:

والدعاء: "على ثلاثة أوجه:

فضربٌ منها: توحيده والثناء عليه كقولك: يا الله لا إله إلا أنت وكقولك: ربنا لك الحمد إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد ومثله قوله ﷻ:

---

(١) فتح الباري (٩٤/١١)

(٢) هو الإمام العلامة المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي. سمع ابا سعيد بن الأعرابي بمكة، وإسماعيل بن محمد الصفار، وغيرهم. روى عنه الحاكم، وأبو حامد الأسفرييني، وغيرهم. توفي ببست في شهر ربيع الآخر سنة (ثمان وثمانين وثلاثمائة). يُنظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد لمحمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق: كمال يوسف الحوت (١٥٤، ٢٥٥) ط/١. ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية بيروت، وتذكرة الحفاظ (١٠٢٠/٣)

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الدعاء-باب فضل الدعاء (ح/٣٨٢٨)(٦٣١)، وأبي داود في سننه كتاب الصلاة -باب الدعاء (ح/١٤٧٩)(٢٢٩)، والترمذي في سننه كتاب الدعوات - باب ما جاء في فضل الدعاء (ح/٣٣٧٢) (٧٦٥) وقال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح. والبزار في مسنده (ح/٣٢٤٣)(٢٠٥/٨) وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن النعمان بن بشير، وابن حبان في صحيحه (ح/٨٩٠)(١٧٢/٣)، وسليمان بن أحمد الطبراني في الروض الداني (المعجم الصغير) تحقيق: محمود شكور محمود الحاج أمرير (ح/١٠٤١)(٢٠٨/٢) ط/١. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. المكتب الإسلامي بيروت، عمان.

(٤) شأن الدعاء للخطابي (٤)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[1] فهذا ضرب من الدعاء.

والضرب الثاني: مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك: اللهم اغفر لنا.

والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالا وولداً. وإنما سمي هذا **جميعه دعاءً**؛ لأن الإنسان يُصدِّر في هذه الأشياء بقوله: **يا الله، يا رب، يا رحمن**، فلذلك سمي دعاء"[2].

والدعاء نوعان:

دعاء عبادة: المتضمن للخوف والرجاء والرهبة والرغبة.

قال تعالى: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[3] هو دعاء العبادة، والمعنى اعبدوه وحده، وأخلصوا عبادته، لا تعبدوا معه غيره.

دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه. وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود. لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر.

ولهذا أنكر ﷻ على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن فقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾[4]، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي، فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم.[5]

---

(١) سورة غافر الآية ٦٠

(٢) لسان العرب (٢٥٧/١٤)

(٣) سورة غافر الآية ١٤

(٤) سورة يونس الآية ١٨

(٥) يُنظر:مجموعة الفتاوى (١٠/١٥-١٢)، والتفسير الكامل لابن تيمية (٢٣٩/٣، ٢٤٠)، ورسالة في الدعاء. تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. ضبط نصه وخرج أحاديثه: محمد رياض الأحمد الأثري (٢٩، ٣٠) ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. عالم الكتب للطباعة بيروت-لبنان. والضوء المنير على التتفسير جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي من كتب الإمام ابن قيم الجوزية (١٧٥/٣) مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام.

وبذلك يظهر أن الإنسان لا بد أن يكون عند الدعاء مخلصاً خائفاً وجلاً سائلاً الله أن يتقبل دعاءه.

وندب الله ﷻ عباده إلى دعائه فقال: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: "هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة "[2].

وقد أمر ﷻ بالإخفاء والتضرع في الدعاء فقال: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

فهذه الآية "تتناول نوعي الدعاء ولكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة ولهذا أمر بإخفائه وإسراره، قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وأن الله ذكر عبداً صالحاً ورضي بفعله، فقال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾[4].

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيماناً، لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

وثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته.

---

(١) سورة غافر الآية ٦٠

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٨/٤)، ويُنظر: تفسير السعدي (٧٤٠)

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٥

(٤) سورة مريم الآية ٣

وسادسها: أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

وسابعها: أنه أدعي إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه قد يكل لسانه وتضعف بعض قواه.

وثامنها: إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات، فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد، فلا يحصل هناك تشويش ولا غيره.

وتاسعها: إن أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له والانقطاع إليه والتبتل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وأن لا يقصد إظهارها له.

عاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه، متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه"[1].

وهذه الآية دالة على أمرين:

"أحدهما: محبوب للرب تبارك وتعالى مرضي له وهو الدعاء تضرعاً وخفية.

الثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله وندب إليه، وحذر مما يبغضه، وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير، وهو أنه لا يحب فاعله، ومن لم يحبه الله فأي خير يناله؟ "[2].

كيف يقع الإسراف في الدعاء وما صورة ؟

بالرغم من ندب الله ﷻ للدعاء وأمره به إلا أنه سبحانه نهى عن الاعتداء والإسراف فيه.

---

(١) يُنظر: مجموعة الفتاوى (١٣/١٥، ١٤)، بدائع الفوائد (٣/٣٤٥-٣٤٨)، وبدائع التفسير (٢/٢٢٤-٢٢٨)، والضوء المنير (٣/١٧٩-١٨٣).

(٢) الضوء المنير (٣/١٨٧)

" فالاعتداء في الدعاء: هو تجاوز الحد الذي حده الشرع المطهر فيه؛ فيحصل في الدعاء من الخلل، بحسب ما يحصل من التجاوز قوة، وضعفاً، من الشرك، ووسائله، من البدع، والمحدثات."[١]

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أن الاعتداء في الدعاء يكون على قسمين:

١) يكون تارة في كثرة الألفاظ.

٢) وتارة في المعاني.

فقد فسر الصحابة ذلك؛ فقال عبد الله بن مغفل ﷺ[٢] لما سمع ابنه يقول: (اللهم إني أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عن يَمِينِ الْجَنَّةِ إذا دَخَلْتُهَا. فقال: أَيْ بُنَيَّ سَلْ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ من النَّارِ، فَإِنِّي سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول:((إنه سَيَكُونُ في هذه الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ في الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ))[٣][٤].

ويعد الدعاء "من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره، لضعفه في نفسه، بأن يكون دعاء لا يحبه الله، لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً. وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها علينا "[٥].

---

(١) تصحيح الدعاء (٤١، ٤٢)

(٢) هو: عبد الله بن مغفل بن عبد غنم وقيل: عبد نهم المزني، أبو سعيد وأبو زياد. له أولاد من مشاهير الصحابة، قال البخاري: كان له صحبة سكن البصرة، وشهد بيعة الشجرة، وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة، مات بالبصرة سنة (تسع وخمسين). يُنظر: التاريخ الكبير(٢٣/٥)، والثقات (٢٣٦/٣)، والإصابة (٨٣٧)

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الطهارة–باب الإسراف في الماء (ح/٩٦)(١٩)، والحاكم في المستدرك (ح/٢٠٢٣)(٢٣٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقى في سننه (ح/٩٠٠)(١٩٦/١)

(٤) يُنظر: مجموعة الفتاوي (٢٧٧/٢٢)

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية تحقيق: أبي حذيفة عبيد الله بن عاليه (٢٣، ٢٤) ط/٦. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الكتاب العربي بيروت–لبنان.

والاعتداء في الدعاء يعد من أعظم الإسراف وتجاوز الحد مع الله ﷻ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

يقول القاضي أبي السعود –رحمه الله–: " أي: لا يحب دعاء المجاوزين لما أمروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء، دخولا أولياً وقد نبه به على أن الداعي يجب أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه."[2]

"وفي الاعتداء المذكور ها هنا قولان:

أحدهما: أنه الاعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء. والثالث: أنه الجهر في الدعاء.

والثاني: أنه مجاوزة المأمور به "[3].

ويظهر من ذلك أن الاعتداء في الدعاء له طرق وصور عدة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

*** الصورة الأولى: رفع الصوت في الدعاء والنداء، أو الجهر المبالغ فيه.**

وقد نهى عنه ﷺ، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (كنا مع رسول اللَّهِ ﷺ فَكُنَّا إذا أَشْرَفْنَا على وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فقال النبي ﷺ:((يا أَيُّهَا الناس أربعوا[4] على أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إنه مَعَكُمْ إنه سَمِيعٌ قَرِيبٌ))[5].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٥

(٢) إرشاد العقل السليم (٤٩٩/٢)، ويُنظر: المحرر الوجيز (٧١١)، والبحر المحيط (٤٠١/٤)، وفتح القدير(٣٠١/٢)

(٣) زاد المسير (٥٠١)

(٤) أربعوا: أرفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم. يُنظر: شرح النووي (١٩٦/١٧)

(٥) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير–باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (ح/٢٩٩٢)(٥٢٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء –باب استحباب خفض الصوت بالذكر (ح/٢٧٠٤)(١١٧٥)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1].

" هذا جواب سؤال، سأل النبي ﷺ بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ لأنه تعالى الرقيب الشهيد المطلع على السر وأخفى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو قريب أيضاً من داعيه بالإجابة ولهذا قال: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ والدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

والقرب نوعان قرب بعلمه من كل خلقه وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق."[2]

* **الصورة الثانية: دعاء الإنسان على نفسه وعلى الغير بالشر.** لقوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾[3].

وفي هذه الآية:"ذم، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبت"[4].

فكون الإنسان يجعل الشر مرغوباً فيه كرغبته في الخير فهذا هو الإسراف بعينه؛ لأنه يقول ذلك ولا يستطيع تحمله ولا يصمد له كمن قال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٧)

(٣) سورة الإسراء الآية ١١

(٤) التسهيل للكلبي (٤٨٣/١)

(٥) سورة الحج الآية ١١

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–: "أنه في وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك...[ولكن رحمة الله العظمى تتداركنا أكثر وأسبق من رحمتنا لأنفسنا فلا يستجيب لنا في مثل ذلك]

ويقول: يحتمل أن يكون المراد أن الإنسان قد يبالغ في الدعاء طلباً لشيء يعتقد أن خيره فيه مع أن ذلك الشيء يكون منبع شره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء. وإنما يقدم على مثل هذا العمل؛ لكونه **عجولاً مغتراً بظواهر الأمور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها** "(١).

ونهى عليه الصلاة والسلام عن دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده فقال: ((لا تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا من اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فيها عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ))(٢).

* **الصورة الثالثة: الدعاء بالإثم والقطيعة.** فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: ((لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ما لم يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ ما لم يَسْتَعْجِلْ)) قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الِاسْتِعْجَالُ؟ قال: ((يقول قد دَعَوْتُ وقد دَعَوْتُ فلم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلك وَيَدَعُ الدُّعَاءَ))(٣).

وفي الحديث دليل على أنه حدث من العبد نوعان من الإسراف في الدعاء:

الأول: دعاؤه بالإثم أو قطيعة الرحم.

الثاني: استعجاله بالدعاء المؤدي إلى مللله واستحساره وتركه له.

* **الصورة الرابعة: الاستعجال والاستحسار في الدعاء.** لقوله ﷺ: ((ما لم يَسْتَعْجِلْ)) قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الِاسْتِعْجَالُ؟ قال: ((يقول قد دَعَوْتُ وقد دَعَوْتُ فلم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلك وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)).

---

(١) التفسير الكبير (٣٠٤/٧)، ويُنظر: جامع البيان (٥١٢٧/٦)، وتفسير الكشاف (٦٢٦/٢)، وتفسير ابن عطية (١١٣١)، وتفسير ابن كثير (٣٩/٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقاق – باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (ح/٣٠٠٩)(١٣٠٠)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار–باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستحب لي(ح/٢٧٣٥)(١١٨٦)

الاستحسار: ترك الدعاء تعباً ومللاً، قال تعالى في مدح ملائكته: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[1].

"ولا ينبغي للعبد أن يمل من الدعاء؛ لأنه عبادةٌ.

وتأخير الإجابة: إما لأنه لم يأت وقته؛ لأن لكل شيء وقتاً مقدراً في الأزل، أو لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا فيعطي في الآخرة من الثواب عوضه، أو يؤخر دعاؤه ليلح ويبالغ في الدعاء. فإن الله يحب الملحين في الدعاء.

ولعل عدم قبول دعائه بالمطلوب المخصوص خير له من تحصيله، والله يعلم وأنتم لا تعلمون."[2]

*** الصورة الخامسة: الاعتداء في الدعاء بالسجع المتكلف فيه.** فعلى الإنسان " أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتكلف لا يناسبه.

والمراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة."[3]

عن ابن عباس ﷺ قال: (فَانْظُرْ السَّجْعَ من الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لا يَفْعَلُونَ إلا ذلك يَعْنِي لا يَفْعَلُونَ الا ذلك الِاجْتِنَابَ.)[4]

يقول الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: " أي: لا تقصد إليه ولا تشغل فكرك به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء."[5]

فعلى الإنسان أن يدعو بما تقتضيه مصلحته دون تكلف.

" قال بعض السلف: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٩، ٢٠

(٢) مرقاة المفاتيح (١١٧/٥)

(٣) إحياء علوم الدين (٤٢٦/١، ٤٢٧)

(٤) أخرجه البخاري كتاب الدعوات–باب ما يكره من السجع في الدعاء (ح/٦٣٣٧)(١١٣٥)

(٥) فتح الباري (١٥٧/١١)

وقال سفيـــان بن عيينة[1]: لا يمنعن أحدكم من الدعـــاء ما يعلـــم من نفسه فإن الله ﷻ أجاب دعـــاء شر الخلق إبليس لعنـــه الله ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]"[3].

*** الصورة السادسة: سؤال ما لا يجوز وما يكون محالاً..**

يقول ابن القيم–رحمه الله–: " فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل أن يسأله تخليده إلى يوم القيامة أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، أو يسأله أن يطلعه على غيبه أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولداً من غير زوجة ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء فكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله."[4]

*** الصورة السابعة: ترك الدعاء بحجة أن الله يعلم حاجة العبد قبل أن يسأل.**

" فهناك من يستهين بشأن الدعاء، ويرى أنه لا داعي له، ولا جدوى وراءه، طالما أن الله ﷻ يعلم حاجة العبد، وأنه لن يصيب العبد إلا ما قدر له. [فهذا ضلال عقلي يراه صاحبه أنه حجة له فيما ذهب إليه وليس لذلك مستند من الشرع].

وربما قال قائلهم: لا حاجة لنا بالدعاء إذا نزل البلاء. [وهذا يأس وقنوط وانتقاص في حق الله ﷻ في طلاقة قدرته قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[5]]

---

(١) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي، طلب العلم في الصغر، وكان محدث الحرم. توفي سنة (ثمان وسبعين ومائة) يُنظر: التاريخ الكبير (٩٤/٤)، والثقات (٤٠٣/٦)، وتذكرة الحفاظ (٢٦٢/١-٢٦٥).

(٢) سورة الحجر الآية ٣٦، ٣٧

(٣) إحياء علوم الدين (٤٢٧/١، ٤٢٨)

(٤) بدائع الفوائد (٣٤٩/٣)

(٥) سورة التوبة الآية ٣٩

وهذا القول قول باطل؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل للأسباب، وترك لعبادة هي أكرم العبادات على الله ﷻ.

فالدعاء أمره عظيم، وشأنه جلل؛ فبه يرد القدر، وبه يرفع البلاء؛ فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل. قال ﷺ:((وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ الا الدُّعَاءُ))[1]"[2].

*** الصورة الثامنة: الاستعانة والاستغاثة بغير الله:**

لا يستغني الإنسان عن طلب الغوث والعون ممن يستطيع ذلك كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[3].

وطلبهما من الله ﷻ أفضل وأولى قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[4].

" الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر.

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة."[5]

" وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق، ويجتمعان في مادة؛ وهو دعاء المستغيث وينفرد الدعاء- الذي هو مطلق الطلب والسؤال - من غير المستغيث."[6]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٢٢٥٦٠)(٥/٢٨٠)، وابن ماجة في صحيحه باب في القدر (ح/٩٠)(٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/١٤٤٢)(٢/١٠٠)، والحاكم في المستدرك (ح/١٨٥٧)(٢/١٦٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الإيمان بالقضاء والقدر. تأليف محمد إبراهيم الحمد، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٣، ١٤٤) ط/٣. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية- الرياض.

(٣) سورة القصص الآية ١٥

(٤) سورة الأنفال الآية ٩، ١٠

(٥) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، بقلم الشيخ الدكتور/ صالح فوزان بن عبد الله الفوزان (١٧٦) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار العاصمة المملكة العربية السعودية – الرياض.

(٦) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٦) ط/١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

ويدخل الإسراف في الاستعانة والاستغاثة كما دخل في غيرهما من العبادات وذلك:

حين يتعدى الإنسان ويطلب الغوث والعون ممن لا يستطيع إليه سبيلا كما يفعل البعض ويطلبها من غير الله سواء من الأنبياء أو الأولياء والصالحين الأحياء منهم والميتين، وهذا عين الإسراف لأنه شرك بالله ﷻ لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1].

يقول الشيخ السعدي- رحمه الله-:"وهذا وصف لكل مخلوق أنه لا ينفع ولا يضر وإنما النافع الضار هو الله تعالى:﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ أي دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي الضارين أنفسهم بإهلاكها وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، فإذا كان خير الخلق لو دعا مع الله غيره لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره."[3]

وعن عبادة بن الصامت[4] ﷺ قال: قال أبو بكر ﷺ: (قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: ((إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله ﷻ))[5]

ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة يونس الآية ١٠٦

(٢) سورة لقمان الآية ١٣

(٣) تيسر الكريم الرحمن (٣٧٥)

(٤) هو: عبادة بن الصامت أبو الوليد الأنصاري، شهد العقبة، وشهد بدراً وأحد والخندق، والمشاهد كلها مع الرسولﷺ، أول من ولي القضاء بفلسطين، توفي سنة (أربع وثلاثين) يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٤٦/٣)، والتاريخ الكبير (٩٢/٦)، والثقات (٣٠٢/٣)

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠) وقال: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

(٦) سورة النمل الآية ٦٢

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1]

يقول الشيخ الشنقيطي-رحمه الله-: " لا يخفى على الناظر في هذه الآية الكريمة أن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده ولا يصرفون شيئاً من حقه لمخلوق وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة ويعلم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالاً من عبدة الأوثان فإنهم إذا دهمتهم الشدائد وغشيتهم الأهوال والكروب التجؤوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره."[2]

فالاستعانة والاستغاثة لا تكون إلا بالله ﷻ في كل الأحوال وإذا استغاث المرء بمخلوق مثله فلا بد أن يكون على يقين بأن الله ﷻ هو المغيث وهو الذي سخر له من يساعده و ليس لأحد أن يقدم أمرًا أو يؤخره غير الله ﷻ.

قال ﷺ: ((وَاعْلَمْ أن الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا على أن يَنْفَعُوكَ لم يَنْفَعُوكَ إلا بشيء قد كَتَبَهُ الله لك، ولَوِ اجْتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ لم يَضُرُّوكَ إلا بشيء قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))[3].

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٧

(٢) أضواء البيان (٣/٧٢٥، ٧٢٦)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٢٦٦٩)(١/٢٩٣)، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (ح/٢٥١٦)(٥٦٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومن الإسراف في الاستعانة دعاء غير الله ﷻ فالشرك أعظم العدوان في الدعاء "وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1]"[2].

ونهى عنه عز وجل بقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[3].

أي: "ولا تعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن أطعته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن عصيته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فعبدت غير الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الضارين لأنفسهم الواضعين العبادة في غير موضعها."[4]

الصورة التاسعة: الإسراف في الاستعاذة:

من العبادات القولية التي لا يجوز للمخلوق أن يطلقها لغير الله ﷻ.

فالاستعاذة :"هي الالتجاء إلى الله-تعالى- والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والعياذة تكون لدفع الشر."[5]

وجاء الأمر من الله ﷻ بالاستعاذة به ﷻ دون سواه كما في قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[6]. وقال تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[7].

ولكن اعتدى البعض في هذا وصرف هذه العبادة-التي لا تكون إلا لله بأي حال من الأحوال- إلى غير الله ﷻ كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[8].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٥

(٢) مجموعة الفتاوى (١٦/١٥)

(٣) سورة يونس الآية ١٠٦

(٤) تفسير البغوي (٦١٢)

(٥) تفسير ابن كثير (٢٥/١)، ويُنظر: قرة عيون الموحدين (١١٢)

(٦) سورة الأعراف الآية ٢٠٠

(٧) سورة النحل الآية ٩٨

(٨) سورة الجن الآية ٦

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–:"والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفاً من أن يغشاهم الجن ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان فإنهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤوا عليهم فزادوهم ظلماً."[1]

واستعاذتهم بالجن دليل على استمتاع كل منهم بالآخر لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) ﴾[2].

فاستكثار الجن من الإنس معناه "إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم: استكثر الأمير من أي من الجنود، وهذا بطريق التوبيخ والتقريع."[3]

ومعنى استمتاع كل منهم بالآخر هو " أن الإنس كانوا يطيعون الجن وينقادون لحكمهم فصار الجن كالرؤساء والإنس كالأتباع والخادمين المطيعين المنقادين الذين لا يخالفون رئيسهم ومخدومهم في قليل ولا كثير ولا شك أن هذا الرئيس قد انتفع بهذا الخادم فهذا استمتاع الجن بالإنس وأما استمتاع الإنس بالجن فهو أن الجن كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات واللذات والطيبات ويسهلون تلك الأمور عليهم."[4]

وبذلك فإن الاستغاثة والاستعاذة بغير الله هي عين الإسراف الذي نهى عنه الله ﷻ لما فيه من الشرك ومساواة الله بغيره من المخلوقات.

فالاعتداء في الدعاء إما أن يكون إسرافاً وتجاوزاً عن الحد اللائق وإما تفريطاً فيما كان يجب علي الإنسان أن يعمله. وقد يكون بابتكار أحوال وألوان من الدعاء والذكر لا دليل عليها من القرآن ولا من السنة.

---

(١) التفسير الكبير (٦٦٨/١٠)، ويُنظر: تفسير السعدي (٨٩٠)

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٨

(٣) تفسير أبو السعود (٤٤٣/٢)، ويُنظر: فتح القدير (١٦١/٢)

(٤) التفسير الكبير (١٤٨/٥)، ويُنظر: السمعاني (١٤٤/٢)، الكشاف (٦٢/٢)، وزاد المسير (٤٦٨)، وأحكام القرآن للقرطبي (٧٥/٧)، والبحر المحيط (٢٨٥/٤)

المطلب الثاني: علاقة الإسراف بالذكر

الذكر من أفضل العبادات القولية التي أمر بها ﷻ في كتابه الكريم حين قال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1]

الـــذكـــر في اللغة: " الحفظ للشيء كالتـــذكار والشيء يجري على اللسان والصيت."[2]

والذكر يقال: "اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال: لحضور الشيء القلب أو القول."[3]

والذكر في الاصطلاح: "هيئة في النفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا إن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه."[4]

وحقيقة الذكر: " حضور المذكور في قلب الذاكر على أي نحو من الأنحاء الثابتة له، ثم التعبير عن ذلك باللسان."[5]

وجاء بالأمر بالذكر مبتدئاً بالقلب للدلالة على التفكر والتأمل في عظمة الله ﷻ ثم جاء القول لإثبات ذلك وهذا دليل على أن الذكر بالقلب واللسان معاً غاية الخضوع لله والتأمل في ملكوته فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾[6].

يقول الإمام الجصاص-رحمه الله-: " الذكر على وجهين أحدهما الفكر في عظمة الله وجلاله ودلائل قدرته وآياته وهذا أفضل الأذكار إذ به يستحق الثواب على سائر الأذكار سواه وبه يتوصل إليه والذكر الآخر القول وقد يكون ذلك الذكر

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٢

(٢) القاموس المحيط (٢/٥١)

(٣) المفردات للراغب (٢٠٠)

(٤) المرجع السابق

(٥) دعوة التوحيد أصولها- الأدوار التي مرت بها- مشاهير دعاتها تأليف: فضيلة الدكتور محمد خليل هراس (٥١) ط/١. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. المكتبة العصرية صيدا – بيروت.

(٦) سورة الأعراف الآية ٢٠٥

دعاء وقد يكون ثناء على الله تعالى ويكون قراءة للقرآن ويكون دعاء للناس إلى الله وجائز أن يكون المراد الذكرين جميعا من الفكر والقول فيكون قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ هو الفكـــر في دلائل الله وآياتـــه وقوله تعالى: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾فيه نص على الذكر باللسان وهذا الذكر يجوز أن يريد به قراءة القرآن وجائز أن يريد الدعاء."[١]

ويقول الإمام النووي–رحمه الله–: " الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جمعياً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعاً ويقصد به وجه الله تعالى."[٢]

ولا تقتصر تسمية الذكر على القلب فقط بل يسمى الذكر باللسان ذكراً وفي ذلك يقول الإمام القرطبي–رحمه الله–: "وسمي الذكر باللسان ذكراً؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم."[٣]

وكل ذكر ورد في الكتاب والسنة وأحبه الله ﷻ ورسوله ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة فهو الذكر الشرعي الذي يجب الالتزام به وعدم مخالفته[٤].

ولكننا نرى الكثير ممن يخالف ويتجاوز فيكون ذلك هو الإسراف في الذكر الذي جاء النهي عنه في عموم قوله تعالى:﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[٥].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢٢٢/٤)

(٢) كتاب الأذكار للإمام يحي شرف الدين النووي. ضبطه: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش (١٤) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الأخيار الرياض– المملكة العربية السعودية.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/٢)

(٤) يُنظر: الإبداع في مضار الابتداع للشيخ: علي محفوظ، حققه: سعيد بن نصر بن محمد (٢٩٢) ط/١٤٢١هـ /٢٠٠٠م. مكتبة الرشد الرياض – المملكة العربية السعودية.

(٥) سورة الأعراف الآية ٣١

ويقع الإسراف في الذكر كما يقع في غيره من العبادات وأكثر ما يقع في الذكر اللساني ومن صوره:

*** الصورة الأولى: رفع الصوت بالذكر، والجهر به فوق الحاجة:**

وقد جاء الأمر بالخفية في الذكر كما جاء في الدعاء فقال تعالى:﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾[1].

" قال ابن عباس ﷺ في تفسير قوله ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ المعنى أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه فإن المراد حصول الذكر اللساني."[2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: "وخص الذكر بالخفية لحاجة الذاكر إلى الخوف، فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها."[3]

ويقول الإمام الزمخشري–رحمه الله–: "هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾متضرعاً وخائفاً ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ ﴾ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأنّ الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر."[4]

ولذلك " فالإخفاء قد يكون بصوت يسمعه القريب وهو المناجاة، والجهر مثل المناداة المطلقة وهذا كقوله ﷺ لما رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير فقال:((يا أَيُّهَا الناس أربعوا على أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إنه مَعَكُمْ إنه سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ))[5].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٥

(٢) التفسير الكبير (٤٤٤/٥)

(٣) مجموعة الفتاوى (١٥/١٥)، التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي (٢٥٠) ط/٢. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار اللكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٤) تفسير الكشاف (١٨٥/٢)، ويُنظر: تفسير أبو السعود (٧٢/٣)

(٥) سبق تخريجه (ص/٢١٣)

*** الصورة الثانية: الذكر الجماعي.**

" فالدعاء الجماعي بصوت واحد، سواء كان دعاء مطلقاً، أو مرتباً كأن يكون بعد قراءة القرآن، أو بعد الموعظة، والدرس، أو بعد دفن الميت، أو في المآتم، أو الحفلات، أو عند توزيع الصدقات في المساجد، ودور العلم، أو البيوت، أو غيرها، كل ذلك بدعة."[1] ويستثنى من ذلك التكبير في أيام الأعياد فإنه سنة.

وقد ينقطع البعض لمثل هذا الذكر وهذا مخالفٌ للشرع فيهمل الأهل أو الولد.

يقول الإمام ابن الجوزي–رحمه الله–: "يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو مع نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ."[2]

وعملهم غير مشروع ولا يتعلق به ثواب وإيمان وإنما هو عمل فاسد مبني على أساس فاسد.

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–: إن بعضهم يقول: " أن الذكر بالاسم المفرد وهو الله الله أفضل من الذكر بالجملة المركبة كقوله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهذا فاسد مبني على فاسد فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا ولا مفيد شيئاً، ولا هو كلام أصلا ولا يدل على مدح ولا تعظيم ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة فلو قال الكافر: الله الله من أول عمره إلى آخره لم يعد بذلك مسلما فضلا عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالإسم المضمر أفضل من الذكر بالإسم الظاهر فالذكر بقوله هو هو بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم الله الله وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائر وأما فساد المبني عليه فإنهم ظنوا

---

(١) تصحيح الدعاء (١٣٤، ١٣٥)

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٢٤٧)

أن قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾أي قل هذا الاسم فقل الله وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله فإن اسم الله هنا جواب لقوله:﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗا ﴾إلى أن قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[1] أي قل الله أنزله فإن السؤال معاد في الجواب فيتضمنه فيحذف اختصارا كما يقول من خلق السموات الله أي الله خلقهما فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه فهذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره."[2] والذكر باللسان فقط لا يكون كافياً فقد لا يكون للقلب فيه نصيب ولابد من اجتماعهما معاً.

*** الصورة الثالثة: التصفيق حال الذكر:**

فنرى البعض حال الذكر يصفقون وقد نهى النبي ﷺ عنه وجعله للنساء في قوله: ((إنما التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ))[3]. وقولهﷺ : ((التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ))[4].

وظاهر الحديث لا يشمل التحريم مطلقاً وإنما يدل على الكراهية.[5]

ومن اتخذ التصفيق عبادة في ذاته أو أثناء عبادة مشروعة فقد وقع في الحرام مطلقاً لمجيئه ببدعة وتشبهه بالكفار. قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥ ﴾[6]

وبذلك يظهر أن الاعتداء في الذكر يشمل أموراً عدة كان الأولى للإنسان أن يتركها ويعمل بما جاء في الكتاب والسنة تبعاً لقوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[7]

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم تحقيق حازم القاضي. (٢٨٨) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة. وبدائع التفسير (١٦٥/٢)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان – باب من دخل ليؤم الناس... (ح/٦٨٤)(١٢٨)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العمل في الصلاة – باب التصفيق للنساء (ح/١٢٠٣، ١٢٠٤)(٢١٠)

(٥) يُنظر: فتح الباري (١٩٨/٢)

(٦) سورة الأنفال الآية ٣٥ والتصدية بمعنى التصفيق. ينظر: تفسير الكشاف (٢١١/٢)

(٧) سورة الحشر الآية ٧

المبحث الثاني
الإسراف في العبادات البدنية

المطلب الأول: علاقة الإسراف بالزهد

جاءت تعاليم الشريعة الإسلامية وهي تحمل بين طياتها كل ما فيه يسر وسهوله ولذلك نهت عن التشدد والغلو فقال ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ))[1].

ولكنها حثت على الزهد فقال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[4].

فالزهد في اللغة: "ضد الرغبة والحرص على الدنيا."[5]

والزهد: "ترك الميل إلى الشيء."[6]

"وفي اصطلاح أهل الحقيقة: بغض الدنيا والإعراض عنها. وقيل: ترك راحة الدنيا لراحة الآخرة. وقيل: أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك."[7]

والزهد في الدنيا أكثر ما يقع في العبادات القلبية "قال أبو مسلم الخولاني[8]: ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان – باب الدين يسر (ح/٣٩)(٢٤)
(٢) سورة الأعلى الآية ١٦، ١٧
(٣) سورة الرعد الآية ٢٦
(٤) سورة النساء الآية ٧٧
(٥) لسان العرب (١٩٦/٣) ويُنظر: التعاريف للمناوي (٣٩٠)
(٦) التعريفات للجرجاني (١٨٤)
(٧) التعاريف للمناوي (٣٩٠)
(٨) هو: عبد الله بن ثوب، وقيل بن أثوب، ويقال ابن عوف، أبو مسلم الخولاني اليماني العابد الزاهد الفقيه. قيل أنه حكيم هذه الأمة. توفي قريباً من سنة (اثنين وستين) يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٨/٧)، والثقات (١٨/٥)، وتذكرة الحفاظ (٤٩/١)

تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وإذا أصبت مصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من إياها لو بقيت لك."[1]

وكما يقع الزهد في العبادات القلبية يقع كذلك في المباحات والعبادات البدنية ولكن لابد أن يكون بالوسط والاعتدال وهذا هو أساس الحديث هنا.

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: "وقوله: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل، والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة. ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: مما أباح الله فيها من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمناكح، (إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ)."[3][4]

ولكن قد يعتدي المعتدون ويسرف المسرفون فيصدر منهم الزهد الذي لا ينضبط بضوابط الشرع ومن صور ذلك:

*** حرمان النفس مما أحله الله لعباده من الطيبات والانقطاع عن الدنيا** وهذا أمر منهي عنه لقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾[5].

ومعنى الآية أي: " لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات، فإن من اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر. أما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلى الله والتفرغ

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣٠٧)

(٢) سورة القصص الآية ٧٧

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصيام – باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (ح/١٩٦٨)(٣٣٧)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٢٥/٣)

(٥) سورة المائدة الآية ٨٧

لعبادته من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا مانع منها بل مأمور بها.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ يعني: ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام. وقيل: معناه ولا تجبوا أنفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء. وقيل معناه: ولا تعتدوا بالإسراف في الطيبات ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ يعني: المجاوزين الحلال إلى الحرام."[1]

وما ذلك في نظرهم إلا زهد وتقشف لم يأمر به الله ولا رسوله ﷺ.

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله-: "وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام، والذكر ونحوها، بل لا يكون العبد زاهداً زهداً صحيحاً حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو: الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع."[2]

أما ما يفعله البعض من التقشف وحرمان أنفسهم من الطيبات التي أباحها الله فهذا لا يعد زهداً خالصاً حقيقياً.

فهؤلاء المسرفون اعتدوا على أنفسهم حتى أنهم حرموا ما أحله الله بقصد التزهد، ولذلك جاء النهي منه ﷻ عن منع النفس منع تحريم مبالغة في العزم على ترك هذه المباحات تزهداً وتقشفاً. فذلك اعتداء على حدود ما أحل الله إلى ما حرم، سواء كان بالإسراف في تناول الطيبات، أو الإسراف في حرمان النفس مطلقاً.[3]

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن. ضبطه وصححه: عبد السلام محمد شاهين (٧٢/٢) ط/١. ١٤٢٥هـ ت/٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. والفتوحات الإلهية (٢٦٨/٢)

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٩)

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي (٢٤٥/٦)، والبحر المحيط (١٣/٤-١٥)، وتفسير أبو السعود (٣١٤/٢)، والفتوحات الإلهية (٢٦٨/٢) وروح المعاني (١٣/٧، ١٤) والتفسير الوسيط (٤٩٠/١، ٤٩١)

وقد كره البعض هذا التزهد الذي لم يأمر به الله فيقول ابن الجوزي – رحمه الله–: "إنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه:

أحدها: أنه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون للضرورة.

والثاني: أنه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الإنسان أن يظهر نعمة الله عليه.[1]

والثالث: أنه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره.

والرابع: أنه أشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم."[2]

والإكثار من الطيبات يؤدي إلى الإسراف والإفراط فيها والحرمان منها يؤدي إلى التفريط.

يقول الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: "والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات؛ لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحيانا فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحظور، كما أن منع تناول ذلك أحيانا يفضي الى التنطع المنهي عنه ويرد عليه صريح قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[3].

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلا وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير الأمور الوسط."[4]

---

(١) قال ﷺ: ((ان اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ على عَبْدِهِ)) أخرجه الطيالسي في مسنده (ح/٢٢٦١)(٢٩٩)، وأحمد في مسنده (ح/٨٠٩٢)(٣١١/٢)، والترمذي في سننه كتاب الأدب عن رسول الله – باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (ح/٢٨١٩)(٦٣١) وقال: حديث حسن، والحاكم في المستدرك (ح/٧٢٧٠)(١٨٥/٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) تلبيس إبليس (١٤٦) وتفسير القرطبي (١٢٥/٣)

(٣) سورة الأعراف الآية ٣٢

(٤) فتح الباري (١٢٢/٩)

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1]: " قال علماؤنا – رحمة الله عليهم– في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها: رد على غلاة المتزهدين وعلى أهل البطالة من المتصوفين إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه وحاد عن تحقيقه.

قال [الإمام] الطبري – رحمه الله –: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح إذا خاف على نفسه بإحلال ذلك بها بعض العنت والمشقة ولذلك رد النبي ﷺ التبتل على بن مظعون[2] فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه وعمل به رسول الله ﷺ وسنه لأمته واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ فإذا كان كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حله وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرا من عارض الحاجة إلى النساء.

قال [الإمام] الطبري –رحمه الله–: فإن ظن ظان أن الخير في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببا إلى طاعته."[3]

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٧

(٢) هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، كنيته أبو السائب. هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، شهد بدراً، توفي قبل الرسول ﷺ بالمدينة ودفن بالبقيع. يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٣٩٣-٣٩٩)، والتاريخ الكبير (٦/٢١٠)، والثقات (٣/٢٦٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢٤٥)

*** ومن إسراف هؤلاء زهدهم في العبادات وتجاوزهم الحد فيها.**

فالمقصود بالزهد في العبادة: " الزهد: ترك ما يضر العبد فى الآخرة.

وبالعبادة: فعل ما ينفع في الآخرة فإذا ترك الإنسان ما ينفعه فى دينه و ينفعه فى آخرته و فعل من العبادة ما يضر فقد اعتدى وأسرف، وإن ظن ذلك زهدا نافعا و عبادة نافعة"(١).

وهذا ما فعله المتزهدون الذين ضيقوا على أنفسهم بما لم يأمرهم الله به، وبتحريمهم ما أحل الله لهم فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " وقد فسر الاعتداء فى الزهد و العبادة بأن يحرموا الحلال ويفعلوا من العبادة ما يضرهم، فيكونوا قد تجاوزوا الحد وأسرفوا."(٣)

وبفعلهم هذا ابتدعوا عبادة لم يأمر بها الله وقد وصف ﷻ فعل هؤلاء بالرهبانية فقال: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ ﴾(٤).

يقول الإمام الألوسي – رحمه الله –: " الرهبانية من أفعال العباد لأنها المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس وأصل معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف."(٥)

وخير مثال على عدم جواز فعل هؤلاء ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: (جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي ﷺ يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي ﷺ فلما أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي ﷺ قد غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ. قال أَحَدُهُمْ: أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَرُ: أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا

---

(١) مجموعة الفتاوى (١٤/٢٥٥)

(٢) سورة المائدة الآية ٨٧

(٣) مجموعة الفتاوى (١٤/٢٥٥)

(٤) سورة الحديد الآية ٢٧

(٥) روح المعاني (٢٧/٢٦٨)

أُفْطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رسول اللَّهِ ﷺ فقال: ((أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[1].

وقوله ﷺ خير "دليل على أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والإضرار بالنفس وهجر المألوفات كلها، وأن هذه الملة المحمدية مبنية شريعتها على الاقتصاد والتيسير وعدم التعسير ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]"[3].

فهؤلاء متنطعون متزمتون في عبادتهم قال عنهم ﷺ: ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))[4].

يقول الإمام النووي –رحمه الله–: " أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم."[5]

فالمغالاة في مخالفة أوامر الله ومجافاتها والغفلة أو التغافل عنها بأي سبب من الأسباب ما لم يكن الداعي إليه أمر مشروع فإنما ذلك يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الشر في أحد جانبيه إفراطاً أو تفريطاً.

وهؤلاء المغالون المسرفون تجاوزوا حدودهم تحت مسمى الزهد فابتدعوا عبادات غير مأمورين بها، فهذا تشديد ما أنزل الله به من سلطان، وكم من الآثار السيئة تترتب عليه وخاصة على البدن ولذلك فإن لبدن الإنسان حق عظيم يجب القيام به.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح (ح/٥٠٦٣)(٩٣٢)

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، حقق نصوصه وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا. (١٧٣/٣) ط/٧. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت–لبنان

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم – باب هلك المتنطعون (ح/٢٦٧٠)(١١٦٢)

(٥) شرح النووي (٢٢٠/١٦)

قال ﷺ: ((يا عَبْدَ اللَّهِ[1] أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فقلت بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ قال فلا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فإن لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فإن لك بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فإن ذلك صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ قلت يا رَسُولَ اللَّهِ إني أَجِدُ قُوَّةً قال فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام ولا تَزِدْ عليه قلت وما كان صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَام قال نِصْفَ الدَّهْرِ فَكَانَ عبد اللَّهِ يقول بَعْدَ ما كَبِرَ يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النبي ﷺ))[2].

(١) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص أبو محمد السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه وشهد مع أبيه صفين، كان طالباً للعلم، وكان يكتب عن النبي ﷺ. يُنظر: الثقات (٣/٢١٠، ٢١١)، الاستيعاب (٣/٨٦-٨٨)، تذكرة الحفاظ (١/٤١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم – باب حق الجسم في الصوم (ح/١٩٧٤)(٣٣٨)

المطلب الثاني : علاقة الإسراف بالطهارة

دعا الإسلام إلى الطهارة[1] في كل جوانب الحياة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[2].

يقول الشيخ السعدي–رحمه الله–: " المتنزهون عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقا؛ لأن الله يحب المتصف بها ولهذا كانت الطهارة مطلقا شرطا لصحة الصلاة والطواف وجواز مس المصحف.

ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة والصفات القبيحة والأفعال الخسيسة."[3]

وهذا ما يدل على عمومية التطهر.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾[4].

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–:" ﴿ فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ أمر على الاطلاق بحيث لم يكن مخصوصاً بعضو معين دون عضو فكان ذلك أمراً بتحصيل الطهارة في كل البدن على الاطلاق، ولأن الطهارة لما كانت مخصوصة ببعض الأعضاء لا جرم ذكر الله تعالى تلك الأعضاء على التعيين فههنا لما لم يذكر شيئاً من الأعضاء على التعيين علم أن هذا الأمر أمر بطهارة كل البدن.

واعلم أن هذا التطهير هو الاغتسال كما قال في موضع آخر﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ﴾[5]"[6].

---

(١) سواء كانت طهارة حسية وهي الخاصة بالنظافة، أو الطهارة المعنوية الخاصة بتطهير الإنسان نفسة من الذنوب المعاصي. والحديث هنا عن الطهارة الحسية.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١٠٠)

(٤) سورة المائدة الآية ٦

(٥) سورة النساء الآية ٤٣

(٦) التفسير الكبير (٣٠٨/٤)

فالغسل: "تمام غسل الجسد كله."[١]

وهو: "تعميم البدن بالماء بنية معتبرة."[٢]

كما يدخل في الطهارة الوضوء.

والوضوء: "من الوضاءة وهي الحسن.

وفي الشرع: الغسل والمسح على أعضاء مخصوصة."[٣]

وقد بين الإسلام طريقة الطهارة ولم يجعل لها مقدارًا معيناً وإنما ثبت عن النبي ﷺ أنه (كان رسول اللَّهِ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ[٤] وَيَتَطَهَّرُ بِالْمُدِّ.)[٥].

وقال أنس ﷺ: (كان النبي ﷺ يَغْسِلُ أو كان يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إلى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ)[٦]

ونعلم أن فعله ﷺ هو السنة. وفي ذلك إشارة إلى عدم الإسراف والمحافظة على الماء الموجود وعدم إتلافه لأنه ستأتي الحاجة إليه.

" والقدر المجزئ من الغسل ما يحصل به تعميم البدن على الوجه المعتبر [بحيث لا يزيد عن الحاجة ولا يقل عنها في المنظور الشرعي]، سواء كان صاعاً أو أقل أو أكثر ما لم يبلغ في النقصان إلى مقدار لا يسمى مستعمله مغتسلاً، أو إلى مقدار في الزيادة يدخل فاعله في حد الإسراف."[٧]

فالنقصان في المقدار يعد حينئذ تفريطاً وعدم عناية بالطهر الشرعي الصحيح، ومن وقع في ذلك كان مسرفاً لخروجه عن حد التطهر المطلوب.

ولذلك نهى الإسلام عن الإسراف وتجاوز الحد سواء بالإفراط أو التفريط فكلاهما إسراف لبعده عن الاعتدال والوسطية. قال تعالى:﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) لسان العرب (٤٩٤/١١)

(٢) التعاريف للمناوي (٥٣٨)

(٣) التعريفات للجرجاني (٣٤٧)

(٤) الصاع: مكيال لأهل المدنية يأخذ أربعة أمداد. لسان العرب (٢١٥/٨)

(٥) أخرجه مسلم كتاب الحيض–باب القدر المستحب من الماء..... (ح/٣٢٦)(١٤٥)

(٦) أخرجه البخاري كتاب الوضوء–باب الوضوء بالمد (ح/٢٠١)(٥٤)

(٧) عون المعبود (٢٧٨/١)

ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[2] وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾[3].

فقد يجهل الإنسان في بعض الأمور بتجاوز حده فيما أمر به فالماء نعمة أنعم الله بها على عباده ونهى عن الإسراف فيها قال ﷺ: ((إنه سَيَكُونُ في هذه الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ في الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ))[4].

*** والاعتداء في الطهور يكون بالإسراف في الماء فوق الحاجة إما بتكرار الوضوء أو بالغسل** فقد وصف النبي ﷺ ذلك بأنه ظلم.

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يَسْأَلُهُ عَنِ الْوُضُوءِ فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا. قال:((هذا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ على هذا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ))[5].

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–: " وكان ﷺ من أيسر الناس صباً لماء الوضوء، وكان يحذر أمته من الإسراف فيه. وأخبر أنه يكون من أمته من يعتدي في الطهور."[6]

قال الإمام البخاري[7]–رحمه الله–: "وكره أهل العلم الإسراف فيه [يعني في الوضوء] وأن يجاوزوا فعل النبي ﷺ."[8]

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤١

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٠

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٤) سبق تخريجه (ص/٢١٢)

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٦٦٨٤)(١٨٠/٢)، وابن ماجة في سننه كتاب الطهارة وسننها–باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (ح/٤٢٢)(٩٠)، والبيهقي في سننه (ح/٣٧٨)(٧٩/١)

(٦) زاد المعاد (٧٠)

(٧) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، أبو عبد الله. كان من خيار الناس ممن جمع وصنف ورحل وحفظ وذاكر، كثرت عنايته بالأخبار وحفظه للآثار مع علمه بالتاريخ، لزم الورع والعبادة الدائمة. صاحب كتاب صحيح البخاري، والتاريخ الكبير. توفي سنة (ست وخمسين ومائتين) يُنظر: الثقات (١١٣/٩، ١١٤)، وصفة الصفوة (٣٩٦/٤–٣٩٨)

(٨) صحيح البخاري كتاب الوضوء–١ باب ما جاء في الوضوء (٤٤)

*** وكما أمر النبي ﷺ بإسباغ الوضوء نهى عن الإسراف في ذلك.** فقال ﷺ: ((أَنْتُمْ الْغُرُّ[1] الْمُحَجَّلُونَ[2] يوم الْقِيَامَةِ من إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ))[3].

وقال ﷺ: ((ألا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ)) قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ. قال:((إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ على الْمَكَارِهِ)) [4].

وقد يجهل الإنسان بأمر دينه فيظن أن إسباغ الوضوء هو صب الماء بكثرة على الأعضاء ولم يعلم أنه " ليس معنى إسباغ الوضوء كثرة صب الماء، بل معناه تعميم العضو بجريان الماء عليه، وأما كثرة صب الماء، فهذا إسراف منهي عنه، بل قد يكثر صب الماء ولا يتطهر الطهارة الواجبة، وإذا حصل إسباغ الوضوء مع تقليل، فهذا هو المشروع."[5]

" ويقال: من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور."[6]

ولذلك يقول الإمام ابن الجوزي[7]–رحمه الله– في كثرة استعمال الإنسان للماء أنه: "يجمع أربعة أشياء مكروهة. الإسراف في الماء، وتضيع العمر القيم فيما ليس

---

(١) الغرة: بياض في جبهة الفرس. شرح النووي (١٣٥/٣)

(٢) التحجيل: بياض في يديها ورجليها. قال العلماء: سمى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلا تشبيها بغرة الفرس. والله أعلم. شرح النووي (١٣٥/٣)

(٣) أخرجه مسلم كتاب الطهارة – باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (ح/٢٤٦)(١٢١)

(٤) أخرجه مسلم كتاب الطهارة–باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره (ح/٢٥١)(١٢٣)

(٥) الملخص الفقهي تأليف د/صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. (٤١) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الآثار للنشر والتوزيع.

(٦) موعظة المؤمنين (٥٧)

(٧) هو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن القرشي البغدادي الحنبلي الإمام العلامة الواعظ، صاحب التصانيف منها: زاد المسير في التفسير، تذكرة الأريب، الوجوه والنظائر، جامع المسانيد، وغيرها. توفي سنة (سبع وتسعين وخمسمائة) يُنظر: كتاب الذيل على طبقات الحنابلة للشيخ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي المعروف بابن رجب الحنبلي، وقف عليه وصححه: محمد حامد الفقي (٣٩٩-٤٣٣) ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م. مطبعة السنة المحمدية – شارع غيط النوبي، وطبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر (٤٧٧، ٤٧٨) ط/١. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. مكتبة وهبة – شارع الجمهورية – بعابدين، مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة.

بواجب ولا مندوب، والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل. والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة."[1]

والسرف في صب الماء مع أنه يضيع الماء من غير فائدة إلا أنه يوقع في مفاسد أخرى:

منها: أنه قد يعتمد على كثرة الماء، فلا يتعاهد وصول الماء إلى أعضائه، فربما تبقى بقية لم يصلها الماء، ولا يدري عنها فيبقى وضوؤه ناقصاً، فيصلي بغير طهارة.

ومنها: الخوف عليه من الغلو في العبادة، فإن الوضوء عبادة والعبادة إذا دخلها الغلو فسدت.

ومنها: أنه قد يحدث له الوسواس في الطهارة بسبب الإسراف في صب الماء.

والخير كله في الاقتداء بالرسول ﷺ وشر الأمور محدثاتها. فعلينا بالحرص على الوضوء وجميع العبادات على الوجه المشروع، من غير إفراط ولا تفريط، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم وخير الأمور أوسطها، والمتساهل في العبادة ينقصها، والغالي فيها يزيد عليها ما ليس منها، والمستن فيها بسنة الرسول ﷺ هو الذي يوفيها حقها.[2]

وبذلك يظهر أن ما يفعله البعض في عصرنا من استهلاك كميات هائلة من الماء أمر خارج عن السنة لأنه قد دخل في الإسراف فالماء نعمة فقدانها يعد هلاكاً للمجتمع.

---

(١) تلبيس إبليس (١٠٦)

(٢) يُنظر: الملخص الفقهي (٤١، ٤٢)

المطلب الثالث : علاقة الإسراف بعبوديات الجوارح

امتن الله عز وجل على عباده فخلق لهم الجوارح وجعل بها قوام حياتهم وهم بها في أحسن تقويم فسبحانه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[1]، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[2] ومن أعالي النعم التي تجتمع لهذه الجوارح كلها أن أثرها جميعاً يصب في القلب فيتأثر بها تبادلٌ بينهما وبين القلب فقد قال ﷺ: ((ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ))[3] لذلك كان كل عمل طيب مشروع يصدق إيمان القلب والعكس من ورائه فساد القلب أيضاً فهذه الجوارح "هي مراكب العَطب أو النجاة، فمنها عُطب من عطب بإهمالها، وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها، فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر.

قال تعالى:﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ ﴾[4]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِى ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولًا ۝٣٧ ﴾[5] وقال: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولًا ۝٣٦ ﴾[6]، وقال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ﴾[7]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝٧٠ ﴾[8].

---

(١) سورة الأعلى الآية ٢، ٣

(٢) سورة السجدة الآية ٧

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان – باب فضل من استبرا لدينه (ح/٥٢)(٢٧)، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة – باب أخذ الحلال وترك الشبهات (ح/١٥٩٩)(٦٩٨)

(٤) سورة النور الآية ٣٠

(٥) سورة الإسراء الآية ٣٧

(٦) سورة الإسراء الاية ٣٦

(٧) سورة الإسراء الآية ٥٣

(٨) سورة الأحزاب الآية ٧٠

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [1]"[2].

هذا من حيث كونها نعماً، لذلك كان على الإنسان ألا يفقد هذه الجوارح قيمها العليا التي خلقها الله لها فعليه أن يحفظها بإبعاد أي فساد عنها حسياً كان أو معنوياً، وكيف لا والله تعالى قد ضمن لمن تعطل لديه البصر كله أو بعضه تعطيلاً ربانياً وقضاءً حكيماً قضى به الله وقدره على الإنسان إلا كان له عند الله بدلاً من ذلك ما هو خيرٌ منهما في الدنيا والآخرة. لقوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ قال إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ)) يُرِيدُ عَيْنَيْهِ[3]

فإذا كان الأمر كذلك فعلى الواحد منا أن يعرف حق هذه الجوارح بعمومها إجمالاً وتفصيلاً ويحفظها ولا يجعلها أسيرة هواه وشهواته، يفقدها أو يعطلها تعطيلاً كلياً أو جزئياً لا لمنفعة دنيوية أو أخروية، وإنما لإرضاء جانبه الشهواني جهلاً أو قصداً وعلى الأخص المسلم وهو يعلم أن الله ما خلق الجن والإنس جميعاً إلا للعبادة فإذا انحرف واحد منهم عن ذلك بأي جارحة من جوارحه أو بما أوتي من نعم أخرى فليتب في دنياه عن ذلك أو ينتظر مصيراً أو عقاباً محتوماً لا فرار منه، وليعلم أن هذه الجوارح ستكون شهوداً عليه إن حاول كتمان ما أتى به من المعاصي ولم يقر على نفسه ولم يشهد بلسانه بما فعل من الذنوب.

وسأتحدث عن علاقة الإسراف بهذه الجوارح فيما يلي:

*** جارحة السمع والإسراف فيها:**

أنعم الله عز وجل على عباده بحاسة السمع ، فقد جعل للإنسان " الأذنين شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه، وأودعهما من الرطوبة ما يكون معينا على إدراك السمع وأودعهما القوة السمعية"[4].

---

(١) سورة الحشر الآية ١٨

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١٠١، ١٠٢)

(٣) أخرجه البخاري كتاب المرضى–باب فضل من ذهب بصره (ح/٥٦٥٣)(١٠٣٢)

(٤) التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية، حققه: بشير محمد عون (٢٠٠) ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة دار البيان.

هذه القوة التي لا يعد ولا يملك منفعتها وأداءها لوظيفتها إلا هو ﷻ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[1].

وقد جاء من دعاء النبيﷺ في السجود: ((سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ))[2].

وقد أخبر الله عز وجل بهذه النعمة العظيمة في قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[3] وقال تعالى:﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

فبين سبحانه أنه جعل لهم هذه النعمة ليسمعوا آيات الله ويتمسكوا بها ، وبما فيها من الأوامر ، والنواهي ويتعظوا بمواعظها.[5]

ولا يخفى أن نعمة السمع من أخص النعم وأفضلها على العباد حتى إن فقدانها يعز تعويضه. والبديل عنها الذي يصنع لتقويتها لن يكون أبداً مماثلاً من كل الوجوه لما خلقه الله تعالى. ويشترط طبياً للانتفاع به وجود جزءٍ داخلي يصلح لنقل إشارته إلى المخ ليترجمها من الأصوات إلى الحروف والكلمات.

حقاً تبارك الله أحسن الخالقين. قال تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[6] وقال في اللوم على عدم شكر هذه النعمة مع نعمتي البصر والعقل:﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[7] وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة يونس الآية ٣١

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل (ح/٧٧١) (٣١٤).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية: ٧٨

(٤) سورة النحل،الآية: ٧٨

(٥) يُنظر: الفتوحات الإلهيه (٨/ ٦٧)

(٦) سورة السجدة الآية ٧

(٧) سورة السجدة الآية ٩

(٨) سورة الملك ،الآية: ٢٣

والغفلة عن الشكر لعدم إدراك حقيقة هذه النعم فلا يدري بقيمتها إلا من افتقد إحداها وقريباً من ذلك قيل: (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى). وعجباً لجحود الجاحدين أو إعراضهم عن الشكر مع دوام النعمة، أو استخدامها في معصية السميع البصير، وعدم الإفادة منها فيما يقرب العبد من ربه وهذا من العبد غرور وغفلة والعجب أن يظن الحق معه فيما يفعل -بهذه النعم- أو فيما يذر مما لا يرضي الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[2] ألا ما أعظم حلم الرحمن وما أوسع عفوه عن عباده ورحمته بهم.

ويقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- : " وتعلق القلب بالسمع وارتباطه به أشد من تعلقه بالبصر وارتباطه به ، ولهذا يتأثر بما يسمعه من الملذوذات، أعظم مما يتأثر بما يراه من المستحسنات ، وكذلك في المكروهات سماعا ورؤية. ولهذا كان الصحيح أن حاسة السمع أفضل من حاسة البصر لشدة تعلقها بالقلب وعظم حاجته إليها وتوقف كماله عليها ، ووصول العلوم إليه بها ، وتوقف الهدى على سلامتها .

ثم ذكر – رحمه الله- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- حيث قال: (المدرك بحاسة السمع أعم وأشمل والمدرك بحاسة البصر أتم وأكمل، فللسمع العموم والشمول، والإحاطة بالموجود والمعدوم، والحاضر والغائب، والحسي والمعنوي، وللبصر التمام والكمال)"[3].

فهذه الحاسة التي خلقها الله لعباده أمر باستخدامها فيما يحب ويرضى.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤

(٢) سورة الإنفطار الآية ٦-٨

(٣) مدارج السالكين (٦٥١)

وقد أخبر الإمام ابن القيم –رحمه الله– في موضع آخر أن المسموع على ثلاثة أضرب :

أحدها/ مسموع يحبه الله ويرضاه، وأمر به عباده وأثنى على أهله ورضي عنهم به.[1]

الثاني/ مسموع يبغضه الله ويكرهه، ونهى عنه ، ومدح المعرضين عنه.

الثالث/ مسموع مباح مأذون فيه ، لا يحبه الله ولا يبغضه.[2]

فالذي يحبه الله ويرضاه وأمر به كسماع آياته المتلوة، وهذا أساس الإيمان كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[3].

في هذه الآية استمعوا له بآذانكم لعلكم تسمعون بقلوبكم وتفهمون مراد مخاطبة الحق إياكم وتأدبوا بلطائف مواعظه فتوصلكم حسن الأدب إلى استماع وبركة الخطاب إلى رحمته وهو أن يرزقكم آداب خدمته كما رزقكم حسن شريعته وأجل رحمتة رحم الله بها عباده آداب العبودية التي خص الله بها الأكابر من الأصفياء

---

(١) وقسم ابن القيم هذا النوع من السماع إلى ثلاثة أنواع: سماع إدراك بحاسة الأذن، وسماع فهم وعقل، وسماع فهم وإجابة، وقبول، والثلاثة في القرآن. فأما سماع الإدراك: ففي قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن قولهم:﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ [الجن: ١ ،٢]. وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأحقاف: ٣٠]، فهذا سماع إدراك اتصل به الإيمان والإجابة.

وأما سماع الفهم : فهو المنفي عن أهل الإعراض والغفلة. بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الروم: ٥٢]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢٢]. وأما سماع القبول والإجابة : ففي قوله تعالى حكاية عن عباده المؤمنين: أنهم قالوا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٥، والمائدة:٧، والنور:٥١]. فإن هذا سماع قبول وإجابة مثمر للطاعة. يُنظر: مدارج السالكين، (٤٣١)

(٢) مدارج السالكين، (٣٤١)

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠٤

والسادات من الأوليـــاء وفي قوله: ﴿ وَأَنصِتُواْ ﴾ أي من آداب الاستماع الانصات والاشتغال بما يبدو من بركات السماع دون طلب حظ فيه بحال.[1]

ويقول الشيخ السعدي – رحمه الله- "هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى فإنه مأمور بالاستماع له والانصات والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله فإنه ينال خيرا كثيرا وعلما غزيرا وإيمانا مستمرا متجددا وهدى متزايدا وبصيرة في دينه ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما فدل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب فلم يستمع له ولم ينصت أنه محروم الحظ من الرحمة قد فاته خير كثير"[2].

وفي قولة تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ... ﴾ دليل على الاستماع إلى القران الكريم أثناء الصلاة وفي كل حال من الأحوال.

يقول الإمام الشوكاني –رحمة الله-: "أمرهم الله سبحانه بالاستماع للقران والإنصات له عند قراءته لينتفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح. قيل: هذا الأمر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الأمام. ولا يخفاك أن اللفظ أوسع من هذا. والعام لا يقصر على سببه، فيكون الاستماع، والإنصات عند قراءة القران في كل حالةٍ وعلى أي صفة مما يجب على السامع."[3].

---

(١) حقائق التفسير (تفسير السلمي) لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق: سيد عمران (١/ ٢٥٢) ط/١. ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣١٤)

(٣) فتح القدير (٤٠٢/٢)

وأمر الله عز وجل عباده بالاستماع إلى أحسن الأقوال لأنهم عن طريق حاسة السمع يصل القول الحسن إلى القلب والعقل، وقد مدح الله سبحانه من يفعل ذلك من عبـــاده فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾[1].

أي:"يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام، وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك، وقيل: هو الذي يستمع حديثا فيه حسن وقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر. وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك."[2]

كذلك إن حاسة السمع لها دور كبير في توصيل ما يسمع إلى العقل، حتى يستطيع الإنسان أن يميز الصواب من غيره.

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–: " أن الهداية والفلاح مرتبطان بما إذا سمع الإنسان أشياء كثيرة، فإنه يختار منها ما هو الأحسن والأصوب، ومن المعلوم أن تمييز الأحسن والأصوب عما سواه لا يحصل بالسماع؛ لأن السماع صار قدراً مشتركاً بين الكل، لأن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ يـــدل عـــلى أن السماع قدر مشترك فيه فثبت أن تمييز الأحسن عما سواه لا يأتي بالسماع وإنما يتأتى بحجة العقل، وهذا يدل على أن الموجب لاستحقاق المدح والثناء متابعة حجة العقل وبناء الأمر على النظر والاستدلال."[3].

أما الاستماع المباح فقد قال ابن القيم–رحمه الله–: " لا يحبه الله ولا يبغضه. ولا مدح صاحبه ولا ذمه. فحكمه حكم سائر المباحات من المناظر، والمشام، والمطعومات، والملبوسات المباحة. فمن حرم هذا النوع فقد قال على الله ما لا يعلم.

---

(١) سورة الزمر،الآية ١٨

(٢) التسهيل للكلبي (٢٦٦/٢)، ويُنظر: المحرر الوجيز (١٦١٤)

(٣) التفسير الكبير (٤٣٧/٩)

وحرم ما أحل الله. ومن جعله ديناً وقربة يتقرب به إلى الله، فقد كذب على الله، وشرع ديناً لم يأذن به الله. وضاهأ بذلك المشركين."[١]

فالشعر الخارج عن الكلام الفاحش في نظمه وتأليفه وإعمال الذهن فيه لوقت طويل أو قصير يباح الاستماع إليه وعلى الأخص إن كان له هدفٌ نبيل وغرض رفيع يحبه الله ويرضاه كأن يبعث على طاعة أو يحبب فيها أو يبغض في المعاصي، أو يكون مجالاً لتقريب وتقرير قواعد العلوم وقضاياها وأصولها فإن ذلك يخرج عن الشعر المذموم ولا يكون به صاحبه ولا من اتبعه من الغاوين وقد دعا النبي ﷺ لحسان بن ثابت ﷺ بقوله: ((اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ))[٢]، وقال ﷺ لحسان: ((اهْجُهُمْ، أو هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ))[٣].

وقد أباح النبي ﷺ الاستماع إلى الغناء في العرس. فعن عامر بن سعد[٤] أنه قال كنت مع ثابت بن وديعة[٥] وقرظة بن كعب[٦] رضي الله عنهما في عرس

---

(١) مدارج السالكين (٣٤١)

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب-باب هجاء المشركين (ح/٦١٥٢)(١١٠٥)، ومسلم كتاب فضائل الصحابه- باب فضائل حسان بن ثابت (ح/٢٤٨٥)(١٠٩٤)

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب-باب هجاء المشركين (ح/٦١٥٣)(١١٠٥)، ومسلم كتاب فضائل الصحابه- باب فضائل حسان بن ثابت (ح/٢٤٨٦)(١٠٩٤)

(٤) هو:عامر بن سعد البجلي الكوفي. روى عن البراء بن عازب وثابت بن وديعة، وقرظة بن كعب وغيرهم. وروى عنه إبراهيم بن عامر الجمحي، وأبو إسحاق السبيعي. روى له مسلم وابو داود والترمذي والنسائي. ذكره ابن حبان في الثقات. يُنظر: الثقات (١٨٩/٥)، وتهذيب الكمال ليوسف بن الزكي بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف (٢٣/١٤، ٢٤) ط/١. ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٥) هو: ثابت بن وديعة الخزرجي الأنصاري أبو سعيد ويقال: ثابت بن يزيد له صحبه. روى عن النبيﷺ، وعنه البراء بن عازب، وزيد بن وهب، وعامر بن سعد البجلي. روى له أبو داود والنسائي وابن ماجة. يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٧٣/٤)، والتاريخ الكبير (١٧٠/٢)، وتهذيب الكمال (٣٨١/٤- ٣٨٣)

(٦) هو: قرظة بن كعب بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي أبو عمرو. أحد العشرة الذين وجههم عمر إلى الكوفة من الأنصار وعلى يده كان فتح الري، وولاه علي الكوفة وتوفي بها. روى عنه عامر الشعبي، وعامر بن سعد البجلي. قال العجلي: بصري تابعي ثقة. يُنظر: الجرح والتعديل (١٤٤/٧)، وتهذيب التهذيب لأحمد بن حجر العسقلاني أبو الفضل (٣٣٠/١) ط/١. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. دار الفكر بيروت.

فسمعت صوتا فقلت ألا تسمعان فقالا: إنه رخص في الغناء في العرس والبكاء على الميت من غير نياحة.[1]

وقد يستمع الإنسان للشيء المباح كالأشعار مثلاً التي تعد من المباحات التي يجوز الاستماع إليها ولكن نرى أن كثرة الاستماع والمداومة عليها وخاصة إن كان بها كلام فاحش بذيء تخرج به من دائرة المباح إلى المكروه وقد يكون إلى المحرم لأنه في هذه الحالة يستطيع الشيطان أن يدخل من هذا الباب فيزين للإنسان ما يستمع له ويجعله محبوباً لديه كالمداومة على سماع الأشعار والغناء الفاحش او المصاحب للآلآت والمكاء والتصدية.

وقد نهى النبي ﷺ عن كثرة الاستماع إلى الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن فقال:((لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ من أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا))[2].

ذكر الإمام النووي- رحمه الله-: " أن المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان. فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا؛ لأن جوفه ليس ممتلئا شعراً. والله أعلم. واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقا قليله وكثيره، وإن كان لا فحش فيه.. وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه. قالوا: وهو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح. وهذا هو الصواب؛ فقد سمع النبي ﷺ الشعر واستنشده، وأمر به حساناً في هجاء المشركين، وأنشده

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (ح/١٢٢٠)(١٦٩)، والبيهقي في سننه (ح/١٤٤٦٩)(٢٨٩/٧)، والحاكم في المستدرك (ح/٢٨٠٥)(٥٤٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد رواه شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق مفسرا ملخصا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب – باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن (ح/٦١٥٤)(١١٠٥)، ومسلم في صحيحه كتاب الشعر– باب في إنشاد الأشعار وبيان أشعر الكلمة وذم الشعر (ح/٢٢٥٩)(١٠٠١)

أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش ونحوه."[١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "فيسمعون من الأقوال والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بحيث يصلح لمحب الأوتار والصلبان والإخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لمحب الرحمن ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والإمكان والخلان وربما اشترطوا له الشيخ الذي يحرس من الشيطان ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا في ذلك إلى أنواع من المعاصي بل إلى نوع من الفسوق بل خرج فيه طوائف إلى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد."[٢]

* ثم يتمادى المسرفون المتجاوزون حدودهم في الإسراف في السمع الذي جعله الله نعمة يشكر عليها ويعبد بها ﷻ وذلك باستخدامه فيما يبغضه الله من سماع الباطل وسماع اللغو الذي مدح الله المعرضين عنه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[٣].

* ومنه ما يحرم وهو ما جاء في قوله تعالى:﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ ﴾[٤] ومعنى ذلك: "أنهم قابلون للكذب لأن الرجل يستمع الحق والباطل ولكن يقول لا تسمع من فلان أي لا تقبل [كما أنهم يسمعون الكلام لكي يزيدوا عليه الكذب] فهم يسمعون منك ليكذبوا عليك لأنهم جالسوه لكي يقولوا سمعنا منه كذا وكذا وإنما صار."[٥]

---

(١) شرح النووي (٣٩٣/١٥، ٣٩٤)

(٢) أمراض القلوب لأحمد عبد الحليم بن تيمية (٧٣) ط/٢. ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية القاهرة.

(٣) سورة القصص الآية ٥٥

(٤) سورة المائدة الآية ٤١

(٥) تفسير السمرقندي (٣٨٩/١)

*ومن تجاوز الحد في السمع تجسس على الآخرين، قال تعالى:﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[1]

قال الأوزاعي[2]: "التجسس: البحث عن الشيء والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع إلى أبوابهم."[3]

وقال النبي ﷺ: ((مَنْ اسْتَمَعَ إلى حديث قَوْمٍ وَهُمْ له كَارِهُونَ أو يَفِرُّونَ منه صُبَّ في أُذُنِهِ الْآنُكُ يوم الْقِيَامَةِ))[4].

وقد يصاحب الاستماع الإصاخة وهي"الاستماع إلى ما يصعب إدراكه كالسر والصوت من المكان البعيد."[5]

يقال: أصاخ إليه إذا تسمع. وهو لفظ يستخدم في تحصيل الخبر أيضاً كمن يصيخ إلى معلم القرآن لكي يتقن مخارج الحروف كشيخه مثلاً. أو من يصيخ ليتحقق ويعلم الباطل من الحق فيما يشتبه عليه مما يسمعه. أو كانت الإصاخة إلى صوت بعيد يعلن حلول وقت الصلاة، أو يأذن ببدء الصوم أو ببدء الفطر، أو يعلن بدء الجهاد وما شاكل ذلك مما يجري على القواعد الشرعية ويتقي به صاحبه غضب الجبار سبحانه.

وتكون الإصاخة إسرافاً إذا حاول صاحبها اكتشاف أسرار الناس من باب الفضولية والتطلع إلى معرفة ما لا يحب أصحابه أن يطلع أحد عليه ومن هنا قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[6]، أو ينشرها من غير إذن أو ليقف على معايبهم وأسرارهم وهم لا يعلمون ولا يحبون

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٢

(٢) هو: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي أبو عمرو، الفقيه الشامي الإمام العلم. توفي سنة (سبع وخمسين ومائة) وقيل (إحدى وخمسين ومائة) يُنظر: التاريخ الكبير (٣٢٦/٥)، وصفة الصفوة (٤٦٦/٤-٤٦٨)، ولسان الميزان (٢٨٣/٧)

(٣) تفسير ابن أبي حاتم لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب (٣٠٥/١٠) المكتبة العصرية صيدا.

(٤) أخرجه البخاري كتاب التعبير-باب من كذب في حلمه (ح/٦٦٣٥)(٢٥٨١/٦)

(٥) التفسير الكبير (٤٣/٨)

(٦) سورة الإسراء الآية ٣٦

أن يطلع على ذلك أحد، أو أن يتسمع ويصيخ مسرفاً في هذا الفعل ليستخدم معرفته بذلك ضد أصحاب هذه الأسرار. ومن هنا جاء النهي الكريم في تربية المسلم عن هذا الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[1].

ويشمل ذلك النهي كل ما يقع به التجسس سواء كان بحاستي السمع أو البصر أو غيرهما كما هو حادث في الأجهزة والآلات الحديثة ممن يقتحمون أجهزة الحاسب الآلي وأسرار الآخرين أو موادهم العلمية فيأخذونها بغير إذن منهم أو يريدون بذلك إفساد برامجهم وأجهزتهم عليهم ولا يخفي أن التجسس أمرٌ قد يقع بالتبادل بين من في الدار على من هم خارجها أو العكس، وكذلك يقع في أحوال أخرى غير البيوت وكلها محكومة بآداب الإسلام سواء كانت آداباً جزئية أو كلية قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[2] وقوله ﷺ: ((لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ))[3].

*** جارحة البصر والإسراف فيها:**

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة البصر التي فيها من المنافع الضرورية ما يحتم عليه المحافظة عليها وعدم استخدام هذه النعمة إلا فيما أباحه الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾[4].

فقد وضح الله في هذه الآية أنه جعل له عينين يبصر بهما المرئيات، شقها له وهو في الرحم في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا يزيد إحداهما على الأخرى شيئاً، [إلا إذا أراد هو سبحانه وتعالى زيادة أو نقصاً في إحديهما لحكمة لا يعلمها إلا هو ومع ذلك يعوض الله تعالى صاحب هذه الحالة بما هو خير له مما فاته] وقدر له

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٢

(٢) سورة المائدة الآية ٢

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (٧٧/٣)، والحاكم في المستدرك (ح/٢٣٩٢)(٣٦٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى (ح/١١١٦٦)(٦٩/٦)

(٤) سورة البلد الآية ٨

البياض والسواد بقدر مخصوص وأودعه البصر على كيفية يعجز الخلق عن إدراكها.[1]

ونظير هذه النعمة العظيمة وجب شكر الله – تعالى– عليها والتأمل بها في مخلوقات الله، والنظر بها فيما أباحه ﷻ، وحفظها عما حرمه.

فكما جعل الله العينين مؤديتين للقلب والعقل ما يريانه، جعلهما مرآتين للقلب، يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض، والخير والشر وغير ذلك.[2]

فالنظر الواجب هو النظر في المصحف وكتب العلم، والنظر في مخلوقات الله من النفس والآفاق.

ومن المستحب النظر إلى ما أباحه الله كالنظر إلى المخطوبة عند إرادة خطبتها لقوله ﷺ: ((اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فإنه أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))[3].

ومنه النظر إلى المباح من المناظر المستحسنة في الطبيعة ليدخل على النفس البهجة والسرور، ويصفيها عن أكدارها لتنشط في التدبر ويتحسن استعدادها ويتزايد في أداء الطاعات، ومنه النظر في السماء وكون الله الفسيح، وغير ذلك.

ومن النظر المباح النظر إلى المحارم وما يجوز أن يراه المَحَرم منهن بقدرٍ محدودٍ معلوم في أحكام الشرع، وكذلك ما تراه المرأة من محارمها.

* ومن النظر ما يكون مكروهًا وهو ما زاد عن الحاجة إلى ما أحله الله– تعالى– وحراسة القلب في هذه الحالة من أن يتحرك نحو الحرام تبعاً لاستدراك النظر واسترساله بخلسة يختلسها الشيطان ليدخل على الإنسان من باب المباح

---

(١) يُنظر: الفتوحات الإلهية (٣٢٥/٨)

(٢) يُنظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١٩٩)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (ح/١٨١٧٩)(٢٤٦/٤)، وابن ماجة في سننه كتاب النكاح – باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها (ح/١٨٦٥)(٣٢٤)، والنسائي في سننه الكبرى كتاب النكاح – باب إباحة النظر إلى المرأة قبل تزويجها (ح/٥٣٤٦)(٢٧٢/٣)، والنسائي في سننه المجتبى كتاب النكاح – باب إباحة النظر قبل التزويج (ح/٣٢٣٥)(٥٠١)، وابن حبان في صحيحه (ح/٤٠٤٣)(٣٥١/٩)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/١٠٥٢)(٤٣٣/٢٠)، والدارقطني في سننه (٢٥٢/٣)، والحاكم في المستدرك (ح/٢٧٤٤)(٥١٤/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه الكبرى (ح/١٣٢٦٦)(٨٤/٧)

الحلال إلى الحرام كمن ينظر إلى دار أو سيارة فينتقل من النظر العابر إلى حسد صاحبها، وقد كان السلف ﷺ يحاسبون أنفسهم على اللحظة والخطرة والذرة.

والنظرة الأولى التي تقع لأول وهلة إذا تبعتها نظرة أخرى مقصودة ومتعمدة فإنها بذلك قد انتقلت من الحلال إلى الحرام.

وقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: ((يا عَلِيُّ لا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإن لك الأُولَى ولَيْسَتْ لك الآخِرَةُ))[1].

وليعلم الناظر إلى ما لا يحل له أنه إذا تمادى في النظر ولم يقطع ذلك بنظرة أخرى كان بهذا التمادي مكرراً للنظر وليس له أن يحتج بأنه لا زالت معه النظرة الأولى المباحة أخذاً من ظاهر النص، ومن تعلق بمثل ذلك كان مكابراً جهولاً يريد الإفلات من المسؤولية الشرعية ولكن الله لا يخفى عليه شي في الأرض ولا في السماء فقد قال –سبحانه– : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

فقد يتجاوز بعض ضعفاء النفوس بأنظارهم إلى ما حرم الله ويسرفون في النظر غاية الإسراف، فيطلقون العنان للأبصار فيما حرم الله فحصاً وبحثاً وتدقيقاً ثم يتبع ذلك الأفعال متساهلين في هذا الأمر من بدايته.

ولذلك حذر الله ﷻ من الإسراف في النظر إلى ما حرم، وأمر بغض البصر فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ..... ﴾[3]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٢٣٠٤١)(٥/٣٥٣)، وأبي داود في سننه كتاب النكاح – باب ما يؤمر به من غض البصر (ح/٢١٤٨)(٣٢٦)، والترمذي في سننه كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء في نظرة المفاجأة (ح/٢٧٧٧)(٦٢٣)، والحاكم في المستدرك (ح/٢٨٤٢)(٢/٥٥٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه الكبرى (ح/١٣٢٩٣)(٧/٩٠)

(٢) سورة غافر الآية ١٩

(٣) سورة النور الآية ٣٠، ٣١

يقول الحافظ ابن كثير–رحمه الله–: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم فإن اتفق أن وقع بصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً، فعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي)[1] .

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ على الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا ما لنا بُدٌّ إنما هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فيها قال: فإذا أَبَيْتُمْ إلا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قالوا وما حَقُّ الطَّرِيقِ قال غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عن الْمُنْكَرِ))[2] .

[والأمر بغض البصر يشمل الرجال والنساء ومع هذا خص الله الرجال في هذا الأمر بآية مع أن النساء يدخلن فيها لكنه –سبحانه– خصهن بآية أخرى في نفس الموضوع تتناسب مع المرأة صوناً لطهرها وعفافها وحفاظاً عليها من شرور الإنس والجن.] فقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ : أي: عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى انه لا يجوز النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً."[3]

وذكر الشيخ السعدي –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ : "عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن وتوقع في المحذور، فإن من حفظ بصره طهر من الخبث الذي يدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله بسبب ترك المحرم

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الآداب–باب نظرة الفجأة (ح/٢١٥٩) (٩٦١)

(٢) أخرجه البخاري كتاب المظالم والغصب–باب أفنية الدور والجلوس على الصعدات (ح/٢٤٦٥) (٤٢٣)، ومسلم كتاب اللباس–باب النهي عن الجلوس في الطرقات، وإعطاء الطريق حقه (ح/٢١٢١) (٩٤٨)

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٧٣–٣٧٥)

الذي تطمع إليه النفس، وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره أنار الله بصيرته"[1].

ووضح الإمام القرطبي–رحمه الله–: " أن البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله"[2].

والإنسان محاسب على إسرافه في النظر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((كُتِبَ على بن آدَمَ نَصِيبُهُ من الزِّنَا مُدْرِكٌ ذلك لا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ..))[3].

ومن الإسراف في النظر تتبع عورات الآخرين والنظر إلى بيوتهم من غير إذن وقد جاء النهي عنه في قوله ﷺ: ((من اطَّلَعَ في بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لهم أَنْ يفقؤا عَيْنَهُ))[4]، وقال ﷺ: ((لو أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ ما كان عَلَيْكَ من جُنَاحٍ))[5].

ومن الإسراف في النظر ما يسمى بالإسراف الفضولي وهو أن يقع على ما ليس له فيه مصلحة ولا تدعوه إلى النظر إليه حاجة، فيكون النظر عندئذ غير مطلوب لأنه يخشى منه أن يفتح على قلبه شرٌ من هذا الباب هو في غنى عنه كحسد وما شابهه.

*** جارحة اللسان والإسراف فيها:**

امتن الله سبحانه على عبادة فجعل لهم ألسنًا يتكلمون ويتخاطبون بها مع الآخرين ويذكرونه ﷻ ويثنون بها عليه ويشكرون نعمه.. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦)

(٢) الجامع لأحكان القرآن للقرطبي (١٢/ ٢٢٣)

(٣) أخرجه مسلم كتاب القدر–باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (ح/٢٦٥٧)(٩٩٦)

(٤) أخرجه مسلم كتاب الآداب– باب تحريم النظر في بيت غيره (ح/٢١٥٨)(٩٦١)

(٥) أخرجه مسلم كتاب الآداب–باب تحريم النظر في بيت غيره (ح/٢١٥٨)(٩٦١)

عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، وبهذا اللسان يستطيع الإنسان التحكم في نفسه ولا ينطق به إلا بكل ما هو خيرٌ له، وعليه أن يصونه ويحكم صونه لما له من خطر بالغ على صاحبه، كما أن له أثره العظيم في منفعته وإثابته لقوله ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لها بَالًا يرفع الله بها دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لها بَالًا يهوى بها في جَهَنَّمَ))[2]

وقد أمر الله بالقول الحسن والسديد فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3] وقال: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾[4] وقال: ﴿ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾[5] وقوله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[6].

وذكر الإمام الرازي –رحمه الله– كلمة جامعة بالغة في مدى أثر اللسان على صاحبه وغيره حيث قال: " ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق معلوم أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي فإن كل ما يتناوله الضمير يعبر عنه اللسان بحق أو باطل وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور. والآذان لا تصل إلا إلى الأصوات والحروف. واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء بخلاف اللسان فإنه رحب الميدان ليس له نهاية ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الشر بحر سحب وإنه خفيف المؤنة سهل التحصيل بخلاف سائر المعاصي فإنه يحتاج فيها إلى مؤن كثيرة لا يتيسر تحصيلها في الأكثر فلذلك كان الأولى ترك الكلام."[7]

---

(١) سورة البلد الآية ٨-١٠

(٢) أخرجه البخاري كتاب الرقاق-باب حفظ اللسان (ح/٦٤٧٨) (١١٥٧)

(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٠، ٧١

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٢

(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٢

(٦) سورة البقرة الآية ٨٣

(٧) التفسير الكبير (٤٢/٨)

وقد قسم الإمام ابن القيم –رحمه الله– الكلام الخارج من اللسان من حيث الحكم الشرعي إلى أقسام أطلق عليها عبوديات اللسان: وهي: الواجب، والمستحب، والمحرم، والمكروه.

فالواجب: النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن؛ وهو ما تتوقف صحة الصلاة عليه، والأذكار الواجبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وغيرها.

والمستحب: تلاوة القرآن، ودوام الذكر والمذاكرة في العلم النافع، وتوابع ذلك.

والمكروه: التكلم بما تركه خير من الكلام به، مع عدم العقوبة عليه.

والمحرم: النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله، والدعاء إليه، وكالقذف وسب المسلم، وأذاه بكل قول، والكذب وشهادة الزور، والقول على الله بلا علم، وهو أشدها تحريماً.(١)

وباعتبار آخر قسم الإمام الرازي–رحمه الله– الكلام إلى أربعة أقسام من حيث الأثر لا من حيث الحكم فقال:"الكلام على أربعة أقسام منه ما ضرره خالص أو راجح، ومنه ما يستوي الضرر والنفع فيه، ومنه ما نفعه راجح، ومنه ما هو خالص النفع.

أما الذي ضرره خالص أو راجح فواجب الترك، والذي يستوي الأمران فيه فهو عيب، فبقي القسمان الأخيران وتخليصهما عن زيادة الضرر عسر فالأولى ترك الكلام."(٢)

فقد منح الله هذا الإنسان اللسان ليتكلم به، ولكن عليه أن يتحكم فيه ولا ينطــق به إلا كل ما هو خير. فعلى المؤمن أن يحذر من هذه الآفة العظيمة قال ﷺ: ((وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ))(٣).

---

(١) يُنظر: مدارج السالكين (٩٨)

(٢) التفسير الكبير (٤٣/٨)

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب– باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح/٦٠١٨)(١٠٨٥)، ومسلم كتاب الإيمان–باب الحث على إكرام الجار والضعيف ولزوم الصمت إلا عن الخير .. (ح/٤٧) (٤١).

فالكلمة إذاً إذا أطلقتها وخرجت من فمك، لا يمكنك أن تمنعها، فربما تفسد أو تصلح، فالعاقل يمنع لسانه ولا يتكلم إلا بخير، والخير إما في ذات المتكلم به، وإما في غيره، أي: في آثاره، فقد يتكلم الإنسان بكلام ليس أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر، ولا زوراً ولا إثماً، وإنما لكي يفتح للآخرين مجال الحديث عندما يكون المجلس صامتاً. فهنا الكلام الذي تكلم به يعتبر خيراً لغيره.(١)

فعلى الإنسان ألا يتكلم بكلام إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فمن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى يُرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول.(٢)

وقد حذر الله ﷻ من التلفظ بأقوال محظورة لأن كل كلمة يتلفظ بها الإنسان تكتب عليه قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾(٣).

وبين ﷺ مخاطر الكلام واللسان في قوله: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ الناس على وُجُوهِهِمْ في النَّارِ أو قال على مَنَاخِرِهِمْ، الا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟))(٤).

---

(١) يُنظر: تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (سورة الحجرات – سورة الحديد) (٩٤) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الثريا للنشر والتوزيع

(٢) يُنظر: الجواب الكافي لابن القيم (٢٣١، ٢٣٢)

(٣) سورة ق الآية ١٨

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٢٢٠٦٩)، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن – باب كف اللسان في الفتنة (ح/٣٩٧٣)(٦٥٦)، والترمذي في سننه كتاب الإيمان عن رسول اللهﷺ – باب ما جاء في حرمة الصلاة (ح/٢٦١٦)(٥٩٠) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ السجدة الآية ١٦(ح/١١٣٩٤)(٤٢٨/٦)، والمعجم الكبير (ح/١١٦)(٦٤/٢٠) وقال الألباني إسناده حسن. يُنظر: الإرواء (١٣٨/٢)

ولا يخلو الكلام المباح من الإسراف كالثرثرة الزائدة وما لا فائدة منه وعلى الأخص إذا ضمن كلامه الزائد لغو اليمين، أو وعداً لا يفي به، أو عهداً ينقضه ولذلك على الإنسان أن يراعي "الداعي إلى الكلام، لأن ما لا داعي له هذيان وما لا سبب له هُجْر، ومن سامح نفسه في الكلام إذا عَنّ، ولم يراع صحة دواعيه، وإصابة معانية، كان قوله مرذولاً، ورأيه معلولاً.

قال عمر بن عبد العزيزﷺ: من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه. وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام، ويقول: إذا جالست الجهال فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم،فإن إنصاتك للجهال زيادة في الحكم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم.

وعلى المتكلم أن يأتي الكلام في موضعه؛ لأن الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع.

وعليه أيضاً أن يقتصر على قدر حاجته من الكلام، فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يقدر بالكفـــاية لم يكن لحده غاية، ولا لقدره نهايـــة، وما لم يكن من الكلام محصـــوراً كان إما حصراً أو قصراً، أو هذراً إن كثر.

ولا بد من اختيار اللفظ الذي يتكلم به الإنسان، لأن اللسان عنوان الإنسان، يترجم عن مجهوله، ويبرهن عن محصوله، فيلزم أن يكون بتهذيب ألفاظه حَرياً، وبتقويم لسانه ملياً. قال بعض الحكماء: اللسان وزير الإنسان".[1]

وبذلك يظهر أن عدم المحافظة على اللسان توقع الإنسان في المهالك. ففضول الكلام إن لم يضر لم ينفع، ولذلك قال ﷺ: ((وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ))[2].

وفي ذلك دليل على أنه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمت عنه، بل إما أن يكون خيراً، فيكون مأموراً بقوله، وإما أن يكون غير خير، فيكون مأموراً بالصمت عنه.

---

(١) يُنظر: أدب الدنيا والدين (٢٣٧-٢٤٢)

(٢) سبق تخريجه (ص/٢٥٨)

فالكلام ليس مأموراً به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لا بد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر، وكان السلف كثيراً يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعني لشدته على النفس. وقد سئل ابن المبارك[1] عن قول لقمان لابنه: إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب، فقال: معناه: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب. وهذا يرجع إلى أن الكف عن المعاصي أفضل من عمل الطاعات[2]. وهو أولى وأسبق منها.

وكما أن للكلام وقته الذي يكون فيه، فللصمت وقته الذي يكون فيه.

فعن أنس ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾[3] قال أنس: (أن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله وتمنعه حكمته أن يسأله فلما فرغ منها صبها على نفسه فقال لقمان: الصمت من الحكمة، وقليل فاعله، كنت أردت أن أسألك فسكت حتى كفيتني).[4]

وفي ذلك يقول الإمام الرازي- رحمه الله-: "ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت والسكوت والإنصات والإصاخة. فأما الصمت فهو أعمها لأنه يستعمل فيما يقوى على النطق وفيما لا يقوى عليه، ولهذا يقال: مالا ناطق ولا صامت. وأما السكوت فهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام. والإنصات سكوت مع استماع ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال له إنصات قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[5] والإصاخة استماع إلى ما يصعب إدراكه كالسر والصوت من المكان البعيد.

---

(١) هو عبد الله بن المبارك ابو عبد الرحمن مولى بني حنظلة. كان فقيهاً، ورعاً عالماً بالاختلاف حافظاً يعرف السنن، رحالاً في جمع العلم، دون العلم في الفقه، والزهد، والرقائق. توفي سنة (إحدى وثمانين ومائة) يُنظر: التاريخ الكبير (٢١٢/٥)، وتذكرة الحفاظ (٢٧٤/١-٢٧٩)، وصفة الصفوة (٣٧١/٤-٣٨١)

(٢) يُنظر: جامع العلوم والحكم (١٤٢-١٤٥)

(٣) سورة سبأ الآية ١٠، ١١

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ح/٣٦٣٥) (٢٠٠/٣) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٦)

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٠٤

[وفي كل هذه الأقسام يكون الإنسان مأجوراً فيها أو مأزوراً آثماً بحسب نيته وتوجيهه عزيمته، وبحسب الاعتبارات المختلفة، وتعلقات كل قسم من أقسام ترك الكلام.

وليس واحدٌ من هذه الأقسام، وكذا تعلاقاتها بملازم للإنسان على الدوام طالما لصاحبه اختيار في غيره، فمثلاً الصمتُ -وهو أدناها أثراً- قد يؤجر عليه صاحبه إذا أمن السلامة من شرٍ مثلاً، وقد قيل: الصمت حكمة وقليل فاعله. وفي الجانب الآخر من الصمت عن قول الحق وعما يؤجر عليه من غير مبرر ولا عذر قهري في هذا الصمت؛ فمثل هذا يؤزر عليه وتسجل عليه ذنوبه وهكذا بقية درجات ترك الكلام.]

ثم يذكر الإمام الرازي-رحمه الله- تتمة لبيانه درجات ترك الكلام فيقول: واعلم أن الصمت عدم ولا فضيلة فيه بل النطق في نفسه فضيلة والرذيلة في محاورته."[1]

* **وقد يقع الإنسان بكلامه في أعراض الناس ويتجاوز** بذلك حدوده في الكلام فيقع في الغيبة والنميمة، وشهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات.. وما إلى ذلك من الأقوال المحرمة والتي لا يخفى تحريمها على أحد. والتي من خلال تحريمها حافظ القرآن الكريم على العرض فالكلام في هذه المحرمات غاية الإسراف ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[2].

"أي: لا يذكر بعضكم بعضاً بما يكره في غيبته فقد قال ﷺ: ((وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ)) [3]، وقال: ((أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قال: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: إن كان فيه ما تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ.))[4]

---

(١) التفسير الكبير (٨/٤٣)

(٢) سورة الحجرات الآية ١٢

(٣) سبق تخريجه (ص/٢٥٩)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة الآداب-باب تحريم الغيبة (ح/٢٥٨٩)(١١٣٢)

والمراد بالذكر الذكر صريحاً أو كناية ويدخل في الأخير الرمز والإشارة، ونحوهما إذا أدت مؤدى النطق فإن علة النهي عن الغيبة الإيذاء بتفهيم الغير نقصان المغتاب وهو موجود حيث أفهمت الغير ما يكرهه المغتاب بأي وجه كان من طرق الإفهام."[١]

وقد يعتقد البعض أن الغيبة تختص باللسان وليس الأمر كذلك؛ لأن علة تحريمها الإيذاء بتفهيم الغير نقصان المغتاب بشتى الوسائل التي يتوصل بها إلى فهم المقصود: كأن يمشي مشيته فذلك: غيبة بل هو أعظم من الغيبة؛ لأنه أبلغ في التصوير والتفهيم وأنكى للقلب [٢]، أي: قلب المغتاب فذلك يؤلم قلبه ويجرحه ويحزنه ومن هنا كان النهي النبوي الكريم عن أن يتناجى اثنان دون ثالث[٣] ألا يحزنه.

وفي ذلك بيان أن عرض الإنسان كدمه ولحمه؛ لأن الإنسان يتألم من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم، وهذا من باب القياس الظاهر؛ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه.

وكما أنه يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه، وفي هذا التنفير من الغيبة والتوبيخ لها ولفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية.[٤]

وبذلك يظهر أن الأصل في الغيبة التحريم ولكنها قد تباح لغرض شرعي لا يتوصل إليه إلا بها، وتنحصر في ستة أبواب.[٥]

---

(١) الألوسي (٤٣٠/٢٦، ٤٣١)

(٢) يُنظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر تأليف الشيخ: ابن حجر الهيثمي. تحقيق: حازم القاضي (٥٦١/٣) ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة–المملكة العربية السعودية.

(٣) قال رسول الله ﷺ: ((إذا كَانُوا ثَلَاثَةٌ فلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ)) أخرجه البخاري كتاب الاستئذان– باب لا يتناجى اثنان دون الثالث (ح/٥٩٣٠) (١١٢٧)

(٤) يُنظر: التفسير الكبير (١١٠/٢٨)، والسراج المنير (١٠٧/٧)، وفتح القدير (٨٧/٥)

(٥) وهي: التظلم، الاستعانة على تغيير المنكر، الاستفتاء بأن يقول لمفت ظلمني بكذا فلان، تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم كجرح الرواة...الخ، أن يتجاهر بفسقه أو بدعته كشرب الخمر وغير ذلك، أن يكون معروفاً بذلك اللقب كالأعور والأعمش. يُنظر: إحيـــاء علوم الدين (٢٢٠/٣–٢٢٢)، والأذكار للنووي. (٣١٧، ٣١٨)، ومختصر منهاج القاصدين، تأليف: الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقق:عبد الرزاق المهدي (١٨٨، ١٨٩) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الكتاب العربي بيروت–لبنان، والزواجر (٥٥٦/٣، ٥٥٧)، وموعظة المؤمنين (٣٠٢، ٣٠٣).

ولشدة إسراف الناس في هذا الخلق الذميم فقد اعتادوا علي رائحة الغيبة بعكس ما كان في عهد الرسولﷺ حتى إنهم لم يعد أحدهم ينكر ذلك على الآخر.

" قيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول اللهﷺ ولا تتبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في يومنا، فامتلأت الأنوف منها ، فلم تتبين الرائحة، وهي: النتن، ويكون مثال هذا مثال رجل دخل دار الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب ولا تتبين لهم الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا."[١]

*** ويشتد الكلام في الشناعة حينما يكون للإفساد بين الناس وخراب المجتمعات** وهي ما تعرف في الشرع بالنميمة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾[٢] .

أي: مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض، ينقل حديث بعضهم على بعض، بقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء.[٣]

وقال ﷺ: ((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ))[٤]

" فحقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه، وحينئذ ينبغي السكوت عن حكاية كل شيء شوهد من أحوال الناس إلا ما في حكايته نفع لمسلم أو دفع لضر."[٥]

---

(١) تنبيه الغافلين، تأليف: الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي. خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد (١١٥) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. مكتبة الصفا مطابع دار البيان الحديثة.

(٢) سورة القلم الآية ١٠، ١١

(٣) يُنظر: جامع البيان (٨١٤٢/١٠)، وتفسير السعدي (٨٧٩)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب-باب ما يكره من النميمة (ح/٦٠٥٦)(١٠٩٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان- باب بيان غلظ تحريم النميمة(ح/١٠٥)(٥٩)

(٥) الزواجر (٥٧٢/٣)

وقد وصف الله ﷻ صاحب هذه الصفة الخبيثة بأنه مشاء؛ وذلك للمبالغة، ولتشويه حاله بأنه يتجشم المشقة لأجل النميمة، فذكر المشي بالنميمة فيه تصوير لحال النمام.[١]

والنميمة على قسمين تارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين، فهذا حرام متفق عليه، وتارة تكون على وجه الإصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين. او تكون على وجه التخذيل والتفريق ين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث((الْحَرْبَ خَدْعَةً))[٢]، وكما فعل نعيم بن مسعود[٣] في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة، إنما يحذو على مثل هذا الذكاء ذو البصيرة النافذة.[٤]

وقد يعتقد البعض أن الحديث في أعراض الناس يعد من باب النصيحة من هذا الرجل وليس هذا صحيحاً ولذلك فرق ابن القيم بين النصيحة والغيبة فقال: " أن النصيحة يكون القصد منها تحذير المسلم من مبتدع أو فتان أو غاش أو مفسد، فتذكر ما فيه إذا استشارك في صحبته ومعاملته والتعلق به، كما قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس[٥] وقد استشارته في نكاح معاوية[٦] وأبي جهم[٧] ((أَمَّا أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عَصَاهُ

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير (٢٩/٧٢، ٧٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير–باب الحرب خدعة (ح/٣٠٣٠) (٥٣٠)، ومسلم في صحيحة كتاب الجهاد والسير–باب جواز الخداع في الحرب (ح/١٧٤٠) (٧٧١)

(٣) هو: نعيم بن مسعود بن عامر يكنى أبا سلمة الأشجعي صحابي مشهورو له ذكر في البخاري. أسلم ليالي الخندق وهو الذي أوقع الخلاف بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق. قيل مات في خلافة عثمان. يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٧٧–٢٧٩)، والإصابة (١٣٣٧)

(٤) يُنظر: تفسير ابن كثير (١/١٩٥)

(٥) هي: فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر القرشية الفهرية. أخت الضحاك بن قيس. كانت من المهاجرات الأول ذات جمال وعقل، تزوجها أسامه زيد بعد طلاقها من أبي بكر المخزومي. قيل في بيتها اجتمع أهل الشورى لما قتل عمر. يُنظر: الاستيعاب (٤/٤٥٤)، والإصابة (١٧٤٦)

(٦) هو: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي أمير المؤمنين. أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح. يُنظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٨١–٣٨٩١)، والإصابة (١٢٥٩، ١٢٦٠)

(٧) أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي، قيل اسمه عامر بن حذيفة، وقيل عبيد الله بن حذيفة. أسلم عام الفتح وصحب الرسولﷺ. كانت فيه شدة وعزامة. يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤٥١)، والاستيعاب (٤/١٨٩)

عن عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ[1]))[2] وقال بعض أصحابه لمن سافر معه: إذا هبط عن بلاد قومه فاحذروه.

فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين فهي قربة إلى الله من جملة الحسنات، وإذا وقعت على وجه ذم أخيك، وتمزيق عرضه، والتفكه بلحمه، والغض منه لتضع من منزلته من قلوب الناس، فهي الداء العضال ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب."[3]

* **ومن الإسراف القبيح الوقوع في لغو الكلام** الذي نزه الله ﷻ عنه عباده المؤمنين بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[4] وقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾[5] وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[6]

فاللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته. وهو الكلام بما لا خير فيه ولا حاجة إليه، فهو الساقط من الكلام كالسب واللهو، **وعموماً: هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه.**[7]

وعند الإمام الرازي اللغو على أقوال: فقيل: أنه يدخل فيه كل ما كان حراماً أو مكروهاً أو كان مباحاً، ولكن لا يكون بالمرء إليه ضرورة وحاجة.

وقيل: هو عبارة عن كل ما كان حراماً فقط.

وقيل: عبارة عن المعصية في القول والكلام خاصة.

وقيل: هو المباح الذي لا حاجة إليه. وسمى اللغو لغواً لأنه يُلغى، وكل ما يقضي الدين إلغاءه كان أولى بهذا الاسم.[8]

---

(١) صعلوك: فقير لا مال له. يُنظر: لسان العرب (٤٥٥/١٠)
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق – باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها (ح/١٤٨٠) (٦٣٩)
(٣) الروح لابن القيم (٢٤٤)
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٢
(٥) سورة القصص الآية ٥٥
(٦) سورة المؤمنون الآية ٣
(٧) يُنظر: تفسير الكشاف (٢٥/٣)، والتسهيل للكلبي (٤٨/٣، ٨٢)
ويقال أن اللغو ما يجري على اللسان من غير قصد كقول: لا والله وبلى والله. يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢٨٢/٢)، وأضواء البيان (١٤٣/٢)
(٨) يُنظر: التفسير الكبير (٢٦١/٨)

*** وبذلك يشمل اللغو جميع الأقوال والأفعال على اختلاف أنواعه وأحكامه.**

فقد يرى الشخص أن ما يقوله هو مجرد كلام لا شيء فيه ولكنه يعود عليه بالوبال كمن يصف أقوال وأفعال الآخرين وهو يرى أن ذلك من باب التسلية. ونسي أن ما يقول يدخل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾[1].

" فالسخرية الاستحقار والاستهانه، والتنبية على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الاشارة أو الإيماء أو الضحك على كلامه إذا تخبط فيه او غلط أو على صنعته أو قبيح صورته."[2]

ونهى الله ﷻ عن السخرية من الناس مبيناً أن المسخور منه قد يكون خيراً من الساخر. ومن أقبح القبيح استخفاف الداني الأرذل بالأكرم الأفضل، واستهزاؤه به.

*** وأكثر المستهزئين الكفار المترفين في الدنيا فقد كانوا يسخرون من ضعاف المؤمنين،** وأن أولئك يسخرون من الكفار يوم القيامة، كما بين ذلك تعالى في قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[3]،وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ ﴾[4][5].

ولم يكن ذلك من الكافرين المترفين هو آخر استهزائهم بل وقع منهم ما هو أشد من ذلك فوجهوا استهزاءهم إلى خير البشر النبي ﷺ وأحبهم إلى الله تعالى وأفضلهم عنده ولكن الله عصمه منهم فقال: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الحجرات الآية ١١

(٢) الزواجر للهيثمي (٥٦٧/٣)

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٢

(٤) سورة المطففين الآية ٢٩، ٣٠

(٥) يُنظر: أضواء البيان (٦٦٦/٧)

يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1] وليتهم توقفوا عند ذلك الحد، بل لقد عميت أبصارهم وتمادوا وازدادوا في غيهم فوقع استهزاؤهم بأمر النبي الكريم ﷺ لهم بالسجود للرحمن فوقعت سخريتهم من اسم الرحمن عناداً وتكبراً لأمر الرسول ﷺ وبدلاً من أن ينهي الإنسان نفسه عن السخرية والاستهزاء بالآخرين تمادى مسرفاً في ذلك العمل متجاوزاً حده إلى أعظم من ذلك وهو الاستهزاء بآيات الله قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2].

فانظر كيف جمعت هذه الآية الكريمة جهات استهزاء الكافرين المترفين الثلاث وكل جهة منها أشد كفراً من الأخرى. فباؤوا بغضب من الله ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

فقولهم هذا هو: الطعن في المسلمين وفي دينهم، وإذا سألهم أحد قالوا إننا نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب، فأخبر سبحانه أن الاستهزاء بالله، ورسوله ﷺ ،كفر مخرج من الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله –تعالى–، وتعظيم دينه، ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له، أشد المناقضة.[4]

يقول الإمام الرازي – رحمه الله– : "إن الاستهزاء بالدين كان كفرا بالله، وذلك لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله –تعالى– بأقصى الإمكان، والجمع بينهما محال".[5]

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٥، ٩٦

(٢) سورة التوبة الآية ٦٥

(٣) سورة هود الآية ١٨

(٤) يُنظر: تفسير السعدي(٣٤٣)

(٥) التفسير الكبير (٩٥/٦)

وأكثر ما يصدر الكلام في أعراض الناس والسخرية منهم في مجالس النساء، ولذلك خصهن الله بالذكر في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [1].

يقول الإمام الشوكاني-رحمه الله-: "أفرد النساء بالذكر؛ لأن السخرية منهن أكثر."[2]

* **ومن الإسراف في جارحة اللسان خضوع النساء بالقول** الذي نهى الله عنه حتى لا يطمع أهل الشك والمرض فيهن فقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[3]، " أمرهن الله تعالى أن يكون قولهن جَزْلاً، وكلامهن فَصْلاً، ولا يكون على وجه يحدث في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين المطمع للسامع وأخذ عليهن أن يكون قولهن معروفاً"[4].

ومـــاذا عـــن المـــزاح؟

أنه لا تخلو أكثر مجالس الحديث عموماً من المزاح، والضحك الذي أباحه الله-تعالى- ولكن لا بد أن يكون بحد المعقول ولا يُسرف فيه حتى لا يصل إلى ما نهى الله -تعالى- عنه فقد كان النبي ﷺ يمزح مع أصحابه ويداعبهم ولا يكون مزحه ﷺ إلا حقاً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يارسول الله، إنك تداعبنا، قال:((إني لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا))[5].

فكان مزاحه ﷺ حقاً، ويقع مع النساء والصبيان ومن يحتاج إلى تأديبه من ضعفاء الرجال، وكان مزاحه ﷺ نادراً، فلا ينبغي أن يحتج به من يريد الدوام على

---

(١) سورة الحجرات الآية ١١

(٢) فتح القدير (٥/٨٥)

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٢

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٣/٤٨٦)

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٨٤٦٢)(٢/٣٤٠)، والترمذي في سننه كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب: ما جاء في المزاح (ح/١٩٩٠) (٤٥١) وقال حديث حسن صحيح، والطبراني في المعجم الأوسط (ح/٨٧٠٦)(٨/٣٠٥)، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٠٩٦٢)(١٠/٢٤٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٧) وقال: إسناده حسن.

المزاح، فالإفراط فيه والمداومة عليه منهي عنه ولا دليل على حل ذلك أو الإذن به.[١] لأن المداومة على المزاح تؤدي إلى الاشتغال باللعب والهزل.

*** والإفراط في المزاح يورث كثرة الضحك والضغينة في بعض الأحوال، ويُسقط البهاء.** فنري البعض إذا فتح باب المزاح كان غرضه كثرة الضحك من الآخرين، غيبة لهم أو استهزاء بهم وسخرية.[٢]

يقول النووي – رحمه الله –:"قال العلماء: المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط يداوم عليه، فإنه يورث قسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار.

فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله، فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادر من الأحوال لمصلحة وتطيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا مانع منه قطعاً، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة."[٣]

ويندرج مع المزاح الضحك مع الجلساء وهو من المباحات التي أباحها الله لعباده وأوجد فيهم أسبابه فقد قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[٤].

يقول الشيخ السعدي–رحمه الله–: "أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر، والفرح والسرور والهم والحزن، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك."[٥]

وعلى الإنسان عدم التمادي في الضحك وأن يكون ضحكه قليلاً كما كان يفعل الرسول ﷺ فقد كان أكثر ضحكه التبسم[٦] وقد ورد ذلك في حديث عائشة –رضي

---

(١) يُنظر: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي (١٨٣)

(٢) يُنظر: إحياء علوم الدين (١٨٦/٣)، وموعظة المؤمنين (٢٨٩)

(٣) الأذكار للنووي (٣٠٤)

(٤) سورة النجم الآية ٤٣

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٢٢)

(٦) التبسم مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإذا كان بصوت بحيث يسمع من بُعد فهو القهقهة وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم. فتح الباري (٥٦٦/١٠)

الله عنها- في قصة امرأة رفاعة، وقولها فيه: (وما يَزِيدُ رسول اللَّهِ ﷺ على التَّبَسُّمِ)[1].

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله-: "وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفـراط فيه لأنه يذهب الوقـار، قال ابن بطال:[2] والذي ينبغي أن يقتـدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك."[3]

* **والإسراف في الضحك** مذموم وقد نهى عنه النبيﷺ فقال: ((لاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فإن كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))[4].

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[5].

فقد يكون الضحك استهزاءً بالآخرين وهذا فيه انشغال بأمور الدنيا عن الدين كما فيه ضياع للوقت فيما لا فائدة فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[6].

أخبر ﷻ عن هؤلاء المجرمين أنهم كانوا يضحكون من المؤمنين في الدنيا استهزاء وسخرية واحتقاراً لهم، ويغمز بعضهم بعضاً إشارة إلى هؤلاء المؤمنين سخرية منهم، فإذا رجعوا على أهلهم رجعوا فكهين متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر والتنعم بالدنيا، ظناً منهم أنهم نجحوا وأنهم غلبوا المؤمنين.[7]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الأدب-باب التبسم والضحك (ح/٦٠٨٤)(١٠٩٤)

(٢) هو: شارح صحيح البخاري العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام أخذ عن أبي عمر الطلمنكي وابن عفيف وأبي المطرف القنازعي ويونس بن مغيث قال ابن بشكوال كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة شرح الصحيح في عدة أسفار رواه الناس عنه واستقضي بحصن لورقة. توفي في صفر سنة(تسع وأربعين وأربع مئة). ينظر: سير أعلام النبلاء(٢٧٧٨)

(٣) فتح الباري (٥٦٨/١٠)

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٨٠٨١)(٣١٠/٢)، ابن ماجه في سننه كتاب الزهد-باب الحزن والبكاء (ح/٤١٩٣)(٥٠٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (ح/٧٠٥٤)(١٢٥/٧).

(٥) سورة التوبة الآية ٨٢

(٦) سورة المطففين الآية ٢٩، ٣٠

(٧) يُنظر: تفسير الرازي (٩٤/١١)، وتفسير ابن كثير (٦٢٦/٤)، وتفسير ابن عثيمين (جزء عم/١٠٦)

*** جارحة اليد والإسراف فيها:**

إن المتأمل في نفسه يجد أن نعم الله عليه كثيرة لا تعد ولا تحصى. فمن هذه النعم نعمة اليد التي على الإنسان أن يشكر الله عز وجل عليها ولا يستخدمها إلا فيما يرضي الله. فالواجب من العمل بها "إعانة المضطر، ورمي الجمار، ومباشرة الوضوء والتيمم."[1]

قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[2].

ومن الواجب في اليد استخدامها في تغيير المنكر لقوله ﷺ: ((من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده))[3].

وقد يعمل الإنسان بيده ما يستحب ويباح له عمله مثل كتابة ما فيه منفعة في الدين أو مصلحة للمسلمين، وكل ما فيه خير وصلاح للإسلام والمسلمين فهو مما أباحه الله.

ولكن قد يسرف البعض في البطش باليد ويقوم بأعمال لا ترضي الله وبذلك تعدي وتجاوز الحدود مع الله فقد كرم الله سبحانه الإنسان بأن يكتب بيده العلم ويقيده ولكن المسرفين المتجاوزين حدودهم كتبوا ما يتناسب مع أهوائهم ونسبوه إلى الله، لذلك قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[4].

يقول الشيخ السعدي–رحمه الله–: "توعد تعالى المحرفين للكتاب الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون هذا من عند الله وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق وإنما فعلوا ذلك مع علمهم ليشتروا به ثمنا قليلا والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل فجعلوا باطلهم شَرَكاً يصطادون به ما في أيدي الناس فظلموهم من وجهين من جهة

---

(١) مدارج السالكين (١٠٢)

(٢) سورة النساء الآية ٤٣

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان–باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (ح/٤٩) (٤٢)

(٤) سورة البقرة الآية ٧٩

تلبيس دينهم عليهم ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق بل بأبطل الباطل أعظم ممن يأخذها غصبا وسرقة ونحوهما."[1]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

ومن ذلك ما يقوم به الأحبار والرهبان من كتابة ما يغيرون به دين الله وشرعه ليزينوا الباطل عند أهواء أمرائهم ورؤسائهم وقادتهم.

وقد يتجاوز الإنسان حده ويسطو بيده على حقوق غيره فيسرق، فاليد هي التي تباشر السرقة ولذلك أمر الله بقطعها فقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

يقول الشيخ الشنقيطي– رحمه الله–: "أن هذه اليد الخبيثة الخائنة التي خلقها الله لتبطش وتكتسب في كل ما يرضيه من امتثال أوامره، واجتناب نهيه، والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني فمدت أصابعها الخائنة إلى مال الغير لتأخذه بغير حق، واستعملت قُوة البطش المودعة فيها في الخيانة والغدر، وأخذ أموال الناس على هذا الوجه القبيح يد نجسة قذرة، ساعية في الإخلال بنظام المجتمع، إذ لا نظام له بغير المال، فعاقبها خالِقها بالقطع والإزالة، كالعضو الفاسد الذي يجر الداء لسائر البدن، فإنه يزال بالكلية، إبقاء على البدن، وتطهيراً له من المرض. ولذلك فإن قطع اليد يطهر السارق من دنس ذنب ارتكاب معصية السرقة، مع الردع البالغ بالقطع عن السرقة."[4]

وقال ﷺ: ((وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ))[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٦)

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤

(٣) سورة المائدة الآية ٣٨

(٤) أضواء البيان (٥١٠/٣)

(٥) أخرجه مسلم كتاب القدر – باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (ح/٢٦٥٧) (١١٥٧)

وقد وصف الله ﷻ بعض الأمم السابقة بالبطش وذلك لشدتهم وجبروتهم فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[1].

فالبطش السطوة والأخذ بالعنف. قال ابن عباس ومجاهد: البطش العسف قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط. والبطش يكون باليد وأقله الوكز والدفع ويليله السوط والعصا، ويليه الحديد والكل مذموم إلا بحق.[2]

وقال ﷺ: ((صِنْفَانِ من أَهْلِ النَّارِ لم أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بها الناس))[3].

ولأن اليد هي مصدر الأذى غالباً فالرسول ﷺ يقول: ((الْمُسْلِمُ من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[4].

وعن عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ قال: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قال: ((من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[5].

يقول الإمام النووي –رحمه الله–: "خص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها وقد جاء القرآن العزيز بإضافة الاكتساب والأفعال إليها لما ذكرناه والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: ((من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) قالوا: معناه المسلم الكامل وليس المراد نفى أصل الاسلام عن من لم يكن بهذه الصفة بل هذا كما يقال العلم ما نفع أو العالم زيد أى الكامل أو المحبوب وكما يقال الناس العرب والمال الإبل فكله على التفضيل لا للحصر ويدل على ما ذكرناه من معنى الحديث قوله أى المسلمين خير قال من سلم المسلمون من لسانه ويده ثم أن كمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة وإنما خص ما ذكر لما ذكرناه من الحاجة الخاصة والله أعلم."[6]

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٣٠

(٢) يُنظر تفسير القرطبي (١١٤/١٣، ١١٥)

(٣) أخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة–باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (ح/٢١٢٨) (٩٥١)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (ح/٤٠)(٤٠)

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (ح/٤١) (٤٠)

(٦) شرح النووي (٢٠٨/٢، ٢٠٩)

وفي النهاية يقول حكيم ناصح: فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه.

وماذا يكون حال المسرف في موقفه أمام الله ﷻ عندما يرى أثر إسرافه بيده فيما لا يرضاه الله ولا رسوله ﷺ.

*** جارحة الرجل والإسراف فيها:**

خلق الله ﷻ الإنسان وأمره بالسعي والمشي في هذه الدنيا بغية البحث عن رزقه والقيام بالعمل الصالح وحتى يتمكن من التنقل من مكان إلى آخر، أنعم عليه فخلق له جارحة الرجل التي يستطيع المشي بها على هذه الأرض ليصل إلى حاجته ومصالحه منتفعاً برزق الله وفضله وليسعى بها في كل ما يرضى الله ورسوله من العبادات البدنية والعبادات المعنوية كالإصلاح بين الناس وأداء الشهادة وإنقاذ مستغيث ومظلوم. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

والمشي على الأرض هونا من صفات عباد الله الذين وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[2].

"أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾[3]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياءً، وقد كره السلف المشي بتضعف وتصنع."[4]

---

(١) سورة الملك الآية ١٥

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٣

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٧

(٤) يُنظر: تفسير ابن كثير (٤٣٠/٣)

وهذه الجارحة لها آداب على الإنسان أن يتعلمها، فلقمان قد علم ابنه آداباً وأوصافاً إنسانية على كل فرد أن يتعلمها منها قوله تعالى:﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[1].

" أي: اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش والخفة ولا تبطئ إبطاءً يدل على الفخر والكبر."[2]

وقد أمر الله عباده بالمشي إلى طاعته وهو ما يحبه الله ويرضاه، كالمشي إلى الصلاة لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[3].

وقال ﷺ: ((من تَطَهَّرَ في بَيْتِه ثُمَّ مَشَى إلى بَيْت من بُيُوت اللَّه لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً من فَرَائِضِ اللَّه كانت خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً))[4].

كذلك من المشي إلى طاعة الله ما يكون لزيارة المريض أو أخٍ له في الله لقوله ﷺ: ((من عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ من السَّمَاءِ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ من الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[5].

وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول يوم الْقِيَامَةِ : يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي قال يا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قال أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ))[6].

ومن المشي في طاعة الله المشي إلى مجالس العلم الواجب وتعلمه لقوله ﷺ: ((من سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله له طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ))[7].

---

(١) سورة لقمان الآية ١٩

(٢) التسهيل للكلبي (١٧٤/٢)

(٣) سورة الجمعة الآية ٩

(٤) أخرجه مسلم كتاب المساجد–باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (ح/٦٦٦) (٢٧٠)

(٥) أخرجه ابن ماجه كتاب الجنائز–باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً (ح/١٤٤٣)(٢٥٧)، والترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله–باب ما جاء في زيارة الإخوان (ح/٢٠٠٨)(٤٥٤)، وذكره الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد خرج أحاديثه: الشيخ: خالد عبد الرحمن العك (١٠٧) ط/٢. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٦) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل عيادة المريض (ح/٢٥٦٩)(١١٢٦)

(٧) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والذكر والاستغفار–باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر

"وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء."[١]

ومنه المشي في إعطاء أصحاب الحقوق من الآدميين حقوقهم الواجبة أو تخليصها لهم ممن ينكرها قال ابن عباس: من مشى بحق أخيه إليه ليقضيه، فله بكل خطوة صدقة.[٢]

ولكن المسرفين المخالفين لأمر الله يتجاوزون بهذه الجارحة ما جعله الله لها فيمشون بها إلى ما نهى الله عنه كضرب بعض النساء بها على الأرض بقوة إظهاراً لما في أقدامهن من الزينة الخفية، أو ليُعلم أن التي تسير إمرأة فيلتفتون إليها أو ليسمع الرجال الأجانب صوت ما تلبسه مما يكون فيه زينة في قدميها قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[٣].

يقول الإمام ابن جرير– رحمه الله–: " ولا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما إذا مشين أو حرّكنهن، علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك."[٤]

ويقول الإمام الشوكاني– رحمه الله–: "أي: لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليسمع صوت خلخالها من يسمعه من الرجال فيعلمون أنها ذات خلخال. قيل: وسماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها."[٥]

*** ومن الإسراف في عمل هذه الجارحة المشي بها إلى ما حرم الله** فما أعظم إسراف الإنسان حين يتجاوز الحدود مسرعاً مهرولاً إلى ما حُرم عليه. كما فعل قوم لوط عليه السلام حين جاؤوا مهرولين فقال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[٦].

(ح/٢٦٩٩)(١١٧٣)

(١) جامع العلوم والحكم (٣٦٠)

(٢) يُنظر: المرجع السابق (٢٦٦)

(٣) سورة النور الآية ٣١

(٤) جامع البيان (٦٠٣٨/٧)

(٥) فتح القدير (٣٥/٤)، ويُنظر: التسهيل للكلبي (٩٠/٢)

(٦) سورة هود الآية ٧٨

في هذه الآية ما يدل على أن المسرفين تجاوزوا حدودهم حتى في جوارحهم التي أمرهم الله بحفظها والإفادة منها في كل نافع تصلح به الحياة للأحياء فقد جاء هؤلاء مسرعين "والإهراع هو أن يسرع أمرٌ بالإنسان حتى يسير بين الخبب[١] والجمز[٢] فهي مشية السير الذي يسرع به الطامع المبادر إلى أمر يخاف فوته."[٣]

والذي جعل هؤلاء يمشون هذه المشية هو استعجالهم على فعل الفاحشة والجريمة النكراء والعياذ بالله. ولذلك جاء وصفهم على لسان نبيهم بالإسراف وتجاوز الحدود وعمل الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد فقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٤].

لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيته فخرجت امرأته حتى أتت مجالس قومها فقالت: إن لوطاً قد أضاف الليلة فتية ما رؤي مثلهم جمالاً، فحينئذ جاؤوا يسرعون كما يدفعون دفعاً فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه، فهؤلاء كان ديدنهم وعادتهم فعل السيئة التي أصروا ومرنوا عليها، فلا يكفهم حياء عنها لضراوتهم عليها.[٥]

وقد أكد النبي ﷺ وقوع هذه الجارحة في الإسراف حين قال: ((وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَى))[٦].

فقد أوقع المسرفون تلك الجارحة فيما حرم الله وجعلوها معينة لهم على فعل تلك الفاحشة العظيمة.

---

(١) الخبب: ضرب من العدو، وقيل هو مثل الرمل، وقيل هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعاً، وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه، وقيل الخبب السرعة. لسان العرب (٣٤١/١)

(٢) الجمز: ضرب من السير. يُنظر: لسان العرب (٣٢٣/٥) ومختار الصحاح (٤٦)

(٣) تفسير ابن عطية (٩٦١)

(٤) سورة الأعراف الآية ٨٠، ٨١

(٥) يُنظر: البحر المحيط (٣٢١/٥، ٣٢٢)

(٦) أخرجه مسلم كتاب القدر – باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره. (ح/٢٦٥٧) (١١٥٧)

*** جارحة الشم الإسراف فيها:**

خلق الله ﷻ الإنسان وأحسن خلقته فخلق له الأنف "نصبه سبحانه في وسط الوجه قائماً معتدلاً، في أحسن شكل، وأودعه حاسة الشم، التي يدرك بها الروائح وأنواعها، وكيفياتها، ومنافعها، ومضارها."(١)

فهذه نعمة عظيمة من الله ﷻ لابد من المحافظة عليها والانتفاع بها. وقد أخبر الله ﷻ عن هذه الحاسة في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾(٢).

يقول الإمام الرازي –رحمه الله– :"ومعنى لأجد ريح يوسف أشم وعبر عنه بالوجود لأنه وجدان له بحاسة الشم."(٣)

فقد يشم الإنسان ويكون شمه هذا واجباً فكل شم تعين طريقاً للتمييز بين الحلال والحرام كالشم الذي تعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة، وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه أو يميز به بين ما يملك الإنتفاع به وما لا يملك. كذلك شم المقوم ورب الخبرة عند الحكم بالتقويم ونحو ذلك.(٤)

وهناك ما يباح شمه كشم ما يعين على طاعة الله ويقوي الحواس ويبسط النفس للعمل والعلم ومن هذا الطيب والريحان.(٥)

قال ﷺ: ((من عُرِضَ عليه رَيْحَانٌ فلا يَرُدُّهُ فإنه خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ))(٦).

ومن الإسراف في ذلك تعرض الصائم لشم ما يفطره بلا عذر ولا ضرورة متعمداً للاستمتاع بالرائحة بزيادة عما لا يمكنه التحرج منه.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢٠٠)

(٢) سورة يوسف الآية ٩٤

(٣) التفسير الكبير (٥٠٨/٦)

(٤) يُنظر: مدارج السالكين (١١٩)

(٥) يُنظر: المرجع السابق

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها – باب استعمال المسك وإنه أطيب الطيب وكراهة رد الريحان والطيب (ح/٢٢٥٣)(٩٩٩)

وقد يتجاوز الإنسان مسرفاً في استخدام هذه النعمة ويضعها في غير موضعها إما جهلاً منه أو عناداً وتكبراً وتمرداً على شرع الله فيعمد إلى شم طيب النساء الأجنبيات لما في ذلك من قيام الفتنة. كما يحرم على المرأة إذا خرجت أن تستعطر لما لها من الوعيد الشديد في ذلك ولمن فتن بها.

وربما أدى جهل بعض الناس وعنادهم إلى التساهل في شم المخدرات ولو من باب معرفة الشر ثم يقعون في شراكها ولا يفلتون مهما حاولوا وقد عدّها العلماء من جملة المسكرات. وكيف لا وكم من رجال ونساء أذهلتهم وقضت على كرامتهم وفقدوا مالهم بل وإنسانيتهم، وربما أهليهم ومستقبلهم بسببها وجزى الله خيراً أولياء أمرنا الذين جعلوا من يجلبها في حكم قاطعي الطريق يعاقبون بحد الحرابة أو يقتلون تعزيراً جزاء وفاقا. فكم تيتم أطفال وتخربت بيوت بسبب هذه المشمومات اللعينة.

وفي النهاية لننظر مدى أثر الإسراف على الجوارح وأصحابها، وعلى المجتمع الذي يوجد فيه مثل هؤلاء المسرفين الذين لا يحبهم الله ورسوله ولا يرضاهم مجتمع سوي يهمه إصلاح الأرض لأهلها، أو إصلاح أهلها لها.

فإن كل ما وقع مخالفاً لأمر الشرع من ذلك يكون إسرافاً. فما أعز الإنسان وأكرمه في ظل شرع الله وما أذله وأصغره إذا فارق ذلك الظل الظليل إلى اتباع الهوى والشهوات وإخوان السوء من شياطين الإنس والجن. والله المستعان على ما يصنعون.

المبحث الثالث
الإسراف في العبادات المالية

المطلب الأول : الصدقات والإسراف فيها

أوجب الله ﷻ الزكاة وجعلها تطهيراً لأموال المسلمين فهي أحد أركان الإسلام. قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

" وفي الزكاة إحسان إلى الخلق، وهي مطهرة للمال من الدنس، وحصانة له من الآفات، وعبودية للرب سبحانه، قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2]، ومن ثم فهي تطهير للنفوس من الشح والبخل، وامتحان للغني حيث يتقرب إلى الله بإخراج شيء من ماله المحبوب إليه."[3]

وأوجب الله ﷻ الزكاة لأن "كثرة المال سبب لحصول الطغيان والقسوة في القلب وسببه أن كثرة المال سبب لحصول القدرة، والقدرة محبوبة لذاتها والعاشق إذا وصل إلى معشوقه استغرق فيه، فالإنسان يصير غرِقاً في طلب المال فإن عرض له مانع يمنعه عن طلبه استعان بماله وقدرته على دفع ذلك المال وهذا هو المراد بالطغيان بقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[4]، فإيجاب الزكاة يقلل الطغيان ويرد القلب إلى طلب رضوان الرحمن."[5]

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٣

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٣

(٣) الملخص الفقهي (٢٥٢)

(٤) سورة العلق الآية ٦، ٧

(٥) هذا أحد الوجوه التي ذكرها الرازي في إيجاب الزكاة لمعرفة المزيد يُنظر: تفسير الرازي (٦/٧٧-٧٩)

فالزكاة واجبة على المسلمين، بيَّن ذلك الكتاب والسنة وأمر تعالى بإخراج الجيد منها فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1].

ولكن المسرفين المفرطين في أمر الواجب قد يمنعون حق الله ولا يخرجون الزكاة لأصحابها لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾[3].

وبجانب الزكاة الواجبة تأتي الصدقات المندوبة والمستحبة قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[4].

يقول الإمام ابن العربي -رحمه الله-: "جاء هذا الكلام في معرض الندب والتخصيص على إنفاق المال في ذات الله -تعالى- على الفقراء والمحتاجين، في سبيل الله بنصرة الدين، وكنى الله -سبحانه- عن الفقير بنفسه العلية المنزهة عن المحتاجين ترغيباً في الصدقة."[5]

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[6]، فهؤلاء "يعُمّون الأوقات والأحوال بالصدقة، لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال."[7]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٧
(٢) سورة التوبة الآية ٣٤
(٣) سورة الإسراء الآية ٢٩
(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٥
(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢٥٠/١)
(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٤
(٧) تفسير الكشاف (٣١٤/١)، ويُنظر: تفسير أبو السعود (٣١٥/١)

يقول الإمام القرطبي –رحمه الله–: "إن الجود من مكارم الأخلاق، والبخل من أرذلها وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء.

فكل من استفاد بما يعطي أجرا وحمدا فهو الجواد وكل من استحق بالمنع ذما أو عقابا فهو البخيل. ومن لم يستفد بالعطاء أجرا ولا حمدا وإنما استوجب به ذما فليس بجواد **وإنما هو مسرف مذموم** وهو من المبذرين الذين جعلهم الله إخوان الشياطين."[1]

وعلى ذلك لا يتوقف الإسراف ولا التبذير على معنى إخراج الشيء بزيادة عن حده المطلوب. وإنما يتساوى مع هذه الحالة من قصر الشيء ومنعه عن حده المطلوب البذل فيه فيكون المنع أيضاً إسرافاً، حيث يقع صاحبه في التقصير عن بلوغ معالي الأمور فهذا متدنٍ عن الوصول إلى معنى الاعتدال وذاك مفارق لمعنى الاعتدال متجاوز حدوده، وقد قال تعالى في تحذير بليغ من الإسراف بنوعيه الإفراط والتفريط: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

فالإسراف ذنب على كل الأحوال من بين ذنوب العباد ومن المعلوم أن كل خطيئة يفعلها العبد أو تقصير عن طاعة ذلك كله وغيره يتناوله معنى الإسراف.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٧/٢٠)

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٩

مظاهر الإسراف في الصدقات:

*** يظهر الإسراف في الصدقات حينما يكون القصد من إظهارها الرياء والسمعة؛** لأن الأصل إظهار الصدقات الواجبة كالزكاة وصدقة الفطر. أما صدقة التطوع فالأولى إخفاؤها، ويجوز إظهار الصدقة [تطوعاً أو فريضة] إذا كان في ذلك إقتداء الخلق به في إعطاء الصدقات فينتفع الفقراء بها.[١]

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

يقول الحافظ ابن كثير–رحمه الله–: "ذكر الباذلين المرائين الذي يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم ولا يريدون بذلك وجه الله."[٣]

وذكر النبي ﷺ أن هؤلاء المرائين هم أول من يدخلون النار فقال: ((وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وَأَعْطَاهُ من أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تَرَكْتُ من سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لك. قال: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هو جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ))[٤].

ولذلك كان المتصدق في السر أفضل لأن ذلك أدعى للإخلاص لقوله ﷺ: ((وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ يَمِينُهُ))[٥].

وذلك لأن "المتحدث بصدقته لا شك أنه يطلب السمعة، والمعطى في ملأ من الناس يطلب الرياء، والإخفاء والسكوت هو المخلص منهما."[٦]

---

(١) يُنظر: تفسير السمرقندي (١/١٨٠)، والتفسير الكبير (٣/٦٣، ٦٤)، والملخص الفقهي (٢٩٠)

(٢) سورة النساء الآية ٣٨

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٦٤٩)

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإمارة – باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (ح/١٩٠٥)(٨٥٢)

(٥) أخرجه البخاري كتاب الزكاة – باب صدقة السر وباب الصدقة باليمين (ح/١٣٥٧)، ومسلم كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الزكاة (ح/١٠٣١)(٤١٥)

(٦) التفسير الكبير (٣/٦٤)

* **ومن الإسراف في الصدقات إتباعها بالمن والأذى** لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[1].

يقول الإمام الجصاص-رحمه الله-: "أخبر الله تعالى في هذه الآيات أن الصدقات إذا لم تكن خالصة لله عارية من منٍّ وأذى فليست بصدقة لأن إبطالها هو إحباط ثوابها فيكون فيها بمنزلة من لم يتصدق وكذلك سائر ما يكون سبيله وقوعه على وجه القربة إلى الله تعالى فغير جائز أن يشوبه رياء ولا وجه غير القربة فإن ذلك يبطله كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[3].

فما لم يخلص لله-تعالى- من القرب فغير مثاب عليه فاعله."[4]

فالصدقة قد تكون واجبة وقد تكون متطوعًا بها فكلاهما مشروط فيه عدم المن والأذى.

ولذلك " لما شرط في الإنفاق أن لا يتبع مناً ولا أذىً، لم يكتفِ بذلك حتى جعل المن والأذى مبطلاً للصدقة، ونهى عن الإبطال بهما ليقوي اجتناب المؤمن لهما، ولذلك ناداهم بوصف الإيمان. ولما جرى ذكر المن والأذى مرتين، أعادهما هنا بالألف واللام، ودلت الآية على أن المن والأذى مبطلان للصدقة، ومعنى إبطالهما أنه لا ثواب فيها عند الله.

والسدي: يعتقد أن السيئات لا تبطل الحسنات. فقال جمهور العلماء: الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن ويؤذى لا تقبل وقيل جعل الله للملك عليها أمارة فهو لا يكتبها إذ نيته لم تكن لوجه الله."[5]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٤

(٢) سورة محمد الآية ٣٣

(٣) سورة البينة الآية ٥

(٤) أحكام القرآن للجصاص (١٧٣/٢)

(٥) البحر المحيط (٤٩٥/٢)

وقال ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ الله يوم الْقِيَامَةِ الْمَنَّانُ الذي لا يُعْطِي شيئا إلا مَنَّهُ))[1].

وأخبر عز وجل أن الموساة بالقول الحسن اللين خير من الصدقة التي تحمل الأذى والضرر فقال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾[2].

" ومنبع الأذى أمران: كراهية المعطي إعطاء ماله وشدة ذلك على نفسه، ورؤيته أنه خير من الفقير، وكلاهما منشؤه الجهل؛ فإن كراهية تسليم المال حمق لأن من بذل المال لطلب رضاء الله والثواب فقد علم أن ما حصل له من بذل المال أشرف مما بذله. وظنه أنه خير من الفقير جهل بخطر الغني، أي أن مراتب الناس بما تتفاوت به نفوسهم من التزكية لا بعوارض الغنى والفقر التي لا تنشأ عن درجات الكمال النفساني."[3]

* **ومن الأذى: الغلول**[4] ولا يقبل الله الصدقة من غلول. لقوله ﷺ: ((ولا صَدَقَةٌ من غُلُولٍ))[5].

" أن الصدقة لما تبعتها سيئة الأذى بطلت، والغلول أذى إن قارن الصدقة أبطلها بطريق الأولى، أو لأنه جعل المعصية اللاحقة للطاعة بعد تقررها تبطل الطاعة فكيف إذا كانت الصدقة بعين المعصية، لأن الغال في دفعه المال إلى الفقير

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب بيان غلظ يحريم الإسبال... (ح/١٠٦)(٥٩)

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٣

(٣) التحرير والتنوير (٣/٤٤)

(٤) الغلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة يقال غل في المغنم يغل غلولا فهو غال وكل من خان في شيء خفية فقد غل. وسميت غلولا؛ لان الأيدي فيها مغلولة أي ممنوعة مجعول فيها غل وهو الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه وصار في عرف الشرع لخيانة المغانم خاصه، يقال: منه غل وأغل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٨٠)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة – باب وجوب الطهارة للصلاة (٢٢٤)(١١٤)

غاصب متصرف في ملك الغير، فكيف تقع المعصية طاعة معتبرة وقد أبطلت المعصية الطاعة المحققة من أول أمرها؟"[1].

ويقول الإمام القرطبي–رحمه الله–: "وإنما لا يقبل الله الصدقة من المال الحرام؛ لأنه غير مملوك للمتصدق. وهو ممنوع من التصرف فيه. والتصدق به تصرف فيه، فلو قبلت منه لزم أن يكون مأموراً به منهياً عنه من وجه واحد، وهو محال. ولأن الحرام يفسد القلوب، فلا تقبل الأعمال."[2]

*** ومن الإسراف في الصدقة أن يضيع المتصدق عياله وأهله بالتصدق بجميع ماله** وقد جاء النهي عن بسط اليد وإخراج كل ما فيها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[3].

يقول الإمام أبو بكر الجصاص–رحمه الله–: "يعني ولا تخرج جميع ما في يدك مع حاجتك وحاجة عيالك إليه فتقعد ملوما محسوراً يعني ذا حسرة على ما خرج من يدك وهذا الخطاب لغير النبي ﷺ لأن النبي ﷺ لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون في سبيل الله جميع أملاكهم فلم يعنفهم النبي ﷺ لصحة يقينهم وشدة بصائرهم وإنما نهى الله تعالى عن الإفراط في الإنفاق وإخراج جميع ما حوته يده من المال من خيف عليه الحسرة على ما خرج عن يده، فأما من وثق بموعود الله وجزيل ثوابه فيما أنفقه فغير مراد بالآية."[4]

---

(١) فتح الباري (٣/٣١٥)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محي الدين مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال. (٣/٥٩) ط/١. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. دار ابن كثير دمشق–بيروت. دار الكلم الطيب دمشق–بيروت.

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٩

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/٢٢)

لذلك فإن " أفضل الصدقة ما أخرجه الإنسان من ماله بعد أن يستبقي منه قدر الكفاية."[1]

قال ﷺ: ((خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[2].

يقول الإمام النووي–رحمه الله–: "أفضل الصدقة ما بقى صاحبها بعدها مستغنيا بما بقى معه، وتقديره أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنى يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه، وإنما كانت هذه أفضل الصدقة بالنسبة إلى من تصدق بجميع ماله؛ لأن من تصدق بالجميع يندم غالباً، أو قد يندم إذا احتاج ويود أنه لم يتصدق بخلاف من بقي بعدها مستغنيا فإنه لا يندم عليها بل يسر بها."[3]

وقد سئل النبي ﷺ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قال:((جَهْدُ الْمُقِلِّ))[4].

ومعنى ذلك: "ما كان من الصدقة بعد القيام بحقوق النفس، وحقوق العيال"[5]. بحيث لا يصير المتصدق محتاجاً بعد صدقته إلى أحد، وهذه حكمة عليا من حكم الإعتدال والقصد في الإسلام.

*** ولا يجوز التصدق بجميع المال إلا إذا كان المتصدق لا دين عليه ولا عيال له.**

يقول الإمام النووي–رحمه الله–: "وقد اختلف العلماء في الصدقة بجميع ماله، فمذهبنا أنه مستحب لمن لا دين عليه ولا له عيال لا يصبرون بشرط أن يكون ممن يصبر على الإضاقة والفقر."[6]

---

(١) فتح الباري (٣/٣٣٥)

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة–باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (ح/١٤٢٦)(٢٤٩)

(٣) شرح النووي (٧/١٠١)

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٨٦٨٧)(٢/٣٥٨)، وأبو داود في سننه كتاب الزكاة–باب في الرخصة في ذلك (ح/١٦٧٨)(٢٥٩)، وابن حبان في صحيحه (ح/١٣٣٤)(٨/١٣٤)، والحاكم في المستدرك (ح/١٥٤٩) (٣٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه الكبرى (ح/٧٥٦١) (٤/١٨٠).

(٥) المفهم للقرطبي (٣/٨٠)

(٦) شرح النووي (٧/١٠١)

المطلب الثاني: الإسراف في الوصية

بين الله ﷻ لعباده جميع الأحكام ووضح لهم كل ما يتعلق بأمور حياتهم حتى بعد الموت ومن هذه الأحكام الوصية، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1].

يقول الإمام القرطبي–رحمه الله–: "وليس في القرآن ذكر للوصية إلا في هذه الآية وفي النساء ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ ﴾[2] وفي المائدة ﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾[3] والتي في البقرة أتمها وأكملها."[4]

الوصية: " تمليك مضاف إلى ما بعد الموت."[5] "وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت."[6]

وقد أعطى الله ﷻ للمالك حرية التصرف في ملكه ما لم يتعد أو يخرج عن الحد اللائق الذي يوقعه في الظلم والإسراف.

والوصية: هي القول المبين لما يستأنف عمله والقيام به، وهي هاهنا مخصوصة بما بعد الموت وكذلك في الإطلاق والعرف.

وتأخير الوصية إلى المرض مذموم شرعاً. فقد سئل النبي ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: ((أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى ولا تُمْهِلَ حتى إذا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا وَلِفُلانٍ كَذَا ألا وقد كان لِفُلَانٍ))[7].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٠

(٢) سورة النساء الآية ١١

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٦

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٥٤)

(٥) التعريفات للجرجاني (٣٤٧)، والتعاريف للمناوي (٧٢٧)

(٦) لسان العرب (١٥/٣٩٥)

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا – باب الصدقة عند الموت (ح/٢٧٤٨)(٤٨٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة– باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (ح/١٠٣٢)(٤١٦)

واختلفوا في نسخ هذه الآية؛ والصحيح نسخها وأنها مستحبة إلا فيما يجب على المكلف بيانه أو الخروج بأداء عنه، وعليه يدل اللفظ بظاهره، وذكر حديث ابن عمر بلفظ الحق الذي يقتضي الحث[1] ويشمل الواجب والندب.

واختلفوا هل الوصية تكون في الكثير فقط أم في القليل والكثير، والصحيح أن الحكم لم يختلف بقلة المال وكثرته، بل يوصي من القليل قليلاً، ومن الكثير كثيراً، وحيث ورد ذكر المال في القرآن فهو يسمى خيراً.[2]

ولا ينبغي لأحد أن يتجاوز حدوده في الوصية لأن الإسراف فيها تجاوز لحدود الله وإضرار بالوصية والورثة. ومن الإسراف فيها:

*** الوصية لوارث.**

وذلك يعد من الإضرار والإسراف في الوصية، ومن الإجحاف بحق الورثة.

ففي قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[3].

يقول الإمام ابن قتيبة الدينوري–رحمه الله–[4]: "إن هذه الآية منسوخة نسختها آية المواريث فإن قال وما في آية المواريث من نسخها فإنه قد يجوز أن يعطى الأبوان حظهما من الميراث ويعطيا أيضا الوصية التي يوصى بها لهما قلنا له لا يجوز ذلك لأن الله تعالى جعل حظهما من ذلك الميراث المقدار الذي نالهما بالوراثة

---

(١) عن ابن عمر عن النبي ﷺ: ((ما حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ له شَيْءٌ يُوصِي فيه يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ)) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا – باب الوصايا (ح/٢٧٣٨) (٤٨٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الوصية – باب وصية الرجل مكتوبة عنده (ح/١٦٢٧)(٧١٣)

(٢) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٨٣/١)

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٠

(٤) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري، وقيل: المروزي. سكن بغداد وحدث بها. كان ثقة فاضلاً، عالماً مشهورًا بالنحو واللغة، وله في الحديث محل. من كتبه: غريب القرآن وغريب الحديث، وغيرها. مات سنة (سبعين ومائتين) يُنظر: تاريخ بغداد (١٧٠/١٠)، وسير أعلام النبلاء (٢٥٣٢/٢، ٢٥٣٣)

وقال عز وجل بعد آية المواريث: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1]، فوعد على طاعته فيما حد من المواريث أعظم الثواب وأوعد على معصيته فيما حد من المواريث بأشد العقاب فليس لأحد أن يوصل إلى وارث من المال أكثر مما حد الله تعالى وفرض وقد يقال إنها منسوخة بقول رسول الله ﷺ: ((لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ))[2]"[3].

وعن ابن عباسﷺ قال: (كان الْمَالُ لِلْوَلَدِ وَكَانَتْ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ فَنَسَخَ الله من ذلك ما أَحَبَّ فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ وَجَعَلَ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسَ وَجَعَلَ لِلْمَرْأَةِ الثُّمُنَ وَالرُّبُعَ وَلِلزَّوْجِ الشَّطْرَ وَالرُّبُعَ.)[4]

وعنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[5] قال: "كان لا يرث مع الوالدين غيرهما إلا وصية للأقربين، فأنزل الله آية الميراث، فبين ميراث الوالدين وأقر وصية الأقربين في ثلث مال الميت."[6]

---

(١) سورة النساء الآية ١٣، ١٤

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (ح/١١٢٧)(١٥٤)، وأحمد في مسنده (ح/٢٢٣٤٨)(٣/٤٠)، وابن ماجه في سننه كتاب الوصايا – باب لا وصية لوارث (ح/٢٧١٣، ٢٧١٤)(٤٦١)، وأبو داود كتاب الوصايا – باب ما جاء في الوصية للوارث (ح/٢٨٧٠)(٤٣٧)، والترمذي في سننه كتاب الوصايا عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء لا وصية لوارث (ح/٢١٢١)(٤٧٩) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى كتاب الوصايا – باب إبطال الوصية للوارث (ح/٦٤٦٨)(٤/١٠٧)، والطبراني في المعجم الكبير (ح/٧٥٣١) (٨/١١٤)، والبيهقي في سننه الكبرى (ح/١٢١٨٥)(٦/٢٤٤) وابن ماجة (ح/٢٧١٤)، وقال الألباني في الإرواء إسناده حسن (٦/٨٩)

(٣) تأويل مختلف الحديث، تأليف: الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (١٨١) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٤) صحيح البخاري كتاب الوصايا – باب لا وصية لوارث (ح/٢٧٤٧)(٤٨٣)

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٠

(٦) تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم. تحقيق: راشد عبد المنعم الرجال (٩٣) ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت–لبنان، وتفسير ابن كثير

ويقول الشيخ السعدي – رحمه الله– في قوله:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[1]:" أي: تلك التفاصيل التي ذكرها في المواريث. حدود الله التي يجب الوقوف معها وعدم مجاوزتها ولا القصور عنها وفي ذلك دليل على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصباء الوارثين ثم قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾[2] فالوصية للوارث بزيادة على حقه يدخل في هذا التعدي مع قولهﷺ: ((لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ))[3] ثم ذكر طاعة الله ورسوله ومعصيتهما عموما ليدخل في العموم لزوم حدوده في الفرائض أو ترك ذلك."[4]

وذكر الإمام الشافعي – رحمه الله– العلة في عدم الوصية لوارث فقال: "إنما يمنع الورثة الوصايا لئلا يأخذوا مال الميت من وجهين: وذلك أن ما ترك المتوفى يؤخذ بميراث أو وصية، فلما كان حكمهما مختلفين لم يجز أن يجمع لواحد الحكمان المختلفان في حكم واحد وحال واحدة، كما لا يجوز أن يُعطى بالشيء وضد الشيء."[5]

*** ومن الإسراف في الوصية، الوصية بأكثر من الثلث أو بجميع المال.**

لما في ذلك من الإضرار بالورثة. أما إذا لم يكن له ورثه فإنه يجوز الوصية بجميع المال؛ لأن المنع منه لأجل الورثة فعند عدمهم وجب الجواز.[6]

(٢٧٦/١)، والدر المنثور (٤٢٤/١)

(١) سورة النساء الآية ١٣، ١٤

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٣) سبق تخريجه (ص/٢٩١)

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١٧٠، ١٧١)

(٥) الأم للشافعي (٢٤٣/٥)

(٦) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/٣)، والتفسير الكبير (٥٢٤/٣)، البحر المحيط (٢٥٨/٣)

ومن كان له ورثه فلا يصح له أن يوصي بأكثر من الثلث لما فيه من الإضرار بهم.

عن الحسن في قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾[1] قال: نعم الوصية حق على كل مسلم أن يوصي إذا حضر الموت بالمعروف غير المنكر، والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه وصية لا تجحف بورثته من غير إسراف ولا تقتير.[2]

عن عَامِرِ بن سَعْدٍ[3] عن أبيه[4] ﷺ قال: (مَرِضْتُ فَعَادَنِي النبي ﷺ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا يَرُدَّنِي على عَقِبِي. قال: ((لَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ وَيَنْفَعُ بِكَ نَاسًا)) قلت: أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ وَإِنَّمَا لي ابْنَةٌ قلت: أُوصِي بِالنِّصْفِ قال:((النِّصْفُ كَثِيرٌ)) قلت: فَالثُّلُثِ قال:((الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أو كَبِيرٌ)) قال: فَأَوْصَى الناس بِالثُّلُثِ فجاز ذلك لهم)[5]

وأجمع علماء المسلمين على أنه لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من الثلث إذا ترك ورثه من بنين أو عصبة، واختلفوا إذا لم يترك بنين ولا عصبة ولا وارثاً. فقال جماعة منهم ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري وغيرهم: إذا كان كذلك جاز له أن يوصي بماله كله. وحجتهم في ذلك أن الاقتصار على الثلث في الوصية إنما كان من أجل أن يدع ورثته أغنياء وهذا لا ورثة له فليس ممن عُني بالحديث والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٠

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٨/١)

(٣) هو: عامر بن سعد بن أبي وقاص القرشي، كان ثقة، كثير الحديث، روى له جماعة. توفي سنة: (ست وتسعين)، وقيل سنة: (ثلاث ومائة)، وقيل سنة:(أربع ومائة). يُنظر: التاريخ الكبير (٤٤٩/٦)، والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (١٦٧/٥)، وتهذيب الكمال (٢٢/١٤)

(٤) هو: سعد بن أبي وقاص، اسمه سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي، يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. اختلف في وفاته فقيل سنة:(خمس وخمسين) وقيل سنة: (ثمان وخمسين) وقيل سنة:(أربع وخمسين). يُنظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (٣٠١/١)، والاستيعاب (١٧١/٢-١٧٤)، وتذكرة الحفاظ (٢٢/١)

(٥) أخرجه البخاري كتاب الوصايا – باب الوصية بالثلث (ح/٢٧٤٤)(٤٨٣)

وقيل: لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من ثلثه كان له بنون أو وارث كلالة أو ورثه جماعة المسلمين، لأن بيت مالهم عصبة من لا عصبة له وبهذا القول قال جمهور أهل العلم وإليه ذهب جماعة فقهاء الأمصار.[1]

ولذلك كانت علة النهي عن الوصية بأكثر من الثلث لمن كان له ورثة حتى لا يتركوا عالة يتكففون الناس لقوله ﷺ: ((إِنَّكَ إن تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ من أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ الناس))[2].

" وهذا علة للنهي عن الوصية بأكثر من الثلث كأنه قيل: لا تفعل لأنك إن مت وتذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم فقراء، فإن عشت تصدقت بما بقي من الثلث وأنفقت على عيالك يكن خيرًا لك."[3]

" قال العلماء: الأولى أن يوصى بأقل من الثلث، قال: علي ﷺ لأن أوصي بالخمس أحب إلى من الربع. ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث."[4]

وأجاز بعضهم الوصية بأكثر من الثلث إذا أجاز ذلك الورثة؛ وهو الصحيح؛ لأن المريض منع من الوصية بزيادة على الثلث لحق الوارث فإذا أسقط الورثة حقهم كان ذلك جائزاً صحيحاً.[5]

ويظهر بذلك أن للإضرار بالوصية وجوهاً منها:

الوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فراراً عن وارث محتاج، أو لغرض تنقيص حقوق الورثة. الوصية لوارث. أن يقر بكل ما له أو ببعضه لأجنبي. أن يقر على

---

(١) يُنظر: التمهيد لأبي يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري (٣٧٩/٨) ١٣٨٧هـ وزارة عموم الأوقاف – المغرب.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الوصايا – باب أن يترك ورثته أغنياء (ح/٢٧٤٢)(٤٨٢)، ومسلم كتاب الوصية – باب الوصية بالثلث (ح/١٦٢٨)(٧١٤)

(٣) عمدة القاري (٨٩/٨)

(٤) التفسير الكبير (٥٢٤/٣)

(٥) تفسير القرطبي (٢٦١/٢)

نفسه بدين لا حقيقة له دفعاً للميراث عن الورثة. أن يقر بأن الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه ووصل إليه. أن يبيع شيئاً بثمن بخس أو يشتري شيئاً بثمن غالٍ كل ذلك لغرض أن لا يصل المال إلى الورثة.[1] وذلك كله – لا ريب – صوراً من صور الإسراف.

وأوصى الله ﷻ المسلمين بتعديل الوصية إن كان فيها جور أو ظلم، وأمر الموصي بالعدل إن جار عنه ومال.

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾[2].

" الجنف: الميل، أي جوراً وعدولاً عن الحق، والإثم أي الظلم. وقيل: الجنف الخطأ، والإثم العمد. واختلفوا في معنى الآية قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يوصي فرآه يميل إما بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره أن يأمر بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي له والورثة. وقال الآخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو جار متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه، أو والي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق."[3]

ويقول الإمام القرطبي–رحمه الله–: " الخطاب بقوله: ﴿ فَمَنْ خَافَ ﴾ لجميع المسلمين قيل: لهم إن خفتم من موص ميلا في الوصيـــة وعدولا عن الحق ووقوعا في إثم ولم يخرجهـــا بالمعروف وذلك بأن يوصـــي بالمال إلى زوج إبنتـــه أو لولد إبنته لينصرف المـــال إلى إبنته أو إلى ابن إبنه والغرض أن ينصرف المال إلى ابنه

---

(١) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٣٥)،)، والمحرر الوجيز (٤١٠)، وتفسير الرازي (٣/٥٢٤)، والتسهيل للكلبي (١/١٧٩).

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٢

(٣) تفسير البغوي (٨٨)، ويُنظر: جامع البيان (٢/٨٨٧)، وتفسير الثعالبي (١/١٣٩)

أو أوصى لبعيد وترك القريب فبادروا إلى السعي في الإصلاح بينهم فإذا وقع الصلح سقط الإثم عن المصلح، والإصلاح فرض على الكفاية فإذا قام أحدهم به سقط عن الباقين وإن لم يفعلوا أثم الكل."[1]

وبذلك يظهر أن من الإسراف الإضرار في الوصية؛ لما فيها من الإضرار بالورثة وخاصة إن كانوا صغاراً أو فقراء، وأن المبدل لها عليه إثم كبير لقوله تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ ﴾[2].

فلننظر إلى العجب والغرابة في حال من يتعبد بالمال على جهالة بآداب الشرع الحكيم أو تهاونٍ في منهج الله – تعالى– الذي يحفظ الله به للإنسان حياتيه الدنيوية والأخروية لتكون في صلاح وطمأنينة، وأما إن كان من يجافي دين الله عامداً في فعل ذلك فلا عذر له إن خلد في النار بحسب علم الله تعالى به.

وهكذا يحول الإسراف المال إلى شر ووبال على صاحبه كما يفسد الخل العسل بل وزيادة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/٢)، ويُنظر: تفسير أحكام القرآن للجصاص (٢١٢/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٨٥/١)، وتفسير ابن كثير (٢٧٨/١)

(٢) سورة البقرة الآية ١٨١

المبحث الرابع
الإسراف في العبادات القلبية

العبادات القلبية من أسمى أنواع العبادات، وذلك لأن صلاح سائر الجسد متعلق بصلاح القلب لقوله ﷺ: ((ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ))[1].

ومن العبادات القلبية على سبيل المثال لا الحصر:

المحبـــــة :

وهي أساس العبادات القلبية وأحد أركانها فهي "أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان"[2].

يقول القاضي أبي السعود –رحمه الله–: "المحبة ميل النفس إلى الشئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقر بها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله ﷻ وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبة إلا لله وفي الله وذلك مقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه."[3]

ومحبة الله ﷻ تعد عبادة له وهي "مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة، إذ لو تعبدت بدون محبة صارت عبادتك قشراً لا روح فيه، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته، فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك."[4]

وأخبر ﷻ أن محبته لها ثمرات وفوائد حين قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5].

---

(١) سبق تخريجه (ص/٢٣٨)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، علق عليه: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢٣٨) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.

(٣) تفسير أبي السعود (٣٥٥/١)

(٤) القول المفيد (٤٤/٢)

(٥) سورة آل عمران الآية ٣١، ٣٢

ومحبته ﷻ ملازمة لمحبة الرسول وطاعته ولذلك فإن "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الدين والشرع المحمدي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[1].

صور الإسراف في المحبـــة:

* **ادعاء محبته ﷻ دون الاشتغال بها وتنفيذ ما تقتضيه،** يعد هذا كذباً فالمحبة لا بد أن تكون قولاً وعملاً. ومما تقتضيه محبة الله اتباع الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾.

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–:"فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه كما يجب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه فمحبتنا لهم من تمام محبته وليست محبة معه كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه.

وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق بإتباع أمره واجتناب نهيه فعند إتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علما عليها وشاهدا لمن ادعاها فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾.

فجعل ابتاع رسوله مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لإنتفاء محبة الله لهم فيستحيل إذا ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله."[2]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٦٧/١)

(٢) مدارج السالكين (٩٩)

*** ومن الإسراف في المحبة اتخاذ محبوباً مع الله ﷻ** لقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1].

" إن محبة الله من العبادات، لأن الله جعل من سوّى غيره فيها مشركاً متخذاً لله ندا، فالمحبة من العبادة، بل هي أساس العبادة، لأن أساس العبادة مبنى على الحب، والتعظيم، فبالحب يفعل المأمور، وبالتعظيم يجتنب المحظور،هذا إذا اجتمعا، وإن انفرد أحدهما استلزم الآخر."[2]

ومحبة غيره تكون شركاً إذا كانت "في كيفيته ونوعه، فالنوع: أن يحب غير الله محبة عبادة. والكيفية: أن يحبه كمحبة الله أو أشد"[3]. وهذه المحبة تعد شركاً أكبر مخرجًا عن الملة.[4]

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–: " فأخبر أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى؛ فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً[5] فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية.

ثم قال – رحمه الله– في قوله تعالى:﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾فإن فيها قولين:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٥

(٢) تفسير ابن عثيمين (سورة البقرة)(٢/٢٢٥)

(٣) القول المفيد (٢/٤٦)

(٤) المرجع السابق (٢/٤٧)

(٥) الند: نديد الشيء مشاركه في جوهره وذلك ضرب من المماثلة فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت فكل ند مثل وليس كل مثل ند. ويقال: نده ونديده ونديدته. المفردات للراغب (٥٤١)

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[1] ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم"[2].

وكونهم جعلوا مع الله أنداداً في المحبة دليل على أنسهم وتعلقهم بهذا المحبوب لأن "من أسباب الحب اعتقاد أن في المحبوب قدرة فوق قدرته، ونفوذاً يعلو نفوذه، مع ثقته بأنه يهتم لأمره ويعطف عليه، بحيث يمكنه اللجوء إليه عند الحاجة فيستعين به على ما لا سبيل له إليه بدونه."[3]

*** ومن الإسراف في المحبـــة وتجاوز الحد فيها محبة غير الله كمحبتـــه ﷻ أو أكثر.** قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

ولا يقصد بهذه الآية الحب الطبيعي الذي فطر الله الإنسان عليه وإنما المقصود هو "الحب الاختياري المستتبع لأثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة."[5]

---

(١) سورة الشعراء الآية ٩٧، ٩٨

(٢) مدارج السالكين (٧٣٩)، وبدائع التفسير (٣٧١/١، ٣٧٢)، وفتح المجيد (٢٣٨، ٢٣٩)، ويُنظر: القول المفيد (٤٧/٢)

(٣) تفسير المنار (٥٤/٢)

(٤) سورة التوبة الآية ٢٤

(٥) تفسير أبو السعود (١٣٥/٣)

" فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من محبته لله؟! وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله؟! فهذا أقبح وأعظم، وهذا موجود في كثير من المنتسبين للإسلام اليوم؛ فإنهم يحبون أولياءهـــم أكثر مما يحبون الله، ولهـــذا لو قيل له احلف بالله؛ حلف صادقاً أو كاذباً، أما الولي فلا يحلف به إلا صادقاً."[1]

ولذلك لابد أن تكون محبته ﷻ فوق كل شيء، فعلى المرء مهما كان حبه لغير الله ألا يتجاوز حب الله ورسوله.

فقد دلت الآية السابقة "على أن محبة هؤلاء وإن كانت ليست عبادة لكنها إذا فُضلت على محبة الله أو ساوتها صارت سبباً للعقوبة."[2]

* **ومن الإسراف في المحبة موالاة ومودة أعداء الله.** فمن المستحيل أن يجتمع حب الله وحب أعدائه في قلب مؤمن أبداً. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[3].

وقد " أخبر الله تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بمودة الكافرين وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر؛ لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه فإن قلت: قد اجتمعت الأمة على أنه تجوز مخالفتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم ديناً ودنيا مع كفرهم، فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه. ثم إنه تعالى بالغ في الذكر عن مودتهم بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني أن الميل إلى هؤلاء من أعظم

---

(١) القول المفيد (١/١٥٤)
(٢) المرجع السابق (٢/٤٨)
(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢

أنواع الميل ومع هذا فيجب أن يطرح الميل إلى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين."[1]

فنتيجة لمخالفة هؤلاء لأمر الله كان حبهم إسرافاً في حد ذاته قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2].

وفي ذلك ما يدل على أن الإنسان لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله لقوله ﷺ: ((لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حتى يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ))[3].

الخوف والرجاء:

" الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال."[4]

والخوف المحمود هو الخوف من الله ﷻ وهو:"ما حال بين صاحبه وبين محارم الله."[5]

يقول الشيخ الأصفهاني- رحمه الله-: "والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً.

والتخويف من الله تعالى هو الحث على التحرز وعلى ذلك يقول تعالى:﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾[6]"[7].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٦٤/٤)
(٢) سورة الممتحنة الآية ١
(٣) أخرجه البخاري كتاب الآداب - باب الحب في الله (ح/٦٠٤١)(١٠٨٨)
(٤) إحياء علوم الدين (٢٢٤/٤)
(٥) مدارج السالكين (٣٦٣)
(٦) سورة الزمر الآية ١٦
(٧) المفردات للراغب (١٨٠)، ويُنظر: إحياء علوم الدين (٢٢٧/٤)

وللخوف معان أخرى:

كالخشية[١] والرهبة[٢] والوجل[٣] وغيرها.

والخوف الذي يكمل به تحقيق العبودية "هو ما كان ناشئاً عن معرفة صحيحة بالله ﷻ وما له من صفات الجلال والقهر التي تملأ جو النفس برهبة لا حد لها وتحملها على المسارعة في مرضاته وتجنب سخطه، وإنه لا شيء كالخوف يسلط على النفس فيكسر من غرورها ويشحذ من همتها ويسوقها في سيرها إلى الله سوقاً عنيفاً لا تركن إلى غفلة أو فتور."[٤]

" والخوف على ثلاث درجات، الأولى: أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر فوجود هذا كالعدم، والثانية: أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة، والثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز وخير الأمور أوسطها."[٥]

والرجاء: "ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة."[٦]

---

(١) وهي: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه. ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾سورة فاطر الآية ٢٨. المفردات للراغب (١٦٧) والخشية أخص من الخوف. مدارج السالكين (٣١٦)

(٢) وهي: مخافة مع تحرز واضطراب. المفردات (٢٣٠)، وهي الإمعان في الهرب من المكروه. مدارج السالكين (٣٦٢)

(٣) وهو: استشعار الخوف. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ سورة الأنفال الآية ٢. المفردات للراغب (٥٨٤)

وهو: رجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته. مدارج السالكين (٣٦٢)

(٤) دعوة التوحيد لهراس. (٤٥).

(٥) التسهيل للكلبي (٣٠٤/١)

(٦) المفردات للراغب (٢١٥)

والرجاء الذي يكمل به تحقيق العبودية "هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى. والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه."[١]

" ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل."[٢]

والخوف والرجاء متلازمان فهما "كجناحي طائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت."[٣]

ولذلك فالمبالغة في هذه العبادة القلبية يصرفها عن المعنى الحقيقي لها، وتجاوز الحد فيها يشمل صوراً عدة منها:

* **القنوط واليأس من رحمة الله** وهو " استبعاد الفرج واليأس منه"[٤].

يقول القاضي أبي السعود–رحمه الله–: " القنوط: عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر، أي: مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته."[٥]

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[٦].

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–: "القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:

أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه، وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد إليه، وثالثها: أن يجهل كونه تعالى منزهاً عن البخل والحاجة والجهل فكل هذه الأمور سبب للضلال."[٧]

---

(١) مدارج السالكين (٣٩٧)

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق (٣٩٧، ٣٩٨)

(٤) فتح المجيد (٢٥٩)، ويُنظر: تفسير القرآن، اختصار النكت والعيون للماوردي للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق: د/عبد الله بن إبراهيم الوهبي. (٢/ ٥٣٠) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار ابن حزم–بيروت.

(٥) تفسير أبي السعود (٤/٦)

(٦) سورة الحجر الآية ٥٦

(٧) التفسير الكبير (١٥١/٧، ١٥٢)

وينهى الله ﷻ عن اليأس والقنوط من رحمته ﷻ في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "المقصود هنا أن قوله: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فيه نهي عن القنوط من رحمة الله تعالى و إن عظمت الذنوب و كثرت فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله و إن عظمت ذنوبه و لا أن يقنط الناس من رحمة الله قال بعض السلف أن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله و لا يجريهم على معاصي الله.

والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له؛ إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته و يغفر ذنوبه. وإما بأن يقول نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب معها، و الشيطان قد استحوذ عليه فهو ييأس من توبة نفسه و إن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له و هذا يعترى كثيرا من الناس، والقنوط يحصل بهذا تارة و بهذا تارة."[3]

*** ومن الإسراف في هذه العبادة خوف الإنسان من غير الله ﷻ كخوفه من الله أو أشد.**

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[4]

في هذه الآية دليل على "أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب، فإذا ألقى الشيطان في نفسك الخوف، فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام على كلمة الحق

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٧

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣

(٣) مجموعة الفتاوى (١٦/١٦)

(٤) سورة آل عمران الآية ١٧٥

ليس هو الذي يدني الأجل، وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل، فكم من داعية صدع بالحق ومات على فراشه؟! وكم من جبان مات في بيته؟!"[١]

وفي ذلك دلالة واضحة على "أن الخوف من الشيطان وأوليائه مناف للإيمان، فإن كان الخوف يؤدي إلى الشرك؛ فهو مناف لأصله، وإلا فهو مناف لكماله."[٢]

ومن الإسراف في ذلك أن يجعل الإنسان خوفه من الناس كخوفه من الله قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[٣].

فالذي ساوى بين الخوف من الله والخوف من الناس "جعل فتنة الناس صارفة عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف عن الكفر، وقيل: جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله، وبالجملة معناه أنهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم حتى ترددوا في الأمر، وقالوا: إن آمنا نتعرض للتأذي من الناس وإن تركنا الإيمان نتعرض لما توعدنا به محمد-عليه الصلاة والسلام- واختاروا الاحتراز عن التأذي العاجل ولا يكون التردد إلا عند التساوي ومن أين إلى أين تعذيب الناس لا يكون شديداً، ولا يكون مديداً؛ لأن العذاب إن كان شديداً كعذاب النار وغيره يموت الإنسان في الحال فلا يدوم التعذيب، وإن كان مديداً كالحبس والحصر لا يكون شديداً وعذاب الله شديد وزمانه مديد، وأيضاً عذاب الناس له دافع وعذاب الله ماله من دافع، وأيضاً عذاب الناس عليه ثواب عظيم، وعذاب الله بعده عذاب أليم، والمشقة إذا كانت مستعقبة للراحة العظيمة تطيب ولا تعد عذاباً كما تقطع السلعة المؤذية ولا تعد عذاباً."[٤]

---

(١) القول المفيد (٢/٧٠)

(٢) المرجع السابق (٢/٧٠، ٧١)

(٣) سورة العنكبوت الآية ١٠

(٤) التفسير الكبير (٩/٣٤)، ويُنظر: تفسير الكشاف (٣/٤٣٠)

وقد يفتن البعض بإكراههم أن يقولوا كلمة الكفر ويظهروها فهؤلاء ليسوا ممن جعلوا فتنة الناس كعذاب الله "لأن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله، لأن عذاب الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهراً وباطناً وهذا المؤمن المكره لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله بحيث يترك ما يعذب عليه ظاهراً وباطناً بل في باطنه الإيمان." التفسير الكبير (٩/٣٤)

*** ومن الإسراف في الخوف أن المبالغة فيه قد تؤدي إلى الوقوع فيما حرم الله** كخوف الإنسان من شيء لا يؤثر عليه ويحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مثلاً مع وجوبها. أو الخوف من تهديد بعض الأشخاص وهو يعلم أنهم لا يستطيعون تنفيذ التهديد فيفعل ما حرم الله خوفاً منهم؛ فهذا يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر.[1]

*** ومن الإسراف في الخوف والرجاء أن المبالغة فيهما تؤدي إلى ترك العمل.**

فنرى الخائف تاركاً للعمل راجياً طامعاً في رحمة الله ﷻ، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[2].

" فالرجاء مع المعصية وترك العمل غرور من الشيطان، ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك، بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة خوفاً من الله–تعالى– وهرباً من عقابه، وطمعاً في المغفرة ورجاء لثوابه."[3]

" إن الله عز وجل يربى عباده بين طمع ويأس فإذا طمعوا فيه آيسهم بصفاتهم، وإذا أيسوا أطمعهم بصفاته، وإذا غلب على العبد القنوط وعلم العبد ذلك وأشفق منه أتاه من الله الفرح، ألا تراه يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[4] معنى ينزل الغيث رحمته على قلوب أوليائه فيثبت فيها التوبة والإنابة والمراقبة والرعاية."[5]

---

(١) يُنظر: القول المفيد (٦٨/٢)
(٢) سورة الزمر الآية ٩
(٣) فتح المجيد (٢٥٩)
(٤) سورة الشورى الآية ٢٨
(٥) تفسير السلمي (٢٢٨/٢)

ويظهر من ذلك أن هذه العبادات –المحبة، الخوف، الرجاء– هي أركان العبادات القلبية التي إن بالغ فيها العبد جاء بما لم يؤمر به، وإن أدى أحدها وترك الآخر فقد أخل بهذه العبادة.

وقد " كان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ[١] ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري[٢] ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[٣] ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن، وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء ولا بد له من جميعها ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان."[٤]

ومن خلال ذلك يظهر "أن دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء، ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة. ولذا ترى من يدعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله ﷻ ويرتكبها ولا يبالي"[٥].

---

(١) المرجئة: طائفة تكلموا في الإيمان والعمل.

والإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ سورة الأعراف الآية ١١١ أي أمهله وأخره. والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم يؤخرون العمل عن النية والعقد.

وأما المعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. الملل والنحل (١/١١٤، ١٣٩)

(٢) الحرورية: هم طائفة خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وعلى رأسهم عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وغيرهم. يُنظر الملل والنحل (١/١١٥)

(٣) الزنديق: هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر. يُنظر: كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٢) مكتبة الرياض الحديثة الرياض.

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، كتب هوامشه: جماعة من العلماء (١٧) ط/٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد) للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (٣٢٢) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار ابن حزم للطباعة بيروت – لبنان.

الباب الثالث

آثار الإسراف

وجزاء المسرفين و علاجه

الفصل الأول

آثار الإسراف على الفرد و المجتمع و جزاء المسرفين

ويتضمن مبحثين

المبحث الأول

آثار الإسراف على الفرد و المجتمع

المبحث الثاني

جزاء المسرفين في الدنيا

وعاقبتهم في الآخرة

المبحث الأول
آثار الإسراف على الفرد والمجتمع

للإسراف آثار سيئة على الفرد والمجتمع فهو بجميع أنواعه يعد " وبالاً يفسد النشأ، ويضعف الأسرة، ويهد مقدرات المجتمع، وينشر التباهي الأجوف بالمظاهر، ويطمس العقل، ويفسد الرأي، ويكون دائماً على حساب موضوع الحق."[1]

لما كان موضوع البحث عن **الإسراف** في جميع النواحي والمجالات فإن الآثار سوف تتناول نواحي شتى وليس ذلك على سبيل الحصر وإنما كأمثلة لكي يأخذ الإنسان احتياطاته ويحذر من الأمور التي قد يظنها بسيطة فيقع فيها دون أن يعقل مدى أثرها السيئ عليه سواء من الناحية الصحية أو الأخلاقية أو الدينية وغيرها.

---

(١) المجلة العربية العدد ٢٣٣-السنة ٢١جماد الآخرة ١٤١٧هـ/أكتوبر-نوفمبر ١٩٩٦م. من مقال (الإسراف وخطورته على المجتمعات) (٥٤)

المطلب الأول: آثار الإسراف الدينية

يعد الدين أهم ضروريات الحياة ويعد أثر عمل الإنسان السيئ عليه إضاعة له لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1]

وللإسراف أثر عظيم من الناحية الدينية على الفرد والمجتمع.

* **فالإسراف يعد كفراً بنعمة الله، وطغياناً في الأرض** قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ۝٢٧﴾[2]

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–: "ومعنى كون الشيطان كفوراً لربه هو أنه يستعمل بدنه في المعاصي والإفساد في الأرض، والإضلال للناس، وكذلك كل من رزقه الله تعالى مالاً أو جاهاً فصرفه إلى غير مرضاة الله تعالى كان كفوراً لنعمة الله تعالى، والمقصود: أن المبذرين إخوان الشياطين؛ بمعنى كونهم موافقين للشياطين في الصفة والفعل، ثم الشيطان كفور لربه فيلزم كون المبذر أيضاً كفوراً لربه.

وقال بعض العلماء: خرجت هذه الآية على وفق عادة العرب وذلك لأنهم كانوا يجمعون الأموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها في طلب الخيلاء والتفاخر، وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم لصد الناس عن الإسلام وتوهين أهله، وإعانة أعدائه فنزلت هذه الآية تنبيهاً على قبح أعمالهم."[3]

ويقول الإمام الألوسي–رحمه الله–: "وفي تخصيص هذا الوصف بالذكر من بين صفاته القبيحة إيذان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو صرفها إلى ما خلقت له."[4]

---

(١) سورة العصر الآيات ١–٣

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٧

(٣) التفسير الكبير (٣٢٩/٧)

(٤) روح المعاني (٨٢/١٥)

* **وللإسراف أثر عظيم وخطر جسيم في فساد العقيدة بالكلية**؛ فالمسرف الذي أترفته الدنيا قد مهد وأسس للفسق ثم للهلاك والدمار الذي حل به وبأهله.

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾[1]

يقول الإمام الألوسي-رحمه الله-: "وتخصيص المترفين بالتكذيب لأنهم في الأغلب أول المكذبين للرسل عليهم السلام لما شغلوا به من زخرفة الدنيا وما غلب على قلوبهم منها فهم منهمكون في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها. بخلاف الفقراء؛ فإن قلوبهم- لخلوها من ذلك- أقبل للخير ولذلك تراهم أكثر إتباع الأنبياء عليهم السلام."[2]

* **ويظهر خطر الإسراف وأثره السيئ في تجاوز المسرفين لأوامر الرسل وعنادهم لهم** "خوفاً منهم على مراكزهم؛ لأنهم ألفوا هذا النمط من الحياة فلا يرضون به بديلاً، ولا يريدون أن يتحولوا عنه.."[3]

وفي عنادهم هذا سوء أدب مع الله ﷻ وأنبيائه -عليهم السلام- وهذا الأدب السيئ سمة واضحة لهؤلاء المسرفين قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾[4]

فهذا أثر سيئ ظاهر على هذه النفوس الضعيفة، فبطغيانهم كفروا بنعمة الله، فالإنسان عند الغنى يطغى ويتكبر ويصير قلبه مستغرقاً في حب الدنيا فلا يتفكر في أحوال الآخرة، وذلك جراء تكبره وتمرده، فإن السبب الأصلي في الغفلة عن الإيمان هو حب الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والثروة والقدرة فإنه لا سبب لعمى

---

(١) سورة سبأ الآية ٣٤

(٢) روح المعاني (٤٣٨/٢٢)

(٣) تأملات في آيات القرآن، إبراهيم النعمة (١٥/١، ١٦) ط/١. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة.

(٤) سورة العلق الآية ٦-٧

القلب في الحقيقة إلا ذلك. وإذا رأى الإنسان إنه مستغنٍ بماله فإنه قد يستغني بماله عن ربه. فقد يرى الإنسان أن نفسه إنما نالت الغنى لأنها طلبته وبذلت الجهد في الطلب فنالت الثروة والغنى بسبب ذلك الجهد لا أنه نالها بإعطاء الله وتوفيقه وهذا جهل وحمق...[1]

وإسرافهم هذا دليل على انحرافهم وخروجهم عن الحق نتيجة الإكثار من الملذات والشهوات، حتى أنهم توسعوا فخرجوا من دائرة المباح إلى دائرة المشتبه فيه ثم المحرم، ونتيجة لذلك وصلوا إلى مرحلة الهلكة وزيغان القلب.

*** ويتبع آثار الإسراف السيئة الوقوع في المعاصي الناتجة عن كسب اليد**

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[2]

يقول الشيخ السعدي- رحمه الله-: "يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات."[3]

*** والإسراف له أثر كبير في هوان العبد على ربه وسقوطه من عينه.**

قال الإمام الحسن البصري- رحمه الله-: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ ﴾[4].

وإذا عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفاً من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه."[5]

---

(١) يُنظر: التفسير الكبير (٢١٩/١١، ٢٢٠)

(٢) سورة الشورى الآية ٣٠

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٥٩)، ويُنظر: التفسير المنير (٧٧/١٣)

(٤) سورة الحج الآية ١٨

(٥) الجواب الكافي لابن القيم (١٠٣)

كما أنه يحرم من محبة الله ﷻ لقولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[1].

" فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها، فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهـــاء عنها."[2]

*** ومن آثار الإسراف نسيان[3] المسرف لله ﷻ، وتركه لـــه** لقولـــه تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[4]. ونـــــسيان هؤلاء المسرفين لله بأنهم "نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قـــدره ولـــم يراعـــوا موجب أوامره ونواهيه حق رعايتها."[5]

يقول الشيخ السعدي–رحمه الله–: "غفلوا عن ذكره والقيام بحقه وأقبلوا علـــى حظوظ أنفسهم وشهواتها."[6]

" قال بعض الحكماء: رأينا أنفسنا متبعة لما تهوى فيجب علينا الوقوف عنـــدها حتى تنظر ما هذا الذي يقطعنا عن الله ونحن بقربه فلم نجد لأنفسنا آفة إلا النـــسيان ولم نجد للنسيان آفة إلا سوء الرعاية ولم نجد لسوء الرعاية آفة إلا قلة التفكير فيما وعد الله وأنذر ولم نجد لقلة التفكر آفة إلا اعتقاد حب الدنيا، ثم وجدنا اعتقاد حـــب

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١

(٢) تفسير التحرير والتنوير (١٢٣/٨)

(٣) أما النسيان الذي هو ضد الذكر وهو الترك عن غير قصد فليس داخلاً هنا لأن هذه الأمة قد أعفيت من المؤاخذة عليه كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٦. أضواء البيان (٥٥/٨). وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه)) أخرجه ابن ماجة كتاب الطلاق – باب طلاق المكره والناسي (ح/٢٠٤٥)(٣٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (ح/١١٢٣٦)(٨٤/٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/٦) وقال: فيه محمد بن مصفى وثقه أبو حاتم وغيره، وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني: ظاهر إسناده الصحة لأن رجاله كلهم ثقات، ينظر: الإرواء (ح/٨٢)(١٢٣/١).

(٤) سورة الحشر الآية ١٨، ١٩

(٥) تفسير أبو السعود (٢٣١/٦)، روح المعاني (٣٥٤/٢٨)

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٨٥٣)

الدنيا ميراث إيثار النفس على ربها، واختيار محبتها على محبته، وهواها على رضاه وذلك ميراث الغفلة على الله، ومن نسى الله أداه موارث نسيانه إلى نسيان نفسه قال الله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[1] الآية فمن أراد بإذن الله تنبيه نفسه عن رقدة الغفلة والنسيان فليشغل نفسه بطلب ما أراد الله منها دون ما أرادت نفسه منها وليتخذ عقله دليلا على هوى نفسه فهنالك يصفو ذكره فإذا صفا ذكره آثره على نفسه فإذا آثر رضاه على هدى نفسه زال حب الدنيا عن قلبه."[2]

(١) سورة الحشر الآية ١٩

(٢) تفسير السلمي (٣٢١/٢)

المطلب الثاني: آثار الإسراف النفسية

إن إسراف الإنسان وتجاوز حدوده والاستغراق في المعاصي بأنواعها له أثر كبير على نفس الإنسان ولذلك فمن آثار الإسراف النفسية:

*** الوقوع في المعاصي التي "تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة،** وتعوقه وتوقفه وتطفه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة. هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه.

فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره. فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يبعد تداركه."[1]

هذه القوة التي يسير بها القلب هي قوة الفطرة النورانية التي لن تلوثها الذنوب، فإذا أذنب العبد تركه الله وذنبه إن لم يتب منه فينقطع النور عنه شيئاً فشيئاً حتى تضعف القوة كذلك، فإذا تمادى في الذنوب زالت عنه القوة بالكلية. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[3].

وعلى ذلك يترتب أثر آخر ألا وهو "القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر."[4]

وهنا تظهر قسوة القلب بكثرة إتباع صاحبه من الملذات المحرمة والشهوات الآثمة.

*** ومن آثار الإسراف النفسية: وقوع الأنانية والأثرة في قلب الإنسان** " لأن الأناني لا يهتم إلا بمصلحته ولو على حساب مصالح الآخرين. أفلا ترى معي أن الأناني لا يمت إلى الإنسانية ولا إلى الفضيلة بصلة. لأن الإنسان الذي لا يفكر إلا

---

(١) الجواب الكافي (١٢٤)

(٢) سورة المطففين الآية ١٤

(٣) سورة الشعراء الآية ٨٨، ٨٩

(٤) الجواب الكافي (١٣٥)

بمتعته ولا يتحرك قلبه بالرحمة والشفقة نحو البؤساء والمحرومين من بني الإنسان فهو ليس جديراً بأن ينتسب إلى جنس الإنسان"[1]. هذا الكائن الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه.

* **وللإسراف أثر كبير على نفسية الإنسان ووحشية قلبه؛** فالمسرف يجد في نفسه وحشة عظيمة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق، فكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة. وبهذا يصبح القلب مصروفاً عن الاستقامة إلى المرض والانحراف؛ فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان.[2]

والإسراف بهذه الحالة كأنه يزيد الذنوب بما يؤثر به على القلب وكأنه لشدة أثره يحل محل ذنوب كثيرة.

* **والإسراف لعظم أثره يؤدي إلى تصغير النفوس وتحقيرها** وإهانتها عند الله قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[3]. يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: " أي أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ."[4]

* **وللإسراف أثر كبير في توريث الذل في نفس صاحبه؛** لأنه كلما تمسك بهذه الدنيا وملذاتها وشهواتها زادت نفسه ذلاً وانكساراً أمام هذه الملذات، فلا يستطيع مقاومتها؛ لأنه بالذنوب قوي جانب الشيطان على جانب المَلَكَ والنفس الأمارة بالسوء على النفس اللوامة.

قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

(١) أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها (١٢٣)
(٢) يُنظر: الجواب الكافي (١٢٧)
(٣) سورة الشمس الآية ١٠
(٤) تفسير ابن كثير (٦٦٦/٤)

وبذلك يصبح الإنسان أسير ذنوبه ومعاصيه ولا شيء أصعب من جعل الإنسان مقيداً بالذنوب والمعاصي فهو بهذا لا يسير إلى الله والدار الآخرة وإنما يظل قلبه مأسوراً مقيداً لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة إلى الصلاح.[1]

* **ومن آثار الإسراف ضعف إرادة النفس؛** فالإسراف يوهن النفس ويجعلها ضعيفة الإرادة وبذلك يتجرأ عليها ما لم يكن يتجرأ عليها من قبل. وهنا يسهل على الشيطان أن يدخل على هذه النفس من كل المداخل فلا قوة تصده فيبدأ بالوسوسة والإغواء والتخويف والتحزين دون رادع. وتظهر تلك الآثار حتى على من حولَه من الأهل وغيرهم.

قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابتي.[2]

* "**والإسراف ينبت في النفوس أخلاقاً مرذولة:** كالجبن والجور وقلة الأمانة والإمساك عن البذل في وجوه الخير.

فهو يدعو إلى الجبن وذلك لشدة تعلق النفوس بالزينة، واللذيذ من العيش، وهذا يقوي حرصها على الحياة، ويحملها على تجنب مواقع الحروب وإن كانت مواقف شرف وذود عن النفس والعرض والمال.

فإن **المحفوف بالزينة وملاذ العيش شأنه أن تشتد كراهيته للموت،** ولا يسابق إلى خوض غمار الحروب.

كما أن الإسراف يسهل على النفوس ارتكاب الجَور: فالمنغمس في الإسراف يحرص على اكتساب المال ليشبع شهواته، فلا يبالي أن يأخذه بطرق غير مشروعة، فيمد يده إلى الاستيلاء على ما في يد غيره من طريق الرشوة، أو طريق الغصب إن كان ذا سلطان وقوة.

وعن طريق الإسراف تذهب الأمانة [التي تحملها الإنسان دون سائر المخلوقات فمن أثر الإسراف السيئ أن يخون ذلك المسرف مائتمن عليه] لأنه يكون همه الوصول إلى زينة أو لذة أو مطعم ونحوه، فكثيراً ما تدفعه هذه الشهوات إلى

---

(١) يُنظر: الجواب الكافي (١٠٤، ١٣١)

(٢) يُنظر: الجواب الكافي (١٤٢، ١٤٣)

أن يخون من ائتمنه فيمد يده إلى المال الذي يؤتمن عليه، وينفقه في شهواته الطاغية.

كما يظهر ذلك الأثر الخطير عندما يمسك المسرف يده عن فعل الخير، فمن اعتاد الإسراف والترف حتى أخذ بمجامع قلبه، كان أعظم قصده من جمع المال إنفاقُه فيما يلذه من مأكول، أو يتزين به من نحو ملبوس أو مفروش.

لذلك كان الغالب على المسرفين قبض أيديهم حيث يبسط غيرهم يده؛ إسعاداً لذوي الحاجات من الفقراء والمنكوبين، أو إجابة لما تدعو إليه المروءة من مجاملات الإخوان. [وإكرام الضيفان الذي هو ميزة عظمى لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وكم رغب الإسلام فيه كثيراً ووعد عليه الأجر الوفير، وجعل صاحبه قريباً من الله والناس والجنة، فالمسرف بعيد عن كل ذلك].

ومن هنا يظهر أن للإسراف سيئة أخرى هي قطع صلة التعاطف والتواد بين كثير من أفراد الأمة."[1]

فكيف يشعر المسلم بإنسانيته ووجوده ولذة وقته في هذه الحياة وطمأنينة نفسه، إنه لمغبون خاسر.

---

(١) يُنظر: مجلة الهداية الإسلامية. الجزء الأول والثاني. رجب، شعبان ١٣٦٠هـ/أغسطس وسبتمبر ١٩٤١م. المجلد الرابع عشر (٣، ٤)

المطلب الثالث: آثار الإسراف الاجتماعية

الأفراد هم أساس المجتمع وبناؤه وتكوينه ولذلك فهو يتأثر بإسرافهم كما يتأثر الأفراد أنفسهم. ومن آثار الإسراف السيئة على المجتمع ما يلي:

* **حدوث الفساد بأنواعه:** لقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾[1].

فهؤلاء المسرفون لهم أثرٌ بالغٌ في إحداث الفساد بأنواعه سواء في: المياه، أو الهواء، والزرع والثمار، والمساكن؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[2].

فإذا صار أحد هؤلاء المسرفين والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من أنواع الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل؛ فإن خطره وشر إسرافه يكبر ويكون على حجم ولايته أو أكبر.

وقيل: يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل. ويكون بذلك سعى في الأرض واجتهد في إيقاع القتال والفتنة والتخريب بين الناس.[3]

وقال مجاهد – رحمه الله– في معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم؛ فيحبس الله بذلك القطر؛ فيَهلَك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ

---

(١) سورة الروم الآية ٤١

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٥

(٣) يُنظر: التفسير الكبير (٣٤٧/٢)، وتفسير أبو السعود (٢٥٥/١)

يَرۡجِعُونَ ﴾[1] وقال: أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر.[2]

والإسراف هو الفساد بعينه دون أدنى شك في ذلك؛ فهو الخروج عن حد الاعتدال والفساد كذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾[3].

ولا يظهر لهم ولا منهم أي أثر للصلاح أو الإصلاح وإنما كل ما ظهر هو آثار الفساد وتجاوز الحد، فحقيقة دعواهم بأنهم مصلحون لا حقيقة لها بل الحقيقة ما أنكروه هم من أنهم مهتدون.

يقول الإمام الألوسي –رحمه الله– : "والفساد التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة ونقيضه الصلاح، والمعنى لا تفعلوا ما يؤدي إلى الفساد وهو هنا الكفر، كما قاله ابن عباس، أو المعصية كما قاله أبو العالية[4] أو النفاق الذي صافوا به الكفار فأطلعوهم على أسرار المؤمنين فإن كل ذلك يؤدي ولو بالوسائط إلى خراب الأرض وقلة الخير ونزع البركة وتعطل المنافع."[5]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾[6].

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–:"ولا تفسدوا شيئاً في الأرض فيدخل فيه:

المنع من **إفساد** النفوس بالقتل، وبقطع الأعضاء، **وإفساد** الأموال بالغصب، والسرقة ووجوه الحيل. **وإفساد** الأديان بالكفر والبدعة، **وإفساد** الأنساب بسبب الإقدام على الزنا واللواط وسبب القذف، **وإفساد** العقول بسبب شرب المسكرات.

---

(١) سورة الروم الآية ٤١

(٢) يُنظر: جامع البيان (١١١٢/٢)

(٣) سورة البقرة الآية ١١

(٤) هو: رفيع بن مهران الرياحي البصري، أبو العالية. أدرك بعد عامين من وفاة الرسول ﷺ. قيل ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية ثم سعيد بن جبير. توفي سنة (ثلاث وتسعين) يُنظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (٢٥٣/١، ٢٥٤)، وتذكرة الحفاظ (٦١/١)، وطبقات الحفاظ (٢٢)

(٥) تفسير روح المعاني (٢٠٦/١)، وينظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) لابن عثيمين (٤٦/١)

(٦) سورة الأعراف الآية ٥٦

وذلك: لأن المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة النفوس، والأموال، والأنساب، والأديان، والعقول، فقوله:﴿ وَلَا تُفْسِدُوا ﴾ منع عن إدخال ماهية الإفساد في الوجود والمنع من إدخال الماهية في الوجود يقتضي المنع من جميع أنواعه وأصنافه فيتناول المنع من الإفساد في هذه الأقسام الخمسة.

وأما قوله:﴿ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ فيحتمل أن يكون المراد بعد أن أصلح خلقتها على الوجه المطابق لمنافع الخلق والموافق لمصالح المكلفين، ويحتمل أن يكون المراد بعد إصلاح الأرض بسبب إرسال الأنبياء وإنزال الكتب."[1]

* **ومن تلك الآثار كسر قلوب الفقراء والمساكين** وذلك عندما يرون هؤلاء الأغنياء يتنعمون فوق حاجتهم وهم لا يجدون ما يسد حاجتهم الضرورية والتي فيها إصلاح حياتهم وقوامها.

ولذلك نجد تحريم الإسلام لاستخدام آنية الذهب والفضة "لعدة أسباب منها ما فيه كسر قلوب الفقراء أو الخيلاء والسرف."[2]

ومن أجل هذه الحقيقة أنصح وسائل الإعلام بعدم الحديث عن ترف المترفين إلا بنقده والدعوة بإصلاحه. أما إن كان الحديث فيه إبراز لما هم عليه من الدنيا وأسبابها وتقلبهم في الترف والبذخ بقصد إظهار الطبقية والتعالي وإمعاناً في زعم الرقي والعلو بهذه الأعراض فإن ذلك مما يكسر قلوب الفقراء وعلى الأخص إن صاحب ذلك رموز وإشارات إلى دنو وحقارة من ليسوا بمثل هؤلاء المسرفين المترفين ممن دونهم من الناس وربما كان منهم ذوي قربى وأصحاب أرحام أو جيران فتزداد كسرة قلوبهم.

---

(١) التفسير الكبير (٢٨٣/٥)

(٢) فتح الباري (٩٥/١٠)

* **ومن تلك الاثار عدم اهتمام المسرفين بالآخرين** من إخوانهم المسلمين وعدم نصرتهم لهم أمام الظلمة ولذلك "أثر كبير في إهمال النصيحة والدعوة إلى الحق، ذلك أن من اعتاد التقلب في الزينة، وألفت نفسه العيش الناعم، يغلب عليه الحرص على هذا الحال، فيتجنب المواقف التي يمكن أن تكون سبباً لفوات بعض هذا النعيم، كسكوته عن كلمة حق بين يدي ذي جاه أو سلطان يكره أن يسمع صوت الحق، ومن ترك أن يواجه بكلمة الحق ذا جاه أو سلطان يخشى أن يحول بينه وبين رفاهيته سهل عليه أن يترك الدعوة إلى الحق جملة."[١]

ويدل على عدم اهتمام هؤلاء المسرفين بالآخرين "موت الشعور الاجتماعي في نفوسهم، واستيلاء الأنانية القاتلة على طباعهم، فهم يظنون أنهم خلقوا ليعيشوا وحدهم، وأنهم جمعوا المال بجهودهم وحدهم، وأنهم لا يطالبون إلا بأنفسهم وذويهم، وأنهم يستطيعون أن يكونوا سعداء ولو عاش الناس من حولهم في جهد وبلاء...[٢]

(١) مجلة الهداية الإسلامية (٤)

(٢) أخلاقنا الاجتماعية (٢٨)

المطلب الرابع: آثار الإسراف على الصحة

إن إسراف الإنسان في كثير من الأمور يؤدي إلى آثار صحية سيئة على مقترفه، وإن كان المُسَرَفُ فيه من المباحات.

ومن آثار الإسراف على الصحة ما يأتي:

*** إن إسراف المرء في المأكل والمشرب سبب في السمنة**، حيث يأخذ حاجته- من المواد النشوية والسكرية والبروتين والدهون- ويخزن الزائد في صورة دهون. وذلك يؤدي إلى تراكم كميات زائدة من الدهون في جسم الإنسان.

فالإسراف في المطعم والمشرب عامل أساسي في الإصابة بالعديد من الأمراض كارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين، والكولسترول وغيرها من الأمراض.(١)

ولذلك "فالإنسان إذا أكثر من الطعام لم يستطع له هضماً، ويصاب بالتخمة وعسر الهضم، وقد يحدث أن تصاب المعدة بالاتساع والتمدد نتيجة الإفراط، فيفقد الإنسان الشهية لتناول الطعام، وإن تناوله لم يستطع له هضماً، وقد يصاب الإنسان نتيجة ذلك بالقيء أو الإسهال أو الإمساك والصداع.

والإسراف في الطعام تتبعه البدانة عند الإنسان، والتعرض لأمراض القلب، وارتفاع ضغط الدم، وأمراض الكلى، ومرض السكر."(٢)

ورحم الله عمر بن الخطاب ﷺ حين قال: (إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما؛ فإنه

---

(١) مجلة الأزهر، شوال ١٤١١هـ. الجزء العاشر-السنة الثالثة والستون. من مقال (ناقوس الخطر! الإسراف في تناول الطعام) د.موسى مدني مصطفى. (١١٥٦-١١٥٩)

(٢) روح الدين الإسلامي، تأليف: عفيف عبد الفتاح طباره (٤٤٠) ط/٢٧. حزيران ١٩٨٨م. دار العلم للملايين بيروت-لبنان.

أصلح للجسد وأبعد من السرف، وإن الله ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)[1]

وقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: (البطنة مقساة القلب)[2].

*** كما تظهر آثار الإسراف في المأكولات المحرمة التي نهى عنها الدين الإسلامي** قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾[3]

ففي هذه الأنواع المحرمة ضرر بالغ ومن هنا حرمها الإسلام ويعد متناولها مسرفاً وإن لم يكن مستكثراً منها لكونه متجاوزاً للحد الشرعي في استحلال ما حرمه الله في هذه الأنواع أو غيرها مما يشبهها.

ولبيان حكمة الإسلام في هذه الأنواع أختار أحدها:

فالإسلام يحرم لحم الخنزير فهو يسبب آلاماً شديدة والتهابات عضلية مؤلمة، كما ينقل للإنسان بعض الجراثيم العفنة والتي تسبب تسمماً حاداً في الجهاز الهضمي. ومن جهة أخرى فهو يسبب الكولسترول الذي ينتج عنه تصلب الشرايين وأمراض القلب.[4]

*** وجاء الإسلام كذلك بتحريم بعض المشروبات حفاظاً على صحة الإنسان وسلامة لعقله وعلى رأسها الخمر:**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[5].

---

(١) إصلاح المال لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا (١٧٣) ط/١. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر صيدا-بيروت-لبنان،والدر المنثور (٤٤٥/٣)،وكنز العمال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمد عمر الدمياطي (١٨٣/١٥) ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) إصلاح المال (١٧٣)

(٣) سورة المائدة الآية ٣

(٤) يُنظر: روح الدين الإسلامي (٤٣٧، ٤٣٨)

(٥) سورة المائدة الآية ٩٠

" فالخمر تحدث عند غير المتعود عليها احتقاناً في المعدة قد يسبب غثياناً أو قيئاً، وإذا كانت الجرعة كبيرة تسبب التهاباً في المعدة، وعسراً في الهضم.

ويرى بعض الأطباء: أن الخمر ولو كانت قليلة جداً فهي ضارة بالخميرات في طول القناة الهضمية وهذه الخميرات ضرورية لسير حركة الهضم سيراً طبيعياً.

[وهذا لأن المعدة والأمعاء لا زالت عند هذا على نقائه الفطري وما دخلها منه باعتباره مفسداً فلا تقبله ولا تستقر معه، وهكذا يقع إفساد الفطرة التي فطر الله الناس عليها].

والخمر لها تأثيرٌ في الوراثة، فقد شوهد أن أولاد السكيرين ينشئون غير صحيحي الجسم ضعفاء البِنْيَة، ناقصي العقول، ويكون لديهم ميل إلى الإجرام والشر."[1]

"وضرر الخمر في العقل مسلم به عند الناس وليس ضرره فيه خاصاً بما يكون من فساد التصور والإدراك عند السكر، بل السكر يضعف القوة العاقلة، وكثيراً ما ينتهي بالجنون، ولأحد أطباء ألمانيا كلمة اشتهرت كالأمثال وهي: (اقفلوا لي نصف الحانات، أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والملاجئ والسجون).

وقد قال الأطباء: أن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم، بل يبقى على حاله فيزاحم الدم في مجاريه، فتسرع حركة الدم، وتختل موازين الجسم، وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف، وتخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل.

فمن تأثيره في اللسان إضعاف حاسة الذوق، وفي الحلق الالتهاب، وفي المعدة ترشيح العصارة الفاعلة في الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها، وقد يحدث فيها احتقان والتهاب.

وفي الأمعاء التقرح، وفي الكبد تمديده وتوليد الشحم الذي يضعف عمله، وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمي.

---

(١) روح الدين الإسلامي (٤٣٩)

ومن تأثيره في الدم: أنه بممازجته له يعوق دورته وقد يوقفها فيموت السكران فجأة، ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتغلظ حتى تنسد أحياناً؛ فيفسد الدم ولو في بعض الأعضاء فتكون الغرغرينا التي تقضي بقطع العضو الذي تظهر فيه لئلا يسري الفساد إلى الجسد كله فيكون هالكاً، وتصلب الشرايين يسرع بالشيخوخة والهرم.

ومن تأثيره في أجهزة التنفس: إضعاف مرونة الحنجرة، وتهييج شعب التنفس، وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال، وأعظمها تدرن الرئة أي السل الفاتك بالشبان، والقاطع لجميع لذات الإنسان."[1]

*** وللإسراف آثار على الصحة سيئة تختلف باختلاف تلك الآثار: فتجاوز الإنسان حدوده في العلاقات الجنسية (كاللواط والزنا) يؤدي إلى أمراض فتاكة.**

"ومن أخطرها مرض الإيدز الذي أخذ يقوض أبدان اللوطيين ويفتحها أمام الأمراض الأخرى، ولهذا يسمى مرض فقدان المناعة."[2]

"وحسبك من آثار الزنا مرض الزهري الذي يصيب جميع أجهزة الجسم كالجهاز العصبي، والدوري، واللمفاوي، والهضمي، والتناسلي، ويصيب العظام والمفاصل وجميع غدد الجسم القنوية واللاقنوية والجلد والعين والأذن باصابات لاحد لخطورتها"[3] وغيرها من الأمراض.

ومن قبيح الإسراف ما يكون بين الزوجين مما يقع بشكل غير مشروع كالجماع أيام الحيض وهذا مما حرمه الله تعالى ومنعه أشد المنع في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾[4].

---

(١) تفسير المنار (٢/٢٦٣)

(٢) الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة تأليف: لؤلؤة بنت صالح بن حسين آل علي (٤١٥) ط/١. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. دار ابن القيم للنشر –المملكة العربية السعودية.

(٣) روح الدين الإسلامي (٤٤٥)

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٢

فلنتأمل كلمة (أذى) والأمر بالاعتزال في هذه الفترة والنهي عن قربهن حتى ينقطع الدم تماماً ومن الأفضل تمام الطهر بأداء الغسل بالماء.

وينتقل التنبيه على الإسراف وتحريمه من جهة أخرى فيما بين الرجل وزوجه في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1] حيث أشار ﷻ بجملة ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ إلى موضع الحرث إلزاماً والتزاماً مع الترغيب في التوبة عما مضى والاستمساك بعدم العودة إلى مثله بعد أن طهرت التوبة الذنب لكي يدوم الطهر المعنوي والحسي في نفس وبدن المؤمن وذلك بعض ما يستنبط من ختم الآية الكريمة بهذا التعليل الكريم.

وورد مثل هذا القول في لعن المعاشرة غير المشروعة بين الزوجين في قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[2].

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله-: "فيه دليل على تحريم الوطء في الدبر لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك ولعن فاعله"[3].

ومن أسرار النهي عن معاشرة الزوجة في غير موضع الحرث ما فيه مما يفوق الوصف من الضرر الذي بينه الله بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ "والمراد من النهي عن القرب النهي عن لازمه الذي يقصد منه وهو الوقاع، والمعنى أنه يجب على الرجال ترك غشيان نسائهم زمن المحيض لأن غشيانهن سبب للأذى والضرر، وإذا سلم الرجل من هذا الأذى فلا تكاد تسلم منه المرأة لأن الغشيان يزعج أعضاء النسل فيها إلى ما ليست مستعدة له ولا قادرة عليه لاشتغالها بوظيفة طبيعية أخرى."[4]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٣

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١٠٠)

(٤) تفسير المنار (٣٥٩/٢)

المطلب الخامس: آثار الإسراف الاقتصادية

إن الإسراف داءٌ عضالٌ يقع فيه بعض الأفراد والمجتمعات وله آثاره السيئة على عموم أحوال الإنسان ومنها حاله الاقتصادية سواء على الفرد أو المجتمع مما يضر به المسرف نفسه ومن حوله. فينتج عن هذا الإسراف ما يسمى (بالتخلف الاقتصادي).

ويكون ذلك إما بإهدار الأموال وصرفها فيما لا فائدة فيه، أو باكتناز الأموال وتكديسها وحبسها في أيدي معينة من طبقات المجتمع عن أداء وظائفها ومنافعها التي خلقها الله لها وهذا يمكن تسميته بالإسراف العكسي المضاد للإسراف المشهور الذي هو إخراج الأموال وصرفها في غير وجهها وبزيادة عن حدودها، أو باكتساب الأموال من مصادر محرمة. وكل هذا ضار بالفرد أو المجتمع لخروجه عن منهج الله الذي شرعه للمكلفين وحد لهم حدوداً يتعاملون من خلالها مع أنفسهم ومن حولهم.

ومن قواعد الإسلام وتشريعاته أنه: لا ضرر ولا ضرار[1]، الضرر يزال[2]، وهي في حق الإنسان والمجتمع على حد سواء. حقاً إنه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3]، ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾[4].

---

(١) يُنظر: القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية جمعاً ودراسة تأليف: عبد السلام بن إبراهيم بن محمد الحصين (١/١٧٥) ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. دار التأصيل للبحث والترجمة والنشر والتوزيع مصر – القاهرة.

(٢) يُنظر: الأشباه والنظائر تأليف: العلامة زين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي، وبحاشيته نزهة النواظر على الأشباه والنظائر للعلامة محمد أمين بن عمر المعروف بابن عابدين، تحقيق: محمد مطيع الحافظ (٩٤) ط/١. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. دار الفكر سورية – دمشق.

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٢

ويترتب على إهدار منافع أو صرف هذه الأموال الخسائر الفادحة دون تحقيق مصلحة للفرد أو المجتمع، بل بالعكس يتحقق من وراء ذلك المضرة والمفسدة التي تؤدي بالمجتمع إلى الانحطاط والتخلف الاقتصادي، والحضاري، وما وراءهما من شرور في كل اتجاه.[1]

علماً بأن هذه الأموال الأصل فيها استثمارها فيما ينفع الأمة ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[2]، لأن "المقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عدة لها وقوة لابتناء أساس مجدها والحفاظ على مكانتها حتى تكون مرهوبة الجانب مرموقة بعين الاعتبار غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها فيبتز[3] منافعها ويدخلها تحت نير سلطانه الظالم"[4].

كما أن إضاعة هذه الأموال من الأمور التي كرهها الله ﷻ لعباده وأمر بالحفاظ عليها فقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وقال وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ))[5].

بل ومن شرور الضعف الاقتصادي أن تنشأ عوامل الربا والغش والسرقة. وغيرها من الرذائل الأخلاقية والمالية التي أرسل الأنبياء-عليهم السلام- للقضاء عليها ومن أجلها قيل لهذه الأمم: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾[6] ونهوهم عن الإفساد في الأرض وأمروهم بإتباع نهج الله وشرعه لكي تتغير فيهم هذه المساوئ التي لا يخرج شيء منها عن وصف الإسراف.

---

(١) يُنظر: مشكلة السرف في المجتمع الإسلامي (١٠١)

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤١

(٣) البز السلب ومنه قولهم في المثل: من عز بز معناه: من غلب سلب، والاسم البزيزى كالخصيصي وهو السلب. و ابتززت الشيء استلبته و بزه يبزه بزا غلبه وغصبه و بز الشيء يبز بزا انتزعه. لسان العرب (٣١٢/٥)

(٤) التحرير والتنوير (٧٩/١٥)

(٥) أخرجه البخاري كتاب الزكاة – باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ سورة البقرة الآية ٢٧٣ (ح/١٤٧٧)(٢٥٨)

(٦) سورة الأعراف الآية ٨١

ولذلك نرى الإسلام يأمر بالاعتدال والقصد في كل شيء ومنه ما يكون في الأموال، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾[2].

فأُمرنا بالاعتدال في النفقة وعدم الإسراف حتى وإن كانت الأمور المُنفق فيها أو عليها واجبة أو مباحة فقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾[3].

*** من إهدار هذه الأموال وصرفها فيما حرمه الشرع ونهى عنه كالعلاقات الجنسية المحرمة،** فالبعض يصرف أمواله على مثل هذه العلاقات، وعلى الأماكن التي يرتادها ذوو الإجرام والفسوق والفجور.

" فالإسلام حرم كل علاقة جنسية تقوم على غير الزواج، وحرم كل قول أو عمل يفتح نافذة إلى علاقة محرمة. وهذا سر نهي القرآن عن الزنا بهذا التعبير المعجز ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾[4]"[5].

وكما حرم هذه العلاقة حرم كذلك الإنفاق عليها وصرف الأموال من أجلها وعد ذلك إسرافاً في ما حرمه الله، وأبغض صاحبه حين قال:﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٩

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤١

(٤) سورة الإسراء الآية ٣٢

(٥) الحلال والحرام (١٢٧)

يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾. عن سعيد بن جبير: (أنه سئل ما الإسراف في المال؟ قال: أن يرزقك الله مالا حلالا فتنفقه في حرام حرمه عليك.)[1].

وهنا فإن هذا الإسراف والتبذير كان أثره السيئ واضحاً على ميزانية الأسرة التي تختل بهذا العمل القبيح.

* **ويظهر الأثر الاقتصادي للإسراف كذلك واضحاً عند إهدار هذه الأموال وصرفها على المشروبات المحرمة كالمخدرات**؛ فمتعاطي هذه السموم يذهب بماله فيما هو ضار له ولغيره؛ فهو يصرف ميزانية أسرته على شراء مثل هذه المخدرات ولربما فضل شراء الخمر وكل مفتر بما معه من المال بدلاً من أن يعالج به أحد أبنائه أو يشتري لأسرته طعاماً ودواءً.

ولا يقتصر الضرر في هذه الحالة على الفرد فقط بل إنه يتعدى إلى اختلال ميزانية الدولة التي كان من الواجب أن يكون إنفاقها على ما هو أهم فتضطر الدولة عند إصابة هؤلاء المسرفين في هذه العلاقات القبيحة بالأمراض – والعياذ بالله– أن تتحمل على عاتقها الصرف على هؤلاء المرضى وبذل أموال طائلة من أجل علاجهم بدلاً من استغلال هذه الأموال وصرفها على علاج أشخاص آخرين مصابين بأمراض لم يتسببوا فيها لأنفسهم، أو صرفها في مجالات أخرى كالتعليم وغيره مما يؤدي إلى رفع المستوى الاقتصادي للدولة.

وبسبب الوقوع في العلاقات غير السوية وتعاطي المخدرات وجد أفراد عاطلون خاملون كسالى غير قادرين على العمل مما يضطر الدوائر الحكومية أو الشركات الخاصة إلى طردهم فيقل الإنتاج لقلة الأيدي العاملة خاصة إذا كان بعض هؤلاء من ذوي الخبرات والمواهب النادرة ولكنهم انجرفوا مع تيارات الهوى الآثمة[2]. كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾[3].

---

(١) الدر المنثور (٤٤٤/٣)

(٢) يُنظر: الوقاية الصحية (٥٩٢)

(٣) سورة طه الآية ١٢٤

كما يظهر الأثر الاقتصادي السيئ نتيجة للكسب غير المشروع الذي نهى عنه الإسلام كالربا والسرقة والغش والقمار وغيرها من الرذائل الأخلاقية والمالية فهذه طرق محرمة شرعاً، بالإضافة إلى "الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة"[1]. وتلبس ثوباً زائفاً زوراً يسميه أصحابها الهدية.

فهذا الكسب يربي في الإنسان عادة استخدام حقوق الآخرين والتساهل فيها واستمرائها وتعطيل ما وهبه الله من العقل، وبذلك يصبح عضواً فاسداً في المجتمع وكلما كثر أمثال هؤلاء كثر الفساد وهذا الداء العضال في المجتمع. ولذلك أرسل الله ﷻ الأنبياء -عليهم السلام- من أجل القضاء علي هذه الرذائل وقيل لهذه الأمم المتصفة بها: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2]. ونهوهم عن الإفساد في الأرض وأمروهم بإتباع منهج الله وشرعه لكي تتغير فيهم هذه المساوئ التي لا يخرج شيء منها عن وصف الإسراف.

* **ومن الآثار الاقتصادية للإسراف تكبيل الأفراد والعائلات بالديون** وذلك بسبب الاستهلاك الزائد عن الحاجة مما يؤدي إلى تأثر المستوى الاقتصادي للأسرة وأسقاطها إلى الحضيض في أخلاقها ومثالياتها، ولا يظهر عليها أثر النعمة بل يُرى على أفرادها البؤس ولربما كان مسعاهم إلى مظهر أعلى ولكنهم لما بالغوا في الجري وراء مشابهة من هم أعلى منهم عوقبوا بحرمانهم من ذلك العلو بل وانحدارهم إلى عكسه، فرحم الله امرؤاً عرف قدر نفسه وعاش في حدود إمكانياته وما ذاك إلا إتباع للهوى الآثم وائتمار بأمر النفس الأمارة بالسوء، وطاعة للشيطان الذي قطع العهد على نفسه أن يُحزِن الذين آمنوا وقد قال ﷺ: ((الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ))[3].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٧٨)

(٢) سورة الأعراف الآية ٨١

(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح-باب المتشبع بما لم ينل (ح/٥٢١٩)(٩٥٩)، ومسلم كتاب اللباس والزينة-باب النهي عن التزوير في اللباس (ح/٢١٢٩، ٢١٣٠)(٩٥)

ومن القواعد الشرعية أنه قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.[1]

علماً بأن هؤلاء الراكضين إلى مشابهة من هم أعلى منهم في المظاهر الدنيوية وقد تحملوا من أجل ذلك المشقات وتكبلوا بالديون مع عدم القدرة على تسديدها على العكس هم يطلبون المزيد منها، ولو أن عائلهم بعد الله-تعالى- قد وافته المنية والديون متراكمة عليه وتتحول هذه الديون إلى أفراد هذه الأسرة من بعده وأن من حاولوا التشبه بهم لن يقوموا بسداد ديونهم بل على العكس ربما شمتوا فيهم وفرحوا بسقوطهم ومن هنا يظهر جلياً مدى الرحمة الإلهية التي تشمل من يعرف قدر نفسه ويلتزم حدودها. أليس كان من الأفضل بدلاً من الاستدانة لبلوغ مظهرية كاذبة خادعة القيام بواجب المساعدة تجاه من يستحقها بدلاً من أن يكون موجهاً إلى أشياء لا حاجة له بها بل هو مستغني عنها تماماً وهذه بركة القناعة والرضا بالقليل والفارق كبير بين القيام بالمساعدة وبين إتباع هوى النفس وشهواتها فذلك إرضاء للرحمن وهذا إرضاء للشيطان والعياذ بالله.

وقد أمرنا الإسلام في نظرنا لأهل الدنيا أن ننظر إلى من هو دوننا وفي النظر إلى أهل الآخرة أن ننظر إلى من هو أعلى منا.

ومثل حالة هذه النفس المتطلعة لم يسمح الإسلام لها بذلك التصرف بل نهى عنه قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾[2].

ومن مساوئ ذلك التطلع الآثم إلى بريق خادع زائف أنه يحدو بالأمة وهي تلبي رغبات هؤلاء الأفراد إلى استيراد ما ليس فيها من المنتجات وبذلك تتفاقم المشكلة وتتشعب آثارها وتتنوع أضرارها والتي منها خروج ونزوح العملات

(١) يُنظر: الأشباه والنظائر (١٨٤)

(٢) سورة الطلاق الآية ٧

المحلية خارج الوطن دون مقابل من استثمار أو إنتاج إلا لمجرد إشباع رغبات أفراد سفهاء واستهلاكهم الزائد الذي لا حاجة إليه في معظم الأحيان.[1]

وتبعاً لذلك يقع الأثر السيئ على النمو الاقتصادي لهذه الأمة فيتخلف الإنتاج المحلي والذي من ورائه تتفاقم مشكلة البطالة وتتخلف العقول عن الابتكار ويبوء سوق الأمة بالبوار فلا استثمار ولا إنتاج بل هو مجرد إرضاء أصحاب الاستهلاك الزائد عن الحاجة. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

وقوله: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾[3].

وبذلك تكون هذه النفقات المبعثرة على غير فائدة قد تسببت في هز بل هدم وسقوط اقتصاد الفرد والمجتمع مما يؤدي إلى تأخر الدول التي تُهدر أموالها عن ركب التقدم والازدهار في جميع المجالات الاقتصادية.

أما الآثار المترتبة نتيجة اكتناز الأموال في أيدي معينة من المجتمع فهي:

* **عدم الاستفادة من الأموال؛ بحيث تبقى راكدة في مكان معين** بالرغم من حاجة المجتمع الاقتصادي إليها، فالمال وسيلة لا غاية، لأن في اكتناز الأموال منعاً من تداولها، وفي ذلك إضرار بالمصلحة العامة.[4]

ومن ذلك منع الزكاة وعدم إخراجها وهذا يعد من اكتناز الأموال الذي يؤدي إلى ركودها في أيدي طبقة معينة. وجاء النهي عن ذلك في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]

---

(١) المجلة العربية (٥٤) من مقال استهلاكنا واستهلاككم.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٨

(٣) سورة البقرة الآية ٢١١

(٤) يُنظر: مبادى الاقتصاد الإسلامي وبعض تطبيقاته. د.سعاد إبراهيم صالح. (٧٩) ط/١. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. دار الضياء الزيتون-القاهرة.

(٥) سورة التوبة الآية ٣٤

فكنز الأموال هنا يعني حفظها وجعلها مجموعة بعضها على بعض. وفي ذلك دليل على الوصف بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة منه.[١]

كما " أن اكتناز النقود يعطل وظيفتها الأساسية في المجتمع."[٢]

*** وفي اكتناز الأموال "حرمان الأفراد الآخرين من حق التوصّل[٣] النقدي،** والاستفادة منه في تحقيق مقاصدهم، فينشأ التضخم للثروة عند الأكثرية وهو منهي عنه شرعاً "[٤]. قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[٥].

" ومعنى الدولة الجاهلية: أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة، وكانوا يقولون: من عزّ بزّ. والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية. ومنه قول الحسن: اتخذوا عباد الله خولاً[٦]، ومال الله دولاً، يريد: من غلب منهم أخذه واستأثر به."[٧]

" والدولة بضم الدال: ما يتداوله المتداولون. والتداول: التعاقب في التصرف في شيء. وخصها الاستعمال بتداول الأموال."[٨]

---

(١) يُنظر: تفسير الخازن (٣٥٤/٢).

(٢) أحكام الملكية في الفقة الإسلامي دراسة مقارنة. محمد ربيع المدخلي. (٢٥٢) ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار المعراج الدولية.

(٣) ولعل من المناسب أن يقال التواصل النقدي بمعنى عدم حبس النقود عن وظيفة التواصل بها بين الأفراد تحقيقاً للمنافع التي يصبو إليها كل منهم.

(٤) أحكام الملكية في الفقة الإسلامي (٢٥٣)

(٥) سورة الحشر الآية ٧.

(٦) خولا: من كان استخدامه على سبيل قهر وذل. غريب الحديث لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي (٤٣٦/٢) ١٤٠٢هـ، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

(٧) تفسير الكشاف (٤٩٠/٤)، ويُنظر: السراج المنير (٣٦٨/٧)

(٨) تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢٨)

ولنعلم أن المال مـــال الله أنعم به علينا وجعلنا خلفاء فيه وصاحب هذا المـــال أمرنا بإنفاقه ومـــدح المنفقين بالقصد والاعتدال فقـــال:﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ ﴾[1] وقال:﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْۚ ﴾[2].

وبين كيفية الإنفاق فقـــال:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[3].

الأثر الاقتصـــادي للإسراف على المـــاء:

ولا يقتصر الأثر الاقتصادي السيئ للإسراف على الأموال فقط بل هناك مـــا هو أعظم وأهم منها والذي قال تعـــالى عنـــه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4].

فالماء عماد اقتصاد الأفراد والدولة وفقده يؤدي إلـــى الكـــوارث والنكبـــات. والإسراف في استهلاك المياه فيه "التهديد الخطير والمتزايد على الاستقرار وعلـــى مسيرة التنمية الوطنية ومستقبلها. ناهيك عن تأثيراته السلبية على البيئة."[5]

وتهديد الاستقرار يتمثل في فقد غذاء الإنـــسان والحيـــوان أو قلتهمـــا بـــسبب الإسراف في الماء، والأمثلة على واقعه ومشاهده كثيرة وأظن القارئ في غنى عن ذكرها. وفي التاريخ ما أصاب أهل مصر من السنين حتى هيأ الله لإنقاذهم يوســـف عليه السلام. وقد صارت الحادثة مثلاً دعا أن يصاب قريش بسبب مزيد تعنتهم مع الدعوة

---

(١) سورة الحديد الآية ٧

(٢) سورة النور الآية ٣٣

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٠

(٥) مجلة الدعوة العدد (٢١١٨) الخامس من ذي القعدة ١٤٢٨هـــ/١٥ نوفمبر ٢٠٠٧م. (٢٤)

وفي مواجهة وتكذيب الصادق الأمين ﷺ الذي أرسله الله – رحمة للعالمين – إذ قال: ((اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ اللهم اجْعَلْهَا عليهم سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ))[1].

بالإضافة إلى أن اقتصاد الدولة مما يعتمد عليه وهو أحد ركائز الثروة الحيوانية المائية، ولكن القيام بإلقاء المخلفات الصناعية في البحار والمحيطات والأنهار يؤدي إلى صعوبة عملية التحلية، وقتل الآلاف من الكائنات الحية، والتقليل من فرص الحصول على ثروة سمكية تغطي حاجة المجتمع.[2]

وهنا يظهر أن للإسراف أثراً خطيراً في فقدان رقي المجتمع وتقدمه فالاهتزاز الاقتصادي عامل قوي جداً في هدم المجتمع وتحطيم قواه، فإن لم يسع أبناؤه إلى تقدمه والمساهمة في رقيه كان ذلك معولاً أساسياً في تخريب الناحية الاقتصادية والبداية لابد أن تكون من الأساس وهو الفرد فإن بدأ بنفسه وعلم كيف ينفق هذا المال ويحافظ عليه ازدهر بذلك المجتمع وقوي وتقدم اقتصاديا ومعنوياً.

الأثر الاقتصادي للإسراف على الوقت:

الوقت ثروة اقتصادية عظيمة لكل من استطاع المحافظة عليه فضياعه يعد ضياعاً للفرد والمجتمع والإسراف فيه داء ابتلي به كثير من الناس دون الإحساس بالآثار المترتبة على ذلك.

ولذلك لابد على للإنسان " أن يربي في النفس دقة الإحساس بالزمن والدقة في حسابه والضن به أن يضيع من غير فائدة."[3]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الدعوات – باب الدعاء على المشركين (ح/٦٣٩٣)(١١٤٣)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب استحباب القنوت في جميع الصلوات... (ح/٦٧٥)(٢٧٢)

(٢) يُنظر: مجلة الدعوة (٢٤)

(٣) الوقت هو الحياة (١٤)

فمن الإسراف في الوقت وضياعه هدره في المكالمات الهاتفية والتي تعد من أعظم المعوقات للناحية الاقتصادية "حيث كثيراً ما تكون المكالمات الهاتفية في أمور تافهة، وتمتد لساعات طوال مما يجعلها تلتهم وقت العمل، وتبتلع وقت الراحة، وتقضي على وقت الأسرة، وتلتهم حتى الوقت المخصص للنوم التهاماً، ولا تتيح مجالاً للقيام بأعمال أكثر أهمية."(١)

أما السهر لأوقات متأخرة دون أدنى عمل فيعد من أعظم الإسراف في هدر الأوقات لما له من آثار جانبية على الناحية الاقتصادية مما يؤدي إلى ضياع وقت النهار الذي جعله الله خاصاً بالعمل لقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ ﴾(٢).

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله –: " أي: من رحمته بكم ولطفه، أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه، وتهدؤوا بالنوم، وتسبت حركاتكم، أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل، لما سكن العباد، ولا استمروا في تصرفهم، فضرهم ذلك غاية الضرر، ولو استمر أيضا الظلام، لتعطلت عليهم معايشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشورا ينتشرون فيه، لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم، فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح."(٣)

وبذلك يظهر أن قلب السنن الكونية وجعل النهار ليلاً والليل نهاراً فيه من الأثر السيء على الفرد وعلى اقتصاده ما لاتحمد عواقبه.
هذا إلى غير ذلك من الأعمال التي تؤدي بالإسراف فيها إلى ضياع الوقت والتأثير على المستوى الاقتصادي.

---

(١) إدارة الوقت، إعداد الدكتور/ ربحي مصطفى عليان (١٥٦) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. دار جرير للنشر والتوزيع عمان – الأردن.

(٢) سورة الفرقان الآية ٤٧

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٨٤)

المبحث الثاني
جزاء المسرفين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة

إن المسرف بتعديه على ما شرعه الله من الاعتدال والتوسط والاستقامة يعد بذلك مفسداً لسنن الله الكونية التي جعلها الله تعالى في مصلحة عباده ومنفعتهم وتكريمهم بحياة طيبة آمنة سعيدة في دنياهم حتى إذا عادوا إلى الآخرة عادوا طيبين صالحين، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

إلا أن المسرف الذي يقع فعله-باختياره وكسبه- اعتداءً وظلماً على خلاف ما سنه الله وفطر عليه خلقه- وعلى الأخص المكلفين العقلاء- فإنما هو بذلك قد جنا على نفسه بمخالفة منهج خالقه ﷻ وتشريعه فلا ريب أن يعاقب بأن يجزى على صنيعه هذا من جنس عمله﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[2].

فليوقن كل من يتعدى ما حدده الله ورسوله له بخسارة وعقاب لا يطيقه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً إن لم يتب ويصلح والله غفورٌ رحيم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾[3]، وذلك الإحسان الإلهي جاء عقب الحديث عن اليهود وصنائعهم المتعنتة الضالة البالغة حد الاعتداء على عباد الله ورسله الكرام حتى إنهم وقعوا بعدوانهم في جانب المولى ﷻ ومع هذا جاء التذكير بإمكان التوبة منهم وقبولها عند الله ﷻ فلا يأس ولا قنوط من روح الله ومن رحمته ﷻ فأنعم به من غفور حليم﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠

(٢) سورة النحل الآية ١١٨

(٣) سورة النحل الآية ١١٩

(٤) سورة يوسف الآية ٨٧

رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[2].

يقول صاحب التفسير المنير: " إن جزاء المسرفين المعتدين الكافرين بالله ﷻ جزاء ثابت في الحياتين الدنيوية والأخروية، وهو حق وعدل؛ لأن الله- تعالى- أنزل كتبه وأرسل رسله، وأبان شرائعه ونظمه، ليسير الناس على نهجها، ويلتزموا بها، فإن كذبوا وأعرضوا عن بيان الله، استحقوا العقاب الأليم والجزاء الشديد، وذلك منطق العدل والحكمة والمصلحة."[3]

إنه لا ريب أن المصلحة العليا لعباد الله ﷻ من عقلاء أو غيرهم ممن يعيش على الأرض ويدب عليها من خلقه ﷻ على اختلاف تنوعهم تقضي بعقاب المعتدي على سنة الله وردعه عن فعله لأن في ذلك تقويماً للحياة والأحياء، والمسرف فردٌ يفسد بفعله العدواني من حوله خلقاً كثيرا فليس من الحكمة أن يحابى فردٌ على حساب الجماعة، ولما هذه المحابة ؟! هل لكي يتمتع هو وحده بما تمليه عليه نفسه من تلبية رغباتها وأهوائها الجامحة وشهواتها الشريرة؟! تحت منطق الحرية المطلقة.. إنها لم تعد تلك الحرية التي أضرت بحرية الآخرين وقيدت حقوقهم وأفسدت مصالحهم وبدلت أمنهم خوفا ويسرهم عسرا، والسكوت عليها لا يزيد الحياة إلا همجية وفوضى كي تفوق حياة الغابة ولا تنتج إلا عصور الظلام والجهالة في بني الإنسان الذين سخر الله لهم ما في البر والبحر، بل وما في السماء والأرض بهذا حق أن يقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[4].

فكان لا بد من الردع وإيقاف جماح المعتدي وكبح غشمه عن المساس بحقوق من حوله ذلك هو الإنصاف وهو الحكمة العليا وهو منطق العدل والمصلحة الحقيقية بين عباد الله.

---

(١) سورة الحجر الآية ٥٦

(٢) سورة العنكبوت الآية ٢٣

(٣) أ.د. وهبة الزحيلي (١٥٥٨/٢)

(٤) سورة إبراهيم الآية ٣٤

المطلب الأول: جزاء المسرفين في الدنيا وأخذ العبرة من ذلك

لا جرم أن الإسراف سبب لهلاك بعض الأمم على مدى التاريخ؛ فهذا الهلاك لا يصيب الأفراد فقط " بل يصيب الجماعة التي تسمح بوجود المترفين: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[1] ذلك أن وجود المترفين في الجماعة، وسماح الجماعة بوجودهم، وسكوتها عليهم، وقعودها عن إزالة أسباب الترف[2]، وتركها المترفين يفسدون... كل ذلك أسباب تؤدي حتماً إلى الهلاك والتدمير بطبيعة وجودها."[3]

من أنواع الجزاء الدنيوي للمسرفين:

*** الطبع والختم على قلوب المسرفين وأسماعهم:**

إن من جزاء المسرفين في الدنيا أن يطبع الله على قلوبهم وأسماعهم ويختم عليها وبذلك يكون المسرف من الغافلين جزاء إتباعه للهوى.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[4].

فجزاء من يتبع هواه ويترك متابعة الهدى أن يختم الله على سمعه وقلبه فلا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر، ويجعل ﷻ على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار.[5]

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٦

(٢) الترف: مأخوذ من أترفته النعمة أي: أطغته. والمترف الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وهو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها. يُنظر: لسان العرب (١٧/٩) ومن أبطرته النعمة فقد فسد حاله فلم يحفظ حق المنعم عليه بها ولم يرع حدود الله فيها. بالرغم من أنه ليس كل صاحب نعمة بالضرورة يكون مترفاً فإن هناك الشكور لنعمة الله مهما كثرة بين يديه وزادت وعلى رأسهم أنبياء الله-عليهم السلام-وعباده الصالحون كذي القرنين وغيره من الصحابه.

(٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب (١١٢) ط/٩. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. دار الشروق بيروت-القاهرة.

(٤) سورة الجاثية الآية ٢٣

(٥) يُنظر: تفسير البيضاوي (٩٧٥/٢)، وتفسير أبو السعود (٦١/٦)، وتفسير السعدي (٧٧٧)

*** تغليف القلوب عن رؤية الهدى:**

ومن الجزاء تغليف القلوب التي كثرت ذنوبها وتمادى أصحابها في إسرافهم على أنفسهم بالمعاصي لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

"ومعنى الآية: أن الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها، وقيل: هو الذنب على الذنب حتى يميت القلب. وقال ابن عباس: ران على قلوبهم طبع عليها، وقيل: الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والإقفال أشد من الطبع، وقيل الرين التغطية، والمعنى أنه يغشى القلب شيء كالصدى فيغطيه فعند ذلك يموت القلب."[2]

ويدل على ذلك قوله ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فإذا هو نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فيها حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وهو الرَّانُ الذي ذَكَرَ الله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾))[3].

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–: "وأصل هذا: أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد."[4]

" والرين كالصدأ يغشى القلب، قال الحسن ومجاهد: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب."[5]

---

(١) سورة المطففين الآية ١٤

(٢) تفسير الخازن (٤٠٤/٤)

(٣) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ – باب ((ومن سورة ويل للمطففين)) (ح/٣٣٣٤) (٧٥٦) وقال هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة – قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (ح/١١٦٥٨)(٥٠٩/٦)، وابن حبان في صحيحه (ح/٩٣٠) (٢١٠/٣)

(٤) الجواب الكافي (١٠٥)

(٥) يُنظر: التفسير الكبير (٨٨/١١)

*** تقيض قرناء من الشياطين للمسرفين:**

ومن جزائهم تقيض الشياطين ليكونوا قرناء للغافلين عن ذكر الله كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

وفي ذلك دليل "للتنبيه على آفات الدنيا، وذلك أن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى عن ذكر الله، ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين."[2]

فهؤلاء المسرفون يظنون أنهم على حق وعلى هدى وهم ليسوا كذلك " بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له وإعراضهم عن الحق فاجتمع هذا وهذا فإن قيل: فهل لهذا من عذر من حيث إنه ظن أنه مهتد وليس كذلك قيل: لا عذر لهذا وأمثاله الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله مع تمكنهم من الاهتداء فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه ورغبوا في الباطل فالذنب ذنبهم والجرم جرمهم فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا مع قرينه وهي الضلال والغي وانقلاب الحقائق."[3]

" قال سهل: (حكم الله –تعالى– أنه لا يرى قلب عبد يسكن إلى شيء سواه إلا أعرض عنه وسلط عليه الشيطان فيضله عن طريق الحق ويعوقه)."[4]

*** المعيشة الضنك للمسرفين في الدنيا:**

ومن جزاء المسرفين في الدنيا المعيشة الضنك لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[5].

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٦، ٣٧

(٢) التفسير الكبير (٦٣٢/٩)

(٣) تفسير السعدي (٧٦٦)

(٤) تفسير السلمي (٢٢٤/٢)

(٥) سورة طه الآية ١٢٤

والكافر من أخص أعماله وأول ما يقع فيه الإعراض عن ذكر فضل خالقه عليه في كل ما كان بين يديه ومن خلفه من نعم يفيد منها ويتمتع بها ولا شك أن في ذلك الإسراف كله فقد خرج عن حد العبودية اللائق إلى ميدان الشيطانية الموبق. ومن حق المنعم أن يذكر فيشكر وأن يثنى عليه بجميل فعله.. والبارئ ﷻ أحق من يذكر وأحق من يشكر وأحق من يعبد. وفاعل ذلك هو المفلح الناجح الفائز برضا ربه وبمزيد النعمة عليه علماً بأن الله مستغني بذاته عن جميع خلقه شكروا أم كفروا. قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾[1].

يقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله–: "اختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضيق على أقوال متقاربة لا يكذب بعضها بعضاً، ومن الأقوال في ذلك أن معنى ذلك أن الله عزّ وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة، والتوكل على الله، والرضا بقسمته فصاحبه ينفق مما رزقه الله بسماح وسهولة فيعيش عيشاً هنيئاً ومما يدل على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴿٩٧﴾ ﴾[2]، ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[3].

وأما المعرض عن الدين فإنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة بسبب كفره كما قال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾[4]، وذلك من العيش الضنك بسبب الإعراض عن ذكر الله وبين في

---

(١) سورة إبراهيم ٧، ٨

(٢) سورة النحل الآية ٩٧

(٣) سورة هود الآية ٣

(٤) سورة البقرة الآية ٦١

مواضع أخرى أنهم لو تركوا الإعراض عن ذكر الله فأطاعوه تعالى أن عيشهم يصير واسعاً رغداً لا ضنكاً كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[2] وكقوله تعالى عن نوح: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[3] وقوله تعالى عن هود: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات."[5]

وذكر الإمام ابن كثير –رحمه الله– هذه المعيشة وقال أنها: " في الدنيا؛ فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة[6]: عن ابن عباس:﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال: الشقاء. وعن ابن عباس: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال: كل ما أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ويقال: – أيضا – إن

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٦

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٦

(٣) سورة نوح الآية ١٠–١٢

(٤) سورة الجن الآية ١٦

(٥) أضواء البيان (٦٨١/٤، ٦٨٢)

(٦) هو: علي بن أبي طلحة أبو الحسن الهاشمي سالم مولى بني هاشم. أرسل عن ابن عباس ولم يره. من السادسة، صدوق قد يخطئ. مات سنة (ثلاث وأربعين ومائة). ينظر: التاريخ الكبير (٢٨١/٦)، وجامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (٢٤٠/١) ط/٢. ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. عالم الكتب بيروت.

قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسئ الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك."[1]

" وفسر الضنك في الدنيا -أيضا- بالجهل؛ فإن الشك والحيرة لها من القلق وضيق الصدر ما لها."[2]

*** نسيان الله للمسرفين ونسيانهم أنفسهم:**

ومن الجزاء في الدنيا نسيان الله لهؤلاء المسرفين العاصين ونسيانهم أنفسهم. قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

"وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتباع شهواتهم حيث لم يسعوا إليها في الخلاص من العذاب، وهذا من المجازاة على الذنب بالذنب. عوقبوا على نسيان جهة الله تعالى بأن أنساهم أنفسهم."[4]

وحظ النفس نسيانها ما ينفعها من الإفادة بنعم الله عليها في الحدود المسموحة المشروعة فلا يكون لها من الخير نصيب أوفى، ولا شك أن من ينسى الله ﷻ بتضييع الواجبات وعدم الوفاء بالحقوق، والوقوع في ما لم يأذن الله، إنما يورث ذلك عمى البصيرة فلا تدري النفس الضار من النافع ولا تدرك الفارق بين الهدى والضلال فيفوتها نصيبها من الخير والصلاح وبالتالي لا حظ لها في رحمة الله ورضوانه. وقد ارتكبت أسباب ذلك ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٢٦)

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، جمعه وضبطه: محمد رياض الأحمد السلفي الأثري (٣٩٩، ٤٠٠) ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية.

(٣) سورة الحشر الآية ١٩

(٤) تفسير البحر المحيط (٨/٣٥٠)، ويُنظر: المحرر الوجيز (١٨٤٤)

(٥) سورة النحل الآية ١١٨

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "ونسيانهم أنفسهم يتضمن: إعراضهم، وغفلتهم، وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين به قبل ذلك من حال أنفسهم.. كما أنه يقتضي: تركهم لمصالح أنفسهم؛ فهو يقتضي أنهم لا يذكرون أنفسهم ذكراً ينفعها ويصلحها وأنهم لو ذكروا الله لذكروا أنفسهم"(١). أي: لوفقوا واهتدوا إلى إبصار ما به نجاة أنفسهم ورقيها وصلاحها في الدنيا والآخرة.

ويقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– : "ونسيانه سبحانه للعبد: إهماله، وتركه، وتخليه عنه، وإضاعته، فالهلاك أدنى إليه من اليد للفم.

وأما إنساؤه نفسه فهو: إنساؤه لحظوظها العالية، وأسباب سعادتها، وفلاحها، وإصلاحها، وما يكملها، بنسيه ذلك كله جميعه، فلا يخطر بباله ولا يجعله على ذكره، ولا يصرف إليه همته فيرغب فيه، فإنه لا يمر بباله حتى يقصده ويؤثره.

وأيضا ينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها، فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها.

[فلا يرى– من هذا حاله وهذه نفسه– أنه على خطأ أو أنه مقصر أبداً بل ربما رأى أنه مصيب مصلح وعلى حق وأنه لا يخطئ أبداً ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٢)، إلى هذا الحد يصل أثر الجزاء الإلهي لنفس نسيت خالقها فتخسر العالي من الحظوظ النافعة بل وتسقط في هاوية الآفات والضلالات فتنحدر من أعلى عليين إلى أسفل سافلين].

وأيضا ينسيه أمراض نفسه وقلبه وآلامها، فلا يخطر بقلبه مداواتها، ولا السعى في إزالة عللها وأمراضها التي تؤول بها إلى الفساد والهلاك، فهو مريض مثخن بالمرض، ومرضه مترام به إلى التلف، ولا يشعر بمرضه، ولا يخطر بباله مداواته، وهذا من أعظم العقوبة للعامة والخاصة.

---

(١) مجموعة الفتاوى (١٩٩/١٦)

(٢) سورة البقرة الآية ١١، ١٢

[فالمسرف الذي عوقب بنسيانه نفسه في دنياه قد فسدت أحواله وأضر هو بنفسه ثم تجاوز إلى إضرار غيره بتعطيل منفعته لهم وصيرورته عبئاً على الجماعة يكلفهم الانشغال به وقيامهم على حاله على الأقل لتفادي تفاقم أضراره وتفشيها فيهم كما أنه يكلفهم مداواته وإنقاذه من بوائقه فقد عاد المسرف ضاراً غير نافع ولا منتفع.. وهذا بعض العقوبة التي أثر بها على عامة من حوله وتأثر بها في خاصة نفسه.]

فأي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها، ونسي مصالحها وداءها ودواءها، وأسباب سعادتها وصلاحها وفلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم؟"[1]

*** ضلال المسرفين وعدم اهتدائهم في الدنيا:**

ومن جزاء المسرفين في الدنيا ضلالهم فيها عن كل شر فلا يرونه شراً وعن كل مفسدة فلا يرونها على حقيقتها وعدم اهتدائهم إلى أي خير إذ لا يرونه خيراً بل يرونه شراً ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾[3].

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله – : " الذي وصفه السرف والكذب – لا ينفك عنهما– لا يهديه الله ولا يوفقه للخير؛ لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه فجزاؤه أن يعاقبه بأن يمنعه الهدى كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[4]"[5].

فلننظر كم هو ذلك الإسراف قبيحاً وقد جعل صاحبه الملازم له مرتاباً كذاباً، وما أعجب حال من يصل إلى الحق من غير كلفة ولا أجر يطلب منه عليه ولا

---

(١) الجواب الكافي (١٦٠)

(٢) سورة غافر الآية ٣٤

(٣) سورة غافر الآية ٢٨

(٤) سورة الصف الآية ٥

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٧٣٨)

غموض يكتنف ذلك الحق فيتعلل به، فكيف يتصور مقدار عقوبة من حاله وها هو قد منع نفسه الهدى بل واختار لها الردى فلا ريب أن يكون جزاؤه من جنس عمله ولا يظلم ربك أحداً.

فجزاء هؤلاء المسرفين في الدنيا بالغ الأثر فالله ﷻ " يصد عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب شاك في حقيقة أخبار رسله."(١)

فما أظلم من كفر بالله وأعرض عنه إتباعاً للهوى وتمجيداً للشهوات وثقة بالشيطان فهذا لا يجازى إلا بالضلال والمزيد من الريب والتكذيب إذ لم يطلب سبيل الهدى، قال تعالى ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(٢).

ومن الحق والعدل جزاؤه ﷻ للمسرفين في الدنيا أن يعاقبهم بالذنب على الذنب، والله ﷻ يعطي النفوس ما تطلبه ويهديها على ما تسير إليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فكم ذكر وأنذر، وكم نصح ووجه، ولكم نادى الشاردين ليعودوا عن غيهم إلى ساحات الأمن والهداية والنور ولا يزدادون إلا بعداً، فتبعاً لذلك كان تركهم فيما أرادوا واشتهوا حقاً وعدلاً منه ﷻ قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾(٣).

وذلك "بيان لحكمته – تعالى– في تقدير المعاصي على العاصين وأنه بسبب ذنوبهم السابقة يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها."(٤)

"فإنه – سبحانه– يعاقب على الضلال المقدور بإضلال بعده، ويثيب على الهدى بهدى بعده، كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها، ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها."(٥)

---

(١) جامع البيان (٧١٣٦/٩)

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٦

(٣) سورة البقرة الآية ١٠

(٤) تفسير السعدي (٤٢)

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تاليف: الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان (٢٧٩/١) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ. الرياض.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[1].

ومعنى ذلك "﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ ﴾ أي انصرفوا عن الحق بقصدهم. ﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ ولم يوفقهم الله للهدى لأنهم لا يليق بهم الخير ولا يصلحون إلا للشر."[2]

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾[3].

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– : "فأخبر سبحانه عن فعلهم، وهو الانصراف، وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره، لأنهم ليسوا أهلاً، فالمحل غير صالح ولا قابل، فإن صلاحية المحل بشيئين: حسن فهم، وحسن قصد، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه، وقصودهم سيئة، وقد صرح سبحانه بهذا في قوله: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾[4]"[5]

ثم قال –رحمه الله– : "وتأمل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾ كيف جعل هذه الجملة الثانية– سواء كانت خبراً أو دعاء– عقوبة لانصرافهم؛ فعاقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الأول؛ فإن انصرافهم كان لعدم إرادته –سبحانه– ومشيئته لإقبالهم، لأنه لا صلاحية فيهم ولا قبول، فلم يشأ لهم الإقبال والإذعان، فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن، فجازاهم على ذلك صرفاً آخر غير الصرف الأول، كما جازاهم على

عمر بن سليمان الحفيان (٢٧٩/١) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ. الرياض.

(١) سورة الصف الآية ٥

(٢) تفسير السعدي (٨٥٩)، ويُنظر: التفسير الكبير (٥٢٨/١٠)، وتفسير ابن كثير (٣٦٠/٤)، وتفسير القاسمي (٩٢/٧)

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٧

(٤) سورة الأنفال الآية ٢٣

(٥) شفاء العليل (٣٠٣/١)، وبدائع التفسير (٣٨٨/٢)

زيغ قلوبهم عن الهدى إزاغة غير الزيغ الأول كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[1]

وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه- سبحانه- جازاه بأن يعرض بقلبه عنه فلا يمكنه من الإقبال عليه.

ولتكن قصة إبليس منك على ذُكر، تنتفع بها أتم انتفاع، فإنه لما عصى ربه تعالى ولم ينقد لأمره وأصر على ذلك، عاقبة بأن جعله داعيا إلى كل معصية، فعاقبه على معصيته الأولى بأصول المعاصي وفروعها، صغيرها وكبيرها، وصار هذا الإعراض والكفر منه عقوبة لذلك الإعراض والكفر السابق.

فمن عقاب السيئة السيئة بعدها. كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فإن قيل: فكيف يلتئم إنكاره سبحانه عليهم الانصراف والإعراض وهو منه، وقد قال تعالى: ﴿ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾[2]﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥ ﴾[3].

وقال: ﴿ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩ ﴾[4] فإذا كان هو الذي صرفهم وجعلهم معرضين ومأفوكين فكيف ينبغي إنكار ذلك عليهم؟.

قيل: هم دائرون بين عدله وحجته عليهم، فمكنهم وفتح لهم الباب، ونهج لهم الطريق، وهيأ لهم الأسباب، وأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ودعاهم على ألسنة رسله، وجعل لهم عقولا تميز بين الخير والشر، والنافع والضار، وأسباب الردي، وأسباب الفلاح، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً، فآثروا الهوى على التقوى، واستحبوا العمى على الهدى، وقالوا معصيتك آثر عندنا من طاعتك، والشرك أحب إلينا من توحيدك، وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك، فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخالقهم ومليكهم، وانصرفت عن طاعته ومحبته وتوحيده، وأفكت عن هداه،

---

(١) سورة الصف الآية ٥

(٢) سورة يونس الآية ٣٢

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٥

(٤) سورة المدثر الآية ٤٩

فلما رآها-سبحانه- كذلك عدل فيها بأن صرفها، وأعرض بها عنه، وصدها عن الإقبال عليه وعن معرفته ومحبته، فهذا عدله فيهم، وتلك حجته عليهم.

فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى، إرادة منهم واختياراً، فسده عليهم اضطراراً فخلاهم وما اختاروا لأنفسهم وولاهم ما تولوه [قال تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[1]] ومكنهم فيما ارتضوه، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه، وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله." [2]

*** ومن جزاء المسرفين الدنيوي عاقبة الاستئصال:**

للمسرفين في الدنيا أن يعاقبهم الله بالهلاك الكلي بحيث لم يبق لهم أثراً ولا عيناً تذر فيصبحون خبراً من بعد أثر وذلك كما وقع للأمم السابقة.

فالإسراف على اختلاف أنواعه ما لم يتب منه أصحابه لا يبعد أن يكون سببا في استئصال أمة بكاملها أو جماعة بعامتها وأشد أنواعه ما كان في المعاصي والذنوب وظلم العباد والتكبر عليهم وبطر الحق فيهم.

والقرآن يبين لنا على مر العصور تكرر هلاك المسرفين في أكثر من أمة ومن ذلك مثلاً قوم نبي الله هود وصالح ولوط -عليهم السلام- ومن فضله ﷻ أنه يخلص الطائعين الصالحين من هذا العذاب وينجيهم منهم ليقع بالمسرفين وحدهم.

فها هي سورة الأنبياء تؤكد ذلك المعنى يقول تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾[3].

يقول الإمام ابن جرير-رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات فآتيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا على تكذيبهم إياها

---

(١) سورة النساء الآية ١١٥

(٢) شفاء العليل (١/٣٠٣-٣٠٥)

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩

وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها ووعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم بعد مجيء الآية التي سألوا.

وذلك كقوله -جل ثناؤه- : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[1].

وكقوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾[2] ونحو ذلك من الوعود التي وعد الأمم مع مجيء الآيات.

وقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ يقول - تعالى ذكره- : فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات ومن نشاء وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها.

وقوله: ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ يقول - تعالى ذكره- وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم"[3].

هكذا يتبين أن الكفر والشرك هما أصل الإسراف وقاعدته، فليس بعد الكفر ذنب، والكافر لا يرعى حقاً لله ولا للعباد ولا يؤمن بآخرة ولا بحساب. ولعله ينكر الآخرة والحساب ظناً منه أن ذلك يعطيه حجة في إطلاقه العنان لنفسه ترتع في شهواتها بلا خوف رقيب ولا معاتب بل هو لا يرى إلا حياته الدنيا هذه فيزعم أنه يعيشها كما أحب هواه ليستقصي متعته فيها. وهكذا هم الكافرون يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[4].

فمن الأمم التي أهلكها الله ﷻ وأبادهم عن آخرهم قوم ثمود الذين أرسل لهم نبيهم صالح عليه السلام فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟

---

(١) سورة المائدة الآية ١١٥

(٢) سورة هود الآية ٦٤

(٣) جامع البيان (٥٦٧٢/٧)

(٤) سورة محمد الآية ١٢

ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]

يقول الإمام الطبري –رحمه الله–: "يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة، وهي الصيحة، والرجفة: الفعلة، من قول القائل: رجف بفلان كذا يرجف رجفاً، وذلك إذا حركه وزعزعه... وعنى بالرجفة: ها هنا: الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك؛ لأن ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم."[2]

ويقال الرجفة: هي الزلزلة الشديدة، وقيل: هي الصيحة.[3]

والجمع بينهما كما قال الإمام الألوسي –رحمه الله–: "بأنه يحتمل أنه أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم."[4]

فلما وقع بهم ذلك ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله–: " أي: صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى، قالوا: إلا جارية كانت معقدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال: لها الذريعة وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام فلما رأت ما رأت من العذاب أطلقت رجليها فقامت تسعى كأسرع من شيء فأتت حيا من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ثم استسقتهم من الماء فلما شربت ماتت.

قال علماء التفسير: ولم يبقى من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه رضي الله عنهم إلا أن رجلاً يقال له: أبو رغال كان لما وقعت النقمة بقومه مقيما إذ ذاك في

---

(١) سورة الأعراف الآيات ٧٥–٧٨

(٢) يُنظر: جامع البيان (٣٥٦٥/٥)

(٣) يُنظر: البحر المحيط (٤٢٤/٤)، وفتح القدير (٣١٢/٢)، وتفسير روح المعاني (٥٦٠/٨)

(٤) تفسير روح المعاني (٥٦٠/٨)

الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل جاءه حجر من السماء فقتله."[1]

وكما أهلك الله هؤلاء بين ﷻ كيف أهلك قوم لوط ووصفهم بالمسرفين لأنهم وضعوا الحرث في غير موضعه. وإتيانهم المنكر في ناديهم على الملأ بلا حياء ولا خجل، وسخريتهم ممن يمر عليهم في الطريق وذلك كله فساد خلقي غير لائق بإنسان كرمه الله ﷻ وفضله على سائر خلقه فليس لمثل هؤلاء المسرفين إلا سوء العاقبة والعياذ بالله.

وقد وصف الله هؤلاء المسرفين بأنهم مجرمون وأمر بالتأمل والنظر في عاقبتهم فقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2].

يقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله–: " لم يبين هنا هذا المطر ما هو، ولكنه بين في مواضع أخرى أنه مطر حجارة أهلكهم الله بها كقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[3] وأشار إلى أن السجيل الطين بقوله في الذاريات: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[4] وبين أن هذا المطر مطر سوء لا رحمة بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾[5] وقوله تعالى في الشعراء: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[6]"[7] وذلك مثل ريح عاد التي ظنوا أنها جاءتهم بالمطر وساقت لهم السحاب وقد رأوه معترض الأفق يضللهم فقالوا: ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ فرد عليهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٧/٢)

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٣، ٨٤

(٣) سورة الحجر الآية ٧٤

(٤) الآية ٣٣

(٥) سورة الفرقان الآية ٤٠

(٦) الآية ١٧٣

(٧) أضواء البيان (٣٨٤/٢)

نبـــيهم قـــائلاً: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

ولقد أخبرنا الله ﷻ عن الحجارة التي رمى بها قوم لوط عليه السلام بأنها مسومة من عنده بقولـــه تعـــالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

ومسومة أي:"معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك بها. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست مـــن حجارة الدنيا."[3]

وقوم لوط عليه السلام نتيجة لأعمالهم الشنيعة كان جزاؤهم إرســـال هـــذه الحجـــارة المسومة عليهم ولننظر إلى حكمة الله الجليلة فهذه الحجارة لم تصب قومـــاً حفظـــوا أنفسهم بإيمانهم ووفائهم بعهد الله وابتعادهم عن صفات وأعمال هـــؤلاء المـــسرفين فأخرجهم الله قبل نزول العذاب على المسرفين حين قال: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4]

وقد ذكر الله ذلك لهذه الأمة الخاتمة للعظة والاعتبار وتوجيه أنظـــارهم إلـــى الابتعاد عن الأسباب التي أودت إلى هذا المصير حيـــث قـــال ﷻ: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾[5].

وجزاء المسرف كجزاء المجرم لاتفاقهما في العمل.

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–: "المجرم هو الآتي بالذنب العظيم؛ لأن الجُرم فيه دلالة على العِظَم، ومنه جرم الشيء لعظمة مقداره.

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٤، ٢٥

(٢) سورة الذاريات الآية ٣١–٣٤

(٣) تفسير الكشاف (٣٩٣/٤)، والبحر المحيط (١٩٨/٨)، وروح المعاني (٢١/٢٧، ٢٢)

(٤) سورة الأعراف الآية ٨٣

(٥) سورة الذاريات الآية ٣٧

والمسرف هو الآتي بالكبيرة.. ومن أسرف – ولو في الصغائر– يصير مجرماً؛ لأن الصغير إلى الصغير إذا انضم صار كبيراً.

ومن أجرم فقد أسرف؛ لأنه أتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة فالوصفان اجتمعا فيهم.

[وهذا الجزاء بالحجارة المسومة جعله الله] للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم.

والعلم بالأمور المستقبلة عند الله تعالى يعلم أنهم مسرفون فأمر الملائكة بإرسالها عليهم."[1]

*** ومن الجزاء الدنيوي الخسف بالمسرفين:**

إن هذا الهلاك الذي أصاب من أسرف وأجرم وظلم من الأمم السابقة قد تنوع واختلف فمنه أن يخسف الله بالمسرف الأرض ليكون بين طبقاتها مضيق عليه جزاءً له على ما زعمه لنفسه –متجاوزاً حدود شرع ربه– من التوسع في الأهواء والشهوات وإنكار آيات الله البينات وتكذيب الصادقين المخلصين من أصفياء الله ﷻ متجاوزاً في ذلك كله حدوده وحقوقه. وكان إمام من خسف بهم الأرض عالمٌ خدعته نفسه وغشه نبوغه وطغى به ذكاؤه فظن أنه هو الذي قدر على ما أوتي من النعم والمال الغزير الكثير الذي صار أكثر الناس مالاً من بني آدم وما هو بذلك إلا إمام المسرفين حيث أنكر نبوة رسوله وعانده كلما نصحه، وعاند كذلك عموم الناصحين يقول تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ

---

(١) يُنظر: التفسير الكبير (١٠/١٨٠)

ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[1]

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله–: "جزاء من جنس عمله فكما رفع نفسه على عباد الله أنزله الله أسفل سافلين هو وما اغتر به من: **داره، وأثاثه، ومتاعه**"[2]

وكل هذا الهلاك تسبب فيه المسرفون لأنفسهم بجريمة الإسراف وما أقبحها قال تعالى عنهم: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

*** اللعنة للمسرفين في الدنيا:**

ولهؤلاء المسرفين في الدنيا جزاء بالغ الأثر؛ فإسرافهم هذا يدخلهم تحت لعنة الله ﷻ والرسول ﷺ.

ولعن هؤلاء ورد بالوصف وليس بالتعيين.[4]

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (لَعَنَ الله الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى ما لي لَا أَلْعَنُ من لَعَنَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[5])[6].

---

(١) سورة القصص الآيات ٧٧–٨١

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٤)

(٣) سورة القصص الآية ٥٨

(٤) وفي بيان حدود هذا الوصف ومعالمه وحكمه وتعريف اللعن لغة وشرعاً يقول النووي–رحمه الله–:"اتفق العلماء على تحريم اللعن فانه في اللغة الإبعاد والطرد. وفى الشرع الإبعاد من رحمة الله تعالى؛ فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية. فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحد بعينه مسلما كان أو كافرا أو دابة إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبى جهل، وإبليس. وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين ولعن من غير منار الأرض ومن تولى غير مواليه ومن انتسب إلى غير أبيه ومن أحدث في الإسلام حدثا أو آوى محدثا وغير ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان. والله اعلم." شرح النووي (٢/٢٥١، ٢٥٢)

(٥) سورة الحشر الآية ٧

(٦) سبق تخريجه (ص/١٣٨)

وعن ابن عباس ﷺ قال: (لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ من الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ من النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)[1].

وقال ﷺ: ((لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ))[2].

وقوله ﷺ: ((لَعَنَ الله السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ))[3].

وقال ﷺ: ((لَعَنَ الله من لَعَنَ وَالِدَيه، وَلَعَنَ الله من ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ الله من آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ الله من غَيَّرَ مَنَارَ الأرض[4]))[5].

فهؤلاء المسرفون تجاوزا حدودهم فجازت عليهم لعنة الله ورسوله ﷺ من حيث المعنى العام للإسراف والذي هو تجاوز الحدود التي وصفها الشرع وحدها لعباده وترك الأوامر وفعل النواهي.

يقول الإمام النووي –رحمه الله–: " اللعن المباح، وهو الذي ورد الشرع به، وهو لعنة الله على الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الواصلة والواشمة، وشارب الخمر، وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، والمصورين، ومن انتمى إلى غير أبيه، وتولى غير مواليه، وغير منار الأرض، وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة."[6]

ويظهر من ذلك أن: لعن هؤلاء ليس على إرادة تعيينهم ولكن على سبيل وصف أفعالهم فقد يكون هذا اللعن:

إما خبراً ليرتدع من سمعه. أوقد يكون دعاءً.

---

(١) سبق تخريجه (ص/١٣٤)

(٢) سبق تخريجه (ص/١٥٧)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود – باب لعن السارق (ح/٦٧٨٣)(١٢٠٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود – باب حد السرقة ونصابها (ح/١٦٨٧)(٧٤٨).

(٤) منار الأرض: جمع منارة وهى العلامة تجعل بين الحدين للجار والجار. الفائق للزمخشري (٢٩/٤)، لسان العرب (٢٤١/٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٦/٥)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأضاحي – باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (ح/١٩٧٨)(٨٨٣)

(٦) شرح النووي (١١٥/١٦)

ويحتمل أن يكون المراد باللعن الإهانة والخذلان.[1]

ولعن المعين فيه إعانة للشيطان عليه وذلك " لأن لعن المعين والدعاء عليه قد يحمله على التمادي، أو يقنطه من قبول التوبة، بخلاف ما إذا صرف ذلك إلى المتصف فان فيه زجراً وردعاً عن ارتكاب ذلك وباعثا لفاعله على الإقلاع عنه."[2]

فلنأخذ حذرنا من هذه العواقب ومن هذا الجزاء الذي يفقد الإنسان صلاح الدنيا والآخرة ولننظر إلى ذلك بعين الاعتبار الذي أمرنا الله ﷻ به وعاتبنا على تركه.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾[3].

يقول الإمام الرازي–رحمه الله– :"والمعنى أن العاقل من اعتبر بغيره، فإن الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار، وأقوى آثاراً في الأرض منهم، والمراد حصونهم وقصورهم وعساكرهم، فلما كذبوا رسلهم أهلكهم الله بضروب الهلاك معجلاً حتى إن هؤلاء الحاضرين من الكفار يشاهدون تلك الآثار، فحذرهم الله تعالى من مثل ذلك بهذا القول."[4]

ولذلك علينا عدم الاغترار بكوننا قد أمنا من عذاب الاستئصال.

ويقول الإمام الرازي –رحمه الله–: "فإن قيل كيف يعتبرون بذلك وقد أمنوا من عذاب الاستئصال؟

قلنا: إن عذاب الآخرة أعظم وأدوم من ذلك فعند سماع هذه القصة يذكرون عذاب الآخرة مؤنبة على عذاب الاستئصال ويكون ذلك زجراً وتحذيراً."[5]

---

(١) يُنظر: فتح الباري (٩٢/١٢)

(٢) المرجع السابق (٨٦/١٢)

(٣) سورة غافر الآية ٢١

(٤) التفسير الكبير (٥٠٥/٩)

(٥) المرجع السابق (٣١٢/٥)

المطلب الثاني: جزاء المسرفين وعاقبتهم في الآخرة

الجزاء: هو الغَنَاءُ والكفاية والمكافأة بالشيء وما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[1] وقال: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] وقال: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[3].

والجزاء في القرآن ورد على معان منها:

* **بمعنى المكافأة والمقابلة** قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾[4] أي تقابل.

* **وبمعنى الأداء والقضاء** قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾[5] أي: لا تقضي ولا تؤدي.

* **وبمعنى الغنية والكفاية** قال تعالى: ﴿ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[6].

والمجازاة هي المكافأة، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها، ونعمة الله تتعالى عن ذلك، ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة مع الله تعالى.[7]

فالمسرفون عندما تغشهم أنفسهم وتستولي عليهم أهواؤهم ويتمادون في الغي والضلال ولا يوفقون إلى توبة ولا يعودون عما نهوا عنه قبل حلول آجالهم فإنهم سيلقون عذاباً أليماً وجزاءً عدلاً بما قدمته أيديهم وجنته جوارحهم من الفساد والإفساد في الأرض لأنهم لم يراعوا حق الله ولا حق عباده ولم يخافوا في الله لومة

---

(١) سورة غافر الآية ١٧

(٢) سورة الرحمن الآية ٦٠

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠

(٤) سورة الليل الآية ١٩

(٥) سورة البقرة الآية ٤٨

(٦) سورة لقمان الآية ٣٣

(٧) يُنظر: بصائر ذوي التمييز (٣٨١/٢، ٣٨٢)

لائم وأعرضوا عن كل ناصح وداعية إلى الخير فيجزون الجزاء المناسب لما قدموا.

وهؤلاء المسرفون عقابهم في الآخرة أشد ألماً من عقابهم في الدنيا لأنه لا مناسبة ولا مقارنة بين ما يكون في الآخرة من عقاب أو نعيم وما يكون في الدنيا إلا مشابهة التسمية فقط فالأمر في الآخرة أشد وأدوم كما قال تعالى:﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾[1] فمهما وقع للعبد من جزاء في الدنيا فإنه لا يساوي شيئاً- لا كماً ولا كيفاً- بالنسبة لعذاب الآخرة، فوق كون العذاب الأخروي أبدياً لا نهاية له لقوله ﷺ: ((يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ وَلِأَهْلِ النَّارِ يا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ))[2].

فلا جرم أن يكون الإسراف سبباً للعذاب في الآخرة لكونه معصية تحمل بين طياتها عدداً من المعاصي وفي ذلك جاءت آيات القرآن الكريم مذكرة وموضحة ما ينتظر المسرفين في الآخرة من العقاب بأنواعه المختلفة تبعاً لاختلاف أنواع إسرافهم وتعدد جناياتهم وإجرامهم وتوضيح ذلك يأتي في بيان بعض صور عقاب المسرفين في الآخرة:

*** دخول النار واستحقاقهم لها:**

قال تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة طه الآية ١٢٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق – باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (ح/٦٥٤٥)(١١٦٧)

(٣) سورة غافر الآية ٤٠-٤٤

في هذه الآيات بيان بأن مصير المسرفين إلى النار لبطلان دعوتهم فهم يقابلون الدعوة إلى الإيمان بالدعوة إلى الكفر الذي يوجب النار، ومعبوداتهم ليس لها دعوة إلى نفسها وليس لدعوتها استجابة لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهؤلاء المسرفون هم المشركون، السفاكون للدماء. المتمادون في معصية الله بالكمية والكيفية؛ أما الكمية فبالدوام والإصرار، وأما الكيفية فبالعود والشناعة وخلق الأعذار.(١)

ولذلك قال ﷻ عن فرعون وقومه وهم أشد الناس إسرافاً في كفرهم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾(٢).

يقول القاضي أبي السعود – رحمه الله–: "أي: عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه، أو أشد عذاب جهنم، فإن عذابها ألوانٌ بعضها أشد من بعض"(٣)

ويقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–:"وهذا تنبيه على أن فرعون نفسه في الأشد من ذلك؛ لأنهم إنما دخلوا أشد العذاب تبعاً له فإنه هو الذي استخفهم فأطاعوه وغرهم فاتبعوه ولهذا يكون يوم القيامة أمامهم وفرطهم في هذا الورد، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾(٤).

والإسراف والترف بمعنى واحد ولذلك فإن جزاءهم متماثل في الآخرة قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾(٥).

فلننظر إلى هذا الجزاء الذي تقشعر منه الجلود فكيف وصلوا إليه بصنيعهم الذي ضيع عليهم آخرتهم.

---

(١) يُنظر: التفسير الكبير (٥٢٠/٩)، وغرائب القرآن (٣٧/٦)، ونظم الدرر (٥١٧/٦-٥١٩)، والسراج المنير (٣١٣/٦-٣١٥)

(٢) سورة غافر الآية ٤٦

(٣) إرشاد العقل السليم (٤٢٢/٥)

(٤) سورة هود الآية ٩٨

(٥) سورة الواقعة الآيات ٤١-٤٨

يقول الإمام الرازي –رحمه الله–: "جعل السبب كونهم مترفين وليس كل من هو من أصحاب الشمال يكون مترفاً فإن فيهم من يكون فقيراً؟ نقول قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ليس بذم، فإن المترف هو الذي جعل ذا ترف أي نعمة؛ فظاهر ذلك لا يوجب ذماً، لكن ذلك يبين قبح ما ذكر عنهم بعده وهو قوله تعالى:﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ ﴾ لأن صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح فقال: إنهم كانوا مترفين، ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب."(١)

ويقول الإمام ابن عاشور –رحمه الله–: "وإما أن يراد بأن الترف في العيش علق قلوبهم بالدنيا واطمأنوا بها فكان ذلك مملياً على خواطرهم إنكار الحياة الآخرة، فيكون المراد الترف الذي هذا الإنكار عارض له وشديد الملازمة له، فوازن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾(٢).

ثم قال–رحمه الله–: وإنما جعل أهل الشمال مترفين لأنهم لا يخلو واحد منهم عن ترف ولو في بعض أحواله وأزمانه من نعم الأكل والشرب والنساء والخمر، وكل ذلك جدير بالشكر لواهبه، وهم قد لابسوا ذلك بالإشراك في جميع أحوالهم، أو لأنهم لما قصروا أنظارهم على التفكير في العيشة العاجلة صرفهم ذلك عن النظر والاستدلال على صحة ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ فهذا وجه جعل الترف في الدنيا من أسباب جزائهم الجزاء المذكور."(٣)

فلنتأمل كيف جر الترف أصحابه إلى عدد من المعاصي التي كل منها يفوق الإسراف وآثاره، وكيف كان جزاؤهم الأخروي.

والعجب أن الترف قد جر أصحابه إلى ارتكاب جرائم وذنوب كلها أشد من مجرد الترف لتعلقهم به وإصرارهم على ارتكاب رذائله منخدعين ببريق الآمال

---

(١) التفسير الكبير (٤١١/١٠)، ويُنظر: تفسير الجمل (٣٩٦/٧)، وتفسير المراغي (١٤٢/٢٧)

(٢) سورة محمد الآية ١٢

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٣٠٦/٢٧)

منصرفين عن العلي القدير الذي أعطاهم النعم ويسر لهم الانتفاع بها فلم ينظروا إلى شيء من ذلك.

*** ومن جزاء المسرفين عرضهم على النار صبحاً ومساءً:**

لما وصف الله ﷻ فرعون بأنه (عالياً من المسرفين) حين قال: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

أخبر ﷻ أن جزاءه من جنس عمله فقد داوم على الاستكبار والاستعلاء فأدام الله عرضه على النار منذ كان في قبره وحتى دخوله فيها يوم القيامة وهذا من أشد الهوان فقال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[3]

في هذه الآية دلالة على إثبات عذاب القبر لأن عرضهم على النار ليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[4] وليس المراد منه عرض النار في الدنيا لأن العرض إنما حصل بعد الموت وقبل القيامة وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء وحق غيرهم لعدم الفرق بينهم.[5]

---

(١) سورة يونس الآية ٨٣

(٢) سورة الدخان الآية ٣٠، ٣١

(٣) سورة غافر الآية ٤٥، ٤٦

(٤) سورة غافر الآية ٤٦

(٥) يُنظر: التفسير الكبير (٥٢١/٩)، وغرائب القرآن (٣٦/٦)، وزبدة التفسير، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر (٤٧٢) ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن.

وأكد ذلك قوله ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إذا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إن كان من أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كان من أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هذا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ الله يوم الْقِيَامَةِ))[1]

وفي عرض هؤلاء على النار تحذير لغيرهم قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]

"هذا الوعيد من الله تعالى وإن كان للكفار الذين يقدمون على الطيبات المحظورة ولذلك قال:﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ فقد يحسن مثله على المنهمكين في الطيبات المباحة؛ لأن من تعودها مالت نفسه إلى الدنيا فلم يؤمن أن يرتكب في الشهوات والملاذ وكلما أجاب نفسه إلى واحدة منها دعته إلى غيرها فيصير إلى أن لا يمكنه عصيان نفسه في هوى قط وينسد باب العبادة دونه فإذا آل الأمر به إلى هذا لم يبعد أن يقال:﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ فلا ينبغي أن تعود النفس ما يميل بها إلى الشره ثم يصعب تداركها ولترض من أول الأمر على السداد فإن ذلك أهون من أن يضرب على الفساد ثم يجتهد في إعادتها إلى الصلاح."[3]

وقد "علق هذا العذاب بأمرين، أحدهما: الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الإيمان، والثاني: الفسق وهو المعاصي، والأول من عمل القلوب، والثاني من عمل الجوارح."[4]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز – باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (ح/١٣٧٩)(٢٣٩)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها – باب عرض مقعد الميت (ح/٢٨٦٦)(١٢٤٢)

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٠

(٣) الجامع لشعب الإيمان، تاليف: الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي (٣٥/٥) ط/٢. ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربية السعودية – الرياض، والترغيب والترهيب (١٠٢/٣)، والزواجر للهيثمي (٥٩٣/٣)

(٤) تفسير الخازن (١٣١/٤)

وعرض هؤلاء على النار فيه مزيد لهم من الإهانة لأن "عرض الشخص على النار أشد في إهانته من عرض النار عليه إذ عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المخلوق للاحتراق، وقيل: في الكلام قلب أن تعرض النار عليهم، ومعنى يعرض يعذب، والهون ما فيه ذل وخزي، وما أخوف هذه الآية فى شأن المترفين المتكبرين عن عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصي والمستمتعين باللذات الفانية من المناكح والملابس والمراكب والمساكن النفيسة.

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار، وفى الاكتفاء بمجرد الإشارة من التهويل من المشار إليه والتفخيم لشأنه مالا يخفى، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه."[2]

*** ومن جزاء المسرفين الأخروي المعيشة الضنك وحشر المسرف أعمى:**

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3]

إن الإعراض عن ذكر الله يعد إسرافاً في حد ذاته ولذلك جعل الله المجازاة عليه بالغة الأثر فقد أخذوا في إتباع أهوائهم في الدنيا وأعرضوا عن الذكر فجعل الله ﷻ لهم في الآخرة "معيشة ضيقة مشقة ولا يكون ذلك إلا عذاباً. وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر وأنه يضيق عليه قبره ويحصر فيه ويعذب جزاء لإعراضه عن ذكر ربه."[4]

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٤

(٢) يقظة أولي الاعتبار لصديق بن حسن علي القنوجي. تحقيق د/أحمد حجازي السقا.(٩٢، ٩٣) ط/١. ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م. القاهرة مكتبة عاطف-دار الأنصار.

(٣) سورة طه الآية ١٢٤-١٢٧

(٤) تفسير السعدي (٥١٥)

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–: " وقوله تعالى:﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1] فسرها غير واحد من السلف بعذاب القبر وجعلوا هذه الآية أحد الأدلة الدالة على عذاب القبر ولهذا قال:﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[2] أي: تتـــرك فـــي العذاب كما تركت العمل بآياتنا فذكر عذاب البرزخ وعذاب دار البـــوار، ونظيـــره قوله تعالى في حق آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[3] فهـــذا فـــي البرزخ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[4] فهذا في القيامة الكبرى ونظيره قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[5] فقـــول الملائكـــة:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ المراد به عذاب البرزخ الذي أوله يوم القبض والموت ونظيره قوله تعـــالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ فهذه الإذاقة هي في البرزخ وأولها حين الوفاة."[6]

وإلى هذا الضيق فإن الله يحشر هذا المسرف "المعرض عن ذكر ربـــه ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ البصر على الصحيح كما قـــال تعـــالى:﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾[7].

---

(١) سورة طه الآية ١٢٤

(٢) سورة طه الآية ١٢٤-١٢٦

(٣) سورة غافر الآية ٤٦

(٤) سورة غافر الآية ٤٦

(٥) سورة الأنعام الآية ٩٣

(٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للعلامة الإمام إبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية (٤٣/١) دار الفكر.

(٧) سورة الإسراء الآية ٩٧

قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ ﴾ في دار الدنيا ﴿ بَصِيرًا ﴾ فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ﴾ بإعراضك عنها ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ أي: تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر ربك، وغشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب."[1]

وهذا الجزاء الموازي لذلك العمل يلاقيه المسرف كما يلاقيه غيره ممن " تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.

[فعذاب الآخرة وضيقها أدوم وأشد مما في الدنيا] ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ من عذاب الدنيا أضعافا مضاعفة ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة."[2]

*** ومن جزاء المسرفين المتساهلين بنعم الله في الدنيا سؤالهم يوم القيامة أمام الله عن هذه النعم:**

إن تجاوز المسرفين في الدنيا وفعلهم كل ما نهى الله عنه حتى وإن كان التجاوز في المباحات لأن الإسراف فيها منهي عنه لعموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[4].

---

(١) تفسير السعدي (٥١٦)

(٢) تفسير السعدي (٥١٦)

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١

(٤) سورة التكاثر الآية ٨

وقد اختلف في معنى النعيم المسئول عنه فقيل: العافية، وقيل ما يطعمه النـــاس وغير ذلك. والصواب من القول ما قاله ابن جرير – رحمه الله: "إن الله أخبر أنـــه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض"[١]

كما اختلفوا عن المسئول هل هو الكافر أم المؤمن؟

قيل أن السؤال للكفار "وذلك لأن الكفار لما ألهاهم التكاثر بالـــدنيا، والتفـــاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك، وقيل: إن هذا السؤال يعـــم لكافر والمؤمن، وهو الأولى لكن سؤال الكافر توبيخ، وتقريع لأنه ترك شكر ما أنعم الله به عليه، والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لأنه شكر ما أنعم الله بـــه عليـــه، وأطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه."[٢]

ومما يدل على أن السؤال عام قوله ﷺ : ((هذا وَالَّذِي نَفْسِي بيده مـــن النَّعِـــيمِ الذي تُسْأَلُونَ عنه يوم الْقِيَامَةِ، ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ))[٣].

وقال ﷺ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ))[٤].

---

(١) جامع البيان (٨٧٥٩/١٠)

(٢) تفسير الخازن (٤٦٥/٤)، ويُنظر: تفسير القرطبي (١٦٤/٢٠)، وتفسير البحر المحيط (٧٢٣/٨)، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين (٣٠٩) ط/٣. ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٣م.دار الثريا للنشر والتوزيع.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ–باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (ح/٢٣٦٩) (٥٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (ح/٥٣٧)(١٤٤/١)، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ – باب في القيامة (ح/٢٤١٧) (٥٤٥) قال: هذا حديث حسن صحيح، وسعيد بن عبد الله بن جريج هو بصرى وهو مولى أبي برزة وأبو برزة اسمه نضلة بن عبيد، والبزار في مسنده (ح/١٤٣٥)(٢٦٦/٤)

الفصل الثاني

علاج الإسراف

ويتضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول

التوبة من الإسراف

المبحث الثاني

الاعتدال و التوسط في المباحات

والعبادات

المبحث الثالث

الامتثال بتدابير الإسلام في حفظ

الأموال من الإسراف

المبحث الأول
التـوبة من الإســراف

التوبة أول علاج يستطيع الإنسان أن يقدمه لنفسه بعد إقدامـــه علـــى الـــذنب، فالتوبة لها شأن عظيم عند الله ﷻ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " وينبغي أن يعرف أن التوبـــة لا بد منها لكل مؤمن، ولا يكمل أحد ويحصل له كمال القرب من الله ويزول عنه كـــل ما يكره إلا بها."[١]

ويقول الشيخ الراغب الأصفهاني–رحمه الله–: " التوب ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار فإن الاعتذار، على ثلاثة أوجـــه: إمـــا أن يقـــول المعتذر: لم أفعل. أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت ولا رابـــع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة."[٢]

والتوبة: "ترك الذنب لقبحه والندم على ما فَرَطَ منه والعزيمـــة علـــى تـــرك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة."[٣]

وقال سهل بن عبد الله التستري – رحمه الله–: التوبة الانتقال مـــن الأحـــوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة.[٤]

وذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– حقيقة التوبة فقال: "هي الندم على ما سلف منه في الماضي. والإقلاع عنه فـــي الحـــال. والعـــزم علـــى أن لا يعـــاوده فـــي المستقبل."[٥]

وتدارك التقصير في امتثال الأوامر واجتناب النـــواهي لا يكـــون إلا بالتوبـــة "وهي الرجوع عن الذنب والإنابة إلى اللَّه بالاستغفار منه وهي ثلاثة أركان:

---

(١) مجموعة الفتاوى (٥٥/١٥)
(٢) المفردات (٨٦)
(٣) المرجع السابق (٨٦)
(٤) تفسير الخازن (٩٩/٤)
(٥) مدارج السالكين (١٤٤)

الأول: الإقلاع عن الذنب إن كان متلبسًا به.

والثاني: الندم على ما وقع منه من المعصية.

والثالث: النيّة ألاّ يعود إلى الذنب أبدًا.[1]

هذا إذا كانت المعصية بين العبد وربه " فإذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق أدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة."[2]

وللتوبة مكانة عظيمة وشرف كبير عند الله ولذلك يخبر ﷻ عنها بقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[3]

ولشرف التوبة ومكانتها عند الله فقد طلبها الأنبياء –عليهم السلام– لقوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل وإسماعبل –عليهما السلام– : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[4].

وقد كان النبي ﷺ يقول: ((اللهم اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي في أَمْرِي وما أنت أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللهم اغْفِرْ لي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَايَايَ وَعَمْدِي وَكُلُّ ذلك عِنْدِي))[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "وإذا قال القائل فالتوبة لا تكون إلا عن ذنب والاستغفار كذلك قيل له الذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة كما قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة أحسن منه حالا قبل الخطيئة ولو كانت

---

(١) أضواء البيان (٦/٢٢٦، ٢٢٧)

(٢) تفسير الخازن (٤/٩٩)

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٨

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات – باب قول النبي ﷺ ((اللهم اغفر لي)) (ح/٦٣٩٩)(١١٤٤)، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء – باب في الأدعية (ح/٢٧١٩)(١١٨٠)

التوبة من الكفر والكبائر فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم خيار الخليقة بعد الأنبياء وإنما صاروا كذلك بتوبتهم مما كانوا عليه من الكفر والذنوب ولم يكن ما تقدم قبل التوبة نقصا ولا عيبا بل لما تابوا من ذلك وعملوا الصالحات كانوا أعظم إيمانا وأقوى عبادة وطاعة ممن جاء بعدهم فلم يعرف الجاهلية كما عرفوها.

ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1]

فالعبد المؤمن إذا تاب وبدل الله سيئاته حسنات انقلب ما كان يضره من السيئات بسبب توبته حسنات ينفعه الله بها فلم تبق الذنوب بعد التوبة مضرة له بل كانت توبته منها من أنفع الأمور له والاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية."[2]

وتبديل حسناتهم مكان سيئاتهم "بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية.

وقيل: بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه، أو أن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا.

وقيل: يبدلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المسلمين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً."[3]

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٨-٧٠

(٢) مجموعة الفتاوى (١٥/٥٣-٥٥)

(٣) تفسير أبي السعود (٥/٢٦)، ويُنظر: البغوي (٩٣٣)، والتفسير الكبير (٨/٤٨٥)، والدر المنثور (٦/٢٧٨-٢٨١)، وفتح القدير (٤/١١٨)

ومما يدل على تبديل السيئات حسنات ما ذكره أبو ذَرٍّ ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ((إني لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا منها رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يوم الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ اعْرِضُوا عليه صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عنه كِبَارَهَا فَتُعْرَضُ عليه صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ عَمِلْتَ يوم كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا وَعَمِلْتَ يوم كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فيقول نعم لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وهو مُشْفِقٌ من كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عليه فَيُقَالُ له فإن لك مَكَانَ كل سَيِّئَةٍ حَسَنَةً فيقول رَبِّ قد عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا فَلَقَدْ رأيت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ))[1].

ولذلك لا يصح أن يعد دين الآباء السابق عيباً يذم به الأبناء أو ما كان الشخص فيه من مخالفات دينية بالأمس؛ لأن ذلك من الجاهلية فكرامة المرء عند الله تقواه قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

مكانة التوبة عند المسلم:

" وللتوبة مكانة عظيمة في نفس المسلم؛ لأنه يعلم أنها بداية الطريق ونهايته، وأنه لا سبيل إلى رحمة الله تعالى ومغفرته إلا بالتوبة، ولذلك فإن التوبة تأخذ من اهتمام المسلم وشعوره مساحة واسعة، تفكيراً فيها وعملاً بها، ومصابرة عليها، وسيراً على طريقها، ودعوة إليها، وخوفاً عليها، ووفاء بحقها وشروطها، وفراراً إلى الله تعالى بواسطتها.

فالتوبة في النهاية هي: فرار إليه سبحانه مما سواه.

والتوبة بهذه المعاني هي طريق لتربية النفس ومجاهدتها، وأطرها على الإنابة لخالقها سبحانه، وهذه المجاهدة لا تتم في يوم وليلة، ولكنها تنمو في كيان المسلم مع تجدد الليل والنهار نمواً يستفيء من خلاله المسلم من أحداث الزمان وأحوال بني الإنسان، وآثار الطاعات والمعاصي فيهم."[3]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح/١٩٠)(٩٩)

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣

(٣) من معالم الهدي القرآني في التوبة، تأليف: الدكتور/سليمان الصادق البيرة (٣٠) ط/١. ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. دار طيبة الخضراء– مكة المكرمة.

وأمر الله ﷻ بالتوبة لقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله- في هذه الآية: " أمرٌ. ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة وأنها فرض متعين."[2]

"وقد دعا الله تبارك وتعالى إليها جميع عباده؛ فدعا إليها من قال: المسيح هو الله، ومن قال: هو ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة، ومن قال: إن الله فقير ونحن أغنياء، ومن دعا لله الصاحبة والولد. فقال لهم جميعا: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[3].

ودعا إليها من هو أعظم محادة لله من هؤلاء وهو من قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[4] ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[5] فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[6] وقال له في الآية الأخرى: ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾[7] وفي الآية الأخرى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[8].

ودعا إلى التوبة من عمل أكبر الكبائر وهي الشرك، وقتل النفس بدون حق، والزنا فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ

---

(١) سورة النور الآية ٣١

(٢) تفسير القرطبي (٢١٧/١٢)

(٣) سورة المائدة الآية ٧٤ .

(٤) سورة النازعات الآية ٢٤ .

(٥) سورة القصص الآية ٣٨ .

(٦) سورة النازعات الآية ١٧- ١٩ .

(٧) سورة الشعراء الآية ١٠- ١١ .

(٨) سورة طه الآية ٤٣- ٤٤ .

مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾[1].

ودعا إليها من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

ودعا إليها المشركين قاطبة فقال بعد الأمر بقتلهم حيث وجدوا: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[3].

ودعا إليها المنافقين قاطبة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

ودعا إليها جميع المسرفين بأي ذنب كان فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾[5] وغيرها ما لا يحصى بل لم يرسل الله تعالى الرسل وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده إلى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم."[6]

ولابد أن تكون هذه التوبة توبة نصوحاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[7].

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٨- ٧١

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٩- ١٦٠

(٣) سورة التوبة الآية ٥

(٤) سورة النساء الآية ١٤٥، ١٤٦

(٥) سورة الزمر الآية ٥٣-٥٤

(٦) معارج القبول (٧٥٧، ٧٥٨)

(٧) سورة التحريم الآية ٨

وهذه التوبة " بالغة في النصح. ووصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازى؛ وهو وصف التائبين بأن ينصحوا أنفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقتها، وذلك؛ أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا.

عن الإمام علي ﷺ: (أن التوبة يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية).

وعن شهر بن حوشب[1]: أن لا يعود ولو حز بالسيف، وأحرق بالنار.

وقيل نصوحا: من نصاحة الثوب أى: توبة توفي خروقك في دينك، وترم خللك.

وقيل خالصة: من قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع. ويجوز أن يراد توبة: تنصح الناس أى: تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها."[2]

إن فضل الله كبير ورحمته واسعة فما "أجمل عفو الله وفضله، ورحمته على الرغم من تكرار الإنسان التورط في الذنب.

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قال أَذْنَبَ ذَنْبًا فقال: رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قال: أَصَبْتُ فَاغْفِرْ لي فقال: رَبُّهُ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ ما شَاءَ الله ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أو أَذْنَبَ ذَنْبًا فقال: رَبِّ أَذْنَبْتُ أو أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ فقال أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ

---

(١) هو: شهر بن حوشب الأشعري الشامي يكنى أبو عبد الرحمن، من علماء التابعين. مولي أسماء بنت يزيد السكن. توفي سنة (مائة). يُنظر: التاريخ الكبير (٢٥٨/٤)، والجرح والتعديل (٣٨٢/٤)، والكاشف (٤٩٠/١)

(٢) تفسير أبو السعود (٢٦٩/٦)

غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ ما شَاءَ الله ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قال أَصَابَ ذَنْبًا قال قال رَبِّ أَصَبْتُ أو قال أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لي فقال أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ ما شَاءَ))[1].

معناه: أن الله تعالى يغفر كل ذنب يفعله الإنسان إذا تاب منه واستغفر ربه. وليس المراد: التجرؤ على الذنوب بأن يذنب ذنباً، فيستغفر منه بلسانه من غير الإقلاع، ثم يعاوده، فهذه توبة الكذابين."[2]

وباب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه وتجاوز حده في الذنوب والمعاصي لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[3].

جاء في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس ﷺ (أَنَّ نَاسًا من أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قد قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا إِنَّ الذي تَقُولُ وتدعو إليه لَحَسَنٌ لو تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[4] ونزل ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾)[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (ح/٧٥٠٧)(١٣٣٢)

(٢) أخلاق المسلم علاقته بالنفس والكون، أ. د. وهبة الزحيلي (٤١٧) ط/١. رجب ١٤٢٦هـ/آب (أغسطس) ٢٠٠٥م. دار الفكر دمشق–سورية، دار الفكر المعاصر بيروت –لبنان.

(٣) سورة الزمر الآية ٥٣

(٤) سورة الفرقان الآية ٦٨

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير– باب ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (ح/٤٨١٠) (٨٧٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (ح/١٢٢) (٦٥)

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله–: "هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه."[1]

ويقول الإمام الشوكاني –رحمه الله–: " أن هذه الآية أرجا آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهى عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى وبفحوى الخطاب ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يخالج القلب عند سماعه ظن فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ ﴾ فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ فيالها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به فى مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي: كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فمن أبى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٤/٤)

(٢) سورة النساء الآية ٤٨

كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ كما صح عنه في قوله: ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))[1]".[2]

ويراد من هذه الآية: " التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب، فإن اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة."[3]

وفي ذلك ما يدل على قبول التوبة مهما تعددت الذنوب والأخطاء وهنا يقول ﷺ: ((لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم لتاب الله عليكم))[4].

ولذلك لا بد من تعجيل التوبة قبل إدراك المنية "ووقت التوبة ممتد في مراحل العمر إلى ما قبل الموت فضلاً من الله ورحمة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((إن اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ ما لم يُغَرْغِرْ))[5] أي: مدة احتضاره وقرب خروج روحه، وفيه إرشاد إلى التوبة، وحث على سرعة اللجوء إلى التوبة والندم والعمل بكتاب الله وسنة نبيه. فقوله: ((ما لم يُغَرْغِرْ)) معناه: ما لم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به."[6]

" وهذا توقيت زمان التوبة في حق كل فرد من العباد، وأما في حق عمر الدنيا، فقد تقدم في الآيات والأحاديث أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها؛ لأنها أول آيات القيامة العظام وحين الإياس من الدنيا، كما أن رؤية ملك الموت آية

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم – باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (ح/٦٩)(٣٢)

(٢) فتح القدير (٦١٦/٤)

(٣) تفسير الخازن (٦١/٤)

(٤) أخرجه ابن ماجة كتاب الزهد –باب ذكر التوبة (ح/٤٢٤٨) (٧٠٤)

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (ح/٦١٦٠)(١٣٢/٢)، وابن ماجة كتاب الزهد– باب ذكر التوبة (ح/٤٢٥٣) (٧٠٤)، وابن حبان في سننه (ح/٦٢٨)(٣٩٥/٢)، والحاكم في المستدرك (ح/٧٧٣٣)(٣٦٥/٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) أخلاق المسلم للزحيلي (٤١٩)

الانتقال من الدنيا وحين الإياس من الحياة، **وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب.**

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]".[2]

التوبة من بعض الذنوب دون بعض:

" إن من له ذنوب فتاب من بعضها دون بعض، فإن التوبة إنما تقضي مغفرة ما تاب منه، أما ما لم يتب منه فهو باقٍ فيه على حكم من لم يتب، لا على حكم من تاب.

قال ﷺ: ((من أَحْسَنَ في الْإِسْلَامِ لم يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ في الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ في الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ))[3].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[4]".[5]

---

(١) سورة غافر الآية ٨٢-٨٥

(٢) معارج القبول (٧٦٢)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم – باب إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة (ح/٦٩٢١)(١٢٣٠)، ومسلم كتاب الإيمان – باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية؟ (ح/١٢٠)(٦٤)

(٤) سورة الأنفال الآية ٣٨

(٥) ينظر: مكارم الأخلاق، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الله بدران، محمد عمر الحاج (١١٤، ١١٥) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. المكتبة العصرية صيدا – بيروت.

المبحث الثاني
الاعتـدال والتوسـط في المباحات والعبادات

*** فضيلة الاعتدال:**

إنه لما كان الاعتدال أمراً لا تختلف عليه العقول بل هو دعوة أولـي الحكمـة والبصيرة وهو مصدر كل قوة يتوخاها الحكماء في عموم تصرفاتهم لذلك ولغيـره كان الدين الإسلامي – وهو خاتم رسالات الله إلى البشر– ديـن اعتـدال وتوسـط " قصد تنظيم شؤون حياة الإنسان البدنية والنفسية، ووضعها على أساس كريم، هي آداب تتعلق بمطعم الإنسان وملبسه ومسكنه، وسائر آماله التي يسعى إليها في هـذه الحياة، لا يجنح بها إلى الرهبانية المغرقة، ولا إلى المادية الجشعة، فهي تقوم علـى التوسط والاعتدال، ومن ثم فتنفيذها سهل قريب."[1]

وفيما يلي أبين أصول هاتين الكلمتين المتقاربتين في المعنى والغاية فأقول:

العدل في اللغة: العين والدال واللام أصـلان صـحيحان، لكنهمـا متقـابلان كالمتضادين: أحدهما: يدل على استواء، والآخر: يدل على اعوجاج.

فالأول العَدْل من الناس: المرضيّ المستوي الطريقة، يقال: هذا عَـدْلٌ وهمـا عَدْلٌ، قال زهير[2]:

متى يَشْتجرْ قومٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ هُم بيننا فهمْ رضاً وهُمُ عدلُ

وأما الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عَدَلَ، وانعدَلَ، أي انعَرَجَ، وقال ذو الرُّمّة:[3]

---

(١) خلق المسلم لمحمد الغزالي (١٤١) ط/٢٠. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار القلم–دمشق، دار الشامية–بيروت.

(٢) هو: زهير بن ربيعة بن رباح المزني، كان شاعراً ذا حكمة ورزانة، عرف شعره بالحوليات. أغلب الديوان في المدح وقليله في الهجاء والفخر. يُنظر: الشعر والشعراء (٧٦–٨٨)، ومعجم الشعراء في تاريخ الطبري للدكتور/عزمي سكر (٢٠٧) ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

(٣) هو: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود الشاعر المعروف بذي الرمة، تابعي روى عن ابن عباس، روى عنه أبو محارب. يُنظر: اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (٥٣٣/١) ١٤٠٠هـ دار صادر–بيروت، ومعجم الشعراء (١٩٦، ١٩٧)

وأني لأُنْحِي الطَّرفَ من نحوِ غيرها حياءً ولو طاوعتُه لم يُعادِلِ.[1]

والعدل: خلاف الجور ونقيضه، يقال: عَدَل في رعيته، وعدل عليه في القضية فهو عادل وهو في الأصل مصدر. يقال عدلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى.[2]

" **والعدل ضربان:** مطلق يقتضي العقل حسنه ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً ولا يوصف بالاعتداء بوجه نحو الإحسان إلى من أحسن إليك.

وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع: ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة كالقصاص وأُرُوش الجنايات، وأصل المرتد. ولذلك قال تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾ [3] وقال: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[4] فسمى اعتداء وسيئة، وهذا النحو هو المعني بقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[5]".[6]

وفي الاصطلاح: الاعتدال هو توسط حال بين حالتين في كم وكيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل.[7]

والوسط هو: "العدل والنّصف. وأعدل الشيء أوسطه ووسطه، قال الله ﷻ: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[8]".[9]

والوسط: تارة يقال: فيما له طرفان مذمومان يقال: هذا أَوْسَطُهُمْ حسباً إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلاً، وكالجود الذي هو بين البخل والسرف فيستعمل

---

(١) يُنظر: مقاييس اللغة (٧١٨)

(٢) يُنظر: الصحاح (٦٨٠)، ومقاييس اللغة (٧١٨)، والقاموس المحيط (٢٠/٤)

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٤

(٤) سورة الشورى الآية ٤٠

(٥) سورة النحل الآية ٩٠

(٦) يُنظر: المفردات (٣٦٣، ٣٦٤)

(٧) الكليات (١٥٠)

(٨) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٩) مقاييس اللغة (١٠٥٢)

استعمال القصد المصون على الإفراط والتفريط؛ فيمدح به نحو السواء والعدل والنَّصَفَة، كقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1].

وتارة يقال: فيما له طرفٌ محمود وطرفٌ مذموم كالخير والشر.[2]

والأمة الإسلامية بمنهجها وأخذها بدين الله في كل تصرفاتها هي أمة الاعتدال والوسطية فقد وصفها الله بذلك في كتابه العزيز حين قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ منهجاً وتشريعاً، وليس زماناً ولا مكاناً إلا إذا روعي الملحظ المكاني الذي احتضن فجر البعثة في بلد الله الحرام مكة المكرمة بجوار الكعبة المباركة فعندئذٍ تكون وسطية المكان مقصودة.

وأمة العرب الذين جاءت فيهم هذه الرسالة كان التقاؤهم العلمي والاقتصادي حول ذلك البيت العتيق فجعله الله الملتلقى الشرعي الديني لعموم البشرية بما أوجب فيه من شعائر وخصه من خصائص وكمالات.

يقول القاضي أبو السعود–رحمه الله– : "والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز، والأوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي:[3]

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا"[4]

ويقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–: " فدين الله بين الغالي والجافي عنه. وخير الناس النمط الأول، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٢) يُنظر: المفردات للراغب (٥٩٥)

(٣) هو: حبيب بن أوس بن الحارث أبو تمام الطائي الشاعر، شامي الأصل، جالس الأدباء فأخذ عنهم، وكان يحب الشعر. توفي سنة (إحدى وثلاثين ومائتين) وقيل (اثنتين وثلاثين ومائتين) ودفن بالموصل. يُنظر: تاريخ بغداد (٣٤٨/٨-٣٥٢)، واللباب في تهذيب الأنساب (٢٧١/٢)

(٤) إرشاد العقل السليم (٢١٢/١)

وقد جعل الله ﷻ هذه الأمة وسطاً وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط والآفات إنما تتطرف إلى الأطراف والأوساط محمية بأطرافها فخيار الأمور أوسطها."[1]

ويقول صاحب التفسير الوسيط: "الإسلام دين الوسطية والاعتدال، فلا تهاون فيه في الأعمال الخيرية أو النافعة للإنسان والجماعة، ولا تشدد ولا إرهاق في جميع الأعمال التكليفية التي أمر الله تعالى بها، وإنما الإسلام دين سمح سهل، قليل التكاليف والمطالب، يبيح الحلال الطيب، ويمنع الحرام الخبيث، ولا إفراط فيه ولا تفريط، ولا تجاوز للحدود المعقولة والضوابط والقيود الشرعية المشروعة لمراعاة مصالح الناس وتحقيق منافعهم، ودفع المفاسد والمضار والمؤذيات عنهم."[2]

فمن صور الاعتدال والوسطية للأمة الخاتمة:

الأمة الإسلامية "﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[3].. في:-

* **التصور والاعتقاد**.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها... بلا إفراط ولا تفريط، في قصد وتناسق واعتدال.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ .. في **التفكير والشعور**.. لا تجمد على كل ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول؛ ثم تنظر لكل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، تثبتٌ ويقين.

---

(١) إغاثة اللهفان (١٨٢/١)، والضوء المنير على التفسير (٤١٢/٤)

(٢) أ.د. وهبة الزحيلي (٤٩٠/١)

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾.. **في التنظيم والتنسيق**.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب؛ وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان.. ولكن مزاج من هذا وذاك.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾.. **في الارتباطات والعلاقات**.. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أَشِراً جشعاً لا هم له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء؛ وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه. ثم تضم من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن النشاطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق."[1]

ولأنها أمة وسط فقد أمر الله ﷻ بالقصد والاعتدال بين أفرادها فقال – تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[2].

وبجانب الاعتدال والوسطية أمر ﷻ عباده أن يكونوا من المقسطين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[3].

وهذه الآية عامة تشمل جميع أنواع الاعتدال ومجالاته.

يقول الإمام ابن كثير–رحمه الله–: "يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه."[4]

---

(١) في ظلال القرآن (١٣١/١)
(٢) سورة النحل الآية ٩٠
(٣) سورة النساء الآية ١٣٥
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٣٩/١)

وفي ذلك ما يدل على أن صفة العدل تحتاج إلى المداومة وقد " نبه –سبحانه– بلفظ القوامين على أن مراعاة العدالة مرة أو مرتين لا تكفى بل يجب أن تكون على الدوام فالأمور الدينية لا اعتبار بها ما لم تكن مستمرة دائمة."[1]

ووصف ﷻ عباده بأنهم وسطٌ بين الإسراف والتقتير فهم ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ فالقوام بمعنى الاعتدال.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2]، أي: إنفاقهم كان قواماً معتدلاً.

ومعنى الآية: "قصدا وسطا بين الإسراف والإقتار حسنة بين السيئتين. وقال يزيد بن أبي حبيب[3] في هذه الآية: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر. قال عمر بن الخطاب ﷺ: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئا إلا اشتراه فأكله."[4]

من خلال ذلك يظهر أن العدل والوسطية والقسط صفات بمعنى واحد، على العبد أن يؤديها بأمانة فيما بينه وبين ربه أو بينه وبين الناس، أو فيما بينه وبين نفسه في جميع مجالات حياته سواء كانت في المباحات أو في العبادات.

وتحذير الإسلام من الإسراف ليس دليلاً على الإعراض عن زينة الحياة الدنيا، وإنما لأخذ النفوس بالاقتصاد والحماية من المظاهر الكاذبة والمباهاة الآثمة.

وفيما يلي سوف أذكر بعض الأمثلة الدالة على كيفية اعتدال الإنسان في أمور حياته.

---

(١) تفسير روح المعاني (٢١٨/٥)

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٣) هو: يزيد بن أبي حبيب المصري كنيته أبو رجاء واسم أبيه قيس وقيل: سويد، سمع عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، يروي عنه أهل مصر مات سنة ثمان وعشرين ومائة. يُنظر: الثقات (٥٤٦/٥)، والكشاف (٣٨١/٢)

(٤) تفسير البغوي (٩٣٢)، وتفسير القرطبي (٧٢/١٣)، وتفسير الخازن (٣١٨/٣)

المطلب الأول: الاعتدال والقصد في المباحات

أباح الإسلام للناس جميعاً الاستمتاع بمباهج الحياة المعقولة. فالإسلام يدعو إلى جعل الحياة بهيجة مقبولة لا قاتمة ولا منبوذة..

فجاء بالقصد والاعتدال وجعله حسنة بين سيئتين وهو لا يدعو إلى الشظف حين لا تدعو إليه ظروف البيئة وأحوال الجماعة.

فليس معنى دعوة الرسول ﷺ إلى القصد والاعتدال ونهيه عن الترف والإسراف دليل على الشظف فهو ﷺ لم يطق أن يصل الشظف إلى حد المنظر المزري والإهمال للزى.

فالبساطة في الحياة هي طابع الإسلام الذي يحرص عليه، وإن استعلاء النفس على المتاع هو السمة التي يريدها الإسلام لأهله، فلا يصبحون عبيدا لهذا المتاع.(١)

وجاء الأمر بالعدل والاعتدال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(٢).

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله: " العدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفورة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده ويعامل الخلق بالعدل التام فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى وولاية القضاء ونواب الخليفة ونواب القاضي والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله وأمرهم بسلوكه ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم فالعدل واجب والإحسان فضيلة مستحبة وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم وغير ذلك من أنواع النفع حتى يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره.

---

(١) يُنظر: العدالة الاجتماعية (١٠٨، ١١٣)

(٢) سورة النحل الآية ٩٠

وخص الله إيتاء ذوي القربى وإن كان داخلا في العموم لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم والحرص على ذلك ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبهم وبعيدهم لكن كل من كان أقرب كان أحق بالبر."[1]

وبين ﷻ أن القصد والاعتدال يكون حتى فيما أباحه فمدح أولئك الذين ينفقون أموالهم بتدبر مفرقين بين الجود والتبذير وبين البخل والاقتصاد فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾[2].

وفي ذلك ما يدل على "أن النفقة في معصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات فأدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر أو عيالا ونحو هذا وألا يضيق أيضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح.

والحَسَن في ذلك هو القوام أي العدل.. والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب.

وخير الأمور أوساطها ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أن يتصدق بجميع ماله لأن ذلك وسط بالنسبة لجلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال إبراهيم النخعي[3]: هو الذي لا يجيع ولا يعرى ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف."[4]

والتوازن والوسطية أمر مطلوب في جميع نواحي الحياة "فالقرآن الكريم يدعو إلى العمل للحياة، والضرب في الأرض والمشي في مناكبها والاستمتاع بطيباتها،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧)

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٣) هو: إبراهيم النخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي أبو عمران. فقيه أهل العراق. توفي سنة (ست وتسعين) يُنظر: معرفة الثقات (٢٠٩/١)، ومشاهير علماء الأمصار (١٠١)، وتذكرة الحفاظ (٧٣/١، ٧٤)، وطبقات الحفاظ (٢٩، ٣٠)

(٤) تفسير القرطبي (٧٢/١٣)

بجوار الحث على الاستعداد للآخرة، والتزود ليوم الحساب، وذلك بالإيمان والعبادة وحسن الصلة، ودوام ذكره الذي تطمئن به القلوب."[1] قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١ ﴾[2].

والإسلام يطالب الإنسان بالاعتدال والوسطية في كل أموره؛ فهو- لكي يعيش ويستطيع القيام بعمله- لابد له من الأكل والشرب ولم يحرمه الله ﷻ من ذلك ولكنه أمره فيه بالقصد والاعتدال فقال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[3].

فقد أباح لهم الشارع المآكل والمشارب ولكن بالعدل والتوسط دون إسراف أو تقتير؛ فالإسراف في الأكل والشرب إلى ما فوق الطاقة الجسمية ضرر، وإلى ما فوق الطاقة الاقتصادية خطر، وإلى ما فوق الحدود الشرعية حرام وهلاك..[4]

والإسلام أعظم الديانات وأرحمها بالإنسان فقد أحل الطيبات من الرزق فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[5]

---

(١) الخصائص العامة للإسلام للدكتور/ يوسف القرضاوي (١٤٣) ط/٣. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) سورة الجمعة الآيات من ٩-١١

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١

(٤) يُنظر: التفسير الواضح (٥١/٨)

(٥) سورة البقرة الآية ١٧٢

روى الإمام ابن جرير – رحمه الله – بسنده عن الضحاك[1] قال: " يعني اطْعَمُوا من حلال الرزق الذي أحللناه لكم، فطاب لكم بتحليلي إياه لكم مما كنتم تحرمون أنتم، ولم أكن حرمته عليكم من المطاعم والمشارب."[2]

وقال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: " إن الأكل من الحلال سبب تقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة ."[3]

ويقول صاحب المنار: "والأكل والشرب من الطيبات بدون إسراف هما قوام الحياة والصحة التي يتوقف عليها القيام بجميع الأعمال الدينية والدنيوية من عقلية وبدنية، ولهما التأثير العظيم في جودة النسل الذي تكثر به الأمة."[4]

وحياة النبي ﷺ خير مثال للاعتدال والقصد يقول ابن القيم –رحمه الله: "كان هديه ﷺ وسيرته في الطعام لا يرد موجودا، ولا يتكلف مفقودا فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم وما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ولم يحرمه على الأمة بل أكل على مائدته وهو ينظر."[5]

وبذلك يحذر الإسلام الإنسان من أن يكون عبداً لبطنه ليس له هم في هذه الدنيا سواه، وإنما على الإنسان أن يكون طموحاً في هذه الحياة له غاية عظيمة يسعى لتحقيقها وينشغل بتحصيلها.

وكما جاء الاعتدال في المأكل والمشرب أوصى الإسلام بالاعتدال في ارتداء الملابس والزينة فإنه من الحماقة أن يجعل الشاب من جسمه معرض أزياء يسير بها بين الناس يترقب نظرات الإعجاب تنهال عليه من هنا وهناك.[6]

---

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخرساني، كان من أوعية العلم، صدوق، لقي جماعة من التابعين. توفي سنة (خمس ومائه) يُنظر: التاريخ الكبير (٣٣٢/٤)، والثقات (٤٨٠/٦، ٤٨١)

(٢) جامع البيان (٨٣٤/١)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٨/١).

(٤) محمد رشيد رضا (٣٤٦/٨)

(٥) زاد المعاد (٥٥)

(٦) يُنظر: خلق المسلم (١٤٥).

" والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ التي سنها، وأمر بها، ورغب فيها، وداوم عليها، وهي أن هديه في اللباس: أن يلبس ما تيسر من اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة."[1]

ويقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– في موضع آخر: "وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح إذا كان تجملا [وستراً] وإظهارا لنعمة الله، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال ﷺ: ((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قال:((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ الناس))[2]".[3]

يظهر من ذلك أن نية الإنسان أثناء ارتداء ملابسة والقصد الحسن وراء ذلك يعد من باب اعتداله وعدم تجاوزه فيما أباحه الله له؛ لأن استحضار النية الصالحة وحراستها خوفاً من التبديل إلى نية أخرى وطرداً لما يسوله الشيطان للنفس مجاهدة ومرابطة في إرضاء الله.

ووسطية الإنسان واعتداله تلزم الإنسان حتى في كلامه.

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– وهو يصف أهل الوسط في كلامهم: " وأهل الوسط –وهم أهل الصراط المستقيم– كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا يُرى أحدهم أنه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلا أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله ﷻ وما اتصل به."[4]

---

(١) زاد المعاد (٥٤)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر وبيانه (ح/٩١)(٥٤)

(٣) زاد المعاد (٥٥)

(٤) الجواب الكافي (٢٣٦)

ومن الاعتدال قناعة الإنسان بما في يديه عما في أيدي النـــاس قـــال تعـــالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير–رحمه الله–: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلـــة ونعمـــة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور."[2]

" وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الـــدنيا وإقبالا عليها أن يذكر ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا."[3]

ولم تقتصر دعوة الإسلام للاعتدال والوسطية على حياة الفرد الخاصة فقـــط وإنما دعا للاعتدال في معاملة الآخرين.

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– عن الأدب في حقـــوق الآخـــرين: " أن لا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها، بحيث يشتغل بها عن حقوق الله، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه، وأن لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكليـــة. فـــإن الطرفين من العدوان الضار. وعلى هذا الحد، فحقيقـــة الأدب: هـــي العـــدل– والله أعلم."[4]

وبذلك وجه الإسلام الإنسان للاعتدال في جميع جوانب الحياة سواء كان ذلـــك الجانب خاصاً به أو بالآخرين والمحيطين به.

ولا يعد هذا الذي ذكرناه شاملاً وإنما هو مثال على تعليم وتوضـــيح الإســـلام للإنسان كيفية اهتمامه بالقصد والوسطية.

---

(١) سورة طه الآية ١٣١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧١/٣)، ويُنظر: تفسير السعدي (٥١٦)

(٣) تفسير السعدي (٥١٧)

(٤) مدارج السالكين (٦٤١)

المطلب الثاني: الاعتدال والقصد في العبادات

جاءت الشريعة الإسلامية وسطـــاً في التكاليف والواجبات سواء كان ذلك أمراً أو نهياً ومن ذلك ما جاءت به في العبادات التي فرضها الله ﷻ على عبـــاده تبعـــاً لقـــوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1].

فهي وسطٌ بين الإفراط والتفريط.. بين الغـــالي والمقـــصر ونحـــن نعلـــم أن "الشريعة الإسلامية وسط وعدل في العبادات بين المنهج القائم على التفريط والجفاء، وبين المنهج القائم على الغلو والإفراط والرهبانية."[2]

فهؤلاء صنفان منهم من مال إلى التفريط ومنهم من مال إلى الإفراط فأصبحوا على طرفي نقيض بل على حافة الهاوية ولا يجمع بينهم سوى الإســـراف وتجـــاوز الحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : "ولهذا كان السلف يحذرون مـــن هذين الصنفين قال الحسن: هو المبتدع في دينه، والفاجر في دنياه. و كانوا يقولون: احذروا صاحب الدنيا أغوته دنياه، وصاحب هوى متبع لهواه، و كـــانوا يـــأمرون بمجانبة أهل البدع و الفجور.

فالقســـم الأول: أهل الفجور وهم: المترفون المنعمون أوقعهم في الفجور مـــا هم فيه.

والقسم الثاني: المترهبنون أوقعهم في البدع غلوهم و تشديدهم، هؤلاء استمتعوا بخلاقهم، وهؤلاء خاضوا كما خاض الذين من قبلهم.

وذلك أن الذين يتبعون الشهوات المنهي عنهـــا أو يـــسرفون فـــي المباحـــات و يتركون الصلوات والعبادات المأمور بها يستحوذ عليهم الشيطان و الهوى فينسيهم الله و الدار الآخرة و يفسد حالهم كما هو مشاهد كثيرا منهم."[3]

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٢) (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) تأليف: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل (١٣٥) ط/١. ١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م. دار طيبة للنشر والتوزيع–الرياض.

(٣) مجموعة الفتاوى (٢٥٦/١٤)، التفسير الكامل (١٠٣/٣)

وجاء الأمر بالقصد والاعتدال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[1].

وفي ذلك أمر بالوسطية بين الجهر والمخافته في الصلاة والدعاء.

يقول أبو السعود –رحمه الله– في معنى: ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾: " أمراً وسطا قصدا فإن خير الأمور أوساطها..

والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم إلى المطلوب."[2]

وأُمرنا بالوسطية والقصد في العبادات ونهينا عن التشدد والتنطع فيها لقوله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ))[3]

يقول الإمام ابن حجر–رحمه الله–: "وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة."[4]

وكما أُمر بالاعتدال والوسطية في العبادات البدنية أمرنا بها كذلك في العبادات المالية لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء الآية ١١٠

(٢) تفسير أبي السعود (١٦٣/٤)

(٣) سبق تخريجه (ص/٢٢٨)

(٤) فتح الباري (١١٨/١)

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤١

والنهي هنا " يعم النهي عن الإسراف في الأكل وهو مجاوزة الحد والعادة وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه أو يضر نفسه أو عائلته أو غرماءه فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه."[1]

" فلو أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف؛ لأنه صح في الحديث: ((ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[2]"[3]

وجاء الأمر بالقصد والاعتدال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4].

يقول الإمام الشوكاني–رحمه الله–: "وهذا النهي يتناول كل مكلف سواء كان الخطاب للنبي ﷺ تعريضا لأمته وتعليما لهم أو الخطاب لكل من يصلح له من المكلفين [وهو الأولى بتناول كل عاقل، وهنا تبدو تعاليم الإسلام وحضارته في إصلاح الحياة الدنيا].

والمراد: النهي للإنسان بأن يمسك إمساكا يصير به مضيقا على نفسه وعلى أهله ولا يوسع في الإنفاق توسيعا لا حاجة إليه بحيث يكون به مسرفا فهو نهى عن جانبي الإفراط والتفريط ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط وهو العدل الذي ندب الله إليه.

ولا تك فيها مُفْرِطا أو مُفَرِّطا كلا طرفي قصد الأمور ذميم"[5]

وفي موضع آخر يمدح الله ﷻ عباده الذين تمسكوا بالاعتدال والتوسط في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[6].

---

(١) تفسير السعدي (٢٧٦)، ويُنظر البحر المحيط (٣٠٨/٤)

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة – باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (ح/١٤٢٦)(٢٤٩)

(٣) تفسير الخازن (١٦٥/٢)، تفسير البغوي (٤٤٧)

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٩

(٥) فتح القدير (٣٠٧/٣)

(٦) سورة الفرقان الآية ٦٧

فهؤلاء هم الذين "إذا أنفقوا أموالهم لم يتجاوزا الحد المشروع، ولـم يـضيقوا فيقصروا في الحد المطلوب. وكان إنفاقهم بين التجاوز والتضييق، عدلاً مـستوياً لا إفراط فيه ولا تفريط.

وصفهم بالقصد الذي هو وسط بين الغلو والتقصير، وهو الحالة بين الحالتين، والحسنة بين السيئتين."[1]

فالإسلام يحذر كل الحـذر من الإسراف ويدعو بشتى الطرق إلى الاعتـدال والقصـد حتى لا يصحب هذا الإسراف تقتير بسبب تضييع الأموال.

فلو نظرنا إلى حال العديد من الناس في مجتمعنا كيف كانوا على حاله كبيـرة من اليسر وبسبب إسرافهم الزائد الذي لا حاجة إليه أصبحوا يشتكون من الفقر.

فهاهي "الولائم والمآتم لا تخلو من السرف فيها، الذي يؤدي إلى التقتيـر مـن بعدها فيكون الإثم قد أصاب صاحبها بنوعيه، وأحاط به من ناحيته، والشر يجر إلى الشر، والإثم يهدي إلى مثله."[2]

وبذلك يظهر مدى أهمية الاعتدال والقصد الذي دعت إليه الشريعة الإسـلامية بجميع جوانبه وشتى مجالاته، وما كان المذكور سوى مثال لا أكثر علـى اهتمـام الإسلام بحياة الإنسان في هذه الحياة. فقد جاءت الدعوة إلى ذلك في القرآن والـسنة وأفعال الصحابة ﷺ وكتب السيرة والتاريخ تثبت ذلك.

---

(١) تفسير ابن باديس (٢١٧)

(٢) تفسير ابن باديس (٢١٨)

المبحث الثالث

الامتثال بتدابير الإسلام في حفظ الأموال من الإسراف

دعت الشريعة الإسلامية أتباعها إلى امتثال أوامرها في حفظ الأموال من الإسراف والفساد وعدم العبث بها فجاء القرآن بالأمر بحفظ الأموال والنهي عن إتلافها " وذلك في عشرة مواضع:

في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾[1] الآية، وفيها: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[2] يعني ما فضل عن الحاجة وسهل إعطاؤه، وفي بني إسرائيل: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3]، وفيها: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4]، وفي الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[5]، وفي النساء: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾[6]، وفي البقرة: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ

---

(١) الآية ٢٨٢

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٢

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٦- ٢٧

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٩

(٥) الآية ٦٧

(٦) الآية ٥، ٦

بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[1] الآية، وفي النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[2]، وفي القصص: وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[3]، وفي الكهف :﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾[4]، استصحبوها مع التوكل و اليقين".[5]

فالمال لكونه عصب الحياة، ولما له من أثر على حركتها في كل التوجهات البشرية، ولمنفعته في عموم حياة الإنسان وتصرفاته فقد اعتنى به الإسلام عناية فائقة اكتساباً أو إنفاقاً، وأخذاً وعطاءً بما سن لذلك من المنهج القويم الذي يحفظ الحياة والأحياء فيكون أتباعه في عز وتمكين وسعادة في الدارين طالما انقادوا لذلك المنهج ولزموه وأخذوا أنفسهم به وإلا كان البوار والخسران في الدارين.

وخلاصة ذلك: التأكيد على أن تُكتسب من حلها وأن تنفق في حلها. وجعل الإسلام المسؤولية في ذلك عظيمة حتى أنه قد توعد من لم يوف بهذه المسؤولية الوعيد الشديد، ووعد الموفي بها بالبشرى العظيمة في دنياه وأخراه وما ذلك إلا ليحفظ الحقوق لأصحابها فكما أوجب علينا في الأموال من واجبات أوجب لنا فيها من الحقوق ما يحفظ ما لنا وما علينا.

وها هو القرآن الكريم جاء مخاطباً أولي الأمر وأصحاب المسؤولية كلا على قدر مسؤوليته قال تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا

---

(١) الآية ١٨٨

(٢) الآية ٢٩

(٣) الآية ٧٧

(٤) الآية ١٩

(٥) كتاب حجج القرآن. للإمام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفيي. اعتنى به: أحمد عمر المحمصاني الأزهري (١١١، ١١٢) ط/١. ١٤٠٦هـ/١٠٨٦م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[3]، وما شابه ذلك.

" ولحفظ أموال الأفراد فقد نهى القرآن عن التبذير والإسراف في الأموال وإنفاقها في غير مواضعها لأن الإسراف يؤدي بصاحبه في النهاية إلى الإفلاس، ولهذا نرى القرآن شبه المسرفين بالشياطين الذين يعملون على إضلال الناس ويعيثون في الأرض فساداً: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[4].

فالمبذرون يفسدون نظام المعيشة بإسرافهم، ويكفرون بالنعمة بعدم حفظها ووضعها في موضعها وذلك بالإنفاق بالاعتدال."[5]

ولئن كان النهي عن التبذير أظهر في تحريم الإسراف فإن النهي عن التقتير لن يقل شأناً عن ذلك ويمكن أن يعد من الإسراف السلبي أو الإسراف بشكل عكسي. إذ أن مضرة التقتير لا تقل شراً عن مضرة التبذير ففيه إذلال النفس والظلم لحقوق الآخرين من أهل وولد وفقراء ومساكين وسائر سبل الخير العامة، ولعله هو المعني بالإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ وقد أشير إلى التقتير نصاً

---

(١) سورة النساء الآية ٥، ٦

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٥

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٢

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٦، ٢٧

(٥) روح الدين الإسلامي (٣١٢)

وتساوى خطره مع خطر التبذير بقوله تعالى :﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1] بل ربما كان شره أكثر بحسب أنه مؤدي بصاحبه إلى قتل نفسه وأنه لعظم شره كان بدء النهي عنه في آية الاعتدال حين قال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾[2] وكذلك كثرة التنبيه عليه في غالب المواضع التي نهينا فيها عن الإسراف.

يقول الشيخ المراغي –رحمه الله–: " لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي شيئاً، ولا تسرف فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فإنك إن بخلت كنت ملوماً مذموماً عند الناس كما قال زهير:

ومن يك ذا مال فيبخل بماله على قومه يُسْتَغْنَ عنه ويذمم

ومذموماً عند الله لحرمان الفقير والمسكين من فضل مالك، وقد أوجب الله عليك سد حاجتهما، بإعطاء زكاة أموالك."[3]

والإسلام حفظ أموال المسلمين وحافظ على اقتصادهم وبين أصول ذلك وقواعده.

يقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله–: " لا خلاف بين العقلاء أن جميع مسائل الاقتصاد على كثرتها واختلاف أنواعها راجعة بالتقسيم الأوّل إلى أصلين لا ثالث لهما:

الأوّل منهما: اكتساب المال.

والثاني منهما: صرفه في مصارفه وبه تعلم أن الاقتصاد عمل مزدوج ولا فائدة في واحد من الأصلين المذكورين إلا بوجود الآخر."[4]

وقد جاءت السنة بما يدل على هذين الأصلين وأنهما مما يسأل العبد يوم القيامة عنه فقال النبي ﷺ: ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٩

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٩

(٣) تفسير المراغي (٤٠/١٥)

(٤) أضواء البيان (٣٩٠/٦)

فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فيم فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ))[1].

ومالك هذه الأموال هو الله ﷻ فقد قال في كتابه العزيز: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2]. وجعل الله ﷻ عباده مستخلفين على هذا المال قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[3].

يقول الإمام الرازي–رحمه الله–: "أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها ثم إنه تعالى جعلها تحت يد المكلف وتحت تصرفه لينتفع بها على وفق إذن الشرع فالمكلف في تصرفه في هذه الأموال بمنزلة الوكيل والنائب والخليفة."[4]

فهذه الأموال تعد أمانة في أيدي الناس عليهم أن يحسنوا التصرف فيها، وينفقوها فيما أمر الله به، ويحافظوا عليها من التبذير والإسراف.

وقد حافظت الشريعة الإسلامية على هذه الأموال وأمرت بامتثال تدابير الإسلام في حفظها من الإسراف والتقتير والفساد الذي يقوم به السفهاء وغيرهم من الناس. ومن تلك التدابير:

الحجر على السفهاء.

حفظ أموال اليتامى.

التحذير من المسرفين.

---

(١) سبق تخريجه (ص/٣٧٢)

(٢) سورة النور الآية ٣٣

(٣) سورة الحديد ، الآية ٧

(٤) التفسير الكبير (٤٥٠/١٠)، ويُنظر: الكشاف (٤٦١/٤)، والتسهيل للكلبي (٤١٠/٢)

المطلب الأول: الحجر على السفهاء

الحجر في اللغة: " الحاء والجيم والراء أصل واحد وهو المنع والإحاطة على الشيء: فالحَجْر حَجْر الإنسان، وقد تكسر حاؤه. يقال: حَجر الحاكم على السفيه حَجْراً، وذلك منعه إياه من التصرف في ماله."[١]

وفي الاصطلاح: " منع نفاذ تصرف قولي لا فعلي لصغر ورق وجنون."[٢]

والحجر في الشرع: " المنع من التصرف في المال . فتارة يقع لمصلحة المحجور عليه، وتارة لحق غير المحجور عليه."[٣]

ونهى الله ﷻ عن تمكين السفهاء من الأموال فقال: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾[٤]

يقول الإمام ابن كثير–رحمه الله–: "ينهى الله سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء وهم أقسام فتارة يكون الحجر للصغير، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه، حجر عليه."[٥].

وقد اختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم، فقال بعضهم: هم النساء والصبيان.

عن قتادة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ أمر الله بهذا المال أن يخزن فيحسن خزانته، ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه.

---

(١) مقاييس اللغة (٢٧٨)

(٢) التعريفات للجرجاني (١٤٥)

(٣) فتح الباري (٧٩/٥)

(٤) سورة النساء، الآية ٥

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٩٠/١)

وقال آخرون: بل السفهاء: الصبيان خاصة.

وقال آخرون: بل عني بذلك السفهاء من ولد الرجل.

فقيل: لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذي هو قوامك بعد الله تعالى.

وقال آخرون: بل السفهاء في هذا الموضع النساء خاصة دون غيرهم.

عن مجاهد في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾[1] قال: نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم وهن سفهاء من كن أزواجا أو أمهات أو بنات.[2]

ومن الحق الذي لا يمكن إغفاله أن كثيراً من تصرفات بعض النساء وعلى الأخص اللاتي لا هم لهن إلا إشباع رغباتهن الشخصية في الملبس والزينة والمركب وغيرها، وهذه تكون تصرفات غير سوية، وهؤلاء المترفات ليس للمال عندهن أي قيمة، والأمثلة من الواقع تؤكد ذلك أيما تأكيد وتشهد له.

وفي مقابل ذلك لا يخفى علينا أن هناك عاقلات من النساء حكيمات في تصرفاتهن وإن كن قلة لكنهن يفقن كثيراً من الرجال السفهاء وغير الراشدين الذين يقودهم الجهل ويسوقهم الحمق.

وما ذكرت هنا من تنبيه وتنويه – في حق بعض النساء- فإنما أريد به التحذير من تعميم الحكم بالسفه وإطلاقه في أي من الجنسين.

وإن ما مضى من الأقوال التي قصر فيها السفه على النساء فإنما – والله أعلم- يريد أصحابه من كن سفيهات منهن وإنا نرى أن أصحاب هذه الأقوال ذوو فطنة وحكمة ولا يخفى على أمثالهم خطر الإطلاق والتعميم، إنما كان ذلك التنبيه والتنويه مني بقصد قطع الطريق على من يتلقون المغامر والمعاين للإسلام وأهله بذرئهم الشبهات والافتراءات وتلقفهم لمثل هذه التصريحات يقطعونها عن السياق ويرفعون راية الطعن لتشويه سماحة الإسلام وتجهيل أهله قصداً منهم إلى إبطال

---

(١) سورة النساء، الآية ٥

(٢) يُنظر: تفسير الطبري (٣/٢١٣٧-٢١٤٠)، التفسير الكبير (٣/٤٩٥)، البغوي (٣٩٣)، الخازن (١/٣٤٠، ٣٤١)

الحق وإحقاق الباطل ولكن لا يعلمون، إن يقولون إلا كذبا وما هم إلا كمن قالوا في حق الله وكتابه ونصوصه: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله–: "والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه عم بقوله:﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾[2] فلم يخصص سفيها دون سفيه فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وإفساده وسوء تدبيره.

وبين أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل وأن من عدا ذلك فغير سفيه لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده."[3]

ولذلك على الرجل ألا " يجعل ماله في يدي امرأته وأولاده، ثم يجعل نفسه محتاجاً إليهم فلا يدفع إليه عند حاجته."[4]

وهؤلاء السفهاء سموا بذلك " لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم عن القيام بحفظ الأموال."[5]

وكلا الصنفين خطرٌ ومسيء إلى نفسه وإلى الأمة في المال وسوء الخلق.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ نهى ﷻ المسلمين أن يطلقوا أيدي السفهاء في الأموال يبعثرونها ولا يحسنون التصرف فيها، وفيها إشارتان بليغتان إلى حث المسلمين على المحافظة على أموال السفهاء وصيانتها من إسرافهم وتبذيرهم.

---

(١) سورة النحل، الآية ٢٤

(٢) سورة النساء، الآية ٥

(٣) جامع البيان (٢١٤٠)

(٤) تفسير السمرقندي (٢٨١/١)

(٥) التفسير الكبير (٤٩٦/٣)، ويُنظر: روح الدين الإسلامي (٣٢٥)

إشارة لطيفة في جملة بليغة:

"في قوله تعالى: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ لم يقل: (ولا تؤتوا السفهاء أموالهم) بل قال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[1] [مع أنها في الحقيقة مملوكة للسفهاء] ليلفت أنظار المسلمين إلى أن مال السفيه هو في الوقت نفسه مال الأمة، فيجب المحافظة عليه وعدم إعطائه للسفيه؛ لأنه إن كان غنياً وأصبح فقيراً كان خطراً على المجتمع وعلى أموال أفراده، فالتضامن الاجتماعي [والحق العام] يقضي بأن مال السفيه هو مال المسلمين"[2]. من حيث ثمرته ومنفعته واتقاء مضرته.

وبذلك يظهر أن العلة في جعل أموال السفهاء هي أموال الأمة – مع أن هذه الأموال في الأصل ملك السفهاء وليست ملك المخاطبين– أن السفيه أسقط هذه الملكية بسفهه فهي إذا تركت معه كانت أداة هدم وضر بدلاً من أن تكون أداة بناء وخير عليه وعلى الأمة ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية ٥

(٢) يُنظر: روح الدين الإسلامي (٣٢٥، ٣٢٦)

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٢

المطلب الثاني: حفظ أموال اليتامى:

أمر ﷻ بالمحافظة على أموال اليتامى وجعلها أمانة في أعناق الأولياء والأوصياء ونهاهم عن أكلها وتبذيرها فقال تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ﴾[1].

بل لا يغيب عنا أنه نهى وخوف وحذر من الاقتراب منها إلا بالتي هي أحسن فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

ففي الآية الأولى نهى ﷻ عن أكل أموال اليتامى " في حال صغرهم التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم ولا منعكم من أكلها تبادرون بذلك أن يكبروا فيأخذوها منكم ويمنعوكم منها وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء الذين ليس عندهم خوف من الله ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم يرون هذه الحال حال فرصة فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله عليهم فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها."[3]

وفي الآية الثانية جاء النهي عن " أموال اليتامى بالأخذ أو الإتلاف ونحوهما، إلا بما فيه المصلحة والنفع باستثمار المال وتنميته والإنفاق منه لصالح اليتيم بحسب الحاجة، والنهي عن الاقتراب من الشيء أبلغ من النهي عن الشيء نفسه."[4]

ثم أكد ﷻ على النهي عن أكل أموال اليتامى واستبدالها بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[5]

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٢

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٤

(٣) تفسير السعدي (١٦٥)

(٤) التفسير الوجيز للدكتور/ وهبة الزحيلي (١٥٠) ط/٣. ١٤٢٥هـ دار الفكر دمشق – سورية.

(٥) سورة النساء الآية ٢

أما عن كيفية الاستبدال: فقد كان أولياء اليتامى وأوصياؤهم يأخذون الجيد والرفيع من مال اليتامى ويجعلون مكانه الرديء والخسيس فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم فذلك تبدلهم فنهاهم الله تعالى عنها.[1]

ويقول الإمام الزمخشري –رحمه الله– : " ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى، بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض، فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث، وهو اختزال أموال اليتامى، بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها."[2]

وأكد ما سبق قول الرازي –رحمه الله–: " أن أكل مال اليتيم كما يحرم، فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الأموال محرمة، والدليل عليه أن في المال ما لا يصح أن يؤكل، فثبت أن المراد منه التصرف، وإنما ذكر الأكل لأنه معظم ما يقع لأجله التصرف.

فان قيل: أنه تعالى لما حرم عليهم أكل أموال اليتامى ظلما في الآية الأولى المتقدمة دخل فيها أكلها وحدها وأكلها مع غيرها، فما الفائدة في إعادة النهي عن أكلها مع أموالهم؟

قلنا: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من حلال وهم مع ذلك يطمعون في أموال اليتامى، كان القبح أبلغ والذم أحق"[3]. والحكمة والتقوى تقتضي امتثال قوله تعالى:﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[4].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٣/٥)، والبحر المحيط (٢٢٤/٣)، وتفسير الثعالبي (٣٢٦/١)

(٢) تفسير الكشاف (٤٥٥/١)، والتفسير الكبير (٤٨٤/٣)، ويُنظر: تفسير البيضاوي (٢٠٤/١)

(٣) التفسير الكبير (٤٨٤/٣)

(٤) سورة النساء، الآية ٦ .

وقد بلغ قبح فعل هؤلاء مداه لخيانتهم للأمانة وعدم صيانتهم لحقوق هؤلاء اليتامى حتى سماه الله ﷻ وعده ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[1].

يقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله–: " ذكر في هذه الآية الكريمة أن أكل أموال اليتامى حوب كبير، أي: إثم عظيم، ولم يبين مبلغ هذا الحوب من العظم، ولكنه بينه في موضع آخر وهو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [2]"[3]

وفي ذلك: دلالة على النهي عن الأكل من مال اليتيم؛ لأنه إذا كان الأكل من أموالهم بلا عذر محرماً فمن باب أولى أن يكون الإسراف في أخذ المحرم أشد تحريماً.

والدين الإسلامي له تدبيره الحكيم في ذلك حيث أجاز للوصي على اليتيم أن يأخذ من مال وليه ولكن بطريقة مشروعة مباحة إذا كان فقيراً محتاجاً إلى ذلك فقال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[4].

يقول الإمام ابن الجوزي–رحمه الله–:"وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدها : أنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف.

والثالث: أنه الأخذ بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملا.

والرابع: أنه الأخذ عند الضرورة فان أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو في حل."[5]

وكل هذه الأربعة مباحة شرعاً ولا يصح تجاوزها كماً أو كيفاً، أو بحيلة ماكرة.

---

(١) سورة النساء الآية ٢

(٢) سورة النساء الآية ١٠

(٣) أضواء البيان (١/٣٥٧، ٣٥٨)

(٤) سورة النساء الآية ٦ .

(٥) زاد المسير (٢٥٨)

ثم أمر ﷻ الأولياء باختبار اليتامى ومعرفة رشدهم وبلوغهم قبل تسليمهم أموالهم فقال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾[1].

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله–: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم، وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أموالهم."[2]

ويقول الإمام ابن العربي–رحمه الله– في وجه تخصيص هذه الآية الكريمة بذكر اليتامى : "وهو أن الضعيف العاجز عن النظر لنفسه ومصلحته لا يخلو أن يكون له أب يحوطه أو لا أب له فإن كان له أب فما عنده من غلبة الحنو وعظيم الشفقة يغني عن الوصية به والاهتبال[3] بأمره. فأما الذي لا أب له فخص بالتنبيه على أمره لذلك والوصية به وإلا فكذلك يفعل الأب بولده الصغار أو الضعفاء فإنه يبتليهم ويختبر أحوالهم."[4]

كما تدل هذه الآية على " الشروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى إليهم وبيان شرطه بعد الأمر بإيتائها على الإطلاق والنهي عنه عند كون أصحابها سفهاء أي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والاهتداء إلى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم:

فإن كانوا من أهل التجارة فبأن تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا. وإن كانوا ممن له ضياعٌ وأهل وخدم فبأن تعطوهم منه ما يصرفونه إلى نفقة عبيدهم وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين لكم كيفية أحوالهم."[5]

---

(١) سورة النساء ، الآية ٦ .

(٢) جامع البيان (٢١٤٤/٣)، ويُنظر: تفسير البغوي (٢٧٤)، والبحر المحيط (٢٣٩/٣)

(٣) الاهتبال: الاغتنام، والاحتيال، والاقتصاص. لسان العرب (٦٨٧/١١)

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٣٤١/١)

(٥) إرشاد العقل السليم (١٠٠/٢)

وقد اختلف في الابتلاء باختلاف أحوال الناس.

ولذلك ذُكر أن "الابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم:

فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه.

وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره والإنفاق على عبيده وأجرائه. وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها. فإذا رأى حسن تدبيره وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده دفع المال إليه."[1]

ولذلك أمر ﷻ باختبار اليتامى ومعرفة رشدهم كما في قوله تعالى:﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾

يقول ابن جرير–رحمه الله– : "معنى الرشد في هذا الموضع: العقل وإصلاح المال لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله، وحوز ما في يده عنه وإن كان فاجرا في دينه.

وإذ كان ذلك إجماعا من الجميع فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال في يدي وصي أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته واجب عليه تسليم ماله إليه إذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد؛ لأن المعنى الذي به يستحق أن يولي على ماله الذي هو في يده هو المعنى الذي به يستحق أن يمنع يده من ماله الذي هو في يد ولي فإنه لا فرق بين ذلك.

وفي إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحة عقله وإصلاح ما في يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له في مثل ذلك الحال وإن كان قبل ذلك في يد غيره لا فرق بينهما."[2]

---

(١) تفسير البغوي (٢٧٤)، وتفسير الخازن (٣٤١/١)، ويُنظر: تفسير القرطبي (٣٥/٥، ٣٦)، وفتح القدير (٦٨٦/١)

(٢) جامع البيان (٢١٤٦/٣)

والرشد: " أن يكون مصلحاً في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً والتبذير أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء. فإذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله."[1]

ولذلك فإن أموال اليتامى من أعظم الأموال التي يجب المحافظة عليها وعدم التصرف فيها أو تسليمها إلا لمن نعلم أنه ثقة في صرفها بوضعها في موضعها الصحيح دون إفراط أو تفريط.

(١) تفسير الخازن (٣٤٢/١)

المطلب الثالث: التحذير من المسرفين:

إنه لكي يقي العاقل نفسه من الوقوع في الإسراف ويجنبها الانزلاق والتردي في متاهاته وضلالته، والوقوع في مصائده وشباكه عليه أن يتبع منهج الله السديد آخذاً نفسه إليه بقوة وعزم في صدق وإخلاص موقناً بأنه لا سبيل إلى السعادة الدائمة والنجاة من الشر إلا به وحده.

فالإسراف داء عضال يورد صاحبه في المهالك ويجعله يخسر دنياه وآخرته ولذلك فإن من تدابير الإسلام الحكيمة – التي شرعها الله ليسعد الناس في دنياهم وأخراهم – التحذير من المسرفين فالقرآن الكريم جاء هادياً إلى التي هي أقوم في كل اتجاه ومن ذلك دعوته إلى سلامة الفرد والمجتمع من الإسراف والتحذير من أهله.

والمسرف هو: من اتبع تشريعاً غير التشريع الإسلامي الذي جاء به النبي ﷺ وخالف الشرع الإلهي.[1]

وبذلك يظهر مدى حفاظ الإسلام على إقامة مجتمع صالح يكون أفراده في مأمن من الإسراف وأهله، والآثار والعواقب الوخيمة لذلك الداء الذي قد أضر بأهله ومن تبعهم من الأمم السابقة ديناً ودنيا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[2]

فهذا أمر منه ﷻ بوقاية النفس والأهل وجعل مسؤولية ذلك في عنق رب الأسرة "لأن رب المنزل راع وهو مسئول عن أهله ومعنى وقايتهم حملهم على طاعته وإلزامهم أداء ما فرض عليهم."[3]

---

(١) يُنظر: أضواء البيان (٥٢٢/٣)

(٢) سورة التحريم الآية ٦

(٣) البحر المحيط (٤١١/٨)

يقول ابن العربي –رحمه الله–: "والأصل في ذلك كله أن المرء كما يفترض عليه أن يصلح نفسه باكتساب الخير [واجتناب الشر] فواجب عليه أن يصلح غيره بالأمر به والدعاء إليه والحمل عليه، وهذه فائدة الصحبة، وثمرة المعاشرة، وبركة المخالطة، وحسن المجاورة؛ فإن حسن في ذلك كله كان معافى في الدنيا والآخرة، وإن قصر في ذلك كله كان معاقبا في الدنيا والآخرة، فعليه أولا إصلاح أهله وولده ثم إصلاح خليطه وجاره ثم سائر الناس بعده، بما بيناه من أمرهم ودعائهم وحملهم."(١)

فمن الوقاية متابعة الزوج لأهل بيته من ولده وزوجه ومن له عليهم أمرٌ ونهي. أو أنه عموم الأهلية فيشمل أولي الأرحام ومن بعدهم من عموم المسلمين بحسب الحال وموقع المسؤولية ومع تدرج التوجيه الحكيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾(٢)، ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾(٣)، وهذه الوقاية مما يؤدي بهم إلى الهلاك.

*** وقاية المجتمع مسؤولية الفرد والجماعة:**

إذا كانت وقاية النفس والأهل أمراً لابد منه فوقاية المجتمع إذا تركت هلك المجتمع بما فيه من الأفراد. فسكوت الفرد أو الجماعة أمام ظاهرة الإسراف وعمل المسرفين والتغاضي عنها – رضا بها أو تهاوناً فيها – يعد جريمة في حق المجتمع.

فالإسراف "جريمة تبدأ فردية، فإذا سكتت عنها الجماعة، ولم تُزِل هذا المنكر باليد واللسان والقلب، آتت الجريمة ثمراتها، وأفرخ الوباء في جسم الجماعة،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٥٦)

(٢) سورة هود الآية ٤٥

(٣) سورة هود الآية ٤٦

وعرضها للهلاك في النهاية، بحكم النتائج على المقدمات، والمسببات على الأسباب."[1]

ولذلك نجد أن الجماعة – ممثلة في ولي الأمر أولاً ثم عموم أفراد المجتمع – هي المسئولة عن انتشار مثل ذلك وهي اليد التي تعمل على إيقاف مثل ذلك حتى تنقذ المجتمع من هذا الداء الذي لو ترك له الحبل على الغارب لسرى إلى جميع مرافق الحياة..

ويظهر هنا أن وقاية النفس والأهل يعد وقاية وحماية للمجتمع حتى يسود الخير والصلاح؛ لأنه كلما صلح الفرد صلح بذلك المجتمع.
فليرع كل واحد منا من وكل إليه رعايته تمسكاً بقوله ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ))[2].

(١) العدالة الاجتماعية (١١٢)
(٢) سبق تخريجه (ص/١٧٩)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على خير رسل الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم.

ففي ختام هذه الرسالة وقفت على أهم النتائج والتوصيات التي وصلت إليها من خلال البحث وهي كالآتي:

١- أن الأصل في الإسراف مجاوزة الحد في أي فعل كان.

٢- أن الإسراف لا يختص فقط بالناحية المادية وإنما يشمل جميع نواحي الحياة الدينية والدنيوية.

٣- استخراج بعض صفات المسرفين الوارد ذكرها في القرآن.

٤- أن آثار الإسراف وجزاء المسرفين كل ذلك لا يقتصر فقط على الفرد المسرف بل يشمل جميع أفرد الأمة لسكوتهم على هذا الداء دون تحمل أدنى مسئولية.

٥- ذكر أهم الطرق في علاج الإسراف من خلال آيات القرآن الكريم.

٦- أن من حكمة الإسلام وسماحته أنه لم يقيد الإسراف في الإنفاق بالذات بقدر معين إلا بحسب كل فرد في طبقته الاجتماعية التي يصنف ضمنها فقد يعد إنفاق (مائة ريال) في جهة ما من شخص مسئولياته الاجتماعية لا تدخله في هذا النوع من الإنفاق إسرافاً. وفي حق شخص آخر مسئولياته الاجتماعية تفرض ما هو أكثر من ذلك غير إسراف؛ لأنه لو أنفق أقل من ذلك كان مقتراً وبخيلاً أو ربما أضر بمسئولياته العامة، أو بحاجاته الخاصة.

أهم التوصيات:

١- إن التفسير الموضوعي لا بد له من دقة التتبع لآيات القرآن الكريم واستقرائها استقراءً دقيقاً، وإدخال عموم ما يتعلق بالموضوع معها.. سواء كان التعلق

صريحاً مباشراً أو ضمنيا وله أدنى علاقة وملابسة من خلال منهج دقيق حتى يخدم التفسير الموضوعي خدمة تليق بجلال كلام الله تعالى.

٢- إن أفضل كتـــاب تُستنبط منه مناهـــج الحياة وسلوكياتها هو كتاب الله ﷻ وهو لا يزال وسيبقى المنبع الثري لمن ورده صادقاً مخلصاً وناصحاً أميناً.

٣- أوصي نفسي والباحثين بإطالة النظر في كتاب الله ﷻ للتعرف على موضوعاته التي فيها وبها دائماً تخدم الأمة من خلال التفسير الموضوعي لآيات القـــرآن الكريم ودراستها دراسة منهجية أصيلة.

٤- إعطاء هذا النوع من التفسير حقه كما أعطى الباحثون التفسير التحليلـــي حقـــه زمناً طويلاً وعملاً كثيراً جليلاً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

والحمد لله رب العالمين على هدايته وتوفيقه، وسابغ نعمه وعميم فضله.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية و الآثار .
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق .
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات الدراسة.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
(٢) سورة البقرة		
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾	١٠	٣٥١
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾	١١، ١٢	٣٢٢، ٣٤٩
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	٢٨١
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾	٤٨	٣٦٣
﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٦١	٣٤٧
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	٧٩	٢٧٢
﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾	٨٣	٢٥٧
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾	٩٣	٧٩
﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾	١٢٨	٣٧٥
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٧٦، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٧
﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾	١٥٢	٢٢٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾	١٥٩، ١٦٠	٣٧٩
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾	١٦٥	٢٩٩
﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾	١٦٦	٩٤

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	١٧٠	٨٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾	١٧٢	٣٩٣
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾	١٧٣	١٢٥
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾	١٨٠	٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣
﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾	١٨١	٢٩٦
﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾	١٨٢	٢٩٥
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٢٣٤
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	١٨٦	٢١٤
﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾	١٨٧	١٥١
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	١٨٨	٢٠٣، ٤٠٢
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾	١٩٠	٥٤، ٢٣٨
﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾	١٩٤	٣٨٦
﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	١٦٠، ٤٠٣
﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾	٢٠٥	٣٢١
﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾	٢١١	٣٣٦

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	٢١٢	٢٦٧
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	٢١٩	١٢٦
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾	٢٢٢	٢٣٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٧٥
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾	٢٢٣	٣٢٩
﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾	٢٢٩	١٥١، ٢٣٨، ٢٩٢
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾	٢٣١	١٦٩
﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾	٢٣٣	١٦٩
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾	٢٤٥	٢٨٢
﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٢٥٦	٥٥
﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾	٢٥٧	٥٥
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾	٢٥٨	٣٢
﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾	٢٦٣	٢٨٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾	٢٦٤	٢٨٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦٧	٢٨٢
﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾	٢٦٨	٧٣
﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾	٢٧٣	٣٣١

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾	٢٧٤	٢٨٢
﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	٢٧٥	١٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾	٢٧٨	١٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ ﴾	٢٨٢	١٦٤، ٤٠١
﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾	٢٨٥	٢٤٥
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾	٢٨٦	٣١٥
(٣) سورة آل عمران		
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣١، ٣٢	٢٩٧
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٥	٣٣٠
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾	١٣٥، ١٣٦	٣
﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾	١٣٩	١٩٤
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾	١٤٠-١٤٢	٣٨، ٩٥
﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾	١٤٧	٣، ٢٧
﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا ﴾	١٦٩، ١٧٠	٥٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾	١٧٥	٣٠٥
﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُم ﴾	١٨٠	٧٢
(٤) سورة النساء .		
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾	١	١٧٧
﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾	٢	٤١٠
﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾	٤	١٨١
﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾	٥، ٦	٢٣، ٣٧، ٤٧، ٦٤، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾	١١	١٧٥، ٢٨٩
﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾	١٣، ١٤	٢٩١، ٢٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم ﴾	٢٩	٤٠٢
﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾	٣٦، ٣٧	٧١، ٧٣، ١٧٠، ١٧٨
﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾	٣٨	٢٨٤
﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾	٤٣	٢٣٦
﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ ﴾	٤٣	٢٧٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٤٨	٣٨٢
﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾	٥٩	١٧٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٦٠	٥٥
﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ ﴾	٧٧	٢٢٨
﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾	١١٥	٣٥٤
﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾	١١٩	١٣٨، ١٨٤
﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ ﴾	١٢٩	١٦٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾	١٣٥	٣٨٩
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	١٤٥، ١٤٦	٣٧٩
﴿ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾	١٧١	٥٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ ﴾	١٧٤	٢
(٥) سورة المائدة .		
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾	٢	٢٥٢
﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾	٣	١٩٣، ٣٢٦
﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾	٦	٢٣٦
﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾	٧	٢٤٥
﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾	٣٢	٢٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾	٣٨	٢٧٣
﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾	٤١	٢٥٠
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾	٦٦	٧٦، ٣٤٧
﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٧٤	٣٧٨
﴿ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾	٧٧	٥١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	٨٧، ٨٨	١١٥، ٢٢٩، ٢٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾	٩٠، ٩١	١٢٦، ٢٠٣، ٣٢٦
﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾	٩٣	١٢٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	١٠٤	٢٥، ٨٥
﴿ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ﴾	١٠٦	٢٨٩
﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١١٥	٣٥٥
(٦) سورة الأنعام .		
﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾	٢٥	١١٠
﴿ قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾	٣١	٤٩
﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٣٨	٤٩
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	٤٤	٥٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾	٨٢	٦١
﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾	٨٨-٩٠	٨١
﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾	٩١	٢٢٧
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	٩٣	٣٧٠
﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾	٩٥	٣٥٣
﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾	١٢٨	٢٢٢
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ ﴾	١٤١	٣٨، ٢٣٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٩٨
﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً ﴾	١٤٥	١٢٥
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	١٥٢	٢٥٧، ٤٠٣
(٧) الأعراف		
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا ﴾	٢٦	١٣٢
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	٣، ٦، ٢٣، ٤٠، ٦٦، ٧٧، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢ ١٣٥، ١٣٩، ١٥٩، ١٧٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٢٤، ٣١٥، ٣٧١، ٣٩٣
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾	٣٢	٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥، ٢٣١
﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	٥٥	٢١٠، ٢١٣، ٢٢١

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾	٥٦	٣٢٢
﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٦	١٤٨
﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾	٧٥-٧٨	٣٥٦
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾	٨٠-٨٢	٢٦، ٣٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ٢٧٨، ٣٣١، ٣٣٤
﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٣، ٨٤	٣٥٧، ٣٥٨
﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾	٨٥	١٦٥
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٩٦	٣٤، ٣٤٧
﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾	١١١	٣٠٨
﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾	١٣٨	٨٠، ٩٩
﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾	١٤٦	٨٤، ٣٥١
﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾	١٥٧	١١٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	١٧٢، ١٧٣	٢٦
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾	٢٠٠	٢٢١
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾	٢٠٤	٢٤٥، ٢٦١
﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾	٢٠٥	٢٢٣، ٢٢٥
(٨) سورة الأنفال		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٣٠٣
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾	٩، ١٠	٢١٨
﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٣٥٢
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	٣٨٤
﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٤١	٢٠٤
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾	٤٧	٦٣
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	٢٠١
(٩) سورة التوبة .		
﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾	٥	٣٧٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾	٢٤	٣٠٠
﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	٣٤	٢٧٣، ٢٨٢، ٣٣٦
﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٢١٧
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾	٦٥	٢٦٨
﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	٢٧١
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾	١٠٣	٢٨١
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾	١٠٧	١٥٦
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾	١٢٧	٣٥٢
(١٠) سورة يونس .		
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾	١٢	٣٥، ٩٥
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾	١٨	٢٠٩
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٣١	٢٤٣
﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٣٥٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	٤٤	١١٦

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾	٥٧	٢
﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾	٥٨	٥٧
﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾	٧٤	١٠٤
﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ ﴾	٨٣	٢٦، ٣١، ٣٦٧
﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾	١٠٦	٢١٩، ٢٢١
(١١) سورة هود .		
﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾	٣	٣٤٦
﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ ﴾	٩، ١٠	٥٧
﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾	١٨	٢٦٨
﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾	٢٩	٨٠
﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾	٤٥	٤١٧
﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾	٤٦	٤١٧
﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ ﴾	٦٤	٣٥٥
﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	٧٨	٢٧٨
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	٨٤، ٨٥	١٦٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾	٩٨	٣٦٥
﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ ﴾	١١٦	٤٦
(١٢) سورة يوسف		
﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ﴾	٨٤	١٩٤
﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾	٨٧	٣٠٥، ٣٤١
﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾	٩٤	٢٧٩
(١٣) سورة الرعد .		
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾	٦	١٠٧
﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٦	٢٢٨
(١٤) سورة إبراهيم .		
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾	٧، ٨	٣٤٦
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	٣٣٦
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٩٦، ٢٤٤، ٣٤٢
(١٥) سورة الحجر .		
﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٦، ٣٧	٢١٧
﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	٣٠٤، ٣٤٢
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾	٧٤	٣٥٧
﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٥، ٩٦	٢٦٨
(١٦) سورة النحل .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾	٤	١١٠
﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	٨	١٣٠، ١٥٩، ٢٠١
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٩	٧٦، ٨٤، ١٠٩
﴿ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	٤٠٨
﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾	٧٨	٢٤٣
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾	٨٠، ٨١	١٤٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾	٩٠	٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩١
﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾	٩٧	٣٤٦
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾	٩٨	٢٢١
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾	١١٥	١٢٥
﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾	١١٨	١١٦، ٣٤١، ٣٤٨
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾	١١٩	٣٤١
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾	١٢٦	١٦١
(١٧) سورة الإسراء .		
﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾	١١	٢١٤
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ﴾	١٦	٤٧، ١٠٦، ٣٤٣
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾	٢٣، ٢٤	١٧٠، ١٧٣
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٢٦، ٢٧	٤٣، ٤٤، ١٠٦، ١٨٥، ٣١٢، ٤٠١، ٤٠٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	٢٩	٤٣، ٧٢، ٧٧، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٣٢، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٤
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٣٣٢
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٣٣	٤٠، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ١٦١، ١٦٢
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٤١٠
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	٣٦	٢٤١، ٢٥١
﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾	٣٧	٦٢، ٢٤١، ٢٧٥
﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٥٣	٢٤١
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ ﴾	٦٧	٩٧، ٢٢٠
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾	٧٠	٣٤١
﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	٣٣٠
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	٤٠٩، ٤١٠
﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾	٩٧	٣٧٠
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾	١١٠	٣٩٨
(١٨) سورة الكهف .		
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾	٧	١٢٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٤	٦٠
﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾	١٩	٤٠٢
﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	٤٩، ٥٠
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٤٦	١٣٠
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ ﴾	٥٤-٥٦	١٠٨، ١١٠
(١٩) سورة مريم .		
﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾	٣	٢١٠
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾	١٦	١٩٣
(٢٠) سورة طه .		
﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	٥٦
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾	٤٣، ٤٤	٣٧٨
﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾	٥٩	١٣٠
﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾	٨٧	١٣٠
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾	١٢٤-١٢٧	٤١، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٠
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	١٣١	٣٩٦
(٢١) سورة الأنبياء .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٣٥٤ ،٤١
﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٩، ٢٠	٢١٦
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	٣٣٨
﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾	٣٧	١٠٧
﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾	٥٣	٨٣
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	٧٤	١٠١، ١٠٣
(٢٢) سورة الحج .		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾	٣	١١٠
﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾	٥	١٢٨
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾	١١	٢١٤
﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾	١٨	٣١٤
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾	٤٧	١٠٧، ١٠٨
﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾	٦٧	١٨٩
(٢٣) سورة المؤمنون .		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٢٦٦
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾	٣٣	٤٦
﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾	٥١	١١٧
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤-٦٨	٤٧، ١٠٦

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾	٧٨	٢٤٣
(٢٤) سورة النور .		
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾	٣٠، ٣١	١٣٠، ٢٤١، ٢٥٤، ٢٧٧، ٣٧٨
﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	٣٢	١٨١
﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾	٣٣	٣٣٨، ٤٠٥
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	٣٦	١٥٤
﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾	٥١	٢٤٥
(٢٥) سورة الفرقان .		
﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾	٤٠	٣٥٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾	٤٧	٣٤٠
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣	٢٧٥
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾	٦٧	٦، ٢٢، ٢٣، ٣٩، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٧، ١٦٠، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٠١
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٦٨-٧١	٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨١
﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	٢٦٦
﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾	٧٧	٢٠٧
(٢٦) سورة الشعراء .		
﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾	١٠، ١١	٣٧٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	٣١
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٨، ٨٩	٣١٧
﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾	٩٧، ٩٨	٣٠٠
﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾	١٢٨، ١٢٩	١٤٨
﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾	١٣٠	٢٧٤
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾	١٤٩	١٤٧
﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾	١٥١، ١٥٢	٣٦
﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾	١٦٥، ١٦٦	٥٤، ١٠٣، ١٠٤
﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾	١٦٧	١٠٣
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾	١٧٣	٣٥٧
﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾	١٨١- ١٨٣	١٦٦
(٢٧) سورة النمل .		
﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٥٥	١٠٠
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾	٥٦	١٠٣
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	٦٢	٢١٩
(٢٨) سورة القصص .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ ﴾	١٥	٢١٨
﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾	٣٨	٣٧٨
﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾	٥٥	٢٥٠، ٢٦٦
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾	٥٨	٦٢، ٣٦٠
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾	٦٠	١٣٠
﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾	٧٦-٨١	٥٧، ٥٨، ٥٩، ٨٨، ٢٢٩، ٣٦٠، ٤٠٢
(٢٩) سورة العنكبوت .		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ﴾	١٠	٣٠٦
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٣٤٢
﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٥	٩٣
﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾	٢٩	١٠٣
﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٣٤	١٠١
﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾	٤٣	٤٠٩
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾	٥٣، ٥٤	١٠٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾	٦٤	٨٧
(٣٠) سورة الروم .		
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٢١	١٦٧
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾	٣٠	٨٩
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾	٣٣، ٣٤	٩٦
﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾	٤١	٣٢١، ٣٢٢
﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢	٢٤٥
(٣١) سورة لقمان .		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾	٦	١٨٦
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٦١، ٢١٩
﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	١٨٦، ٢٧٦
﴿ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾	٣٣	٣٦٣
(٣٢) سورة السجدة .		
﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾	٧	٢٤١، ٢٤٣
﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٢٤٣
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾	١٦	٢٥٩
(٣٣) سورة الأحزاب .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٢٥٧، ٢٦٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾	٥٩	١٣٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾	٧٠، ٧١	٢٤١، ٢٥٧
(٣٤) سورة سبأ .		
﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ ﴾	١٠، ١١	٢٦١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	١٠٥، ٣١٣
(٣٥) سورة فاطر .		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٢٤٥
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾	٢٨	٣٠٣
(٣٦) سورة يس .		
﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣-١٩	٣٢، ٣٣، ٣٤
﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧، ٧٨	١٠٩
(٣٧) سورة الصافات .		
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٣٠
(٣٨) سورة ص .		
﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	٦٠
﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾	٢٢	٥٩
(٣٩) سورة الزمر .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾	٨	٩٦
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾	٩	٨١، ٣٠٧
﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾	١٦	٣٠٢
﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾	١٨	٢٤٧
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾	٥٣، ٥٤	٣٠، ٦٦، ٣٠٥، ٣٧٩، ٣٨١
﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾	٥٦	٤٩
﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤-٦٦	٨٠، ١٠٠
(٤٠) سورة غافر .		
﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	١٤	٢٠٩
﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾	١٧	٣٦٣
﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	٢٥٤
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٢١	٣٦٢
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾	٢٨	٦، ٣٤، ٣٥٠
﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	٣٤، ٣٥	٦، ٣٤، ١٠٩، ٣٥٠
﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾	٤٠-٤٤	٣، ٤١، ٦٦، ٣٦٤
﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	٤٥، ٤٦	٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٢٠٩، ٢١٠
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾	٦٤	١٣٥
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٨٢-٨٥	٥٨، ٣٨٤
(٤١) سورة فصلت .		
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾	٣٩	١٢٨
(٤٢) سورة الشورى .		
﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾	١٤-١٧	٢٨
﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾	١٦	١١٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾	٢٨	٣٠٧
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	٣٠	٣١٤
﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾	٤٠	٣٦٣، ٣٨٦
﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٠	١٦١
(٤٣) سورة الزخرف .		
﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾	٤، ٥	٢٨
﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢-٢٤	٢٥، ٨٤، ١٠٥
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	٣٦، ٣٧	٣٤٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	١١٠
﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾	٦٧	٩٢
(٤٤) سورة الدخان .		
﴿ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	٣٠، ٣١	٢٦، ٣١، ٣٦٧
(٤٥) سورة الجاثية .		
﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ﴾	٢٣	٣٤٣
(٤٦) سورة الأحقاف .		
﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٢٠	٣٦٨
﴿ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾	٢٤، ٢٥	٣٥٨
﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾	٣٠	٢٤٥
﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾	٣٤	٣٦٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
(٤٧) سورة محمد .		
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٣٥٥، ٣٦٦
﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٢، ٢٣	١٧٧
﴿ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٢٨٥
(٤٩) سورة الحجرات.		
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾	٧	١٢٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾	١١	٢٦٧، ٢٦٩
﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾	١٢	٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٢
﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾	١٣	٣٧٧
(٥٠) سورة ق .		
﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	٢٥٩
(٥١) سورة الذاريات.		
﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	٣١-٣٤	٦، ٤١، ٣٥٧، ٣٥٨
﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	٣٥٨
﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢، ٥٣	٢٦
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	١٠٠
(٥٣) سورة النجم .		
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	٢٧٠
(٥٥) سورة الرحمن .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾:	٦٠	٣٦٣
(٥٦) سورة الواقعة .		
﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ﴾	٤١-٤٨	٤٦، ١٠٤، ٣٦٥
(٥٧) سورة الحديد .		
﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾	٧	٣٣٨، ٤٠٥
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾	٢٠	٨٦، ١٣٠
﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾	٢٣، ٢٤	٧٠، ٧١، ٩٧
﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾	٢٧	٢٣٣
(٥٨) سورة المجادلة .		
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٢	٣٠١
(٥٩) سورة الحشر .		
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾	٧	١٣٤، ١٣٨، ١٩٥، ٢٢٧، ٣٣٧، ٣٦٠
﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٧٤، ٧٥
﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾	١٦	٩٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾	١٨، ١٩	٢٤٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٨
(٦٠) سورة الممتحنة .		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾	١	٣٠٢

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾	١٢	١٩٥
(٦١) سورة الصف .		
﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	٥	٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣
(٦٢) سورة الجمعة .		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	٩-١١	٢٧٦، ٣٩٣
(٦٣) سورة المنافقون .		
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾	٤	٢٠١
(٦٥) سورة الطلاق .		
﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾	١	١٥١
﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾	٧	٣٣٥
(٦٦) سورة التحريم .		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾	٦	٤١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾	٨	٣٧٩
(٦٧) سورة الملك .		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٢٧٥
﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٢٤٣
(٦٨) سورة القلم .		
﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾	١٠، ١١	٢٦٤
﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾	٢٠	٩٣
﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠، ٣١	٩٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
(٦٩) سورة الحاقة .		
﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾	١١	٥٥
(٧٠) سورة المعارج .		
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾	١٩-٢٢	٧٧
(٧١) سورة نوح .		
﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾	١٠-١٢	٣٤٧
(٧٢) سورة الجن .		
﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾	١، ٢	٢٤٥
﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾	٣، ٤	٤٨، ٦١
﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾	٦	٢٢١
﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	٣٤٧
(٧٤) سورة المدثر .		
﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٣٥٣
(٧٩) سورة النازعات .		
﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧-٢٥	٣١، ٥٦، ٣٧٨، ٣٧٩
﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٧-٣٩	٥٦
(٨٢) سورة الانفطار .		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾	٦-٨	٢٤٤
(٨٣) سورة المطففين .		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ ﴾	١-٣	١٦٦
﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ ﴾	١٤	٣١٧، ٣٤٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ ﴾	٢٩، ٣٠	٢٦٧، ٢٧١
(٨٧) سورة الأعلى .		
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾	٢، ٣	٢٤١
﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ ﴾	١٦، ١٧	٢٢٨
(٨٩) سورة الفجر		
﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾	١٥	٤٦
(٩٠) سورة البلد .		
﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾	٨-١٠	٢٥٢، ٢٥٦
(٩١) سورة الشمس .		
﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾	١٠	٣١٨
(٩٢) سورة الليل .		
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾	٥-١٠	٧٣
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ ﴾	١٩	٣٦٣
(٩٥) سورة التين .		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾	٤	١٢٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
(٩٦) سورة العلق .		
﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾	٦، ٧	٢٨١، ٣١٣
(٩٨) سورة البينة .		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾	٥	٢٨٥
(٩٩) سورة الزلزلة .		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾	٧، ٨	٨٥
(١٠٢) سورة التكاثر .		
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾	٨	٣٧١
(١٠٣) سورة العصر .		
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾	١-٣	٣١٢

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))	٣٩٩
((أَبْشِرُوا، مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هذا رَبُّكُمْ قد فَتَحَ بَاباً من أَبْوَابِ السَّمَاءِ يباهي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ...))	٨٩
((أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَة؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!...))	٢٦٢
((اتَّقُوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ على أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))	٧٥
((اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا في أَوْلادِكُمْ))	١٧٤
((أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لإِنَاثِ أُمَّتِي وَحُرِّمَ على ذُكُورِهَا))	١٣٣
((إذا كَانُوا ثَلَاثَةٌ فلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ))	٢٦٣
((اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فإنه أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))	٢٥٣
((ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ))	٢٠١
((اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فإنه قد أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ))	١٩٧
((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ على عِيَالِهِ))	١٧٣
((أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مثله))	١٧٣
((ألا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ))	٢٣٩
((ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))	٢٠١
((ألا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فلا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا))	١٨٥
((ألا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، ولا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بهذا- وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ- أو يَرْحَمُ))	١٩٦
((ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ))	٢٤١
((اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ...))	٣٣٩

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((اللهم اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي في أَمْرِي...))	٣٧٥
((اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ))	٢٤٨
((اللهم من وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه وَمَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ))	١٧٩
((اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ))	٤٤
((أَمَّا أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عَصَاهُ عن عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ))	٢٦٦
((أما إن كل بناء وبال على صاحبه...))	١٥٠
((بَعْدُ فإن خَيْرَ الحديث كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ))	٢
((إِنَّ أَحَدَكُمْ إذا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...))	٣٦٨
((بَعْدُ فإن خَيْرَ الحديث كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ))	٢
((أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ وتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ))	١٦٠
((أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى..))	٢٨٩
((أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يوم الْقِيَامَةِ من إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ))	٢٣٩
((إِنَّ رِجَالا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يوم الْقِيَامَةِ))	٢٠٣
((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَمًا من ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ))	١٣٤
((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يَكْرَهُ النَّوْمَ قبل الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا))	١٨٦
(إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ من اتَّخَذَ شيئا فيه الرُّوحُ غَرَضًا)	٢٠٢
((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ..))	٢٢٨
((إِنَّ الْعَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فإذا هو نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ...))	٣٤٤

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قال أَذْنَبَ ذَنْبًا...))	٣٨٠
((إِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْجَرُ في نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلا في التُّرَابِ))	١٥٠
((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لها بَالاً...))	٢٥٧
((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ولا نَقُولُ إلا ما يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))	١٩٥
((إِنَّكَ إن تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ من أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ الناس))	٢٩٤
(إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ)	٢٢٩
(إن للحم سرفاً كسرف الخمر)	١٩
((إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول يوم الْقِيَامَةِ : يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي..))	٢٧٦
((إِنَّ اللَّهَ قال إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ))	٢٤٢
((إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وقال وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ))	٣٣١
((ان اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ على عَبْدِهِ))	٢٣١
((إِن اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ ما لم يُغَرْغِرْ))	٣٨٣
(أن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده)	٢٦١
((إنما التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ))	٢٢٧
((إِنَّ من أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أبيه))	١٧٣
((إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ))	٨٢

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((إِنَّ من أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ....))	١٧١
((إِنَّ نَاسًا من أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قد قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا...))	٣٨١
((إِنَّ هذا يَوْمُ عِيدٍ جَعَلَهُ الله لِلْمُسْلِمِينَ فَمَنْ جاء إلى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ وَإِنْ كان طِيبٌ فَلْيَمَسَّ منه وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))	١٨٨
(أنه رأى على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ برد حرير سِيَرَاءَ)	١٣٣
((إنه رخص في الغناء في العرس..)	٢٤٩
((إنه سَيَكُونُ في هذه الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ في الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ))	٢١٢
((انْهَكُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى))	٢١٩
((إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله ﷻ))	١٣٦
((إِنِّي لا أَشْهَدُ على جَوْرٍ))	١٧٤
((إني لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا))	٢٦٩
((إني لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ...))	٣٧٧
((إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ))	١٣٦
((اهْجُهُمْ، أو هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ))	٢٤٨
((أُهدي إلى النبي ﷺ حلة سِيَراء..)	١٣٣
((أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ))	١٨٠
((إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسم....)	٣٢٥
((إياكم وَالْجُلُوسَ على الطُّرُقَاتِ...))	٢٥٥
((أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ على قَوْمٍ لِيَجِدُوا من رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ))	١٨٣
((تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم.....)	٢١
((التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ))	٢٢٧

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ الناس على وُجُوهِهِمْ في النَّارِ أو قال على مَنَاخِرِهِمْ، الا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))	٢٥٩
((ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ الله يوم الْقِيَامَةِ الْمَنَّانُ الذي لا يُعْطِي شيئا إلا مَنَّهُ))	٢٨٦
(جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي ﷺ..)	٢٣٣
((الْحَرْبَ خَدْعَةٌ))	٢٦٥
((خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))	٢٨٨
((الدُّعَاءُ هو الْعِبَادَةُ))	٢٠٨
((الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))	١٧٣
((الذي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الْفِضَّةِ إنما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ	١٤٣
((الرَّجُلُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ))	٩٤
(سَابَقَنِي النبي ﷺ فَسَبَقْتُهُ)	٢٠٠
((سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي))	٢٥٥
سئل النبي ﷺ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قال:((جَهْدُ الْمُقِلِّ))	٢٨٨
((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ الله فلا يَعْجِزُ أحدكم أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))	٢٠١
((سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ...))	٢٤٣
((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لها الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ))	١٨٤
((صِنْفَانِ من أَهْلِ النَّارِ لم أَرَهُمَا...))	٢٧٤
((غَيِّرُوا هذا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ))	١٣٦
((فَانْظُرْ السَّجْعَ من الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ..)	٢١٦
((فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ))	٣٩

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ))	١٥١
((فَصْلُ بين الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ في النِّكَاحِ))	١٨٠
((قَدِمَ النبي ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يوم عَاشُورَاءَ...))	١٩١
(كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة...)	١٣٠
((كان رسول اللَّهِ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ وَيَتَطَهَّرُ بِالْمُدِّ)	٢٣٧
(كان سَقْفُ الْمَسْجِدِ من جَرِيدِ النَّخْلِ وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وقال: أَكِنَّ الناس من الْمَطَرِ...)	١٥٥
(كان الْمَالُ لِلْوَلَدِ وَكَانَتْ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ فَنَسَخَ الله من ذلك ما أَحَبَّ..)	٢٩١
(كان النبي ﷺ يَغْسِلُ أو كان يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إلى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ)	٢٣٧
((كُتِبَ على بن آدَمَ نَصِيبُهُ من الزِّنَا مُدْرِكٌ ذلك لا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ))	٢٥٦
((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ من يَقُوتُ))	١٧٥
((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ))	٩٠
((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ))	١٧٨
((كلوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ ولا مَخِيلَةٍ))	٣
((كنا نَرَى الِاجْتِمَاعَ إلى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ من النِّيَاحَةِ))	١٩٨
((لا تَتَّخِذُوا شيئا فيه الرُّوحُ غَرَضًا))	٢٠٢
((لا تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ...))	٢١٥

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ...))	٣٧٢
((لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النَّصَارَى بن مَرْيَمَ))	١٩٣
((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناس في الْمَسَاجِدِ))	١٥٥
((لاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فإن كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))	٢٧١
((لا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ ولا الدِّيبَاجَ، ولا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ولا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا...))	١٤٣
((لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ))	٢٥٢
((لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ولا يَزَالُ مَعَكَ من اللَّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك))	١٧٦
((لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ من أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا))	٢٤٩
((لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ))	٢٩١
((لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حتى يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ))	٣٠٢
((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ على مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ إلا على زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا))	١٩٨
((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ))	٢٦٤
((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً...))	٣٩٥
((لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ما لم يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ ما لم يَسْتَعْجِلْ...))	٢١٥
((لا يَنْبَغِي هذا لِلْمُتَّقِينَ))	١٤٢
((لا يَنْظُرُ الله يوم الْقِيَامَةِ إلى من جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا))	١٤١
((لَعَنَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمُتَشَبِّهِينَ من الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ من النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))	١٣٤

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((لَعَنَ عبد اللَّه الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ....))	١٨٣
((لَعَنَ الله السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ))	٣٦١
((لَعَنَ الله من لَعَنَ وَالِدَيه، وَلَعَنَ الله من ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّه، وَلَعَنَ الله من آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ الله من غَيَّرَ مَنَارَ الأرض))	٣٦١
((لَعَنَ الله الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ...)	١٣٧
((لَعَنَ الله الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ))	١٣٨
((لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْاجِدًا))	١٥٧
((لَعَنَ النبي ﷺ الْمُخَنَّثِينَ من الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ من النِّسَاءِ، وقال: أَخْرِجُوهُمْ من بُيُوتِكُمْ))	١٣٩
((لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء...))	٣٨٣
((لو أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ...))	٢٥٦
((ليس من رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أبيه وهو يَعْلَمُهُ إلا كَفَرَ))	١٧١
((ليس منَّا من لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))	١٩٥
((الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ في معي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ))	١٢١
((ما أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ))	١٥٤
((ما حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ له شَيْءٌ يُوصِي فيه يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ))	٢٩٠
(ما خُيِّرَ النبي ﷺ بين أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ما لم يَأْثَمْ فإذا كان الإِثْمُ كان أَبْعَدَهُمَا منه)	٤
((ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))	١٧٧

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
(ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، من طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حتى قُبِضَ)	١٢٥
((ما مَلأَ آدَمِيٌّ وعاء شَرًّا من بَطْنٍ، بحَسَبُ بن آدَمَ لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَهُ...))	١١٩
((ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلائِكَةَ فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلاءِ))	٨٩
((ما من يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فيقول أَحَدُهُمَا: اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللهم أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا))	٧٢
((الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ))	٣٣٤
(مَرِضْتُ فَعَادَنِي النبي ﷺ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا يَرُدَّنِي على عَقِبِي..)	٢٩٣
((مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عليها وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في الْمَضَاجِعِ))	١٧٣
((الْمُسْلِمُ من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ))	٢٧٤
((من أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليس فيه فَهُوَ رَدٌّ))	١٨٩
((مَنْ اسْتَمَعَ إلى حديث قَوْمٍ وَهُمْ له كَارِهُونَ أو يَفِرُّونَ منه صُبَّ في أُذُنِهِ الْآنُكُ يوم الْقِيَامَةِ))	٢٥١
((من اطَّلَعَ في بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لهم أَنْ يفقؤا عَيْنَهُ))	٢٥٦
((من بَنَى مَسْجِدًا (قال بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قال يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ) بَنَى الله له مثله في الْجَنَّةِ من))	١٥٤
((مَن تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهم))	١٣٧
((من تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إلى بَيْتٍ من بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً من فَرَائِضِ اللَّهِ كانت خَطْوَتَاهُ....))	٢٧٦

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((من جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لم يَنْظُرْ الله إليه يوم الْقِيَامَةِ))	١٤١
((من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده))	٢٧٢
((مَنْ سرَّه أن يُستجابَ له عندَ الكرب والشدائد فلْيُكثرِ الدعاءِ عند الرخاءِ))	٩٨
((من سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الهنيئ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ))	١٤٩
((من سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه علْمًا سَهَّلَ الله له طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ))	٢٧٧
((من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ))	٢٧٤
((من عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ من السَّمَاءِ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ من الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))	٢٧٦
((من عُرِضَ عليه رَيْحَانٌ فلا يَرُدُّهُ فإنه خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ))	٢٨٠
((مَنْ عَمِلَ عَمَلا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))	١٨١
((مَنْ قال لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ))	٢٠٤
((من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ))	١٧٨
((من كانت له امْرَأَتَانِ فَمَالَ إلا إِحْدَاهُمَا جاء يوم الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ))	١٦٧
((من لَبِسَ الْحَرِيرَ في الدُّنْيَا لم يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ))	١٤٢
((من لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ في الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ الله ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يوم الْقِيَامَةِ))	١٤١
((من لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ في لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ))	٢٠٥
((مَنْ لم يُجِبْ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ))	١٨٠
((نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رؤوسهن كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا...))	١٨٣

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((نهى رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عليه وَأَنْ يُبْنَى عليه))	١٥٧
(نهى رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ)	٢٠٢
((نَهَانَا النبي ﷺ عن سَبْعٍ: نهى عن خَاتَمِ الذَّهَبِ أو قال: حَلْقَةِ الذَّهَبِ...))	١٤٣
((هذا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ على هذا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ))	٢٣٨
((هذا وَالَّذِي نَفْسِي بيده من النَّعِيمِ الذي تُسْأَلُونَ عنه يوم الْقِيَامَةِ، ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ))	٣٧٢
((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))	٢٣٤
((وَاعْلَمْ أن الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا على أن يَنْفَعُوكَ لم يَنْفَعُوكَ إلا بشيء قد كَتَبَهُ الله لك..))	٢٢٠
((والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ))	١٧٧
((والله ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ...))	٨٨
((وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ))	١٥٢
((وَتَقْلِيمُ الأظافر))	١٣٦
((وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ كتابان..)	١٦٣
((وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ يَمِينُهُ))	٢٨٤
((وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَى))	٢٧٩
((وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وَأَعْطَاهُ من أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ...))	٢٨٤
((ولا صَدَقَةٌ من غُلُولٍ))	٢٨٦

نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ الا الدُّعَاءُ))	٢١٨
((وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ))	٢٧٤
((وما يَزِيدُ رسول اللَّه ﷺ على التَّبَسُّمِ))	٢٧١
((وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ))	٢٥٨
((يا أَيُّهَا الناس أربعوا على أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إنه مَعَكُمْ إنه سَمِيعٌ قَرِيبٌ...))	٢١٣
((يا أَيُّهَا الناس إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد نَهَاكُمْ عن صِيَامِ هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ...))	١٨٨
((يا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَار...))	٢٣٥
((يا عَلِيُّ لا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإن لك الأُولَى وَلَيْسَتْ لك الآخِرَةُ))	٢٥٤
((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))	٣٨٣
((يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ...))	٣٦٤
((يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ))	١٩٢

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
إبراهيم النخعي	٣٩٢
ابن أوس الطائي	٣٨٧
ابن باديس	١٧٢
ابن تيمية	٨٢
ابن جرير	١٧
ابن الجوزي	٢٣٩
ابن حجر	٥٣
ابن حزم	١٤٦
ابن السكيت	٢٠
ابن عاشور	١٧١
ابن عباس	٤٤
ابن عثيمين	٢٤
ابن العربي	٢٤
ابن عطية	٥٩
ابن عمر	٦٦
ابن فارس	١٦
ابن قتيبة الدينوري	٢٩٠
ابن القيم	٥٠
ابن كثير	١٣٢
ابن المبارك	٢٦١
ابن مفلح	١٤٧

اسم العلم	رقم الصفحة
أبو السعود	٣٨
أبو سليمان الداراني	١٢٣
أبو العالية	٣٢٢
أبو مسلم الخولاني	٢٢٨
أبي برزة	١٨٧
أبي بكر الجصاص	١١٨
أبي جهم	٢٦٥
أبي سعيد	١٥٥
أبي العبيدين	٤٤
أبي موسى الأشعري	١٣٣
أحمد بن حنبل	١٧٦
الألباني	١٨٢
الألوسي	١٠٥
أنس	١٥٦
الأوزاعي	٢٥١
إياس بن معاوية	٤
البخاري	٢٣٨
البراء بن عازب	١٤٣
بشير بن سعد	١٧٥
البقاعي	٢٨
بكير	١٥٤
بن مظعون	٢٣٢
ثابت بن وديعة	٢٤٩

اسم العلم	رقم الصفحة
جابر بن عبد الله	١٣٦
جرير	١٨
جرير بن عبد الله الجبلي	١٩٨
حاتم الطائي	١٢١
الحارث بن كلدة	١٢٠
الحسن	٦٤
الحكم بن أيوب	٢٠٢
حمزة	٢٩
الخطابي	٢٠٨
الخليل	٥٥
الذهبي	١٩٦
ذو الرُّمّة	٣٨٥
الرازي	٦٦
الراغب الأصفهاني	٤٢
الزمخشري	١٩
الزهري	١٣٣
زهير	٣٨٥
السدي	٦٤
سعد بن أبي وقاص	٢٩٣
السعدي	٥٢
سعيد بن جبير	٦٥
سفيـــان بن عيينة	٢١٧
سهل	١٢٤

اسم العلم	رقم الصفحة
الشافعي	١٩٧
شمر	١٩
الشنقيطي	٤٠
شهر بن حوشب	٣٨٠
الشوكاني	٩٩
الضحاك	٣٩٤
طاوس	٩٣
طرفة	١٨
طلق بن حبيب	١٦٣
عائشة	١٩
عامر بن سعد	٢٤٨
عَامِرِ بن سَعْدٍ	٢٩٣
عبادة بن الصامت	٢١٩
عبد الرحمن بن عوف	١٨١
عَبْدَ اللَّهِ	٢٣٥
عبد الله بن مسعود	٤٤
عبد الله بن مغفل	٢١٢
عتبة بن أبي سفيان	٩١
عقبة بن عامر	١٤٢
علي بن أبي طلحة	٣٤٧
الغزالي	١٢٣
فاطمة بنت قيس	٢٦٥
الفراء	٦٨

اسم العلم	رقم الصفحة
فرعون	٣١
الفضيل بن عياض	١٧٣
الفيروزأبادي	٣
قارون	٨٧
قتاده	٦٤
القرطبي	٢٤
قرظة بن كعب	٢٤٨
الكسائي	٢٩
لقمـــان	١٢٢
مجاهد	٤٥
المراغي	١٠٢
مسلم بن عقبة المري	٢١
معاذ بن جبل	٣٩
معاوية	٢٦٥
ميمونة	٢١
نافع	٢٩
النعمان بن بشير	١٧٤
نعيم بن مسعود	٢٦٥
النمرود	٣١
النووي	١٥١
هشام بن زيد	٢٠٢
وهيب بن الورد بن أبي الورد	١٥٠
يزيد بن أبي حبيب	٣٩٠

فهرس الفرق

الفرقة	رقم الصفحة
الحرورية	٣٠٨
المرجئة	٣٠٨

فهرس الأشعار

الأبيات		الصفحة
أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية	مـــا في عطائهمُ منٌ ولا سرفٌ	١٨
الأم مدرســـة إذا أعـــددتها	أعددت شعـــباً طيب الأعراقي	٩٠
إن امرأ سرِف الفؤاد يَرى	عـــسلاً بـــما ســـحابة شـــتمي	١٨
رأيت الذنوب تميت القلوب	وقـــد يـــورث الـــذل إدمـــانها	٣١٨
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفســـك عصيـــانهـــا	
وهل أفسد الدين إلا الملوك	وأحبـــار ســـوء ورهبانهـــا	
رأيت صلاح المرء يصلح أهلهُ	ويُعْدِيهِـــمُ داءُ الفساد إذا فســـد	٩٢
يُعظم في الدنيا بفضل صلاحه	ويُحفظ بعد الموت في الأهل والولَدْ	
فإنك إن أعطيت بطنك سؤله	وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا	١٢١
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت	بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً	٣٨٧
لا تصحب الكسلان في حالاته	كم صالحٍ بفساد آخر يَفْـــسُـــدُ	٩٢
عَدْوى البليدِ إلى الجليد سريعةٌ	والجمرُ يُوضَعُ في الرمـــاد فيَخْمُدُ	
متى يَشْتجرْ قومٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ	هُـــم بيننا فهمْ رضاً وهُمُ عدلُ	٣٨٥
ولا تك فيها مُفْرِطا أو مُفّرِطا	كلا طرفي قصد الأمور ذميم	٣٩٩
ومـــن يك ذا مال فيبخل بماله	على قومه يُسْتَغْنَ عنه ويذمم	٤٠٤
وينـــشأ ناشئ الفـــتيان منا	عـــلى مـــا كـــان عـــوده أبوه	٩١
اليـــوم يبـــدو بعضه أو كله	فـــما بـــدا منه فـــلا أحـــلـــه	١٣٠

فهرس المصادر والمراجع

أولا :- القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب .

١) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلــوم لصديق بن حسن القنوجي(ت/١٣٠٧هــ)، تحقيق: عبد الجبار زكار. ١٩٧٨م. دار الكتب العلمية بيروت.

٢) الإبداع في مضار الابتداع للشيخ: علي محفوظ، حققه: سعيد بن نصر بن محمد ط/١٤٢١هــ/٢٠٠٠م. مكتبة الرشد الرياض – المملكة العربية السعودية.

٣) أحكام القرآن لحجة الإسلام، الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت/٣٧٠هــ) تحقيق: محمد الصادق لمحاوي ١٤٠٥هــ/١٩٨٥م. دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

٤) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي المعروف بابن العربي (ت/٥٤٣هــ). تحقيق علي محمد البجاوي. ط/١. ١٤٢١هــ/ ٢٠٠١م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

٥) أحكام الملكية في الفقة الإسلامي دراسة مقارنة. محمد ربيع المدخلي. ط/١. ١٤١٦هــ/١٩٩٦م. دار المعراج الدولية.

٦) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي(ت/ ٥٠٥هــ). تحقيق: أبي حفص سيد إبراهيم بن صادق بن عمران. ١٤١٩هــ/١٩٩٨م. دار الحديث – القاهرة.

٧) أخلاق المسلم علاقته بالنفس والكون، أ. د. وهبة الزحيلي. ط/١. رجب ١٤٢٦هــ/آب (أغسطس) ٢٠٠٥م. دار الفكر دمشق- سورية، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان.

٨) أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، إعداد محمد سعيد مبيّض.ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. دار الثقافة – الدوحة. مكتبة الغزالي إدلب – سوريا
٩) أخلاقنا الاجتماعية، للدكتور مصطفى السباعي (ت/١٣٨٤هـ) ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الوراق، دار النيربين .
١٠) آداب الزفاف في السنة المطهرة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت/١٤٢٠هـ). الطبعة الشرعية الوحيدة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار السلام للطباعة والنشر.
١١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن مفلح المقدسي الحنبلي (ت/٧٦٣هـ). خرج أحاديثه أبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقي ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.
١٢) إدارة الوقت، إعداد الدكتور/ ربحي مصطفى عليان. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. دار جرير للنشر والتوزيع عمان – الأردن.
١٣) أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت/٤٥٠هـ). دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
١٤) الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت/٢٥٦) خرج أحاديثه: الشيخ: خالد عبد الرحمن العك. ط/٢. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار المعرفة بيروت – لبنان
١٥) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت/١٤٢٠هـ)، إشراف: محمد زهير الشاويش. ط/٢. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. المكتب الإسلامي بيروت–دمشق.
١٦) أسباب النزول، تصنيف الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت/٤٦٨هـ) . تحقيق: كمال بسيوني زغلول. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.

١٧) الاستذكار.لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت/٤٦٢هـ) تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. ط/١. ٢٠٠٠م. دار الكتب العلمية بيروت.
١٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت/٤٦٢هـ). تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط/٢. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. دار الكتب العلمية بيروت.
١٩) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني(ت/٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر عطا. دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
٢٠) الأشباه والنظائر تأليف: العلامة زين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي (ت/٩٧٠هـ)، وبحاشيته نزهة النواظر على الأشباه والنظائر للعلامة محمد أمين بن عمر المعروف بابن عابدين (ت/١٢٥٢هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ط/١. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. دار الفكر سورية – دمشق.
٢١) الإصابة في تمييز الصحابة، لإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ). اعتنى به: حسان عبد المنان. طبع هذا الكتاب عام ٢٠٠٤م في لبنان. بيت الأفكار الدولية.
٢٢) إصلاح المال لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت/٢٨١هـ) تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. ط/١. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر صيدا– بيروت– لبنان.
٢٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الشيخ العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت/١٣٩٣هـ). إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. ط/١. ١٤٢٦هـ. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة .

٢٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمام ابن قيم الجوزية(ت/٧٥١هـ).
تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي. دار الكتاب العربي بيروت- لبنان.
١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية(ت/٧٢٨هـ) .تحقيق أحمد بن علي القفيلي ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.
٢٦) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي(ت/ ٢٠٤هـ)، تحقيق الدكتور/ رفعت محمد عبد المطلب.، ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار الوفاء للطباعة والنشر- ح.م.ع المنصورة.
٢٧) أمراض القلوب لأحمد عبد الحليم بن تيمية (ت/٧٢٨هـ). ط/٢. ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية القاهرة.
٢٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي تأليف: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت/٦٨٥هـ).
تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط . ط/١. ٢٠٠١م. دار صادر بيروت- لبنان.
٢٩) الإيمان بالقضاء والقدر. تأليف محمد إبراهيم الحمد، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ط/٣. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية- الرياض.
٣٠) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تاليف ابي بكر الجزائري. ط/١.
١٤١٦هـ/١٩٩٥م. مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية.
٣١) البحر المحيط، تأليف: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي(ت/ ٧٤٥هـ). حقق أصوله: د. عبد الرزاق المهدي. ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت- لبنان.

٣٢) بدائع التفسير: للإمام ابن قيم الجوزية(ت/٧٥١هـ). جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد. ط١/ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. دار بـن الجوزي للنشر والتوزيع .
٣٣) بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية(ت/٧٥١هـ)، تحقيق: د/محمد الاسكندراني، عدنان درويش. ط/١. ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م. دار الكتاب العربي- بيروت.
٣٤) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي(ت/٧٧٤هـ). تحقيق: الدكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح ط/٦. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار الحديث – القاهرة.
٣٥) بر الوالدين للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الطرطوش (ت/٥٢٠هـ). تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي. ط/٣. ١٤١١هـ/١٩٩١م. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان.
٣٦) البرهان في علوم القرآن، للإمـام بدر الدين الزركشي (ت/٧٩٤هـ). ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. دار الكتب العلميـة بيروت – لبنان.
٣٧) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت/٨١٧هـ). تحقيق الاستاذ محمد علي النجار. ط٣. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. القاهرة.
٣٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت/٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع صيدا، بيروت.
٣٩) بهجـة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: لعبد الرحمن السعدي(ت/١٣٧٦هـ) ط/١. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. عالم الكتب- بيروت.
٤٠) تاج العروس، للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت/١٢٠٥هـ).
٤١) تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت/٤٦٣هـ). دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٢) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت/٣١٠هـ) ط٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
٤٣) التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت/٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي دار الفكر.
٤٤) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت/٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري. ١٩٩٥م. دار الفكر بيروت.
٤٥) تأملات في آيات القرآن، إبراهيم النعمة . ط/١. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة.
٤٦) التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ)، حققه: بشير محمد عون. ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة دار البيان.
٤٧) التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري(ت/٥١٨هـ)،تحقيق: فتحي أنور الدابلوي. ط/١. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. دار الصحابة للتراث مصر.
٤٨) تحفة المودود بأحكام المولود للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية(ت/٧٥١هـ). تحقيق: فواز أحمد زمرلي. ط/٢. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الكتاب العربي- بيروت.
٤٩) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي (ت/٧٩٥هـ) ط/٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٥٠) تذكرة الحفاظ، للإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي(ت/٨٤٨هـ) ط/١. دار الكتب العلمية بيروت.
٥١) التربية الإسلامية، للأستاذ الدكتور/ محمد منير مرسي. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. عالم الكتب.

٥٢) الترغيب والترهيب للإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في الترغيب والترهيب (ت/٦٥٦هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن المكي. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

٥٣) التسهيل لعلوم التنزيل، للشيخ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي(ت/٧٤١هـ)،ضبطه وصححه محمد سالم شاهين.ط/١. ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

٥٤) تصحيح الدعاء لبكر أبو زيد(ت/١٤٢٩هـ) ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. دار العاصمة. المملكة العربية السعودية- الرياض.

٥٥) التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي(ت/١٠٣١هـ)، تحقيق: الدكتور/ محمد رضوان الداية. ط/١. ١٤١٠هـ. دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق.

٥٦) تفسير ابن أبي حاتم لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت/٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب. المكتبة العصرية صيدا.

٥٧) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، للإمام عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي (ت/١٣٥٩هـ). جمع وترتيب د/توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان. علق عليه: أحمد شمس الدين. ط/٢. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٥٨) تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم. تحقيق: راشد عبد المنعم الرجال. ط/١. ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان.

٥٩) تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي(ت/٩٥١هـ)، وضع حوشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

٦٠) تفسير آيات من القرآن الكريم لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت/١٢٠٦هـ)، جمعه وضبطه: محمد رياض الأحمد السلفي الأثري. ط/١. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية
٦١) تفسير البغوي معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت/٥١٦هـ) ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت لبنان.
٦٢) تفسير التحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور(ت/١٣٩٣هـ). دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس.
٦٣) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت/٧٢٥هـ). ضبطه وصححه: عبد السلام محمد شاهين. ط/١. ١٤٢٥هـ ت/٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
٦٤) تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم)، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي (ت/٣٦٧هـ). تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الفكر بيروت- لبنان.
٦٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف: العلامة نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت/٧٢٨هـ). ظبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان
٦٦) تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل)، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت/١٣٢٢هـ)، تحقيق الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي. اعتنى به وصححه الشيخ: هشام سمير البخاري ط/١. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. مؤسسة التاريخ العربي بيروت- لبنان.
٦٧) تفسير القرآن، اختصار النكت والعيون للماوردي للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي(ت/٦٦٠هـ). تحقيق: د/عبد الله بن إبراهيم الوهبي. ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار ابن حزم-بيروت

٦٨) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار. تأليف: السيد الإمام محمد رشيد رضا (ت/١٣٥٤هـ)، خرج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين. ط/٢. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
٦٩) تفسير القرآن العظيم: للإمام عماد الدين أبي الفداء بن كثير القرشي (ت/٧٧٤هـ). ط٧. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. مؤسسة الريان للطباعة بيروت- لبنان.
٧٠) تفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين (ت/١٤٢١هـ) ط/٣. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. دار الثريا للنشر والتوزيع.
٧١) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) ط/١. رمضان ١٤٢٦هـ. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. المملكة العربية السعودية – عنيزة.
٧٢) تفسير القرآن الكريم (سورة يس)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/ ١٤٢١هـ) ط/١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الثريا للنشر والتوزيع.
٧٣) تفسير القرآن الكريم:(سورة الفاتحة والبقرة)، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) ط/١. صفر ٤٢٣هـ. دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية.
٧٤) تفسير القرآن الكريم(سورة الحجرات – سورة الحديد) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) (٩٤) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الثريا للنشر والتوزيع
٧٥) تفسير القرآن، للإمام العلامة الشيخ أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السلفي (ت/٤٨٩هـ). تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم ط/١. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. دار الوطن-الرياض.

٧٦) التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي. ط/٢. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار اللكتب العلمية بيروت – لبنان
٧٧) التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بابن تيمية (ت/٧٢٨هـ). جمع ودراسة وتحقيق وتخريج: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. ط/١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. دار الفكر بيروت – لبنان.
٧٨) التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي(ت/٦٠٦هـ). ط/٣. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت– لبنان.
٧٩) تفسير المراغي، تأليف: صاحب الفضيلة الأستاذ: محمد مصطفى المراغي (ت/١٣٦٤هـ) دار الفكر للطباعة والنشر.
٨٠) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للأستاذ الدكتور: وهبة الزحيلي ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الفكر بدمشق.
٨١) تفسير النسفي، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(ت/٧١٠هـ) ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.
٨٢) التفسير الواضح، تأليف:الدكتور/ محمد محمود حجازي، ط/٦. ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. دار الجيل بيروت
٨٣) الوجيز للدكتور/ وهبة الزحيلي . ط/٣. ١٤٢٥هـ دار الفكر دمشق – سورية.
٨٤) التفسير الوسيط، أ.د. وهبة الزحيلي ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان. دمشق – سورية .
٨٥) التفسير والمفسرون تأليف: الدكتور/ محمد حسين الذهبي، قام بضبط نصوصه الشيخ أجمد الزعبي. شركة الرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

٨٦) تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ) تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا ط/٣. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

٨٧) التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد لمحمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (ت/٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط/١. ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

٨٨) تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (ت/٥٩٧هـ) دار القلم بيروت – لبنان.

٨٩) التمهيد. لأبي يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت/٤٦٢هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري . ١٣٨٧هـ وزارة عموم الأوقاف – المغرب.

٩٠) تنبيه الغافلين، تأليف: الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي (ت/٣٦٧هـ). خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد، ط/١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. مكتبة الصفا مطابع دار البيان الحديثة.

٩١) تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبي زكريا مي الدين بن شرف النووي (ت/٦٧٦هـ) طبعة جديدة بإشراف البحوث والدراسات ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الفكر بيروت – لبنان.

٩٢) تهذيب التهذيب. لأحمد بن حجر العسقلاني أبو الفضل (ت/٨٥٢هـ). ط/١. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. دار الفكر بيروت.

٩٣) تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (ت/٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف. ط/١. ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة بيروت.

٩٤) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت/٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد عبد المنعم البردوني. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي(ت/١٣٧٦هـ)، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن معلا اللويحق. ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان.
٩٦) الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت/٣٥٤هـ) تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ط/١. ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. دار الفكر.
٩٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت/٣١٠هـ). تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري، محمد عادل محمد، محمد عبد اللطيف خلف، محمود مرسي عبد الحميد. ط١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. دار السلام للطباعة والنشر جمهورية مصر العربية-القاهرة
٩٨) جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي (ت/٧٦١هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط/٢. ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. عالم الكتب بيروت.
٩٩) جامع العلوم والحكم. تأليف: الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب الحنبلي (ت/٧٩٥هـ)، تحقيق: وليد بن محمد بن سلامة. ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. مكتبة الصفا.
١٠٠) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد النصاري القرطبي (ت/٦٧١هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط/٥. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠١) الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الإمام ابي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت/٤٥٨هـ) أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي. ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربية السعودية - الرياض.
١٠٢) الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت/٣٢٧هـ).ط/١. بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الهند. ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

١٠٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ) تحقيق: أبي حذيفة عبيد الله بن عاليه. ط/٦. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار الكتاب العربي بيروت- لبنان.
١٠٤) جواهر الألفاظ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٠٥) حجة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت/٤٠٣هـ). تحقيق: سعيد الأفغاني . ط/٢. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. مؤسسة الرسالة بيروت.
١٠٦) حقائق التفسير (تفسير السلمي) لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت/٤١٢هـ) تحقيق: سيد عمران. ط/١. ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
١٠٧) حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين(ت/١٤٢١هـ). طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية. ١٤١٩هـ
١٠٨) الحلال والحرام، تأليف: الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي. ط/١٥. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. المكتب الإسلامي بيروت – دمشق- عمان.
١٠٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت/٤٣٠هـ) . ط/٤. ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي – بيروت.
١١٠) الخصائص العامة للإسلام للدكتور/ يوسف القرضاوي. ط/٣. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مؤسسة الرسالة بيروت.
١١١) خلق المسلم لمحمد الغزالي. ط/٢٠. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار القلم-دمشق، دار الشامية- بيروت.
١١٢) الدر المنثور للإمام جلال الدين بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت/ ٩١١هـ) ١٩٩٣م. دار الفكر بيروت.

١١٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت/٨٥٢هـ). دار إحياء التراث العربي بيروت.
١١٤) الدعاء للإمام سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم (ت/٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط/١. ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية بيروت.
١١٥) دعوة التوحيد أصولها- الأدوار التي مرت بها- مشاهير دعاتها تأليف: فضيلة الدكتور محمد خليل هراس(ت/١٣٩٥هـ) ط/١. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا – بيروت.
١١٦) ديوان جرير، دار صادر، بيروت. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
١١٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للشيخ: أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت/٥٠٣هـ) علق عليه: محمود بيجو. ط/١. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. إقرأ للطباعة والنشر سوريا – دمشق.
١١٨) رجال صاغوا القرن العشرين لفؤاد شاكر. الدار المصرية اللبنانية – القاهرة.
١١٩) رجال صحيح مسلم لأحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر (ت/٤٢٨هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي. ط/١. ١٤٠٧هـ. دار المعرفة بيروت.
١٢٠) رسالة في الدعاء. تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت/٧٢٨هـ). ضبط نصه وخرج أحاديثه: محمد رياض الأحمد الأثري. ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. عالم الكتب للطباعة بيروت- لبنان.
١٢١) روح الدين الإسلامي، تأليف: عفيف عبد الفتاح طباره. ط/٢٧. حزيران ١٩٨٨م. دار العلم للملايين بيروت- لبنان.
١٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت/١٢٧٠هـ). تحقيق: محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي. ط/١. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

١٢٣) الروح، لشيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله ابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ). تحقيق: أبو عبد الرحمن المكي، ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.
١٢٤) الروض الداني (المعجم الصغير) للإمام سليمان بن أحمد الطبراني (ت/ ٣٦٠هـ) تحقيق: محمود شكور محمود الحاج أمرير. ط/١. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. المكتب الإسلامي بيروت، عمان.
١٢٥) زاد المسير في علم التفسير، للإمام جمال الدين عبد الرحمن الجوزي (ت/٥٩٧هـ). ط١. الجديدة. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار ابن حزم بيروت – لبنان.
١٢٦) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية(ت/٧٥١هـ) ط/١. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. دار ابن حزم للطباعة بيروت– لبنان.
١٢٧) زبدة التفسير، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر. ط/٢. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن.
١٢٨) الزواجر عن اقتراف الكبائر تأليف الشيخ: ابن حجر الهيثمي. تحقيق: حازم القاضي. ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية.
١٢٩) زينة المرأة المسلمة: تأليف عبد الله صالح الفوزان. ط/٤. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.دار المسلم.
١٣٠) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني (ت/١١٨٢هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا.ط/٧. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت– لبنان.
١٣١) السراج المنير، للإمام الخطيب الشربيني (ت/٩٧٧هـ) خرج أحاديثه أحمد عز وعناية الدمشقي ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.

١٣٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب. دار المهاجرين للطباعة والنشر.
١٣٣) سنن ابن ماجة تصنيف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه (ت/٢٧٣هـ) حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط/١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.
١٣٤) سنن أبي داود تصنيف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت/ ١٧٥هـ) حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط/١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.
١٣٥) سنن البيهقي الكبرى للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت/٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. مكتبة دار الباز مكة المكرمة.
١٣٦) سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت/٢٧٩هـ) حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط/١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.
١٣٧) سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت/٣٨٥هـ)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني. ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. دار المعرفة – بيروت.
١٣٨) سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (ت/٢٥٥هـ) تحقيق: فواز زمرلي، خالد السبع العلمي ط/١. ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي بيروت.

١٣٩) سنن النسائي (المجتبى) لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت/٣٠٣هـ) حكم على الأحاديث العلامة محمد ناصر الدين الألباني اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان. ط/١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.
١٤٠) سنن النسائي الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت/ ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن. ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. دار الكتب العلمية بيروت.
١٤١) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي (ت/٧٤٨هـ). رتبه واعتنى به: حسان عبد المنان. طبع هذا الكتاب عام ٢٠٠٤م في لبنان، بيت الأفكار الدولية.
١٤٢) شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت/٣٨٨هـ)، تحقيق يوسف الدقاق. ط/١. ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م. دار المأمون للتراث دمشق- بيروت
١٤٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (ت/١٠٨٩هـ). ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان.
١٤٤) شرح الأصول الستة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) إعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. ط/٣. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. دار الثريا للنشر ١٤١٧هـ. المملكة العربية السعودية- الرياض.
١٤٥) شرح اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، شرحه الشيخ: محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) اعتنى به: فتحي صالح توفيق. ط/١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار ابن الهيثم مصر- القاهرة.
١٤٦) شرح ديوان علقمة، طرفة، عنترة. تحقيق وشرح نخبه من الأدباء. دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م.

١٤٧) شرح رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا النووي (ت/٦٧٦هـ)، شرحه وأملاه: فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عقيمين (ت/١٤٢١هـ). تحقيق: وائل أحمد عبد الرحمن. المكتبة التوفيقية القاهرة- مصر.
١٤٨) شرح سنن ابن ماجة لجلال الدين السيوطي (ت/٩١١هـ).
١٤٩) شرح كتاب الكبائر، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) ومتضمنه الحكم على الأحاديث من كتب العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني (ت/١٤٢٠هـ) جمع تحقيق: صلاح الدين محمود السعيد. ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. دار الغد الجديد المنصورة – مصر.
١٥٠) الشعر والشعراء تأليف، أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة . دار الثقافة بيروت- لبنان.
١٥١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تاليف: الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ). تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان. ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ. الرياض.
١٥٢) الصحاح، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت/٣٩٣هـ)، اعتنى به خليل مأمون شيحا. ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان.
١٥٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت/٣٥٤هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط/٢. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. مؤسسة الرسالة بيروت.
١٥٤) صحيح ابن خريمة للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت/٣١١هـ)، تحقيق: د/محمد مصطفى الأعظمي ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. المكتب الإسلامي بيروت.
١٥٥) صحيح البخاري تأليف: الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت/٢٥٦هـ) مراجعة وضبط: الشيخ محمد علي القطب، الشيخ هشام البخاري. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. المكتبة العصرية بيروت – لبنان.

١٥٦) صحيح مسلم شرح النووي للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي (ت/٦٧٦هـ)، تحقيق: صلاح عويضة. ط/١. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. دار المنار.
١٥٧) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت/٢٦١هـ) ط/١. ربيع الأول ١٤١٩هـ/يوليو ١٩٩٨م. دار السلام للنشر والتوزيع الرياض.
١٥٨) صفة الصفوة، للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت/٥٩٧هـ)، ضبطه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن اللادقي، حياة شيحا اللادقي. ط/٣. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
١٥٩) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت/٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة بيروت– لبنان.
١٦٠) الضوء المنير على التتفسير جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي من كتب الإمام ابن قيم الجوزية. مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام.
١٦١) طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت/٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر. ط/١. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. مكتبة وهبة – شارع الجمهورية – بعابدين، مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة.
١٦٢) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت/٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي. ط/١. عيسى البابي الحلبي وشركاه .
١٦٣) طبقات الشافعية، لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت/٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ منصور. ط/١. ٢٠٠٤م. دار الكتب الوطنية بنغازي – ليبيا، دار المدار الإسلامي.
١٦٤) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت/٢٣٠هـ). دار صادر – بيروت

١٦٥) طبقات المفسرين، تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت/٩٤٥هـ) ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين ط/١. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
١٦٦) طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي. دار النشر مكتبة العلوم والحكم
١٦٧) طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت/٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر. ط/١. ١٣٩٦هـ مكتبة وهبة – القاهرة.
١٦٨) طريق الهجرتين لابن القيم (ت/٧٥١هـ) تحقيق حازم القاضي. ط/١. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة.
١٦٩) العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب. ط/٩. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. دار الشروق بيروت– القاهرة.
١٧٠) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك بقلم الشيخ الدكتور/صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار العاصمة المملكة العربية السعودية – الرياض.
١٧١) عمدة القاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت/٨٥٥هـ). دار إحياء التراث بيروت.
١٧٢) عون المعبود شرح سنن أبي داوود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت/١٣٢٩هـ) مع شرح الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية. ط/١. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.
١٧٣) العيال لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت/٤٥٠هـ)، تحقيق: د/ نجم عبد الرحمن خلف ط/١. ١٤١٠هـ دار ابن القيم السعودية – الدمام .
١٧٤) غريب الحديث لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت/٥٩٧هـ) تحقيق: الدكتور/ عبد المعطي آمين القلعجي. ط/١. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٧٥) غريب الحديث، لأبي القاسم بن سلام الهروي أبي عبيد ط/١. بمطبعة مجلس المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. دار النشر الكتاب العربي.
١٧٦) غريب الحديث لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان (ت/٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. ١٤٠٢هـ، جامعة أم القرى مكة المكرمة.
١٧٧) غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري ابو محمد (ت/٣٧٦هـ)، تحقيق: د/ عبد الله الجبوري. ط/١. ١٣٩٧هـ، مطبعة العاني بغداد.
١٧٨) الغلو في الدين وأثره على الأمة بقلم خالد بن حمد الخريف. ط/١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. مكتبة الرشد- المملكة العربية السعودية.
١٧٩) الفائق في غريب الحديث، للعلامة جار الله بم محمود بن عمر الزمخشري (ت/٥٣٨هـ). تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٣. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار المعرفة - لبنان.
١٨٠) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش. ط/١. ١٤١١هـ. دار أولي النهى.
١٨١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ). عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن باز- ورقم كتبها وأبوابها محمد فؤاد عبد الباقي. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. دار الحديث - القاهرة.
١٨٢) فتح القدير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ت/١٢٥٠هـ). حققه الدكتور/ عبد الرحمن عميرة. ط/٢. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. دار الوفاء للطباعة والنشر مصر- المنصورة .
١٨٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، علق عليه: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة

١٨٤) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف: الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (ت/١٢٠٤هـ). ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين. ط/١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
١٨٥) الفرائض وشرح آيات الوصية لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي أبو القاسم. دار النشر المكتبة الفيصلية.
١٨٦) الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت/٤٠٠هـ). تعليق: محمد باسل عيون السود.ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
١٨٧) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن قيم الجوزية (ت/٥٧١هـ). حقق أصوله وضبطه جماعة من العلماء. ط/٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
١٨٨) في ظلال القرآن، بقلم سيد قطب. الطبعة/الخامسة عشر. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. دار الشروق بيروت- القاهرة.
١٨٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبد الرؤوف المناوي(ت/١٠٣١هـ). ط/١. ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م. مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
١٩٠) فيوض العلام على تفسير آيات الأحكام، للإمام محمد بن علي الشوكاني(ت/١٢٥٠هـ). تأليف د. محمد لقمان السلفي. ط١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. دار الداعي للنشر والتوزيع – الرياض، مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية – مدينة السلام – الهند.
١٩١) القاموس المحيط، للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب لفيروزآبادي (ت/٨١٧هـ) ط/١. ١٤١٢هـ/١٩٩١م. دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

١٩٢) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. ط/١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
١٩٣) القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية جمعاً ودراسة تأليف: عبد السلام بن إبراهيم بن محمد الحصين. ط/١. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. دار التأصيل للبحث والترجمة والنشر والتوزيع مصر – القاهرة.
١٩٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) ط/٢. محرم ١٤٢٤هـ. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية.
١٩٥) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي (ت/٧٤٨هـ) تحقيق: محمد عوامة ط/١. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. دار القبلة للثقافة – جدة .
١٩٦) الكبائر.للإمام شمس الدين الذهبي (ت/٧٤٨هـ) تحقيق: أبو نزار المكي. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية.
١٩٧) كتاب الأذكـــار للإمام يحي شرف الدين النووي (ت/٦٧٦هـ). ضبطه: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الأخيار الرياض- المملكة العربية السعودية.
١٩٨) كتاب التعريفات، للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت/٨٦١هـ). تحقيق الدكتور/ محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط/١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار النفائس، بيروت – لبنان.
١٩٩) كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب. مكتبة الرياض الحديثة الرياض.

٢٠٠) كتاب حجج القرآن. للإمام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفيي (ت/٣٦١هـ). اعتنى به: أحمد عمر المحمصاني الأزهري. ط/١. ١٤٠٦هـ/١٠٨٦م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان

٢٠١) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة للشيخ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي المعروف بابن رجب الحنبلي (ت/٧٩٥هـ) وقف عليه وصححه: محمد حامد الفقي. ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م. مطبعة السنة المحمدية – شارع غيط النوبي.

٢٠٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت/٥٣٨هـ)، رتبه وصححه محمد عبد السلام شاهين. ط/١. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٢٠٣) كشاف القناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي. تحقيق مصيلحي مصطفى هلال. دار الفكر، بيروت. ١٤٠٢هـ.

٢٠٤) الكليـــات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت/١٠٩٤هـ). ط/٢. ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

٢٠٥) كنز العمال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت/٩٧٥هـ) تحقيق: محمود عمر الدمياطي. ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار الكتب العلمية بيروت.

٢٠٦) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية تأليف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت/١٠٣١هـ) تحقيق: محمد أديب الجادر. ط/١. ١٩٩٩م. دار صادر لبيروت – لبنان.

٢٠٧) لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي (ت/٩١١هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري. ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. المكتب الثقافي الأزهر – القاهرة .

٢٠٨) اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري.١٤٠٠هـ دار صادر- بيروت.
٢٠٩) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت/٧١١هـ). ط١. دار صادر بيروت.
٢١٠) لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعارف النظامية – الهند. ط/٣. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
٢١١) ليس من الإسلام لمحمد الغزالي. ط/٣. ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. دار الكتب الحديثة لصاحبها: توفيق عفيفي ١٤ شارع الجمهورية – القاهرة.
٢١٢) مبادى الاقتصاد الإسلامي وبعض تطبيقاته. د.سعاد إبراهيم صالح.ط/١. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. دار الضياء الزيتون- القاهرة.
٢١٣) المجددون في الإسلام لعبد المعتال الصعيدي. النشر الآداب ومطبعتها بالجماميز.
٢١٤) مجمع الزوائد للإمام علي بن أبو بكر الهيثمي (ت/٨٠٧هـ) ١٤٠٧هـ. دار الريان للتراث القاهرة، بيروت.
٢١٥) مجموع فتاوى وبحوث إعداد وتأليف عبد بن سليمان المنيع. ط/١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. دار العاصمة – المملكة العربية السعودية – الرياض.
٢١٦) مجموع فتاوى ورسائل، الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت/١٤٢١هـ) جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان ط/٢. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. دار الثريا للنشر- المملكة العربية السعودية.
٢١٧) مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت/٧٢٨هـ). اعتنى بها: عامر الجزار، أنور الباز ط/٢. ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. دار الوفاء.

٢١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت/٥٤٦هـ). ط/١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت–لبنان.
٢١٩) مختار الصحاح، للشيخ زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت/٧٢١هـ) تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. دار الكتاب العربي بيروت
٢٢٠) مختصر منهاج القاصدين، تأليف: الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت/٦٨٩هـ)، تحقق:عبد الرزاق المهدي. ط/١. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. دار الكتاب العربي بيروت– لبنان.
٢٢١) مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار الكتاب العربي– بيروت.
٢٢٢) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقاد، للإمام الحافظ ابن حزم الظاهري (ت/٤٥٦هـ). ويليه نقد مراتب الإجماع للإمام ابن تيمية. بعناية: حسن أحمد إسبر ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. دار ابن حزم بيروت– لبنان.
٢٢٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان بن محمد القاري (ت/١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني. ط/١. ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٢٢٤) المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت/ ٤٠٥هـ)، صنعه: أبي عبد الله عبد السلام بن محمد عمر علوش، ط/٢. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
٢٢٥) المسكن آدابه وأحكامه في الإسلام. رسالة ماجستير للطالب: يحي محمد حسن الشهري بجامعة أم القرى .
٢٢٦) مسند أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت/٢٤١هـ) مؤسسة قرطبة مصر.

٢٢٧) مسند البزار للإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت/٢٩٢هـ) تحقيق: د/محفوظ الرحمن زين الله. ط/١. ١٤١٩هـ مؤسسة علوم القرآن بيروت، المدينة.
٢٢٨) مسند الطيالسي للإمام سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي (ت/٢٠٤) دار المعرفة بيروتز.
٢٢٩) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت/٥٤٤هـ) المكتبة العتيقة ودار التراث.
٢٣٠) مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان بن أحمد أبو تمام البستي (ت/٣٥٤هـ)، تحقيق: فلايشهمر. ١٩٥٩م. دار الكتب العلمية بيروت.
٢٣١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، تأليف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ط/١. ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. المملكة العربية السعودية.
٢٣٢) مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام تأليف: د/عبد الله بن إبراهيم الطريقي. ط/١. ١٤٢١هـ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية .
٢٣٣) المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. دار الحديث– القاهرة.
٢٣٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد) للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت/١٣٧٧هـ) ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
٢٣٥) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار لخصه القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي (ت/٨٠٣هـ) من مختصر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي من كتاب مشكل الآثار للطحاوي. ط/٢. بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية حيدر آباد. ١٣٦٢هـ.

٢٣٦) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تصنيف: أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت/٦٢٦هـ). ط/١. ١٤١١هـ/١٩٩١م. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٢٣٧) معجم الأعلام لبسام عبد الوهاب الجابي. ط/١. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. الجفان والجابي للطباعة والنشر.
٢٣٨) المعجم الأوسط للإمام سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم (ت/٣٦٠هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ١٤١٥هـ. دار الحرمين القاهرة.
٢٣٩) معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت/٦٢٦هـ). دار الفكر بيروت.
٢٤٠) معجم الشعراء في تاريخ الطبري للدكتور/عزمي سكر. ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
٢٤١) معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع أبو الحسين، تحقيق: صلاح بن سالم المصراني. ط/١. ١٤١٨هـ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة.
٢٤٢) المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت/٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ط/٢. ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. مكتبة الزهراء الموصل.
٢٤٣) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحاله مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
٢٤٤) معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها وما حقق بعد وفاتهم، لمحمد خير رمضان يوسف. ١٤٢٥هـ. الرياض.
٢٤٥) معجم المحدثين، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت/٧٤٨)، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة ط/١. ١٤٠٨هـ مكتبة الصديق – الطائف.
٢٤٦) معجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد (ت/٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا. ط/٣. ١٤٠٣هـ. عالم الكتب بيروت.

٢٤٧) معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، تأليف: علي جواد الطاهر أشرف على الطبع حمد الجاسر.
٢٤٨) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت/٣٩٥هـ)، اعتنى به الدكتور/ محمد عوض مُرعب، والآنسة/ فاطمة محمد أصلان. ط/١. ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م. إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
٢٤٩) المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول – تركيا.
٢٥٠) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت/٢٦١هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي. ط/١. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مكتبة الدار المدينة المنورة .
٢٥١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت/٧٤٨هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس. ط/١. ١٤٠٤هـ. مؤسسة الرسالة– بيروت.
٢٥٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للعلامة الإمام إبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ). دار الفكر.
٢٥٣) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت/٥٠٣هـ)، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.
٢٥٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محي الدين مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال.ط/١. ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. دار ابن كثير دمشق– بيروت. دار الكلم الطيب دمشق– بيروت.

٢٥٥) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، للإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح (ت/٨٨٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط/١. ١٤١٠هـ مكتبة الرشد الرياض – السعودية.
٢٥٦) مكارم الأخلاق، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ت/٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الله بدران، محمد عمر الحاج .١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. المكتبة العصرية صيدا – بيروت.
٢٥٧) الملل والنحل، تأليف: أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. تحقيق: محمد سيد. المكتبة الفيصلية– مكة المكرمة.
٢٥٨) من توجيهات الإسلام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت. جماد الآخرة سنة ١٣٧٩هـ/ديسمبر سنة ١٩٥٩م. مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.
٢٥٩) من معالم الهدي القرآني في التوبة، تأليف: الدكتور/سليمان الصادق البيرة. ط/١. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة.
٢٦٠) من منكرات الأفراح بقلم الشيخ: محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ). ط/١. جماد الثانية ١٤١٢هـ. دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض .
٢٦١) المنهاج الإسلامي، تأليف: هاشم محمد علي. ١٩٩٦م. دار الثقافة الدوحة.
٢٦٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ط/١. ١٤١٩هـ/١٩٨٨م. طبعت برعاية كريمة الشيخ الدكتور/ سلطان محمد القاسمي. مركز الشارقة بلابداع الفكري
٢٦٣) موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح. دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة – المملكة العربية السعودية.
٢٦٤) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تأليف محمد جمال الدين القاسمي (ت/١٣٢٢هـ)، تحقيق عاصم بهجة البيطار. ط/٨. ١٤١٤هـ/١٩٤م. دار النفائس بيروت – لبنان.

٢٦٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت/٨٧٤هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات فهارس جامعة. وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٢٦٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي. مكتبة الثقافة الرئيسية.
٢٦٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت/٨٨٥هـ). خرج آياته وأحاديثه عبد الرزاق المهدي. ط/٢. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
٢٦٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد لدين المبارك الجزري المعروف بابن الأثير (ت/٦٠٦هـ) .١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م. دار الفكر للطباعة.
٢٦٩) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخيار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت/١٢٥٠هـ) . ط/١. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت- لبنان.
٢٧٠) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
٢٧١) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي أبو نصرة ت/٣٩٨هـ) تحقيق: عبد الله الليثي. ط/١. ١٤٠٧هـ، دار المعرفة.
٢٧٢) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، تقديم الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد. ط/٤. ١٤١٩هـ. دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية – الرياض .
٢٧٣) الوابل الصيب وروائع الكلام الطيب، لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ). تحقيق محمد بن عبد الله الطالبي ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٧٤) الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت/٧٦٤هـ) باعتناء هلموت ويتر ط/٢. ١٣٨١هـ/١٩٦١م. دار النشر فرانز شتايز بفبسبادن.
٢٧٥) الوجيز للدكتور/ وهبة الزحيلي . ط/٣. ١٤٢٥هـ دار الفكر دمشق – سورية.
٢٧٦) الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة تأليف: لؤلؤة بنت صالح بن حسين آل علي. ط/١. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. دار ابن القيم للنشر – المملكة العربية السعودية.
٢٧٧) الوقت هو الحياة (دراسة منهجية للإفادة من أوقات العمر) تاليف الدكتور/عبد الستار نوير. ط/٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. دار الثقافة.
٢٧٨) (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) تأليف: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل. ط/١. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض.
٢٧٩) يقظة أولي الاعتبار لصديق بن حسن علي القنوجي (ت/١٣٠٧هـ). تحقيق د/أحمد حجازي السقا. ط/١. ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م. القاهرة مكتبة عاطف- دار الأنصار.

ثالثاً : المجلات

٢٨٠) مجلة الأزهر، شوال ١٤١١هـ. الجزء العاشر- السنة الثالثة والستون.
٢٨١) مجلة الدعوة العدد (٢١١٨) الخامس من ذي القعدة ١٤٢٨هـ/ ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧م.
٢٨٢) المجلة العربية العدد ٢٣٣-السنة ٢١جماد الآخرة ١٤١٧هـ/أكتوبر- نوفمبر ١٩٩٦م.
٢٨٣) مجلة الهداية الإسلامية. الجزء الأول والثاني. رجب، شعبان ١٣٦٠هـ/ أغسطس وسبتمبر ١٩٤١م.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
الشكر	أ
الملخص	ج
المقدمة .	٢
تساؤلات البحث ومحاوره	٥
أسباب اختيار البحث	٥
أهمية البحث	٦
أهداف البحث	٦
الدراسات السابقة	٧
المنهج المتبع في البحث	٨
خطة البحث	١٠
الباب الأول: **الإسراف**، **ألفاظه المقاربة والمضادة**، **وأسبابه**، **وصفات أهله**	
الفصل الأول: تعريف الإسراف، والآيات الواردة فيه وألفاظه المقاربة والمضادة .	١٦
المبحث الأول: تعريف الإسراف لغة وشرعاً والآيات الواردة في ذمه.	١٦
المطلب الأول: تعريف الإسراف لغة وشرعاً.	١٦
المطلب الثاني: الآيات القرآنية الواردة في الإسراف.	٢٧
المبحث الثاني: ألفاظ الإسراف وما يقاربها لفظا ومعنى وما يضادها.	٤٢
المطلب الأول: الألفاظ المقاربة للإسراف لفظاً ومعنى	٤٢
التبذير.	٤٢

الموضـــوع	رقم الصفحة
الترف	٤٥
السفه	٤٧
الإفراط	٤٨
الجود	٥٠
الغلو	٥١
الاعتداء	٥٤
الطغيان	٥٥
الفرح	٥٦
الشطط	٥٩
البطر	٦٢
المطلب الثاني : الألفاظ المضادة للإسراف	٦٧
التقتير	٦٧
البخل	٦٩
الشح والحرص	٧٣
القصد	٧٥
الفصل الثاني: أسباب الإسراف وصفات المسرفين	
المبحث الأول: أسباب الإسراف.	٧٩
أولاً: الأسباب الذاتية.	٧٩
ثانياً: الأسباب الاجتماعية	٨٢
ثالثاً: تحول الأحوال وتبدلها بالإنسان	٩٤
المبحث الثاني: صفات المسرفين.	٩٩

الموضـــوع	رقم الصفحة
وصف المسرفين بالجهل	٩٩
وصف المسرفين بالفسق وسوء الفعال وعمل الخبائث	١٠١
وصف المسرفين بالعدوان	١٠٤
وصف المسرفين بأنهم مترفون	١٠٤
وصف المسرفين بأنهم مبذرون وإخوان الشياطين	١٠٦
وصف المسرفين بالاستعجال	١٠٧
وصف المسرفين بالجدال في آيات الله	١٠٨
الباب الثاني: أنـواع الإسـراف..	
توطئة	١١٢
الفصل الأول: الإسراف في المباحات	١١٤
المبحث الأول: الإسراف في المأكل والمشرب.	١١٧
المبحث الثاني: الإسراف في الزينة.	١٢٨
أقسام الزينة	١٢٨
المبحث الثالث: الإسراف في البناء والمركب .	١٤٥
المطلب الأول: الإسراف في البناء .	١٤٥
المطلب الثاني: الإسراف في المركب.	١٥٨
المبحث الرابع: الإسراف في استيفاء الحقوق.	١٦٠
المطلب الأول: الإسراف في استيفاء الحدود.	١٦٠
المطلب الثاني: الإسراف في استيفاء الحقوق المالية.	١٦٣
المطلب الثالث: الإسراف في استيفاء الحقوق الاجتماعية والأدبية.	١٦٦
المبحث الخامس: الإسراف في المناسبات .	١٨٠
المطلب الأول: الإسراف في حفلات الزواج.	١٨٠

الموضـــوع	رقم الصفحة
المطلب الثاني: الإسراف في الأعياد.	١٨٨
المطلب الثالث: الإسراف في المآتم.	١٩٤
المبحث السادس: الإسراف في اللهو والترفية.	٢٠٠
الفصل الثاني: الإسراف في بعض العبادات.	
المبحث الأول: الإسراف في العبادات القولية.	٢٠٧
المطلب الأول: الإسراف في الدعاء..	٢٠٧
المطلب الثاني: علاقة الإسراف بالذكر.	٢٢٣
المبحث الثاني: الإسراف في العبادات البدنية.	٢٢٨
المطلب الأول: علاقة الإسراف بالزهد.	٢٢٨
المطلب الثاني: علاقة الإسراف بالطهارة.	٢٣٦
المطلب الثالث: علاقة الإسراف بعبوديات الجوارح.	٢٤١
جارحة السمع والإسراف فيها	٢٤٢
جارحة البصر والإسراف فيها	٢٥٢
جارحة اللسان والإسراف فيها	٢٥٦
جارحة اليد والإسراف فيها	٢٧٢
جارحة الرجل والإسراف فيها	٢٧٥
جارحة الشم الإسراف فيها	٢٧٩
المبحث الثالث: الإسراف في العبادات المالية.	٢٨١
المطلب الأول: الصدقات والإسراف فيها.	٢٨١
المطلب الثاني: الإسراف في الوصية.	٢٨٩
المبحث الرابع: الإسراف في العبادات القلبية.	٢٩٧
المحبة	٢٩٧

الموضـــوع	رقم الصفحة
الخوف والرجاء	٣٠٢
الباب الثالث : آثار الإسراف وجزاء المسرفين وعلاجه.	
الفصل الأول: آثار الإسراف على الفرد والمجتمع وجزاء المسرفين.	٣١١
المبحث الأول: آثار الإسراف على الفرد والمجتمع.	٣١١
المطلب الأول: آثار الإسراف الدينية.	٣١٢
المطلب الثاني: آثار الإسراف النفسية.	٣١٧
المطلب الثالث: آثار الإسراف الاجتماعية.	٣٢١
المطلب الرابع: آثار الإسراف على الصحة.	٣٢٥
المطلب الخامس: آثار الإسراف الاقتصادية.	٣٣٠
المبحث الثاني: جزاء المسرفين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة.	٣٤١
المطلب الأول: جزاء المسرفين في الدنيا وأخذ العبرة من ذلك.	٣٤٣
المطلب الثاني: جزاء المسرفين وعاقبتهم في الآخرة.	٣٦٣
الفصل الثاني: علاج الإسراف.	٣٧٤
المبحث الأول: التوبة من الإسراف.	٣٧٤
مكانة التوبة عند المسلم	٣٧٧
المبحث الثاني: الاعتدال والتوسط في المباحات والعبادات.	٣٨٥
فضيلة الاعتدال	٣٨٥
صور الاعتدال والوسطية للأمة الخاتمة	٣٨٨
المطلب الأول: الاعتدال والقصد في المباحات.	٣٩١
المطلب الثاني: الاعتدال والقصد في العبادات.	٣٩٧
المبحث الثالث: الامتثال بتدابير الإسلام في حفظ الأموال من الإسراف.	٤٠١
المطلب الأول: الحجر على السفهاء.	٤٠٦

الموضـــوع	رقم الصفحة
المطلب الثاني: حفظ أموال اليتامى.	٤١٠
المطلب الثالث: التحذير من المسرفين.	٤١٦
الخاتمة	٤١٩
الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية.	٤٢٢
فهرس الأحاديث و الآثار .	٤٥٣
فهرس الأعلام	٤٦٥
فهرس الفرق	٤٧٠
فهرس الأشعار	٤٧١
فهرس المصادر والمراجع	٤٧٢
فهرس الموضوعات	٥٠٤